جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية

مساجد مصر
وأولياؤها الصالحون

الجزء الخامس

الدكتورة سعاد ماهر محمد

القاهرة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

مساجد مصر

وأولياؤها الصالحون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

العمارة كما سبق القول هي السجل الذى يستقى منه تاريخ الأقدمين بما فيه من تقدم وازدهار ، أو تدهور وتخلف ، ومن ثم فقد سجلت لنا العمارة الإسلامية وخاصة الدينية منها تاريخ الدول المتعاقبة وأعطتها صورة صادقة عن منشئها . ذلك أن العقيدة الإسلامية التى تغلغلت فى نفوس معتنقيها لسماحتها وملاءمتها لطبيعة النفس البشرية ولحرصها على الإسعاد فى الدارين ، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعمارة المساجد التى يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله .

ويعمرها الزاهدون ، والمتصوفون ، والذاكرون الله كثيرا ، والعارفون بالله . وتعمرها حلقات الدرس من فقه وحديث ومنطق وكلام ، ومجالس الأدب من نحو وبلاغة ونقد ، وندوات الاجتماع التى تتعرض لسائر العلوم . ويعمرها العلماء والفقهاء ، والأئمة والأدباء ويقوى بها الضعيف والغريب ويأنس إليها ابن السبيل والمسكين ، ويرفع صوته فيها الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر والداعى إلى الخير .

فالمساجد دين وخلق وهدى ونور ، وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ، ودرك للعزة فى الأولى والفوز العظيم فى الآخرة .

ولقد تناولت فى الأجزاء السابقة من كتابى « مساجد مصر وأولياؤها الصالحون » الذين تنشرح بذكرهم الصدور وتعمر القلوب وتتوثب الهمم ، ولما فيها من عظة حافذة ، وعبرة بالغة ولما لهم علينا من حق يشرفنا أداؤه ويسعدنا قضاؤه . وقد تناولت فى الجزء الأول عمارة المسجد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتدرجت فى تسلسل زمنى حتى وصلت إلى نهاية العصر الفاطمى . وتناولت فى الجزء الثانى عمارة العصر الأيوبى حتى بداية العصر المملوكى ، وفى الجزء الثالث المماليك البحرية ، وفى الجزء الرابع عمارة المماليك الشراكسة . وفى الجزء الخامس تناولت التقسيم الإدارى لمصر وكذلك عمارة المسجد فى العصر العثمانى .

وقد تناولت فى كثير من الأحيان دراسة تاريخ البلد أو الحى الذى يوجد فيه الأثر .

وأتبعت هذه الدراسة التاريخية بوصف معمارى للأثر منذ نشأته والإصلاحات والترميمات التى أجريت له خلال العصور ، وإتماماً للفائدة فقد زودت الكتاب بمجموعة من الرسوم التخطيطية وبعدد من اللوحات ـ الملونة والبيضاء والسوداء .

وعنيت عناية خاصة بعمل مجموعة من ثبت الفهارس وخصصت بعضها لوصف اللوحات والأشكال وصفاً تفصيلياً دقيقاً وأخرى لأسماء الأعلام وثالثة لأسماء الأماكن والبقاع ، ورابعة للمراجع العربية والأجنبية ، هذا بالإضافة إلى فهرس الموضوعات .

وبعد :

فإننى أجد لزاماً على وأنا أضع الجزء الخامس من كتابى (مساجد مصر) بين يدى القارىء أن أسجل كلمة شكر وعرفان بالفضل والجميل لكل من أسهم فى إصدار هذا المجلد .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل .

الجيزة ذو الحجة ١٤٠٣ ـ أغسطس ١٩٨٣ .

د / سعاد ماهر محمد

مصر في العصر العثمانى

قضى الأمر واستولى سليم الأول العثمانى على مصر سنة ١٥١٧م، فتحولت القاهرة من عاصمة إمبراطورية مترامية الأطراف إلى عاصمة ولاية من الولايات التابعة للقسطنطينية. وكان من المقدر لهذه العاصمة أن تظل بعد هذا التاريخ ثلاثة قرون تحت حكم الولاة العثمانيين المزعزع تتقاذفها الأهواء وتلعب بمقاديرها الأحداث السياسية حتى الحرب العالمية الأولى.

أقام سليم الأول بالقاهرة ثمانية شهور بعد فتح مصر، وضع فى أثنائها نظاما خاصا لحكم البلاد وذلك لكيلا يطمع أحد من حكامها فى الاستقلال بها منتهزا فرصة بعدها عن القسطنطينية. فوزع السلطة بين ثلاث هيئات متنافسة وهى أولا: الوالى الذى ينوب عن السلطان فى حكم مصر ـ ثانياً: الديوان المؤلف من قواد جيش الاحتلال التركى، ثالثاً: المماليك حكام مصر قبل الاحتلال. أما الوالى فكان يلقب بالباشا ويقيم بالقلعة، وكان من أهم واجباته تنفيذ أوامر السلطان وتبليغها لرجال الحكومة والشعب وكانت مدة ولايته لا تزيد على ثلاث سنوات خشية أن يطمع فى الاستقلال وكان معظم الولاة لاهم لهم إلا جمع الضرائب وإرسالها إلى القسطنطينية ثم جمع المال لأنفسهم، وكثيراً ما قام النزاع بين الوالى والديوان أو بينه وبين المماليك. وعند ذلك تصبح القاهرة مسرحا للفتنة والحروب والمعارك الدموية.

وكان الديوان يتألف من قواد جيش الاحتلال، وكان يجتمع فى القلعة ومهمته مراقبة الوالى ومساعدته. وكان لجيش الاحتلال نفوذ كبير فى بادىء الأمر فكثيرا ما كان يثور ضد الوالى ويعزله أو يقتله حتى أصبح كثير من الولاة ألعوبة فى يده. وبمرور الزمن فقد هذا الجيش كثيراً من صفاته الحربية وركن رجاله إلى عيشة الكسل والخمول.

أما المماليك ويلقبون بالبكوات، فهم بقايا المماليك الجراكسة الذين بقوا بمصر بعد موت السلطان طومان باى، فعين منهم السلطان سليم حكاما للمديريات وكان عدد هذه المديريات آنذاك ٢٤ مديرية، وأسند إليهم الوظائف الكبرى فى الحكومة. ومع أن عدد المماليك الذين بقوا بمصر فى العصر التركى كان لا يزيد على عشرة آلاف إلا أنهم كانوا يؤلفون طبقة الأرستقراطية فى القاهرة ويعيشون عيشة بذخ وترف ويسكنون القصور الفخمة المطلة على بركة الأزبكية وبركة الفيل، ويلبسون الجوخ والحرير ويقتنون الجوارى ويشترون الغلمان ويدربونهم على ركوب الخيل والحرب والصيد، ويعلمونهم مبادىء الدين الاسلامى وإذا كبر المملوك حرره سيده ورقاه إلى رتبة (بك) فى احتفال عظيم وجعله من أتباعه. وقد عظم نفوذ المماليك لسببين، الأول هو ضعف الدولة العثمانية منذ نهاية القرن السابع عشر والثانى هو كثرة تغير الولاة والنزاع الدائم بين الوالى والديوان حتى صار رئيس المماليك المسمى (شيخ البلد) الحاكم الحقيقى لمصر يعزل الوالى إذا أراد، وذلك بأن يرسل إليه رسولا يسميه العامة (أبو طبق) لأنه كان يلبس فوق رأسه قبعة لها حافة واسعة تشبه الطبق، ويدخل على الوالى فى القلعة فيحييه ويثنى طرف السجادة الجالس عليها، ويتلو عليه أمر العزل بقوله (انزل يا باشا)وبذلك يصبح الوالى معزولا ويغادر البلاد.

وبعد أن وضع سليم الأول نظام الحكم فى البلاد نقل إلى القسطنطينية كل ما هو نفيس وغال، نقل الأسلحة والكتب والمخطوطات النادرة، كما جمع ما يقرب من ١٨٠٠ صانع من أمهر صناع القاهرة، وبذلك حرمت البلاد من جهود هؤلاء الفنانين، فأخذت فنون القاهرة فى التأخر بينما تقدمت فنون استامبول وترعرعت، كذلك أخذ سليم معه الخليفة العباسى (هو أحد سلالة الخلفاء العباسيين، حضر إلى مصر بعد أن قضى التتار على الدولة العباسية فى بغداد سنة ١٢٤٨م وبقى فى مصر يتمتع بلقب الخلافة هو وذريته من بعده دون أن يتولى شيئاً من الحكم) وجعله ينزل له عن لقب الخلافة، فصارت الخلافة منذ ذلك الوقت عثمانية لا عباسية.

وفى صدر العصر العثمانى كانت القاهرة تزخز بالأسواق والوكالات والخانات والفنادق والحمامات التى تطلبتها حالة الرواج التجارى فى عصر المماليك حتى القرن السادس عشر الميلادى تاريخ اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح، وحتى بعد اكتشاف هذا الطريق لم تهجر بضائع البندقية وجنوا ومرسيليا أسواق القاهرة كما بقى جزء كبير من

تجارة الهند والشرق بها . وكان عادة التجار أن يجتمعوا أمام حوانيتهم ويجلسوا فوق مقاعد خشبية عربية الطراز ، مزخرفة بطريقة الخرط والحشوات المجمعة والمطعمة بالعاج والصدف ويشربون النرجيلة والشبك (أشبه بفم السجاير) والقهوة ويعقدون صفقاتهم التجارية مشافهة . . وفى سنة ١٥٣٥ فقدت القاهرة كل ما كان يمكن أن تجنيه من مرور تجارة الهند بها وذلك عندما وافق السلطان سليمان الثانى على منح فرنسا فرمان الامتيازات الأجنبية لحماية التجار الفرنج والمتاجر الفرنسية ، وذلك لأن هؤلاء التجار لم يكتفوا بحماية تجارتهم فحسب بل راحوا يفرضون إرادتهم على حكومة مصر ويتحكمون فى مرافقها العامة . وسرعان ما طلبت انجلترا ثم باقى البلاد الأوربية تطبيق هذا النظام على تجارهم ومتاجرهم حتى أصبحت هذه الامتيازات مع الزمن عقبة فى سبيل تقدم مصر الحديثة ، وبقيت كذلك إلى أن ألغيت فى مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٧ .

أما حالة مصر من الناحية الفنية فقد دخل الأتراك مصر فوجدوا عاصمتها تزدحم بالقصور والعمائر والمساجد والوكالات والمدارس والقلاع والحصون ، فكان من المنتظر أن يحافظوا عليها حتى تصبح درة فى جبين إمبراطوريتهم ولكنهم أهملوها . ولم ينل قلب القاهرة تطورا أو تغيرا فقد ظل على ما هو عليه حتى أواسط القرن التاسع عشر ، ولم يعكر صفو ساكنيه سوى معارك الجند والمماليك بين الفينة والفينة ، والظاهر أن حى باب اللوق لم يصبه ما أصاب الأحياء الأخرى من التخريب والدمار ، فقد كانت تحيط به من شماله جملة برك وفى جنوبه مدافن وفى شرقه مجموعة من المروج وبركة القرابين وكان حى باب اللوق يشبه جزيرة مستطيلة معزولة عن المناطق القريبة منها ، أما حى بولاق فكان يوجد جنوبه مقابر ومزارع وعلى يساره يمتد الخليج الكبير ماراً بين بركتى السقايين وأبى شمعة ، وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ازدحم حى قناطر السباع (حى السيدة زينب) بالسكان وكان يحده الخليج من الغرب (ردم) ومكانه شارع الخليج (بور سعيد الان) وبركة الفيل من الشرق ، كما استجدت منطقة بين بركة الفيل والقلعة هى حى ابن طولون ومركزها مسجد ابن طولون القائم على جبل يشكر . أما الجهات القريبة من القلعة وجامع السلطان حسن ، فقد اختفى سكانها الأغنياء بعد أن أفزعتهم حركات المشاغبين ، وتحولت المنازل إلى أحواش سكنتها الرعاع أما أغنياء الحى فقد هجروه إلى حى بركة الفيل أو بركة الأزبكية اللتين أصبحتا المقرين المفضلين لدى الأمراء والخاصة .

وقد كثر فى العصر العثمانى بناء المساجد وتكايا الدراويش والخانات والوكالات ، كما شيد الأغنياء فى القرن السابع عشر والثامن عشر كثيراً من البيوت والقصور الأنيقة وجواسق النزهة على شاطىء النيل أو على الخليج المصرى ، ولا تزال بقايا تلك القصور قائمة فى القاهرة حتى اليوم . ففى حى الجمالية بيت الشيخ محمد أمين السحيمى بالدرب الأصفر وهو يرجع إلى سنة ١٦٤٨م . وقصر المسافر خانة (ولد به الخديو إسماعيل) وقد بنى سنة ١٧٨٩م بدرب المسمط . وفى حى الدرب الأحمر نجد بيت جمال الدين الذهبى بحارة حوش قدم (١٦٣٧م) وبيت زينب خاتون بعطفة الأزهرى وبحى السيدة زينب يوجد بيت إبراهيم كتخدا السنارى بحارة مونج بالسيدة زينب . وبحى طولون يوجد بيت الست الجردلية الملاصق لجامع ابن طولون .

التقسيم الإدارى لمصر في العصر العثمانى

وإذا كنا قد أوجزنا الحديث عن التقسيم الإدارى لمصر فى جميع عصورها الإسلامية وذلك لأن التطور والاختلاف كان بسيطا ، إلا أن الأمر قد اختلف اختلافاً بينا فى العصر العثمانى . فبعد أن كانت مصر قاعدة للحاكم ، منذ العصر الفاطمى (٣٥٨هـ-٩٦٩م) ففيها مقر الخليفة ، ثم هى عاصمة السلطان فى العهد الايوبى والمملوكى ، أضحت فى العصر العثمانى مجرد ولاية تدور فى فلك السلطان فى القسطنطينية . ومن ثم فان الأمر يتطلب أن نفرد لها فصلا خاصا عن تقسيمها الإدارى فى العصر العثمانى.

لقد أبقى العثمانيون التقسيم الإدارى فى مصر فى أول الأمر على ما كان عليه فى العصر المملوكى ، وهو التقسيم التقليدى ، وذلك خلافا للسنة التى ساروا عليها فى غيرها من الولايات العربية الأخرى التى خضعت لهم . فقد قسموا سوريا على سبيل المثال إلى نيابات عدة مثل حلب وحماة وحمص وطرابلس والقدس وصفد وغزة ، ثم عادوا فاختصروها إلى ثلاث نيابات ، هى حلب ودمشق وطرابلس . ثم عادوا فقسموا كل نيابة إلى عدد من الصنجقيات[1]

ولكن عندما مسحت الأراضى المصرية مسحا جديدا فى عهد السلطان سليمان القانونى وعلى يدى سليمان باشا الخادم (٩٣٣هـ / ١٥٢٦م) وهى المساحة التى أشير إليها فى الوثائق باسم دفتر الربيع [2] ، فى هذه العملية تغيرت أسماء التقسيمات القديمة من كور وأعمال إلى ولاية وولايات . والواقع أن كلمة ولاية التى استعملت فى مصر هى مرادفة لكلمة لواء خارج مصر

وقد اجمعت المصادر التاريخية على ان مصر قسمت فى العصر العثمانى الى خمسة أقاليم كبرى تحمل كل منها اسم ولاية [3] ، وهى الغربية وعاصمتها المحلة الكبرى ، المنوفية وقاعدتها

---

(١) احمد عزت عبد الكريم : التقسيم الادارى لسوريا فى العهد العثمانى صفحة ١١٣

(٢) الاسحاقى : اخبار الاول صفحة ١٥٠

يوسف الملوانى : تحفه الأحباب صفحة ٨٣

أحمد شلبى : أوضح الاشارات صفحة ٦

(٣) Pocoke: ADescription of the East P. 16

Vanslelb: The Present State of Egypt. P.17

منوف الشرقية وعاصمتها المنصورة ، والبحيرة وعاصمتها دمنهور ، جرجا وعاصمتها جرجا .

ثم قسمت مصر الى أقسام إدارية أخرى أصغر من الولايات عرفت باسم الكاشفيات ، بلغ عددها أربعة وعشرين قسما . وجد منها ثلاثة بمصر السفلى وهى بلبيس وقليوب شرقى الدلتا ثم طرانه التابعة للبحيرة غربى الدلتا .

وقسمت مصر الوسطى الى سبع كاشفيات ، هى اطفيح شرقى النيل والجيرة والفيوم وبنى سويف والمنيا والأشمونيين ومنفلوط غربى النيل [1] وقسمت مصر العليا الى أربع عشرة كاشفية هى أسيوط وابو تيج وطما وطهطا واخميم وفرشوط وبرديس وهو وبهجورة وقنا وقوص واسنا وابريم الواح .

هذا وقد تغيرت أقسام مصر الإدارية عدة مرات فى العهد العثمانى تذكر منها تعديل (٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) الذى تم فى عهد اسكندر باشا ، وتعديل ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م الذى حدث فى ولاية أحمد باشا حافظ . والتغيير الذى حدث (١١١٨هـ / ١٧٠٦م) فقد كانت هناك كاشفية قطا وكانت ايراداته تأتى أساسا من الضرائب التى تفرض على القوافل التى تعبر الأراضى الصحراوية الواقعة شرقى ولاية الشرقية ، الى دمشق وحلب وبالعكس . وكان على قطيا حماية تلك القوافل وامدادها بالمعونات . ثم ألغى الإقليم كوحدة إدارية مستقلة وأصبحت إيرادته والتزاماته من اختصاص حكام الشرقية وقليوب ومديرى جمارك بولاق ومصر القديمة [2]

وهناك تغيرات أخرى فى مصر السفلى كذلك حدثت فى ١٠٠١هـ / ١٥٩٢م فى المنزلة التى ظلت مستقلة حتى ١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م ثم أعيد إلى المنصورة .

وقد اتسعت ولاية جرجا فى العصر العثمانى حتى أصبحت تشمل معظم أقاليم الصعيد وكان هدف العثمانيين من ذلك هو توحيد الصعيد تحت ادارة واحدة ، وتقوية حاكمها الذى يمثل الحكومة بحيث يستطيع القضاء على أى تذمر أو ثورة تفكر فى القيام بها القبائل العربية المنتشرة فى الصعيد . هذا فضلا عن أن جرجا تعتبر وسط الصعيد ومن ثم فانه من السهل عليها الاشراف على البلاد التى فى أعلاها والتى فى أسفلها .

أما بالنسبة للعاصمة وهى القاهرة فقد اعتبرت ولاية مصر كلها ، فقد كانت مقر الحكومة والادارة ويشرف عليها الباشا . اما بالنسبة للنواحى الخاصة بالأمن فيها فقد كان أغا[3]

---

(١) محمد رمزى : القاموس الجغرافى صفحة ٣ ، ٧

(٢) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ١٦

(٣) اغا : كلمة تركية بمعنى آمر ، بك ، سيد ضابط ، الممتازين الخدام والاتباع .

واغا الانكشارية : تعنى قائد فرقة الانكشارية ، وله الرئاسة على الأغوات باقى الفرق وقد اختص بحفظ الأمن فى القاهرة (ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى صفحة ٤٣٩)

الانكشارية يتولى السلطة العليا للبوليس فيها ويشاركه فى حفظ الأمن فيها والتموين زعماء مصر الثلاثة وهم ، زعيم مصر أو والى مصر ، وزعيم ، بولاق وزعيم مصر القديمة [1] ، وأمين الاحتساب

هذا ولما كانت القاهرة من أهم وأعظم المدن فى الدولة العثمانية ، إذ هى المدينة الثانية بعد اسطنبول ، وكان لها ضاحيتان كبيرتان مهمتان هما ضاحية بولاق وضاحية مصر القديمة ، لذلك فقد كان يقوم بحراستها ليلا البكوات الخفراء أو رجال القلقات وهى قوة عسكرية كانت تقوم بالحراسة وحفظ الأمن . وكانت لهذه القوة ثلاثة مراكز تجتمع فيها وهى القبة ومصر القديمة والثالث فى منطقة الأمام الشافعى .

وكانت القاهرة فى العهد العثمانى مقسمة إلى ثلاثة وستين حيا [2] أو حارة وكانت لكل حارة أو حى بوابة تتقدم مدخل الشارع المؤدى به . ومما يجدر الإشاره إليه أن باب حى المبيضه التى أنشئت (١٠٨٣هـ / ١٦٧٣م) ما تزال باقية حتى الان .

وكان لكل حى شيخه الذى كثيرا ما يكون هو نفس شيخ الطائفة الحرفية التى يسكن معظم أجزاء الحى . وكانت وظيفة شيخ الحارة هو واسطة اتصال بين السلطة وبين الرعية ، ومن ثم فانه اذا حدثت أزمة ما خاصة بالأسعار أو التموين فقد كان الباشا يفوض أغا الانكشارية لحل الأزمة . فكان يعقد الاجتماعات لشيوخ الطوائف الحرفية ، ويتفق معهم على إعداد قائمة بالأسعار المخفضة . اما دور شيوخ الحرف فيكون إقناع أعضاء الحرفة التابعة لهم على السير على ما تم الاتفاق عليه مع سلطة الادارة [3] .

---

(١) شفيق غربال : ترتيب الديار المصرية صفحة ٣٣

(٢) اندريه ريمون : القاهرة العثمانية صفحة ٢١٩ (ترجمة زهير الشايب المجله التاريخية المجلد ٢٣ ١٩٧٣

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار جـ١ صفحة ١٠٣

أحياء القاهرة القديمة

وإذا كان لنا أن ندرس مساجد القاهرة ذات الطابع والطراز العثماني ، والذى يكاد يكون مقتصرا عليها ، فلا بد لنا أن نرجع إلى نشأة مدينة القاهرة لنعرف خططها وحاراتها القديمة . ثم نسير مع القاهرة عبر تاريخها الطويل فى العصر الأيوبى والمماليك البحرية والجراكسة ونعرف ظواهرها وضواحيها وامتداداتها وخاصة فى جهتها الشمالية لنعرف ما استجد من حارات وخطط ، حيث أقيمت المساجد والعمائر العثمانية [1]

وهناك عدد كبير من أحياء القاهرة التى كان لها شأن يذكر فى تاريخها الإسلامى ولا يزال الكثير منها يحتفظ بمركزه وكيانه ، بل وباسمه فى كثير من الأحيان حتى اليوم ، وفيما يلى أهم هذه الأحياء .

حى الحسينية [2] :

وكان هذا الحى فى أول الأمر حارة كبيرة واقعة خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح ، والحسينية منسوبة لجماعة الأشراف الحسينيين قدموا من الحجاز ونزلوا تلك المنطقة واستوطنوها وكان ذلك فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل كما يقول محمد رمزى ، أما المقريزى وابن عبد الظاهر فيقولان إنهم أتوا فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أى قبل الملك الكامل بما ينيف عن مائتى سنة . ولما استقرت هذه الطائفة بالحى المنسوب إليها ، بنوا المدابغ وصنعوا الأديم المشبه بالطائفى ، نسبة الى مدينة الطائف بالحجاز وكانت مشهورة بمدابغ الجلود .

ثم سكن الأحفاد بعد ذلك هذا الحى وكانوا من طوائف الريحانية الغزاوية والمولدة

---

(١) ابن اياس جـ٢ ص ٣٢٦

(٢) النجوم الزاهرة جـ٤ ص ٤٥ ، صبح الأعشى ، جـ٣ ص ٣٥٥ الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٣

والعجمان وعبيد الشراء . وفى العصر المملوكي أصبح الحى يتكون من ثمانى حـارات ، حارة حامد والمنشية الكبرى والمنشية الصغرى والحـارة الكبيرة والحارة الوسطى وكانت لعبيد الشراء ، والوزيرية وكان يسكنها الأرمن .

ويتوسط حى الحسينية اليوم من الجنوب إلى الشمال شـارع الحسـينية وشـارع البيومى من باب الفتوح إلى ميدان الأمير فاروق (ميدان الجيش الآن) وما يزال هذا الحى يحتفظ حتى اليوم بكثير من مظاهره فى العصور الوسطى .

باب اللوق[1] :

جاء فى المقريزى يقال لاق الشىء يلوقه لوقا ولوقه لينه . وقال ابن سيده فكانت هذه الأرض لما انحسر عنهـا ماء النيل كانت أرضـا لينة وإلى الآن فى أرض مصر إذا ما نزل عنها ماء النيل لا تحتاج إلى الحرث للينها بل تلاق لوقا . وقد ظهرت أرض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر ثم أضيفت إليها طروحات أخرى فى أوائل عهد دولة المماليك البحرية . وكانت أرض اللوق تشمل المنطقة التى يحدها اليوم من الشـمال شـارع قنطرة الدكة ومن الغرب أول شارع رمسيس عند مصلحة المجارى ومن الجنوب مسـتشفى القصر العينى وشارع بسـتان الفـاضل . ومن الشرق شـارع بور سـعيد الآن (الخليج المصرى) فشارع سعد الدين فشارع نوبار إلى أن يتقـابل مع شـارع الشـيخ ريحـان الآن (حسين رشـدى) ثم ينعطف شرقا حتى يتصـل بشـارع عماد الدين (محمد فريد الآن) عند تلاقيه بشارع الخديو إسماعيل ثم يستقيم الحد متجهـا إلى الشـمال إلى أن يتقـابل مع الحد البحرى عند شـارع قنطرة الدكة . وقد جـاء فى كتاب النجـوم الزاهرة ، أن الحـد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطىء الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغـاية سـنة ٦٩هـ (٦٨٨م) أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق .

وذكر المقـريزى أنه أنشىء بأرض اللوق كثير من البسـاتين والمنشـآت مثل منشـأة القاضى الفاضل وبستانه ومنشأة ابن ثعلب . وبستان ومنشـأة الكتبة وغيرها . ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضا زراعية حتى سـنة ٦٦٠هـ حين قدم إلى مصر طـائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم الملك بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر ببنائهـا لهـم فى أرض اللوق . ومنذ ذلك الوقت أصبحت بأرض اللوق عدة أحكار عامرة وآهلة بالسكان ، ولكنها سرعان ما تخـربت وتحـولت إلى أرض زراعية مرة ثانية وبقيت كذلك حتى عام ١٨٥٨م

---

(١) المقريزى جـ٣ ص ١٩٢ ، الخطط التوفيقية جـ٣ ص ٦١ .

حيث لم يوجد بها إلا مجموعة من المساكن الواقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وشارع جامع جركس ، وقد بدأت عمارة أرض اللوق منذ عهد الخديو اسماعيل واكتظت بالمباني والعمائر حتى صارت المنطقة كلها مشغولة بالدور والقصور ويتخللها الشوارع الواسعة والميادين التي تمتد من قنطرة الدكة إلى مستشفى قصر العيني وشارع بستان فاضل .

الجسر الأعظم وقناطر السباع (حي السيدة زينب)[1]

أنشأ الظاهر بيبرس جسرا على الخليج عرف باسم قناطر السباع . ويقول المقريزي إن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ثم أصبح بعد ذلك شارعا مسلوكا يمتد من قلعة الكبش حتى قناطر السباع . ويعرف مكان هذا الجسر اليوم باسم شارع مراسينا ، ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع سنجر الجاولي الذي يقع تحت قلعة الكبش . وهناك يعرف امتداده باسم شارع الخضيري . وقد عرفت قناطر السباع بهذا الاسم نسبة إلى نقش السباع الموجود عليها وهي (رنك) الظاهر بيبرس ، ثم عرفت بعد ذلك باسم قنطرة السيدة زينب ، وكانت تتكون من قنطرتين إحداهما توصل بين شارع الكومي وشارع السد ، والثانية كانت توصل بين شارع الكومي وشارع مراسينا . وفي سنة ١٨٩٨م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج وبردمه اختفت هذه القناطر تحت ميدان السيدة زينب الذي دخل فيه جزء من شارع الكومي وجزء آخر من شارع مراسينا . وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد أكثر من ستين حكرا على ضفة الخليج الغربية ابتداء من قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) إلى قنطرة باب الخرق (ميدان باب الخلق) الآن . وعلى ذلك فإن أغلب الأحياء الموجودة حتى الآن في هذه المنطقة عمرت منذ ذلك الحين . وقد وسع هذا الميدان في سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م) . وعند عملية التوسع اكتشف واجهة جامع السيدة زينب الذي كان الوالي العثماني علي باشا قد جدده سنة ٩٥٥هـ (١٥٤٧ م) ، ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٠هـ (١٧٦٨م) . ومنذ اكتشاف واجهة الجامع في القرن التاسع عشر ، أصبح يطلق على ميدان قناطر السباع اسم ميدان السيدة زينب[2] .

---

(١) المقريزي جـ٣ ص ٢٣٨ .

(٢) الخطط التوفيقية جـ٣ص ١٦

حى شبرا[1] :

كان شاطىء النيل الشرقى لمدينة القاهرة فى عهد الدولة الفاطمية ينتهى عند شارع عماد الدين (محمد فريد الآن) فقرية أم دنين حيث يوجد جامع أولاد عنان الآن فميدان باب الحديد فالمنطقة القائم عليها محطة كوبرى الليمون ثم يتجه النيل شمالا إلى الشرابية ، ثم منية السيرج ومنها إلى المكان الذى تبدأ منه اليوم ترعة الإسماعيلية . وكان ثغر القاهرة فى ذلك الوقت فى المكان الذى يعرف اليوم بميدان السكة الحديد ، وكان به أعظم دار للصناعة وبناء السفن خاصة ، حيث بنى أسطول المعز لدين الله وأسطول صلاح الدين ودولة المماليك الذين قضوا به على أساطيل الصليبيين ، ولكن حدث فى أواخر الدولة الفاطمية أن غرق فى النيل بالقرب من هذا الثغر مركب اسمه الفيل وترك فى مكانه فتراكم فوقه الطمى والرمال وانحسر عنه النيل فصار جزيرة فيما بين المنبه وأرض الطبالة ، وارتفعت أراضيها بالتدريج وأطلق عليها الناس اسم (جزيرة الفيل) ، وصارت هذه الجزيرة فى وسط النيل . وما برحت تتسع حتى أخذت شكلها النهائى سنة ٥٧٠هـ فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، حيث استغلت فى الزراعة ومن ثم أوقف صلاح الدين ريعها على المدرسة التى أنشأها بالقرافة بجوار ضريح الأمام الشافعى المعروفة بالمدرسة الصلاحية ، والتى عرفت بالمدرسة الناصرية ، وقد أزيلت هذه المدرسة وبنى مكانها جامع الإمام الشافعى[2] .

على أن مساحة الجزيرة أخذت تزداد كلما انحسرت عنها مياه النيل فى كل عام . ولما تولى الملك المنصور قلاوون أمر بأن توقف ـ على بيمار ستانه الموجود بشارع المعز ، وقد سبق الكلام على غلة الأرض التى استجدت بعد وقف صلاح الدين على مدرسته . وقد سكن الناس بها والزراع بصفة خاصة فأكثروا من زراعة البساتين . وفى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون انحسر النيل عند جانب المقس الغربى وصارت رمالا متصلة من الجهة البحرية بجزيرة الفيل . وفى جنوب الجزيرة توجد أراضى اللوق التى سبق أن تكلمنا عنها

---

(١) المقريزى ج٣ ص ٣٠١.

(٢) الخطط التوفيقية ج٦ ص ٩.

وبذلك أخذت المبانى والعمائر تنتشر فى تلك الرمال المستجدة التى تعرف اليوم ببولاق واتصلت عمارتها بعمارة القاهرة ومصر ، كما كان بجزيرة الفيل الكثير من القصور والعمائر والبساتين حتى لم يخل مكان منها وحكر ما كان منها وقفا على المدرسة الصالحية وعلى البيمارستان وغرس ذلك كله بساتين فبلغ تعدادها سنة ٧٤١هـ ما ينيف على مائة وخمسين بستانا .

كما أنشىء بها سوق كبير يباع فيه أكثر الحاجات التموينية وبنى بها جامع واصطفت حوله الدور وأصبحت قرية كبيرة وأخذت تنمو نموا مطردا .

أما مكان جزيرة الفيل الان فهى المنطقة التى يخترقها شارع شبرا الان من الجنوب إلى الشمال ، وكان يحدها (وقت أن كانت وسط المياه) من جهة الغرب النيل وشارع أبو الفرج . ومن الجنوب شارع جزيرة بدران وشارع بركات ومن الشرق منطقة كوبرى الليمون والفجالة وبركة الرطل ، ومن الشمال الشرابية ومنية السيرج ومنها إلى فم ترعة الإسماعيلية . وفى عصر المنصور قلاوون ظهرت فى النيل الأرض المعروفة الان باسم بولاق ثم طمى السيالة ، التى كانت تفصل هذه الأرض عن جزيرة الفيل ، فاتصلت هذه الجزيرة بأرض بولاق وبالشاطىء الشرقى القديم للنيل أمام القاهرة .

وفى العصر التركى تغير اسم جزيرة الفيل وأصبحت تعرف باسم جزيرة بدران[1] نسبة إلى الشيخ بدران صاحب الضريح الموجود بجامع الشيخ بدران بشارع ترعة جزيرة بدران بقسم روض الفرج ، ولما جاء محمد على أنشأ بناحية شبرا الخيمة قصرا خاصا به ومد إليه شارع شبرا الحالى وكان ذلك سنة ١٨٠٨م فعرفت المنطقة المحيطة بهذا الشارع باسم شبرا ، وأخذت هذه المنطقة فى العمران وأقبل الناس عليها إقبالا كبيرا حتى أنها أصبحت الان من أكبر أقسام القاهرة ، مما أدى إلى تقسيمها إلى قسمين وهما قسم شبرا وقسم روض الفرج .

بولاق[2] :

ذكرنا من قبل أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى أنشأ دارا لصناعة السفن على البر الغربى للخليج فى المنطقة التى عرفت قديما باسم أم دنين ، ولما تولى الحاكم بأمر الله رابع

(١) Description de Egypte. XX11 p. (72).

(٢) المقريزى : جـ٣ ص ٢٩٢ .

خلفاء الفاطميين أقام مسجدا فى تلك المنطقة ، ومن ثم أصبحت منطقة آهلة بالسكان بعد أن كانت دار صناعة فقط وأضحت من أهم ثغور القاهرة ، وعرفت منذ ذلك الوقت باسم المقس . ويقول أبو عبد الله القضاعى إن المقس إنما سميت بهذا الاسم لأن (العاشر) يقعد بها وهو صاحب المكس وقلبت (الكاف)(قافا) والعاشر أو العشار هو الماكس والمكس لغة الجباية . وقال ابن سيده فى كتابه المحكم : المكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق .

وكانت المقس على ساحل النيل فى ذلك الوقت فلما انحسر ماء النيل بعد سنة ٥٧٠هـ[١] وظهرت جزيرة الفيل التى سبقت الإشارة إليها تقلص النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى عند المقس ، فامتلأت المنطقة بالرمال وظهرت الجزر التى أخذت تزداد سنة بعد أخرى حتى أصبح ماء النيل لا يمر بهذه المنطقة إلا فى أيام الفيضان ، أما فى باقى أيام السنة فكانت قطعة فسيحة من الأرض يكسوها البصوص والحلفاء وتنزل فيها مماليك السلطان للرياضة ولرمى النشاب فى التلال الرملية الموجودة بها وعرفت منذ ذلك الحين باسم بولاق . فلما كانت سنة ٧١٣هـ أقبل أهل القاهرة على عمارتها لما بدا من عناية السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بها فسكنها الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة ، حتى لم يبق موضع بها من غير عمارة وأصبحت شوارعها مسلوكة وأزقتها مطروقة وقصورها عامرة وبساتينها ناضرة (انظر لوحة ٦) .

ومنذ سنة ٨٠٦هـ انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الان . واستمرت بولاق ثغرا لمدينة القاهرة حتى عهد سعيد باشا حيث افتتح أول خط حديدى بين القاهرة والاسكندرية سنة ١٨٥٦ م فأخذت أهمية هذا الثغر تقل تدريجا وقلت حركته التجارية شيئا فشيئا حتى أصبحت مقصورة على بعض المراكب التجارية والترسانة . وكانت الأرض التى بين بولاق وشارع رمسيس الحالى أرضا زراعية وبساتين يمتد فى وسطها جسر يوصل إلى السلطان أبى العلاء (شارع ٢٦ يوليو الان) وفى عهد الخديو إسماعيل عمرت تلك الأراضى الزراعية .

---

(١) المقريزى : جـ٣ ص ١٩٦ ، الخطط التوفيقية : جـ٣ ص ١٠٥ ، النجوم الزهرة : جـ٤ ص ٥٣ ، صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٥٧ .

الخانكة[1] :

الخانكة أو الخانقاه كلمة فارسية معناها البيت وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ، وقد ظهرت الخوانك فى الدولة العباسية فى القرن الرابع الهجرى فى العراق وهى أماكن خصصت ليختلى فيها الصوفية لعبادة الله . أما فى مصر فإن أول من أنشأ الخانقاه هو صلاح الدين الأيوبى ، فقد أقام الخانقاه الصلاحية مكان دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر الفاطمى ، وكان غرض صلاح الدين من بناء تلك الخانقاه هو إيواء الفقراء الصوفية الوافدين من البلاد النائية ، ووقفها عليهم وكان ذلك فى عام ٥٦٩هـ . أما الخانقاه التى نحن بصدد الكلام عليها فتعرف باسم خانقاه سرياقوس ويقص علينا المقريزى القصة الاتية عنها يقول : كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من عادته أن يخرج للصيد فى الأحراش والميدان الذى أنشىء حول بركة الجب بمنطقة سرياقوس شمال القاهرة . واتفق أن ركب على عادته للصيد هناك فلما وصل إلى منطقة سرياقوس أحس بألم عظيم فى جوفه كاد يأتى عليه وهو يتجلد ويكتم ما به حتى عجز عن احتمال الألم فنزل عن الفرس والألم يتزايد به ، فنذر لله إن عافاه ليبنين فى هذا الموضع مكانا يعبد فيه الله . ثم عاد إلى قلعة الجبل فلزم الفراش عدة أيام فلما عوفى ركب بنفسه ومعه عدد من المهندسين وخط على بعد ميل من ناحية سر ياقوس هذه الخانقاه وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفى وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة وبنى بها حماما ومطبخا . ولما تم بناء الخانقاه سنة ٧٢٥هـ خرج بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانق ومدت الأسمطة داخل الخانقاه ، وخلع السلطان الخلع على الأمراء وأرباب الوظائف وفرق بها ستين ألف درهم فضة ، ومنذ ذلك الحين رغب الناس فى السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس .

وقد يكون من المفيد أن نذكر على سبيل المثال ما كان يجرى من أرزاق على نزلاء الخانقاه من الصوفيين لنستبين منه ما كانت عليه البلاد فى ذلك الوقت من يسر ورخاء كما يدل فى نفس الوقت على مدى تقدير سلاطين المماليك وإجلالهم للمشتغلين بالدين والمنقطعين للعبادة . يقول المقريزى : كان يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن

---

(١) المقريزى : جـ٤ ص ٢٨٤ .

المطبوخ رطل ومن الخبز النقى أربعة أرطال ، ويصرف له كل شهر مبلغ أربعين درهما من الفضة ، ورطـل حلوى ورطـلان من زيت الزيتون ، ومثل ذلك من الصـابون ، ويصرف له ثمن الكسوة فى كل سنة وتوسعة فى شهر رمضان وفى العيدين وفى مواسـم رجـب وشـعبان وعاشوراء . وكلما ظهرت فاكهـة يصرف له مبلغ لشرائهـا ، كذلك كان يوجـد بالخـانقاه مخازن للسكر والأشربة والأدوية . وفى أول شهر رمضـان كان يفـرق على الصـوفية كيزان لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم النحـاس ويعـطون الأشـنان لغسـل الأيدى . كما عين للخـانقاه . أطباء متخصصـون مثل الطبائعـى (طبيب الأمراض الباطنية) والجـرائحى (الجراح) والكحال (طبيب العيون) كذلك يعين لهم مصـلح الشـعر ، كما يعـين حـلاق بالحمام التابع للخانقاه لتدليك أبدانهم وحلق رؤوسهم فكان المنقطع بهـا لا يحتاج إلى شىء غيرها ويتفرغ للعبادة .

ولما تدهورت حالة البلاد الاقتصـادية فى أوائل القـرن التاسـع الهـجرى بطل صرف الطعام وصار يصرف لهم ثمنه نقدا .

أما الان فقد درست الخـانقاه وحلت محلهـا مسـتشفى للأمراض العـقلية وإن كانت المنطقة ما زالت تعرف حتى الان باسم الخانكة .

حى الخرنفش[1]

الخـرشتف هو ما يتحجـر مما يوقد به فى مياه الحمامات من القمامات وغيرها ، وقد حرف الاسم الآن وأصبح الخرنفش . وكان حى الخـرنفش فى العصر الفـاطمى عبارة عن ميدان بجـوار القصر الغـربى والبسـتان الكافورى . فلما زالت الدولة الفـاطمية ، اختط الناس فيه خططا وبنوا الدور والأسواق وأصـبحت آهلة بالسكان . وترجـع تسـمية الحى بهذا الاسم إلى أن الخليفة الفـاطمى المعـز لدين الله بنى به اصـطبلات وطـواحين ، وحمامات ، فكانت ترمى به مخلفات الحمامات أى الخرشتف التى جاء منها اسـم الحـى . وما زال هذا الحى يحتفظ حتى الآن بطابعه الشرقى القديم .

---

(١) النجوم الزاهرة : جـ٤ ص ٤٧ .

حى جاردن سيتى[١]

كان هذا الحى من جملة أراضى بستان الخشاب الذى يقع بين مدينة القاهرة ومصر (الفسطاط والعسكر والقطائع) وكان هذا الموضع قبل ذلك مغمورا بمياه النيل . وفى سنة ٧١٤هـ أنشأ السلطان محمد بن قلاوون ميدانا فى هذا المكان عرف بالميدان الناصرى[٢] . وغرست فيه الأشجار وأحيط بالبساتين والمتنزهات . وكان من أجمل الميادين لأنه يطل على النيل . وكان السلطان يركب إليه من القلعة دائما كل يوم سبت فى الأيام الشديدة الحرارة بعد وفاء النيل ويستمر تردده على هذا الميدان مدة شهرين من كل عام ، وكان خروجه إلى هذا الميدان فى موكب رسمى يعتبر بناء على وصف المقريزى له : استعراض لقوات السلطان وجنده : « إذ كانت تخرج معه فرق الخيالة من الأمراء واستجد ركوب الأوجاقية بكوافى الزركش على صفة الكاسات فوق رؤوسهم فيركب منهم اثنان بثوبى حرير أطلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية ذهب وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب ويسيران معا بين يدى السلطان » .

وفى سنة ٧٢٠هـ أراد الناصر محمد بناء زريبة بجانب الجامع الطيبرسى فاحتاج فى بنائها إلى طين فركب إلى مكان قريب من الميدان الناصرى فى مكان كان يعرف باسم جنان الزهرى ، ثم خربت وصار موضعها كوم تراب ، وعين مكان الحفر . فلما تم الحفر هناك ظهرت بركة عرفت بالبركة الناصرية . ونقل ما خرج منها من الطين إلى الزريبة ثم أجرى الماء إلى البركة من عند مورد البلاط ، فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة أفدنة فحكر الناس حولها وبنوا عليها الدور العظيمة وما برح خط البركة الناصرية عامرا إلى أن كانت حوادث سنة ٨٠٦هـ فشرع الناس فى هدم ما عليها من الدور فهدم كثير مما كان هناك وردمت البركة ولكن سرعان ما عادت الحياة إلى الحى مرة أخرى وعمر مرة أخرى بالدور والمساكن .

ويمكن تحديد بستان الخشاب اليوم بشارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس إلى النيل من الشمال ومن الغرب نهر النيل ومن الجنوب مستشفى القصر العينى وشارع

---

(١) النجوم الزاهرة ، جـ٩ ص ٥٦ ، ٨٠ ، ٨٢ (الحاشية) .

(٢) المقريزى جـ٣ ص ٣٢٥ .

بستان فاضل وما فى امتداده من الجهـة الشرقية ، ومن الشرق شـارع الخليج (بور سـعيد الآن) .

وينقسم البستان إلى قسمين الشرقي منهما ويقع بين شارع المنيرة وشارع بور سـعيد وكان يعـرف بالمريس حيث كان يسكنه طـائفة من السـودان الذين يشربون المزر وهو نوع من (البوظة) يسميه أهل السودان المريسة . أما القسـم الغـربى فيقــع بين شـارع المنيرة وشاطىء النيل وكان يعـرف بالميدان الناصرى ، ومكانه اليوم خـط القصر العـالى المسـمى (جاردن سيتى) وقد خطط حى جاردن سيتى فى القرن العشرين .

حى بركة الفيل[1]

تقع هذه البركة فيما بين القاهرة ومصر وكانت مساحتها كبيرة جـدا ولم يخـط بهـا مبان . فلما أنشا جوهر الصقلى مدينة القـاهرة واختط خـارج باب زويلة حـارة السـودان وحارة اليانسية ، أصبح لا يفصل هاتين الحـارتين عن البركة غير فضـاء . وفى سـنة ٦٠٠ عمرت البركة وكثرت مبانيها وصارت مسـاكنها من أجمل مسـاكن مصر كلهـا . وقال ابن سعيد فى وصف القـاهرة « وأعجبت فى ظـاهرها (أى القـاهرة) ببركة الفيل لأنهــا دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجـوم وعادة السـلطان أن يركب فيهــا بالليل وتسرح أصــحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك منظر عجيب وفيها أقول :

انظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت ... بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هى والأبصار التى ترمقها ... كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظر إلى بركة الفيل التى نحرت ... لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها ... تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

وكان ماء النيل يدخل إلى بركة الفيل من الموضـع الذى كان يعـرف بالجسر الأعظم (ميدان السيدة زينب الآن) كما يأتى الماء اليهـا أيضـا من الخليج الكبير من قنطرة كانت تعـرف قديما باسـم المجنونة . وظلت البركة باقية حتى ردمت فى القــرن العشرين . (انظر لوحة رقم ٧)

---

(١) المقريزى جـ٣ ص ٢٦٢ ، صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٥٨.

وبحى بركة الفيل شارع يعرف باسم الحوض المرصود[1] ، نسبة إلى حوض من الحجر الصوان الأسود موضوع فى فجوة بسعته بالقرب من شارع قلعة الكبش وكان معدا للسقى فلما جاءت الحملة الفرنسية استولت عليه وأرسلته إلى باريس ولكن الإنجليز أخذوه قبل أن يصل وأرسلوه إلى لندن وهو محفوظ الآن بمتحف لندن .

حى القبة :[2]

عرف هذا الحى بهذا الاسم نسبة إلى القبة التى أنشأها الأمير يشبك (سنة ٨٨٤هـ) وهو من أمراء السلطان قايتباى .

وكان السلطان الغورى كثيرا ما يتردد عليها وينزل بها للنزهة فنسبت خطأ إليه . وفى القرن السابع عشر بنى الناس دورا كثيرة حول هذه القبة فعرفت المنطقة باسم القبة . ثم اتسعت المنطقة بعد أن كثرت مبانيها وازدحمت بساكنيها فأصبحت تشمل حى حدائق القبة وحمامات وسراى القبة وكوبرى القبة وكل منها يعد من ضواحى القاهرة .

القبة الفداوية :[3]

عرفت القبة الفداوية بهذا الاسم نسبة إلى طائفة من الشيعة عرفوا بالفداوية وذلك لاسترخاصهم الحياة فى سبيل سيادتهم الروحية وقد عنى بهم سلاطين المماليك وخصصوا لهم المرتبات . وقد أنشأ لهم هذه القبة الأمير يشبك أيضا كما أنشأ بجوارها مدرسة وغرس حولها الحدائق والبساتين .

الأزبكية :

كانت المنطقة عبارة عن أرض زراعية تقع إلى الجنوب من خط المقس (ميدان باب الحديد الحالى) وكانت مياه النيل تغمر تلك الأراضى سنويا وكان يتخلف بها بعد الفيضان بركة . وكانت أرض هذا الحى عامرة بالبساتين والمناظر وكانت تسمى حينذاك باسم مناظر اللوق[4] . وفى عهد الدولة الأخشيدية حفر كافور فى تلك المنطقة ترعة لكى تروى البستان

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ١٣٠ .

(٢) القاموس الجغرافى : محمد رمزى جـ١ ص ١٥ .

(٣) القاموس الجغرافى .

(٤) الخطط التوفيقية جـ٣ ص ٦٦ ، ١١٠ ، المقريزى جـ٢ ص ١٩٠ .

المقسي الذى بقى حتى عهد الخليفة الظاهر الفاطمى . وكان ماء الترعة يصب فى البركة سالفة الذكر وقد عرفت هذه الترعة باسم خليج الذكر لأن أحد أمراء السلطان الظاهر بيبرس يدعى شمس الدين الذكر قام بتوسيعها وتطهيرها فنسبت إليه وقد بنى فوق هذه الترعة قنطرة وفوقها دكة لكى يجلس عليها الناس أثناء تنزههم فى بستان المقس ، وقد عرف المكان باسم قنطرة الدكة ولا يزال شارع وميدان قنطرة الدكة[1] يحملان اسم هذا المكان وقد كانت هذه المنطقة قبل ذلك عبارة عن قرية صغيرة تعرف باسم أم دنين .

وفى عهد السلطان قايتباى كانت تلك المنطقة مهملة فتحولت إلى تلال وكيمان فى أرض سماد بها سنط وأشجار أثل فقام قائده أزبك بتعمير المنطقة ومن ثم فقد أخذت البركة وكذا المنطقة اسم معمرها وعرفت بالأزبكية . وفى عهد الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٧ ردمت بركة الأزبكية بطمى النيل بارتفاع مترين وأنشئت فيها حديقة الأزبكية وغرست فيها الأشجار النادرة المستوردة من جميع أنحاء العالم وأحيطت بسور مرتفع وفتح بهاأربعة أبواب وكانت تبلغ مساحتها عشرين فدانا . أما باقى مساحة أرض البركة فقد أقيمت عليها دار الأوبرا وميدان إبراهيم باشا والشوارع المحيطة بها من جهة الشرق ذات البوائك .

العباسية :

(أرض الطبالة[2]) كانت حدود هذه المنطقة من الشمال شارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل مع شارع مهمشة ، ومن الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر حيث كان يمر النيل فى العصر الفاطمى ، ومن الجنوب شارع الفجالة وسكة الفجالة ومن الشرق شارع بور سعيد (الخليج المصرى سابقا) وكانت تقدر مساحة تلك المنطقة بحوالى مائتى فدان فى عهد الخليفة المستنصر . وقد عرفت تلك المنطقة باسم أرض الطبالة .

أما السبب فى هذه التسمية فيرجع إلى ما حدث فى العراق من خلاف شديد بين الأمير أبى الحارث أرسلان البساسيرى والخليفة القائم بأمر الله العباسى مما دعا البساسيرى إلى الخروج من بغداد والانتماء إلى الدولة الفاطمية الشيعية المذهب فأمده الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بالجيش والزاد والعتاد حتى تمكن من الاستيلاء على بغداد

---

(١) المقريزى جـ٣ ، ص ٢٤٦ .

(٢) صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٥٦ ، الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٧٣ ، المقريزى جـ٣ ص ٢٠٣ .

وأخذ قصر الخلافة وأزال دولة بنى العباس وأقام الدولة الفاطمية وأرسل كل تحف قصر الخلافة فى بغداد والغنائم النفيسة إلى القاهرة ، فسر المستنصر سرورا عظيما وزينت مدينة القاهرة بهذا النصر العظيم وفرح أهل مصر وابتهجوا بهذا الانتصار فوقفت السيدة (نسب) وكانت طبالة المستنصر وأنشدت وهى واقفة تحت قصر الخلافة ومعها بطانتها :

يا بنى العباس ردوا ملك الأمر معد
ملككم ملك معار والعوارى تسترد

فأعجب المستنصر بها أيما إعجاب وطلب منها أن (تمنى عليه) فسألت أن تقطع هذه الأرض المجاورة للمقس فأقطعها إياها وسميت منذ ذلك الحين باسم أرض الطبالة . وقد عمرت تلك الأراضى وبنيت بها الدور والعمائر وكانت من أجمل وأغنى خطط القاهرة ، ثم ضربت هذه المنطقة سنة ٦٩٦هـ عندما انتاب البلاد الوباء والغلاء وكان ذلك فى سلطنة الملك العادل وبقيت كذلك حتى سنة ٧١١هـ حينما شرع الناس فى سكناها وزاد الإقبال عليها عندما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة ٧٢٥هـ ثم وصل الخليج ببركة الطوابين التى عرفت فيما بعد ببركة الرطلى ، ثم أقيم على الخليج قنطرة عرفت بقنطرة الحاجب وبذلك أعيدت الحياة إلى أرض الطبالة كما كانت فى العصر الفاطمى بل وأكثر وأصبحت بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة الأكراد وغيرهما واستمرت أرض الطبالة غاصة بساكنيها عامرة بأسواقها وأراضيها الزراعية حتى اندثرت تماما سنة ٨٠٦هـ وصارت خرابا يبابا :

وفى سنة ١٨٤٩ أنشأ الوالى عباس باشا الأول ثكنات للجيش فى المنطقة الواقعة الآن تجاه قصر الزعفران ، ثم تبعه الأهالى والتجار فى تعمير المنطقة التى أصبحت تعرف منذ ذلك الحين باسم العباسية نسبة إلى عباس الأول وبعد ذلك أنشأ ضباط الجيش دورهم فى هذه الجهة وكانت الأرض تمنح مجانا لمن أراد البناء فاتسع العمران حتى شمل أرض الطبالة تقريبا .

الفجالة[١] :

وفى القرن الثانى عشر للهجرة كان الجزء الغربى من أرض الطبالة أرضا زراعية تزرع فيها الخضروات وبخاصة الفجل فاشتهرت المنطقة باسم غيط الفجل . ولما امتدت

---

(١) الخطط التوفيقية : جـ٣ ص ٧٠ ، المقريزى .

المبانى إلى تلك الجهة سمى الشارع المجاور لغيط الفجل باسم شارع الفجالة وكان هذا الشارع يسير موازيا لسور القاهرة القديمة الممتد من المقس (باب الحديد) إلى باب الشعرية . ولما جاءت الحملة الفرنسية مهدت أرض هذا الشارع فقد كان يصعب المرور بها فسويت الأرض من قنطرة باب الحديد إلى قنطرة العدوى .

الزمالك :

ظهرت فى القرن الخامس عشر جزيرتان منفصلتان فى مكان جزيرة الزمالك الحالية وكانت الجزيرة الجنوبية منهما تعرف باسم جزيرة أروى[1] وباسم الجزيرة الوسطى وذلك لأنها تقع بين جزيرة الروضة وبولاق وبين بر القاهرة وبر الجيزة ولم ينحسر عنها الماء إلا بعد سنة ٧٠٠هـ . فبنى الناس بها الدور وأقاموا الأسواق وغرسوا البساتين وشيدوا المساجد وحفروا الآبار وصارت من أحسن وأجمل متنزهات القاهرة .

أما الجزيرة الشمالية فقد ظهرت فى النيل سنة ٧٤٧هـ ما بين بولاق والجزيرة الوسطى (أروى) وسمتها العامة باسم (حليمة) ونصبوا فيها عدة أخصاص وزرعوا حولها أشجار الفاكهة وبعض أنواع الخضروات ويقول المقريزى إن ثمن الخص منها بلغ ثلاثة آلاف درهم نقرة ، أى ما يساوى مائة وخمسين جنيها مصريا وأقام أهل الخلاعة والمجون فى تلك الأخصاص وتهتكوا بكل أنواع المحرمات وكثر تردد الناس على هذه الجزيرة حتى ارتفع سعر أراضيها وبلغ ثمن القصبة عشرين درهما نقرة ، ووصل إيجار الفدان فى ستة أشهر ثمانية آلاف درهم نقرة (٤٠٠ جنيه مصرى) وعلى ذلك يكون إيجاره فى السنة ستة عشر ألف درهم نقرة (أى ٨٠٠ جنيه) وأتلف الناس هناك كثيرا من الأموال وجاهروا بكل ما هو قبيح مما دعا الأمير أرغون العلائى وزير الملك الكامل شعبان ابن محمد بن قلاوون إلى هدم هذه الأخصاص وحرقها وإراقة الخمور . . وبذلك تدمرت هذه الجزيرة .

وفى عهد الحملة الفرنسية ظهرت جزيرة ثالثة بالقرب من الجزيرتين السابقتين وأصبحت الجزائر الثلاث تعرف بالأسماء الآتية جزيرة عازار وجزيرة بولاق الكبيرة وجزيرة مصطفى أغا . ثم اتصلت هذه الجزائر ببعضها وأصبحت جزيرة واحدة عرفت باسم جزيرة بولاق لمواجهتها لقرية بولاق .

---

(١) المقريزى جـ٣ ص ٣٠٢ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص ١٢٦ .

وفى سنة ١٨٣٠ أقام محمد على قصرا كبيرا بين المزارع فى الجهة الشمالية من أرض الجزيرة واتخذه للنزهة. وقد أقيم بالقرب من القصر أخصاص وعشش عدة يصطاف فيها رجال الحاشية والحرس وعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم (الزمالك). والزمالك كلمة تركية معناها العشش المصنوعة من البوص أو القش لأقامة العسكر بدلا من الخيام.

حى الغورية[1]

وسمى بهذا الاسم نسبة إلى السلطان الغورى آخر ملوك دولة المماليك الجراكسة، وقد كان هذا الحى يعرف قبل ذلك باسم (سوق الشربين) إذ كانت به حوانيت لصناعة وحياكة الخلع التى ينعم بها السلطان على الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة فى المواسم والأعياد. وقد أنشأ الغورى مجموعة كبيرة من المبانى بهذا الحى تتكون من مدرسة ينتهى طرفها القبلى بمنارة مربعة شاهقة الارتفاع تنتهى بدورة مكونة من أربعة رؤوس وبجانب المدرسة قبة كانت مكسوة بالقاشانى الأزرق ويقوم فى الطرف البحرى لقبة الغورى سبيل وكتاب. وعند نهاية السبيل منزل كان معدا لسكنى شيخ المدرسة. وتجىء بعد ذلك وكالة كبيرة شغلت شارع التبليطة ويقع خلفها حمام معروف بحمام العرائس وقد تم بناء هذه المجموعة فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى. (انظر لوحة رقم ١٠).

كما أعادا الغورى بناء منطقة خان الخليلى التى سبق الإشارة إليها.

ولا تزال عمائر الجراكسة تجتذب إليها المعماريين والمصورين والزائرين من نواحى العالم وذلك لضخامتها الهائلة ومآذنها الرشيقة الدقيقة وقبابها المزركشة ومقرنصاتها الكثيرة على المداخل وكرانيشها المصطفة وفسقياتها الرخامية وقبلاتها الزاهية المذهبة.

وبسقوط دولة المماليك واستيلاء السلطان سليم الأول التركى على مصر سنة ١٥١٧م، تحولت القاهرة من عاصمة امبراطورية مترامية الأطراف إلى عاصمة ولاية من ولايات الدولة العثمانية. وعلى ذلك يمكن أن تعتبر فترة القرون الثلاثة التى خضعت فيها مصر للدولة العثمانية - الحد الفاصل بين القاهرة القديمة والقاهرة الحديثة التى بدأت فى القرن التاسع عشر الميلادى.

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٢٤.

حى بين القصرين
"الصاغة"

كان حى بين القصرين أقدم أحياء القاهرة على الاطلاق ، نشأ بنشأتها وبقى ببقائها ذلك أن أول عمائر بنيت فى القاهرة كانت قصرى الخليفة ، القصر الكبير الذى عرف باسم الشرقى لوقوعه الى الشرق من المدينة والصغير وعرف باسم الغربى لوقوعه غرب القصر الكبير وعرف الطريق الفاصل بينهما باسم خط بين القصرين .

فقد ذكره المسيحى باسمه فى حوادث سنة خمس وتسعين وثلاثمائه أى بعد نشأة القاهرة بسبعة وثلاثين عاما اذ يقول : وفيه منع كل أحد ممن يركب من المكارين أن يدخل من باب القاهرة راكبا ولا يجلس أحد على باب خط القصرين من التجار وغيرهم ولا يمشى أحد ملاصق القصر من باب الزهومة (يقع فى الطريق بين القصرين الصاغه حاليا) الى أقصى باب الزمرد (مشهد الامام الحسين حاليا) . ووصفه الرحالة ابن سعيد المغربى فى كتابه النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، عندما زار القاهرة فى القرن السابع الهجرى فقال ، خط بين القصرين أعمر أخطاط القاهرة وأنزهها ، وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيرا وبرجا واسعا يقف فيه عشره آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل ، فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الأيوبية وغيروا معالمها صار هذا الموضع سوقا وقصد فيه الباعة بأصناف المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار منتزها تمر فيه أعيان الناس وأماثلهم فى الليل مشاة لرؤية ما هناك من المسارج والقناديل الخارجة عن الحد فى الكثرة ، ولرؤية ما تشتهى الانفس وتلذ الأعين مما فيه لذة للحواس الخمس »

ولم تقتصر أهمية خط بين القصرين على سعته وازدحامه وكثرة ما به من التجارة فحسب بل إنه كان ملتقى المثقفين من أهل القاهرة ، فقد كان يجتمع فيه الأدباء والشعراء

وكتاب السير ، ففيه تعقد الحلقات لقراءة السير والأخبار وإنشاد الاشعار ، كما كان مسرحا تعرض فيه بعض أنواع اللهو واللعب فيصير الحي كما يقول عنه المقريزى « مجمعا لا يقدر له قدره ولا يمكن حكاية وصفه » ويحدثنا المقريزى عن أنواع المأكولات التى تباع فى سوق بين القصرين فيقول : وكانت الباعة تجلس بعد القصر بصنف من الطيور التى تقلى صفا فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الأوز المطجن كل رطل بدرهم وتارة بدرهم وربع وتباع العصافير المقلوة كل عصفور بفلس ويصف الفاكهة فيقول : وكان يعمل من البطيخ فى بين القصرين مرصات كثيرة جدا فى كل مرص ما شاءالله من البطيخ . كما يزدحم السوق بالجبانين (بائعى الجبن) الذين يضعون الجبن الشفاف فى أوان فخارية يبلغ وزن شقفة الجبن من نصف الرطل إلى الرطل .

وفى العصر الأيوبى عرف خط بين القصرين بالصاغة ، ويصف ابن تغرى بردى مكانها فيقول : والصاغة سوق تجاه المدارس الصالحية (ما تزال باقية فى الصاغة) بخط بين القصرين . وهى الآن (أى فى القرن الخامس عشر) وقف على المدارس الصالحية ، وقفها الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر ركن الدين البيبرس البندقدارى على الفقهاء المقربين بالمدارس الصالحية ويذكر المقريزى أن الصاغة عرفت كذلك بسوق القفيصات ، بصيغة الجمع والتصغير من قفيص ، ذلك لأن السوق كله كان معدا لجلوس أناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية (قبة قلاوون بالصاغة) وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك .

ويأخذ مباشر المارستان المنصورى (اى المشرف على مستشفى قلاوون) عن هذه الاقفاص أجرة الأرض التى هى عليها ، وذلك لأن هذه الأرض كانت موقوفه على جامع المقس (بميدان المحطة الآن) .

وقد كان تجار الصاغة على جانب من الثراء والرفاهية وطيب العيش حتى إنهم طلبوا إلى ناظر المارستان (مستشفى قلاوون) الأمير جمال الدين أقوص فى سنة ست وعشرين وسبعمائة من الهجرة أن يزيد فى أجرة الأرض التى عليها اقفاصهم مقابل ان تقيم عليهم ظله تقيهم حرارة الصيف وشدة البرد فى الشتاء ، وهنا يقول ابن بطوطة ، وعمل فيها الأمير جمال الدين أقوص المعروف بنائب الكرك أشياء من ماله فيها خيمة اتساعها مائه ذراع (٧٥ سم) نشرها من أول جدار القبة (قبة قلاوون) إلى آخر الصاغة

فصارت فوق مقاعد الاقفاص تظلهم من حـرارة الشـمس وعمل لهـا حبالا تمد بهـا عند الحر وتجمع بها اذا امتد الظل وجعلها مرتفعة فى الجو حتى ينحرف الهواء .

ويقص علينا قاضى القضــاة عماد الدين الكركى عن انطباعاته عن خــط بين القصرين عندما قدم الى القاهرة من الكرك سـنه اثنتين وتسـعين وسـبعمائة فيقـول : كدت أذهل عند مشاهدة بين القصرين ، فقد حسبت أول ما شـاهدته أن زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك فلما لم تنقـطع المارة سـألت ، ما بال الناس مجتمعـين للمرور من هنا ، فقيل لى هذا دأب الخط دائما .

وهكذا نرى أن حى الصاغة الذى نشأ بنشأة القاهرة سار معـها فى ركب الزمن ينمو ويتطور بتطورها حتى اذا ما بلغـت الألف من عمرها المديد حلى جيدها وجبينهـا وعنقهـا بما لديه من روائع الحلى والجواهر واللآلىء .

الضواحى الجنوبية للقاهرة

حلوان[1]

أنشأ عبد العزيز بن مروان والى مصر مدينة حلوان ٦٧هـ (٦٨٦م) أى قبل سنة ٧٠هـ وهى السنة التى ظهر فيها الطاعون الذى من أجله اضطر عبد العزيز بن مروان أن يغادر الفسطاط ويقيم فى حلوان التى أنشأها قبل ذلك لراحته ونزهته . ويقول ياقوت فى معجم البلدان « إن حلوان قرية من أعمال مصر مشرفة على النيل من جهة الصعيد بينها وبين الفسطاط فرسخان » وأضاف « وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر وضرب بها الدنانير وبنى بها دورا وقصورا واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس فيها كروما ونخلا ، وقد اختار عبد العزيز بن مروان المكان الذى أنشأ فيه حلوان لارتفاعها عن الفسطاط مع قربها منها وحسن موقعها من النيل وجودة هوائها . والظاهر أنه اختار لهذه القرية اسم حلوان لأن حالتها وموقعها يتفقان مع حالة وموقع حلوان التى بالعراق من كل الوجوه . ويستفاد مما ذكره المقريزى نقلا عن ابن عبد الحكم ، أنه كان يوجد بصحراء حلوان عيون ماء عذبة غير عيونها الكبريتية ، فقد قال ابن عبد الحكم : « وقد خرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخل الصحراء فى موضع منها يقال له « أبو قرقورة » وهو رأس العين التى احتفرها عبد العزيز بن مروان وساق ماءها إلى نخيله الذى غرسه بحلوان سنة ٦٨٧م ثم توجه إليها سنة ٧٠هـ وكان معه جيشه وخفراؤه وبنى هناك جامعا وقصورا ومقياسا للنيل (وهذا المقياس أقدم من مقياس الروضة) .

وجاء فى الخطط للمقريزى « أن عبد الله (المأمون) أمير المؤمنين لما قدم مصر أقام فى حلوان وقد سعدت حلوان طوال الحكم العربى وازداد عمرانها بأقامة الأمراء والأعيان فيها ، ثم أخذت بعد العصر المملوكى فى القرن (١٦م) تتقهقر حتى تخربت قصورها

---

(١) معجم البلدان ، المقريزى جـ١ ص ٣٣٧ ، الولاة والقضاة ص ٤٩ ، أحسن التقاسيم .

ومساجدها وكنائسها فى سنة ١٧٤٦ حيث أزال شيخ البلد ما بقى فيها من معالم الحياة، ويقول الجبرتى « إنه أحرقها سنة ١٧٨٦م، أما الآن فانها قرية عادية مدفونة فى غابة من النخيل..

وظلت حلوان قرية مهجورة ومتخربة حتى القرن التاسع عشر عندما أوفدت بعثة طبية سنة ١٨٦٨م لتحليل مياه العيون الكبريتية ومعرفة حالة الجو فى تلك المنطقة، وقد تقرر بناء على نتيجة البحث إقامة مبنى بالقرب من الينبوع، كما وضع تخطيط شامل للمدينة وشجع على إقامة المبانى والفنادق. وفى سنة ١٨٧٣ مد خط حديدى من المنشية بجوار القلعة إلى حلوان عن طريق قرية البساتين، ومن ثم فقد أمها الناس بكثرة وازدحمت بسكانها وأنشئت بها المدارس، وفى سنة ١٨٩٩ تم إنشاء حمامات حلوان. وتوالت يد الإصلاح والتعمير على حلوان حتى كانت سنة ١٩٣٩ حين أصدرت وزارة المالية قرارا بتجميل حلوان وحماماتها.

مرصد حلوان:

اشتهرت مصر منذ القدم بتضلع كهنتها فى علوم الفلك، ومن الثابت أن كهنة جامعة عين شمس، وهى أول جامعة عرفها العالم كانت لهم اليد الطولى فى رصد حركات الشمس والقمر والنجوم وتعرف تنقلاتها. ولما انتقل مركز الثقافة من جامعة عين شمس إلى جامعة الاسكندرية فى العصر البطلمى والرومانى والمسيحى ظل علم الفلك من أهم العلوم التى اشتغل بها علماء الاسكندرية.

وفى العصر الإسلامى انتقل مركز الثقافة إلى الفسطاط ثم العسكر ثم القطائع واستقر أخيرا فى القاهرة فى الجامعة الأزهرية. وظل علم الفلك من العلوم البارزة فى برامج الأزهر لعدة قرون. وفى العصر الحديث أنشىء مرصد بالقلعة سنة ١٨٣٨م ثم نقل إلى العباسية سنة ١٨٥٩م وأقيم فى المبنى المعروف حتى الآن باسم الرصد خانة وقد تحول هذا المبنى إلى ديوان للقرعة ثم هجر أخيرا لتصدع مبانيه. وفى سنة ١٩٠٣ اتسعت الأعمال التى يقوم بها المرصد فاشتملت على الأرصاد الخاصة بالمغناطيسية الأرضية وغيرها، ولما كانت هذه الأعمال تتطلب أن تكون أجهزتها بعيدة عن كل ما يؤثر عليها كالخطوة الحديدية وغيرها نقل المرصد من مكانه بالعباسية إلى مقره الحالى بحلوان.

طــــــره

طره[1] .

قرية قديمة ذكر لها جوينية فى قاموسه عدة أسماء فقال إن اسمها المصرى (Taraou) ومعنى ذلك (أرض المغارات المخيفة) أى المحاجر . ووردت فى ترجمة الأستاذ جولينشيف باسم (Daraou) وهى واقعة على الشاطىء الشرقى للنيل وهى شهيرة بمحاجرها التى تخرج الحجر الجيرى الأبيض الجميل . ثم حرف اليونان اسمها إلى (Troya) أو (Troy) ومن ذلك اسمها القبطى (Troyo) .

ووردت فى معجم البلدان (طرا) قرية فى شرقى النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد . وفى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد طرا من الأعمال الاطفيحية . وكانت القرى الواقعة شرقى النيل جنوب الفسطاط (مصر القديمة) كلها تابعة لإقليم أطفيح الذى يعرف اليوم بمركز الصف . ووردت فى تاريخ سنة ١٨١٣م برسمها الحالى ، أما مساكنها فقديمة وريفية . ويقال لطره اليوم طره البلد تمييزا لها من قريتين أخريين فصلتا منها وهما طره الحجارة وطرة الأسمنت وهما مجاورتان لها .

وفى سنة ١٩٤١ عثرت مصلحة الآثار فى مغارة قديمة فى جبل طره على عدد من المخطوطات المكتوبة على أوراق البردى وهى تتضمن على تفسير للكتاب المقدس وترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى . ولعل وجود هذه المخطوطات فى تلك المغارة يشير إلى الدير الذى أسسه القديس أرستيوس فى تلك المغارات وعرف باسمه وقد عاش أرستيوس بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس[2] . وقد عرف هذا الدير باسم دير القصير ، ثم عرف بعد ذلك بدير البغل ، وفى سنة ٤٠٠هـ أى القرن الحادى عشر الميلادى . أمر الحاكم بأمر الله . الخليفة الفاطمى بهدم دير القصير ومع ذلك ظلت بعض أجزاء منه باقية حتى القرن الرابع عشر الميلادى حيث اندثرت تماما . وبلدة طره مشهورة الآن بوجود ليمان طره وورشه المختلفة بها وبما لمصلحة السجون هناك من محاجر وإدارات .

---

(١) القاموس الجغراف ج٣ ص ٢٥ ، معجم البلدان ، المقريزى ج١ ص ١١٥ .

(٢) أبو صالح الارمينى : الديوره والكنائس .

المعادى[1]

القسم القديم من المعادى كان عبارة عن قرية قديمة عرفت باسم منية السودان. وقال الإدريسى : « من خرج من مصر يريد الصعيد سار من الفسطاط إلى منية السودان وهى منية جليلة تتصل بها عمارات بضروب من الفلات ، ثم قال وهى على الضفة الغربية من النيل » وقد علق محمد رمزى على ذلك بقوله : « والصواب أن منية السودان واقعة على الضفة الشرقية للنيل، بدليل أن أبا صالح الأرمينى ذكر فى كتابه الديورة والكنائس أن دير العدوية واقع بأرض منية السودان ولا يزال هذا الدير واقعا على شاطىء النيل الشرقى بين المعادى وطره ويعرف بدير العدوية نسبة إلى سيدة مغربية تسمى العدوية وهى التى أنشأته وتسميه النصارى الآن كنيسة العذراء ».

وورد فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد « أن العدوية من أعمال الأطفحية (مركز الصف) » وفى معجم البلدان :« العدوية قرية ذات بساتين قرب مصر (مصر القديمة أو الفسطاط) على شرقى النيل تلقاء الصعيد ». وورد فى الانتصار لابن دقماق : « العدوية ضمن ضواحى القاهرة بين بركة الحبش (دير الطين) طرا »

وفى العهد العثمانى ألغيت ناحية العدوية من عداد النواحى ذات الوحدة المالية وأضيف زمامها إلى أراضى ناحية البساتين وبذلك أصبحت العدوية من توابع ناحية البساتين. ومن ذلك العهد عرفت العدوية بين الجمهور باسم (معادى الخبيرى) حيث كان بها مرسى المراكب المخصصة لتعدية الناس والجند المتوجهين من وإلى مصر والقاهرة وبلاد الصعيد لأن النيل ضيق ويسهل اجتيازه . وكان يتولى رياسة تلك المعادى رجل يسمى الحاج على الخبيرى فنسبت إليه واشتهرت باسمه.

ومنذ سنة ١٨٦٠ عرفت العدوية فى الدفاتر الرسمية باسم « عزبة برنجى آلاى » لأنه كان يجاورها مبنى ثكنات الآلاى الأول من آلايات الجيش المصرى فى ذلك العهد، وفى سنة ١٨٩٢ تقرر جعل (عزبة برنجى آلاى) ناحية إدارية قائمة بذاتها من الوجهة الإدارية لحفظ الأمن فى طريق حلوان مع بقائها تابعة لناحية البساتين من الوجهتين العقارية والمالية. أما القسم الحديث من المعادى فقد أنشأته شركة الدلتا سنة ١٩٠٨ بعد أن اشترت

---

(١) القاموس الجغرافى جـ٣ ص ١٧، نزهة المشتاق.

الأرض من الحكومة وفى سنة ١٩٣٠ اصبح اسم المعادى اسما رسميا فى جدول وزارة الداخلية وفى جميع مصالح الحكومة ، وإن كانت لا تزال المعادى تابعة لناحية البساتين من الناحيتين المالية والعقارية ولمحافظة القاهرة فيما عدا ذلك .

أثر النبى[١]

قرية صغيرة كانت تتبع مديرية الجيزة وهى على الشاطىء الشرقى للنيل ، وملاصقة لدير الطين . وقد أخذت القرية اسمها من وجود حجر أثرى قديم على هيئة قدم تزعم الناس أنه أثر قدم النبى عليه الصلاة والسلام . وقد أدخل هذا الحجر فى المسجد الذى أقامه الملك الظاهر بيبرس فى القرن الثالث عشر الميلادى وبنى قبة فوق هذا الأثر . وقد زينت القبة بالقاشانى وبها شبابيك مصنوعة من الجبس المفرغ والزجاج الملون المعروف باسم (القمريات أو الشمسيات) وأرضها مفروشة بالرخام . وقد رمم المسجد فى العصر العثمانى كما تثبت ذلك اللوحة الرخامية الموجودة به وهى باللغة التركية ومؤرخة سنة ١١٧٥ أى فى القرن الثامن عشر الميلادى كما رتبت له (الروزنامة) ألفا قرش سنويا لإقامة شعائره كما بنى تحته رصيف لدفع ماء النيل عن بنائه .

وكان يزرع بأثر النبى الذرة والقمح والشعير وقليل من القرطم وبها أرحيه (جمع رحى) تديرها الدواب وفى الجهة البحرية منها موردة ترسو فيها المراكب الواردة من الصعيد .

وبالقرية دير مشهور يعرف بدير الملاك وبهذا الدير بئر تعتقد النساء أن من وقفت عن الحمل واغتسلت فيها فإنها تحمل .

وفى تاريخ سنة ١٨١٣ ضمت الأراضى الزراعية الواقعة فى منطقة البستان المعشوق وبركة شطا وبركة الشعبية إلى بعضها وتكون منها زمام خاص باسم ناحية أثر النبى ، وبذلك أصبحت هذه القرية من ذلك التاريخ ناحية قائمة بذاتها من الناحيتين المالية والإدارية وهى الآن تتبع محافظة القاهرة ويسميها العامة أتر النبى بالتاء بدل الثاء .

---

(١) المقريزى : جـ٤ ص ٢٩٥ ، القاموس الجغرافى جـ٣ ص ٣ .

الضواحي الشمالية للقاهرة

عين شمس والمطرية[1]

ذكرت مدينة عين شمس فى التوراة باسم (أون) وكانت فى العصر الفرعونى عاصمة دينية وقاعدة من قواعد مقاطعات الوجه البحرى ومعنى كلمة (أون) مدينة الشمس فلما أتى البطالمة ترجموا هذا المعنى فجعلوا اسمها (هليوبوليس) على أن اسم (أون) ظل باقيا يطلقه الأقباط على المدينة حتى القرن السابع الميلادى أيام الفتح العربى . وكان بجوار المدينة عين ماء معروفة سماها العرب عين شمس فغلب اسمها على اسم المدينة وعرفت به . وقد نقل ابن سعيد عن كتاب « لذة الملمس فى حلى كورة عين شمس » أنها كانت فى قديم الزمان عظيمة الطول والعرض ، متصلة البناء بمدينة مصر حيث قامت مدينة الفسطاط ، ومعنى هذا أن مدينة عين شمس كانت إلى ما قبل الفتح العربى تمتد من موقعها الحالى جنوبا حتى حصن بابليون (بمصر القديمة) . ويقول بتلر فى كتابه فتح العرب لمصر ، إن المدينة عند مجىء العرب لم يكن باقيا من مجدها القديم ـ إلا أسوار مهدمة وتماثيل لأبى الهول نصفها مدفون فى الأرض والمسلة المشهورة الباقية إلى اليوم عند قرية المطرية .

والآن يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية فى شمال محطة المطرية .

والمطرية من المدن المصرية القديمة . وردت فى معجم البلدان لياقوت حيث قال :

« إنها من قرى مصر وبأرضها يزرع شجر البلسان يستخرج منه نوع من الدهن الطبى » ووردت المطرية فى التحفة السنية لابن الجيعان بأنها من ضواحى مصر . وذكرها المقريزى باسم منية مطر . ويقول محمد رمزى « إن المطرية هذه لا تزال موجودة فى الضواحى الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة وبها محطة للسكة الحديدية الموصلة بين محطة كوبرى الليمون وبين قرية المرج .

---

(١) نزهة المشتاق ، معجم البلدان ، قوانين ابن مماتى .

وبناحية المطرية شجرة تعرف باسم شجرة العذراء ويقال إن السبب فى تسميتها بهذا الاسم أنه لما جاءت عائلة السيد المسيح أو العائلة المقدسة إلى مدينة (أون) بعد هروبها من حاكم فلسطين الرومانى استراحت تحت ظل هذه الشجرة القديمة المورقة، ومن ذلك الوقت عرفت باسم شجرة العذراء. وتضيف الأسطورة أن الطفل يسوع الناصرى (عيسى عليه السلام) جلس تحت هذه الشجرة وضرب الأرض بقدمه فانفجرت عين من المياه العذبة المنعشة فشربت مريم وطفلها ويوسف النجار وحمارهم حتى ارتووا ثم غسلت العذراء ملابس طفلها بمياه هذه العين ثم ألقت بالمياه المتخلفة على عصا يوسف التى كان قد غرسها فى الأرض فتحولت إلى شجرة البلسم المعروفة أيضا باسم البلسان. ثم أينعت هذه الشجرة وفاحت منها رائحة زكية. ولما نمت زراعة البلسم وغدا عصيره ناجعا لجميع الجروح وللأمراض الجلدية المستعصية أصبح البلسان موضع رعاية وعناية الناس والحكومة. وأيا كان نصيب هذه الأسطورة من الصحة فمما لا شك فيه أن ناحية المطرية كانت ولا تزال تشتهر بزراعة شجر البلسم. وفى العصر الإسلامى أحيط هذا الموضع بسور متين وتولت الشرطة حراسة مزرعة البلسان فى زمن الحصاد وأحيانا كان يعهد بهذه الحراسة إلى الأسرى المسيحيين. وكانت طريقة حصاد البلسان هى فصد فروع الشجرة وجمع السائل المتخلف من هذا الفصد فى أوان فضية وتعمل هذه العملية فى وقت فيضان النيل.

ومن الأساطير المأثورة عن ضاحية المطرية قولهم (أهل المطرية لا يخمر لهم خبز) وذلك نظرا لما أظهروه من البخل قبل العائلة المقدسة حين قصدت إلى هذا المكان جائعة.

مصر الجديدة[1].

يستفاد مما جاء فى خطط المقريزى أن الريدانية اسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقلى أحد خدام العزيز بالله الخليفة الفاطمى، وكان يحمل المظلة على رأس الخليفة. ثم اختص بالخليفة الحاكم بأمر الله بعد وفاة والده العزيز بالله إلى أن قتله الحاكم فى سنة ٣٩٣هـ أى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى. ويقول محمد رمزى « إنه لما كان بستان الريدانية يقع فى حدود الصحراء الواقعة فى شمال القاهرة وكان العمار ينتهى إليه فقد أطلق اسم الريدانية على البستان، وعلى ما جاوره من الأرض الرملية الفضاء التى

(١) المقريزى جـ٣ ص ٢٢٩، القاموس الجغرافى جـ١ ص ١٧.

كانت تمتد فى ذلك الوقت ما بين المكان الذى فيه اليوم ميدان فاروق بباب الحسينية وبين الصحراء التى بها الآن مدينة مصر الجديدة » . ويضيف ويؤيد ذلك جميع الوقائع والحوادث التى وقعت فى الريدانية منذ نهاية العصر المملوكى فقد حدثت فيها معركة حاسمة بين المماليك والسلطان سليم الأول سنة ١٥١٧م انتهت باحتلال العثمانيين لمصر وفى سنة ١٨٠٠م التقت فيها جيوش الحملة الفرنسية بقيادة (كليبر) مع جيش العثمانيين وانتهت بانتصار جيوش الحملة .

ويدخل فى حدود الريدانية الآن الوايلى والعباسية وثكنات الجيش الواقعة على جانبى شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة .

وقد أنشئت مصر الجديدة سنة ١٩٠٦ ويطلق عليها أيضا اسم هليوبوليس وهى تقع بالصحراء الشمالية الشرقية لمحافظة القاهرة ـ وكانت أرض مصر الجديدة ملكا للشركة البلجيكية التى يمتلكها البارون أمبان ، فقد اشترى ٦٠٠٠ فدان من الحكومة بواقع جنيه للفدان الواحد ثم زيدت المساحة إلى ١٢ ألف فدان ، وشرعت بعد ذلك فى تشييد العمائر بها على الطراز العربى ، وقد أممت أملاك الشركة البلجيكية الآن وأصبحت ملكا للدولة .

طرز العمارة الدينية
فى العصر العثمانى

قبل أن نتناول دراسة الطرز المعمارية للمنشآت الدينية التى أقيمت فى العصر العثمانى لابد لنا من وقفة سريعة نلقى فيها الضوء على المؤثرات الدينية والسياسية والاجتماعية التى لعبت دورا فعالا فى حياة العثمانيين والتى تركت بصمات واضحة فى منشآتهم المعمارية عامة والدينية منها بصفة خاصة.

من المعروف أنه قد خرج فى الربع الأول من القرن الثالث عشر كثير من القبائل التركية الذين عرفوا بالغز مهاجرة من موطنها الأصلى فى التركستان هاربة من المغول الذين خرجوا من أواسط آسيا بزعامة جنكيزخان. وقد وصلت هذه القبائل التركية المهاجرة حتى جبال أرمينية واستقرت هناك بعض الوقت. وقد انضم الكثير من هذه القبائل إلى صفوف علاء الدين، سلطان سلاجقة الروم فى قونية. وبرغم اختلاف الكتاب فى تاريخ الدولة العثمانية فى القرن الرابع عشر، إلا أن المؤرخ (Gibbons)[١] استطاع أن يصل إلى رأى منطقى معقول مقبول مؤداه أن السلطان علاء برغم عدم اطمئنانه إلى تلك العناصر المهاجرة إلا أنه منحهم بقعة بعيدة من دولته وهى (اسكى مشهر). وفى تلك البقعة كان عليهم من أجل الإبقاء على حياتهم والاحتفاظ بما منحهم علاء الدين، أن يحاربوا الدولة البيزنطية فى نيقية.

وقد بدأت الدولة العثمانية مرحلة البناء فى القرن الرابع عشر بالتوسع فى أوروبا وذلك من عهد عثمان حتى عهد سليم الأول فى أوائل القرن السادس[٢] عشر. ثم تلا ذلك مرحلة التوسع فى الشرق العربى كما امتد نفوذها فى الدول العربية فى شمال إفريقيا.

من هذا العرض الموجز نستطيع أن نتبين التيارات والتأثيرات المختلفة التى تركت

---

(١) Gibbons: The Foundation of the Ottoman Empire P. 29

(٢) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربى صفحة ١٣

بصمات واضحة على جميع مناحى الحياة الاجتماعية والعمرانية للدولة العثمانية . ولعل من أهم وأقوى تلك المؤثرات ، الدين والحضارة الاسلامية ذلك أن الدولة العثمانية اعتنقت الدين الاسلامى الذى اعتنقته من قبل جميع القبائل التركية التى وفدت على الدولة العباسية منذ أوائل القرن الثالث للهجرة ، التاسع الميلادى وحتى مجىء السلاجقة الذين كانوا اصحاب الأمر والنهى فى الدولة العباسية منذ ٤٤٧هـ وحتى سقوط بغداد فى يد المغول ٦٥٦هـ .

على أن اتصال العثمانيين بسلاجقة الروم ذلك الاتصال المباشر ، جعلهم يأخذون الكثير ، فهم الذين ورثوها بعد سقوطها ١٣٠٨ فى آسيا الصغرى ، وبذا بدأ استقلال العثمانيين وتكوين دولتهم الفتية خاصة بعد أن فتح أورخان بن عثمان مدينة بروسة واتخذها عاصمة له . ثم استولى بعد ذلك على ازنيك (Iznik)١٣٣١م كما ضم إليه إمارة قراس وذلك قبل ان يعبر العثمانيون الدردنيل وتبدأ فتوحاتهم فى أوروبا[١] .

وعلى ذلك نستطيع ان نقول فى ثقة واطمئنان بأن العمائر الدينية الأولى للدولة العثمانية إنما هى استمرار للعمارة السلجوقية . وقد تميزت العمارة السلجوقية منذ عهد وزيرهم العظيم نظام الملك (المتوفى ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) بأسلوب معمارى متميز ، عرف بطراز المدارس ، نسبة الى الوظيفة الاساسية التى كان يقوم بها المسجد الى جانب وظيفة الصلاة . فقد أخذ نظام الأروقة التى تحيط بصحن المسجد يختفى ويحل محله نظام الايوانات التى تحيط بالصحن من جميع الجهات أو من جهتين أو من جهة واحدة وذلك تبعا لعدد المذاهب السنية التى كانت تدرس بالمدرسة الجامع .

وكان الايوان فى العمارة السلجوقية وغيرها من العمارة الاسلامية التى استعملت طراز المدارس السلجوقية ، يتكون من مستطيل كثير العمق غالبا يحتوى على ثلاثة جدران أما الضلع الرابع فمفتوح كلية على صحن المدرسة والمستطيل يقبو[٢] عادة .

وقد انتشر طراز المدارس السلجوقية عند سلاجقة الروم بطبيعة الحال إلا أن البيئة الجغرافية فى آسيا الصغرى ، ذات الأمطار الغزيرة والبرودة القارصة حتمت عليهم إحداث بعض تغيرات تتناسب والبيئة الجغرافية فقد حولوا الصحن المكشوف الى صحن مغطى وجعلوا الإيوانات المستطيلة مساحات مربعة صغيرة أو كبيرة حسب أهميتها بالنسبة للمسجد وحولوا التغطية من أقباء مستديرة أو مدببة أو بيضاوية الى قباب مرتفعة أو ضحلة ، اذ هى الوسيلة الوحيدة المناسبة فى تغطية المساحات المربعة .

Witteck Paul: The Rise of the Ottoman Empire P. 40 (١)

(٢) سعاد ماهر : مساجد مصر جـ٢ صفحة ٢٩

كذلك اضطرتهم قسوة المناخ فى بلادهم إلى فصل مكان الصلاة عن باقى المسجد بحيث أصبح مكان الصلاة مربع الشكل تغطيه قبة كبيرة وفى أركان المربع قطاعات من قباب صغيرة ويتقدم مكان الصلاة مساحة تكبر أو تصغر حسب المقام يشغلها فى معظم الأحيان سقيفة[1] مغطاة بأقباء متقاطعة أو قباب ضحلة . وقد يكتنف مكان الصلاة غرفتان من جهة واحدة أو اكثر من جهة . ومن أحسن الأمثلة التى ما تزال باقية حتى الان والتى تمثل طراز المساجد العثمانية القديمة جامع[2] علاء الدين بك بمدينة بروسة (Bursa) ، ومن ثم فقد عرف هذا الأسلوب المعمارى باسم طراز بروسة انظر شكل (١)

ومن الطرز المعمارية القديمة فى الدولة العثمانية ، أسلوب المدرسة السلجوقية المكون من صحن تحيط به ثلاثة إيوانات أما الضلع الرابع فتشغله سقيفة . ويغطى الصحن والايوانات الثلاثة المحيطة به قباب مرتفعة ، أما السقيفة فمقسمة إلى مربعات صغيرة تغطيها قباب ضحلة وأقباء متقاطعة . ومن أحسن الأمثلة لذلك جامع أورهان بك فى بروسه (انظر شكل (٢)

أما المرحلة الثانية فى تطور العمارة الدينية فى الدولة العثمانية ، وهى المرحلة التى يسميها علماء تاريخ الفنون من الأوروبيين[3] باسم مرحلة الانتقال بين طراز بروسة القديم والنظام التقليدى العثمانى الذى ظهر بعد فتح القسطنطينية ، ففى رأينا أنه طراز متأثر إلى حد كبير بالعادات والتقاليد الدينية التى انتهجها سلاطين الدولة العثمانية بعد أن ثبتت أقدامهم وقويت دولتهم .

فمن المعروف إن رؤساء العثمانيين منذ عهد أرطغول وعثمان وأورخان كانوا يلقبون بلقب الغازى نسبة الى إنتمائهم إلى القبائل التى تسمى (الأوغوز) والتى خففت فصرفت (بالغز)[4] . إلا أن أورخان أراد أن يتقرب إلى المسلمين فاستبدل لقب الغازى بلقب السلطان ، بل أكثر من ذلك فقد رأى أن يقلد تاج السلطنة فى ضريح الصحابى الجليل أبى أيوب الأنصارى ، الذى استشهد فى عصر الخليفة أبى بكر الصديق عند ما جاء لفتح القسطنطينية . ومنذ عهد أورخان أصبح السلطان لا يتولى سلطته ويتوج سلطانا على الدولة العثمانية الا فى المسجد الملحق بضريح أبى أيوب الأنصارى ، تيمنا وتبركا بهذا الصحابى الجليل .

ولم يكتف بذلك السلطان بايزيد بن السلطان مراد الأول الذى تولى الحكم ١٣٨٩ ، بل أراد ان يزداد تقربا الى المسلمين ، فقد أرسل بعد توليته السلطنة بخمس سنوات ، إلى

---

(١) Kuran: The Mosque in Early Ottoman architecture P. 36

(٢) Gabriel Albert: Les Mosquées de Constantinople. P. 48

(٣) Unsal Behcet: Turkish Islamic architecture P. 20

(٤) عبد المنعم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق صفحة ١٦

الخليفة العباسى (الموجود بمصر فى ذلك الوقت) يطلب منه الاعتراف به سلطانا على بلاد الروم، فأجابه الخليفة الى طلبه بطبيعة الحال. ولعل ما قام به من حروب ضد الصليبيين وانتصاره عليهم فى (نيكوبوليس)[1] ليؤكد شدة تمسكه بالدين الاسلامى وإجهاده فى سبيل الله ونصرة دينه الحنيف. ومن ثم فقد كان بايزيد أول سلطان عثمانى أضاف الى لقب السلطان الصفة الدينية الى جانب الصفة المدنية[2].

وهكذا نرى، أنه كان من الطبيعى إزاء هذه الرغبة الملحة فى إظهار سلاطين العثمانين تمسكهم الشديد بالدين الاسلامى، أن يعيدوا إلى تخطيط بناء المسجد سنته القديمة، وهو إيجاد الصحن المكشوف الذى تحيط به الأروقة مع الاحتفاظ بمكان الصلاة المغطى بالقبة الكبيرة. لذلك نجد المعمار العثمانى يقسم المساحة المراد بناؤها الى قسمين قد تكون مربعة فتصبح بعد التقسيم مستطيلين كما هو الحال فى جامع اوشمى شريفيلى فى أدرنة (التى اصبحت عاصمة للعثمانيين قبل فتح القسطنطينية) والذى أقيم فى عهد السلطان مراد الثانى الذى تولى من (١٤٣٧ الى ١٤٤٧) أى قبل فتح القسطنطينية.

ويتكون الجامع من مربع مقسم إلى مستطيلين يشغل المستطيل الجنوبى منهما مكان الصلاة، وقد قسمه المعمار بدوره إلى ثلاثة أقسام قسم كبير يتقدم المحراب وتغطيه قبة كبيرة وفى اركانها قباب أربعة صغيرة. أما القسمان الباقيان من مكان الصلاة فقد قسم كل منهما الى مربعين أقيم على كل منهما قبة، بحيث أصبح مكان الصلاة يغطيه قبة كبيرة فى الوسط وعلى كل من جانبها قبتان صغيرتان (انظر شكل ٣).

أما المستطيل الثانى وهو الذى يطلق عليه الأتراك اسم حرم الجامع، فيتكون من صحن مكشوف عادة تتوسطه نافورة معدة للوضوء وتحيط به الأروقة من جميع الجهات. وقد قسمت هذه الأروقة إلى مربعات صغيرة تغطيها قباب ضحلة. وقد زخرفت هذه القباب من داخلها برسوم زيتية نباتية وهندسية جميلة.

ولعل فى إطلاق اسم حرم الجامع على هذا الصحن المكشوف وما يحيطه من الأروقة المغطاة بالقباب الضحلة، تشبها بالحرم المكى الشريف الذى أعيد بناؤه فى عهد السلطان مراد الرابع على هذا النحو.

ويحتوى حرم الجامع عادة على مدخلين أو ثلاثة للجامع، كما يكتنف ركنى الضلع المواجه لحائط القبلة مئذنتان، وقد يكتنف أركانه الأربعة أربعة مآذن. وتتكون المآذن العثمانية

---

(١) Encyclopaedia Britannica vol. 22. P. 591

(٢) Wittek Paul: The Rise of the Ottaman Empire P. 41

من شكل اسطوانى يسترق كلما ارتفعنا إلى أعلى وينتهى القديم منها بشكل خوذة متأثرة بالاسلوب المغولى ، أو بشكل مخروطى يعرف باسم (شكل القلم الرصاص أو شكل المسلة) وهو طراز عثمانى لم يسبق إليه . وتتخلل المآذن عادة ثلاث شرفات ومن ثم فقد أطلق كلمة أوشى (US) التركية ومعناها ثلاثة على كثير من المساجد .

أما الأسلوب الذى يطلق عليه علماء تاريخ الفنون طراز ايا صوفيا فى العمارة العثمانية ففى رأينا هو أسلوب مفتعل لا وجود له ، اللهم إلا إذا اعتبرنا أن ضخامة العمارة واتساع رقعتها ، أسلوب فى حد ذاته . وللتدليل على صحة ما ذهبنا اليه سهل ميسور . فقد أجمعت المصادر الأوروبية[1] على اعتبار جامع بايزيد الثانى فى القسطنطينية الذى أنشىء (١٥٠١م - ١٥٠٧م) أول المساجد الكبيرة التى تأثرت باسلوب عمارة آيا صوفيا ، انظر شكل (٤) ، وذلك لتخطيطه الصليبى والذى تتوسطة قبة كبيرة تحيط بها أنصاف قباب ، بينما يغطى الرواقين الجانبين قباب أصغر حجما (انظر شكل (٥)) والحقيقة أن التخطيط الصليبى ليس جديدا على العمارة الاسلامية ، فقد أملته عليها ضرورة إيجاد أربعة إيوانات لتدريس المذاهب السنية الأربعة التى بدأ انتشارها منذ القرن الخامس الهجرى فى عهد السلطان السلجوقى مللشكاه ووزيره نظام الملك والتى ما تزال مدارسه باقية فى بغداد والرى وغيرها من البلاد الاسلامية .

وقد عرفت تلك المنشآت الدينيه (المدرسة) بعمارتها ذات التخطيط المتعامد أو كما يسميها الأوروبيون[1] (بالصليبى) والذى انتشر فى شرق العالم الاسلامى ووسطه وغربه ، وما تزال مصر والشام تزخر بالعديد منها وكلها ترجع إلى القرن السابع الهجرى والثامن الهجرى (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد) أى قبل فتح القسطنطينية (١٤٥٣م) وتأثر العمارة الاسلامية بعمارة منشآتها ، بل وقبل أن يستولى كذلك العثمانيون على الأناضول .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، إذا استعرضنا شكل أيا صوفيا من ناحية التخطيط الأصلى (شكل (٤) ، لا نجده متعامدا ، بل هو عبارة عن مستطيل يتوسطه مربع أقيم فوقه قبة وغطى باقى أركان المستطيل الأربعة أنصاف دوائر . ويحيط بالمستطيل الداخلى رواقان من ضلعين كبيرين غطيا بقباب ضحلة ، ويتقدم المدخل الرئيسى سقيفة ذات أعمدة . وهكذا نرى ان هناك فرقا كبيرا بين تخطيط أيا صوفيا وجامع بايزيد الثانى بالقسطنطينية .

---

(١) Goodwin: A History of Ottoman architecture P. 245.
Launay: L'architecture Ottoman: P. 6.
Kuhnel: Islamic art and architecture P. 17.
Creswell: Muslim architecture in Egypt. P. 1 P. 152.
Aslapana: Turkish art and architecture P. 218.

أما القول بأن التغطية بالقبة أخذت عن العمارة البيزنطية ، فهذا قول غير مقبول ، فقد عرفت العمارة الساسانية ، بتغطية الأجزاء المربعة فى منشآتها بالقبة وتغطية المستطيل بالقبو . ولعل أول عمارة إسلامية غطت الأجزاء المربعة منها بقبة ، هى ضريح أم الخليفة المنتصر بالله العباسى فى مدينة سامراء ويرجع البناء إلى ٢٤٨هـ . ثم انتشر فى باقى العالم الاسلامى ، وخاصة فى العمارة الفاطمية فى مصر .

على أننا لا ندعى ، عدم تأثر العمارة العثمانية بالعمارة البيزنطية أو عمارة أيا صوفيا ، فهذا ضد طبيعة الأشياء ، ولكن فى اعتقادنا أن هذا التأثر كان فى التفاصيل وليس فى الجوهر ، خاصة اذا عرفنا ان سلاطين الدولة العثمانية كانوا سنيين متعصبين ، فلم يقبلوا التغير فى جوهر المسجد الذى أخذ عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن هذه التفاصيل القباب الضحلة التى تغطى أروقة الحرم وكذا القطاعات الكروية التى تشغل الأركان والتى حلت محل المقرنصات التى انتشرت فى العمارة الاسلامية .

وإذا كان هذا هو حال العمائر الدينية فى مقر الدولة العثمانية ، فان الوضع مختلف فى البلاد العربية عامة ومصر بصفة خاصة .

فالعمارة الدينية فى مصر فى العصر العثمانى تمتاز بأسلوبين أو طرازين مختلفين الى حد كبير . فقد ظلت العمائر الدينية وخاصة المساجد فى أقسام مصر الادارية فى شمال وجنوب الوادى متأثرة إلى حد كبير ، بل اننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا انها استمرت محتفظة بالطراز المملوكى ، سواء فى بناء المساجد ذات الصحن المكشوف الذى تحيط به الأروقة من جميع الجهات ، على أن يكون رواق القبلة اكثرها عمقا لاحتوائه على عدد اكبر من الأروقة .

أما بناء المدارس فقد ظل كذلك محتفظا بطرازه المملوكى ، الا أن صغر مساحة المدرسة ، جعل تخطيط المدرسة المتعامدة يتلاشى تدريجيا ، بحيث اقتصرت المدرسة فى معظم الاحيان على رواقين فقط وفى بعض الاحيان على رواق واحد ، وهى التى أطلق عليها فى العصر العثمانى اسم (الزاوية) .

أما الخانقاوات ، التى وجدت فى مصر منذ عصر صلاح الدين الايوبى ، مثل خانقاه سعيد السعداء ، فقد اختفى اسم الخانقاه فى العصر العثمانى وحل محله كلمة (تكية) للدراويش أى الصوفية المنقطعين للعبادة ، وكذا لتنابلة السلطان ، أى الكسالى من العثمانيين الذين يفدون على مصر ولا عمل لهم ، فتلتزم الولاية بايوائهم ومعاشهم ولباسهم فى تلك (التكايا)

وإذا كان اسم الخانقاه قد تغير ، إلا أن تخطيط التكية لم يختلف كثيرا عن تخطيط الخانقاه ، ذلك أن كلا منهما يحتوى على فناء متسع مكشوف نحيط به مجموعة كبيرة من الخلاوى لايواء المتصوفة . كما يحتوى كل منهما على أكثر من طابق واحد وكلها تحتوى على مجموعة من الخلاوى .

ولعل الفارق بين الخانقاة والتكية ، هو أن الأولى تحتوى على إيوانات متعامدة تشبة المدرسة وفى بعض الأحيان تقتصر الخانقاه على إيوانين فقط . اما التكية فنجدها فى معظم الأحيان تقتصر على إيوان واحد للصلاة .

أما من حيث الوظيفة فان معظم الخانقاوات تكون الدراسة فيها اجبارية ومن ثم يتولى مشيختها كبار العلماء والفقهاء كما تمنح الدارسين بها إجازات علمية . أما التكية فلا التزام على المقيمين بها ، ومن ثم فلا تقوم فيها فصول للدراسة المنتظمة ، وان كان الأمر لا يخلو من عقد محاضرات للوعظ والأرشاد كما تجتمع فيها حلقات الذكر .

أما الاسلوب او الطراز المعمارى الثانى الذى وجد فى مصر فى العصر العثمانى وبصفة خاصة فى القاهرة عاصمة البلاد ، فهو الطراز العثمانى ، المكون من مستطيل منقسم الى مربعين ، الأول يتوسطه صحن مكشوف تتوسطه نافورةً للوضوء ، ويطلق عليه (الحرم) .

يحيط بهذا الحرم الأروقة من جميع الجهات . وقد حرص المعمار العثمانى على ان يقسم هذه الأروقة الى مربعات صغيرة ثم غطاها بقباب ضحلة .

أما المربع الثانى والذى يطلق عليه (بيت الصلاة) فتغطى وسطه قبة كبيرة تقوم على رقبةً مرتفعةً تفتح فيها مجموعةً من النوافذ للتهوية وللضوء . وفى أركان المربع توجد قباب صغيرة أو قطاعات من قباب كبيرة

أما عن السبب فى وجود هذا الطراز فى القاهرة فقط ، فذلك لان كل المساجد التى أُقيمت فى العصر العثمانى تقريبا ، أمر بأنشائها سلاطين العثمانيين ، ومن تولى أمرها من الباشوات .

هذا فضلا عن ان المهندس الذى صمم تلك المساجد كان عثمانيا نقل معظم تخطيطاتها من مساجد الدولهٌ العثمانيهٌ ، بل ان بعض المساجد التى اقيمت فى القاهرة كانت نسخةً مطابقةً تماما لمساجد السلاطين فى القسطنطينيهٌ مثل مسجد السلطان أحمد ومسجد محمد على بالقاهرة .

مسجد الشيخ
عبد القادر الدشطوطى

بالقرب من ميدان
باب الشعرية عام ٩٢٤هـ

نشأ الشيخ محيى الدين عبد القادر بن الشيخ الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين المدعو بشرف الدين موسى الدشطوطى بقرية دشطوط بقسم ببا الكبرى بمحافظة بنى سويف. وكانت قرية دشطوط ذات أهمية خاصة فى العصور الوسطى وخاصة فى العصر المملوكى فيقول ابن اياس: ان مبانيها من الحجر والآجر وبها كثير من الجوامع المعمورة وفى غربها نخيل كثير ويشتغل معظم أهلها بالزراعة. وكان عبد القادر الدشطوطى شافعى المذهب ولم يتخذ زوجة ولا ولدا بل عاش حياته ناسكا زاهدا سائحا لا يأكل الطعام إلا قليلا وكان غذاؤه عادة من القراقيش والزعتر. ولم يكن يهتم بمظهره أو بملبسه وكان يسير دائما مكشوف الرأس لا يحلق رأسه ويلبس جبة خشنة. ويصف الشعرانى لبس الدشطوطى فيقول: ولما فقد بصره فى أواخر أيامه صار يتعمم بجبة حمراء وعليه جبة أخرى فاذا اتسخت تعمم بالأخرى.

وقد لازم الشعرانى الدشطوطى عند مجيئه القاهرة وذيوع صيته لما اشتهر به من الزهد والورع وفى ذلك يقول الشعرانى، كان الدشطوطى رحمه الله من أكابر الأولياء صحبته نحو عشرين سنة وحصل لى منه نفحات وجدت بركتها. وكان أول لقاء لى به فى أول يوم من رمضان سنة اثنتى عشرة وتسعمائة وكنت دون البلوغ، فقال: اسمع منى هذه الكلمات واحفظها تجد بركتها إذا كبرت، فقلت له نعم فقال: يقول الله عز وجل «يا عبدى لو سقت اليك ذخائر الكونين فملت بقلبك إليها طرفة عين فأنت مشغول عنا لا بنا» فحفظتها فهذه بركتها. ويضيف الشعرانى فيقول: وقال لى أمورا أخرى لم يأذن لى فى افشائها، وكان يسمى بين الاولياء صاحب مصر، وقالوا انه ما رؤى قط فى معدية، إنما كانوا يرونه فى مصر والجيزة فى وقت واحد. ومن القصص التى تروى فى هذا الشأن،

أن رجلين حلفا أن الشيخ نام عند كل منهما إلى الصباح فى ليلة واحدة فى مكانين ، فأفتى شيخ الأسلام الشيخ جلال الدين السيوطى بعدم وقوع الطلاق . كذلك يروى الأمير يوسف ابن أبى الأصبع القصة التالية : لما أراد السلطان قايتباى أن يسافر إلى بحر الفرات استأذن الشيخ الدشطوطي فى السفر فاذن له ، ويضيف الأمير يوسف فيقول : وكنا طول الطريق ننظره يمشى أمامنا فاذا اراد السلطان أن ينزل اليه يختفى ، فلما دخلنا حلب وجدنا الشيخ الدشطوطى ضعيفا بالبطن فى زاوية بمدينة حلب مدة خمسة شهور فتحيرنا فى امره .

وكان رحمه الله مهيبا معظما عند الملوك والأمراء وعلية القوم ورسالته عندهم لا ترد ويذكر ابن إياس فى حوادث سنة أربع وتسعين وثمانمائة القصة التالية : « وفيه وقعت نادرة غريبة هى أن شخصا يقال له عبد القادر بن الرماح وكان له خصاصة بالسلطان الأشرف قايتباى قال له إن عبد القادر الدشطوطى شخص من عباد الله الصالحين ، وكان قصد السلطان الأجتماع به ، فأخبره أنه يتردد إلى جامع بالقرافة تحت جبل المقطم ، فقال له السلطان : ان حضر هناك أعلمنى » فعمد عبد القادر بن الرماح الى شخص كان شبيها بالشيخ الدشطوطى فاعلم السلطان قايتباى بأن الدشطوطى يحضر تلك الليلة إلى المكان المذكور ، فصلى السلطان العشاء ونزل وبصحبته ثلاثة اشخاص ، فأتى الى ذلك المكان ونزل عن فرسه ، فوجد ذلك الشخص جالسا ورأسه فى عبه فشرع السلطان يقبل رجليه ويقول « يا سيدى احمل حملتى مع ابن عثمان » فصار ذلك الشخص يغرب عنه ويقول له : انت ما ترجع عن ظلم العباد فطال المجلس بينهما ، ثم ان السلطان دفع له كيسا فيه ألف دينار ، فصار يتمنع والسلطان يتلطف به ويقول له : فرق ذلك على الفقراء ، ثم مضى وهو يظن انه الدشطوطى . وبعد ايام ظهر للسلطان أن الواقعة مفتعلة فامر باحضار ابن الرماح ومن تزيا بزى الدشطوطى فضربوا بين يدى السلطان بالمقارع . واما ابن الرماح الذى كان سببا فى ذلك فأمر السلطان بحلق ذقنه وشهره فى القاهرة على حماره ثم سجنه بالمقشر الى ان مات عقيب ذلك » .

وكان الدشطوطى معروفا ومحبوبا عند الناس وكانت تأتيه النذور من كافة انحاء القطر فينشىء بها المساجد والجوامع والخوانق كما كان يشير على الملوك والسلاطين باقامة الجوامع والمساجد ، فقد أشار على السيدة خوند اصلباى زوجة السلطان قايتباى باقامة الجامع الذى يقع على مدخل قنطرة الوداع بمدينة الفيوم . ولما دنا أجله أكثر من البكاء والتضرع وكان يقول للبناء الذى امره السلطان قايتباى ببناء قبة له : عجل فى البناء فان

الوقت قد قرب فمات وبقى منهـا يوم فكملت بعـده ، ودفن فى قبره وأوصى ألا يدفن عليه أحد ، وأوصى أن يعمل فوقه وجانبه مجاديل حجر حتى لا يتسع القبر لاحد معه . ويصـف على مبارك جنازته فيقـول : وارتجـت القـاهرة لوفاته ونزل لجنازته ملك الأمراء العـثمانية والامير قايتباى الدودار والقضـاة الاربعة وأعيان الناس وخـرجت جنازته من بيت المعـلم حسن الصياد المهندس خارج باب الشـعرية ورفعـت له الأعلام على جنازته وحضر اطفـال المكاتب وعلى رؤوسهم المصاحف ومشوا حول جنازته واسـتمروا حتى وصـل إلى مسـجده حيث دفن وذلك فى التاسع من شعبان سـنة أربع وعشرين وتسـعمائة (أى بعـد اسـتيلاء الدولة العثمانية على مصر بسنة واحدة) . وكان له من العمر نحو ثمان وثمانين سنة .

الوصف المعمارى

يقع جامع الدشطوطى بشارع بور سعيد بالقرب من ميدان باب الشعرية وما يزال المسجد محتفظا بجزء كبير من البناء الأصلى الذى يرجع الى القرن الخامس عشر الميلادى . وقد بنى المسجد على شكل المدارس المتعامدة ، فهو يتكون من صحن مربع الشكل يتوسط المسجد ومغطى بسقف خشبى وبه فتحة مربعة (شخشيخة) ويحيط بالصحن أربعة إيوانات اعمقها إيوان القبلة الذى يتقدمه ثلاثة عقود نصف دائرية محمولة على عمودين . وإلى جانب ايوان القبلة من الجهة الجنوبية غرفتان معقودتان ومفتوحتان على الأيوان وتحتويان على نوافذ قنديلية مغشاة بزجاج معشق متعدد الألوان . ويقابل أيوان القبلة أيوان مماثل فى الجهة الغربية ويحتوى على دكة للمبلغ . ويوجد فى الجانب الشمالى من جدار الأيوان الغربى ثلاث حنيات مغلقة يعلوها حنيات أخرى مما يدل على ان هذا الجزء من المسجد كان يتصل ببناء خلف هذا الايوان اقتطع من المسجد الآن وبنى مكانه منزل . . أما الإيوان الشمالى والجنوبى فاصغر من الأيوانين السابقين وحليت فتحتهما المطلة على الصحن بكرادى خشبية جميله . ويحتوى الأيوان الشمالى على ست نوافذ تطل على شارع جانبى ، أما الايوان الجنوبى فيحتوى على باب يؤدى إلى طرقة تنتهى إلى مدخل المسجد الرئيسى الذى يطل على شارع بور سعيد .

ويمتاز مسجد الدشطوطى بتصميم معمارى فريد ، فقد بنيت دورة مياهه الأصلية تحته ولعل المعمار أراد بذلك أن يتفادى ـ النشع ـ الذى قد يصيب المسجد وقت الفيضان لوقوعه على الضفة الغربية للخليج الذى كان يخرج من فم الخليج بمصر القديمة وينتهى عند خليج السويس والذى ردم فى أوائل القرن العشرين . وقد أبطل استعمال هذه الدورة القديمة وبنيت بدلا منها دورة أخرى تقع فى الضلع الجنوبى للمسجد .

ويقع ضريح الشيخ عبد القادر الدشطوطى فى الركن الشمالى الشرقى للمسجد ، وهو عبارة عن غرفة مربعة يدخل إليها من الإيوان الشمالى . وفى أركان المربع توجد حنية واحدة كبيرة حولت المربع إلى مثمن أقيمت فوقه قبة مرتفعة . وقد فتحت فى حوائط الضريح الأربعة نوافذ قنديلية مماثلة للتى بالغرفتين المطلتين على إيوان القبلة وهذه النوافذ غشيت بالزجاج المعشق .

ضريح شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصارى

بقبة الإمام الشافعى
(٩٢٦هـ/١٥٢٠م)

هو الشيخ زكريا الأنصارى الخزرجى ، جاء الى القاهرة فى عهد السلطان قايتباى والتحق بالأزهر الشريف ، وكان شابا فى الثامنة عشرة من عمره . ويحدثنا تلميذه الشعرانى عن قصة حياة شيخه منذ جاء إلى مصر فيقول : حكى لى الشيخ زكريا مرة أمره منذ مجيئه إلى مصر حتى وقتنا هذا (أى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى) قال : أحكى لك أمرى من ابتدائه حتى انتهائه حتى تحيط به علما كأنك عاشرتنى من أول عمرى ، فقلت له نعم ، فقال : جئت من البلاد وأنا شاب فلم أعكف على أحد من الخلق ولم أعلق قلبى به وكنت أجوع فى الجامع (الأزهر) كثيرا فأخرج بالليل إلى قشر البطيخ الذى كان بجانب الميضأة وغيرها فأغسله وآكله الى أن قيض الله لى شخصا كان يشتغل فى الطواحين فصار يتفقدنى ويشترى لى ما أحتاج اليه من الكتب والكسوة ويقول يا زكريا لا تسأل أحدا فى شىء ، فمهما تطلب جئتك به ، فلم يزل كذلك سنين عديدة . ويستمر الشيخ زكريا فى سرد قصة حياته مع ذلك الرجل المحسن لتلميذه الشيخ الشعرانى حتى يأتى إلى نهايتها فيقول : « وفى ليلة من الليالى والناس نيام جاءنى وقال لى قم ، فقمت معه فوقف لى على سلم الوقاد الطويل وقال لى اصعد هذا فصعدت فقال لى اصعد فصعدت إلى آخره ، فقال لى تعيش حتى يموت جميع أقرانك وترتفع على كل من فى مصر من العلماء ، وتصير طلبتك شيوخ الاسلام فى حياتك حتى يكف بصرك فقلت ، ولابد لى من العمى ، قال ولابد لك ثم انقطع عنى فلم أره من ذلك الوقت » .

واستمر الشيخ زكريا ملازما للأزهر الشريف والاستماع على كبار علمائه وفقهائه والمتصوفين منهم خاصة حتى أصبح أحد أركان الطريقين الفقه والتصوف . وكان رحمة الله عليه دائبا فيما ينفعه وينفع الناس ، كما كان للوقت عنده حساب كبير . وفى ذلك يقول

الشعرانى : قد خدمته عشرين عاما فما رأيته قط فى غفلة ولا اشتغال بمالا يعنى ليلا ولا نهارا ، وكان مع كبر سنه يصلى سنن الفرائض تماما ويقول لا أعود نفسى الكسل .
وكان اذا جاءه شخص وطول فى الكلام يقول بالعجل ضيعت علينا الزمن » .

وقد التحق فترة غير قصيرة بخانقاه سعيد السعداء ، فقد كان ، كما قال عن نفسه ، « من صغرى وأنا أحب طريق القوم (أى التصوف) وكان أكثر اشتغالى بمطالعة كتبهم والنظر فى أحوالهم ، فاجتمع بشيوخ المتصوفين ، وقد تسنى له أثناء أقامته بخانقاه سعيد السعداء أن يجتمع بشيوخ المتصوفين فانتفع بعلمهم فى الطريق كما انتفعوا بعلمه فى الفقه وعلوم الشريعة ، وقد ظهر أثر الخانقاه واضحا فى بعض مؤلفاته مثل شرحه على الرسالة القشيرى فى علم التصوف وكتابه المسمى بقواعد الصوفية . وحاشيته لتفسير البيضاوى .

والخانقاه ، كلمة فارسية تعنى المكان الذى ينقطع فيه المتصوف للعبادة ، ويفصل المقريزى معنى خانقاه فيقول : الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت الأكل وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك . ويتكلم عن نشأة العمائر الدينية التى عرفت بالخوانق فى الاسلام فيقول : والخوانك نشأت فى الاسلام فى حدود القرن الرابع للهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى . أما فى مصر فلم تظهر الخوانق إلا فى القرن السادس الهجرى وفى عصر صلاح الدين الأيوبى . أما من حيث التخطيط المعمارى لهذه المنشآت الدينية فقد اقتضت وظيفتها أن يكون لها تخطيط خاص ، فهى بذلك تجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة ويضاف إلى هذين التخطيطين الغرف التى يختلى أو ينقطع بها المتصوف للعبادة والتى عرفت فى العمارة الأسلامية باسم الخلاوى .

وقد يكون من المفيد أن نعرف شيئا عن تاريخ خانقاه سعيد السعداء أول خانقاه أنشئت فى مصر وهى التى انقطع فيها شيخنا زكريا للعبادة فترة غير قصيرة ، والتى جاء فى ترجمة حياته أنه كان لا يأكل إلا من خير خانقاه سعيد السعداء ، ويقول « ووقفها كان من الملوك الصالحين ، ووقف وقفها باذن النبى صلى الله عليه وسلم » . تقع هذه الخانقاة بخط رحبة باب العبد من القاهرة كما يقول المقريزى ، (حى الجمالية الآن) ، وكانت أول دار تعرف فى عصر الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء [1] ، وهو كما يقول ابن ميسر ، (بيان) ولقبه سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

---

(١) الخطط جـ٤ ص ٢٧١

وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة ، فلما تولى الصالح طلائع الوزارة سكنها وفتح من دار الوزارة إليها سردابا تحت الارض ليمر فيها . فلما استولى صلاح الدين على مصر ، وقف هذه الدار على الفقراء الصوفية الوافدين من البلاد النائية وذلك فى سنة ٥٦٩هـ وولى عليهم شيخا ووقف عليهم كثيرا من الاوقاف عقاريه بالقاهرة وزراعية بالبهنسا (بالمنيا الآن) . وقد جاء فى شرط الوقفية أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لهاالديوان السلطانى ، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيرة ورتب للصوفية فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم ، وهنا يقول المقريزى ، فكانت أول خانقاه عملت بديار مصر وعرفت باسم (دويرة) الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ » .

وقد تهيأت للشيخ زكريا أن يضع فى خانقاه سعيد السعداء الكثير من مؤلفاته العظيمة نذكر منها شرح البخارى المعروف باسم فتح البارى للحافظ ابن حجر وشرح البخارى للكرمانى وشرحه للعينى الحنفى وشرحه لشهاب الدين العسقلانى . وكان يقوم بالكتابة له فى معظم الأحيان تلميذه الشيخ الشعرانى فهو يقول : « وكان خطى متميزا فيه وأظنه يقارب النصف ، ويضيف فيقول ، وكنت إذا جلست معه كأنى جالست ملوك الأرض الصالحين العارفين ، وكان أكبر المفتين بمصر يصير بين يديه كالطفل وكذلك الأمراء والأكابر .

وقد جاء فى ترجمته أن بوادر الكشف بدأت تظهر عليه بعد تأليفه لكتابه شرح (البهجة)الذى استبعد جماعة من أقرانه أن يكون هو مؤلفه ، فكتبوا على نسخة منه كتاب الاعمى والبصير تنكيتا عليه ، كما يقول ، لكون رفيقى فى الاشتغال كان ضريرا ، وكان تأليفى له فى يومى الاثنين والخميس فقط فوق سطح الجامع الأزهر . وهنا يصرح الشيخ زكريا بظهور الكشف عليه فيقول : وكان وقتى رائقا وظاهرى بحمد الله محفوظا ، وكنت مجاب الدعوة لا أدعو على أحد إلا ويستجاب الدعاء فأشار علّى بعض الأولياء بالتستر بالفقه ، وقال استر الطريق فليس هذا زمانه ، فلم أكد أتظاهر بشيء من أحوال القوم إلى وقتى هذا . ويستطرد الشيخ زكريا فى الحديث عن كشفه فيقص علينا القصة التالية : « كنت معتكفا مرة فى العشر الأخير من شهر رمضان فوق سطح الجامع الأزهر فجاءنى رجل تاجر من الشام وقال لى إن بصرى قد كف ودلنى الناس عليك تدعو الله أن يرد على بصرى . وكان لى علاوة فى إجابة دعائى فسألت الله أن يرد عليه بصره ، فأجابنى ولكن بعد عشرة أيام ، فقلت له الحاجة قضيت على شرط أن تسافر من هذا البلد إن أردت أن

يرد الله عليك بصرك . وذلك خوفا أن يرد عليه بصره فى مصر فيهتكنى بين الناس . فسافر فرد عليه بصره فى غزة وأرسل لى كتابا بخطه ، فأرسلت أقول له متى رجعت إلى مصر كف بصرك فلم يزل بالقدس إلى أن مات بصيرا » .

وقد بدأت تظهر تنبؤات الرجل المحسن الذى تولى أمر الشيخ زكريا عندما جاء إلى القاهرة معدما لا يجد قوت يومه ، عندما عرض عليه وظيفة قاضى القضاة وأخذ يرفضه المرة تلو المرة ولم يقبلها حتى ألح عليه السلطان فى الرجاء ، وهنا يقول : « تزايد على الحال الى أن عزم على السلطان بالقضاء فأبيت ، فقال إن أردت نزلته ماشيا بين يديك أقود بغلتك إلى أن أوصلك الى بيتك ، فتوليت وأعاننى الله على القيام به » ويصف لنا حاله بعد تولى وظيفة القضاء وأحاسيسه النفسية فيقول : ولكن أحسست من نفسى أنى تأخرت عن مقام الرجال (أى المتصوفين) ، فشكوت إلى بعض الرجال فقال إن تشعر وتحس به إنما هو تقديم إن شاء الله تعالى فان العبد اذا رأى نفسه متقدما فهو متأخر وأن رأى نفسه متأخرا فهو متقدم فسكن روعى » .

وكان للسلطان قايتباى فيه اعتقاد وولاية فينصح بنصحه ويقبل لاذع نقده بمنتهى الرضا ورحابة الصدر ، وكان الشيخ زكريا يحس بهذا ويعلمه تمام العلم ، فهو الذى يقول : ما كان أحد يحملنى كما يحملنى السلطان قايتباى فقد كنت أحط عليه فى الخطبة حتى أظن أنه ما عاد قط يكلمنى . فأول ما أخرج من الصلاة يتلقانى ويقبل يدى ويقول جزاك الله خيرا . وقد أوعزت هذه المعاملة الكريمة التى عامل بها السلطان الشيخ زكريا ، صدور كثير من حساده من الامراء والشيوخ على السواء ، خاصة وقد عرف عن قايتباى الشدة والصرامة فى معاملة أتباعه وحاشيته وعدم قبوله للنقد على الاطلاق ، فكيف وهو يستمع الى شتائم الشيخ زكريا تكال عليه عيانا بيانا فى خطبة الجمعة . فلم يزل هؤلاء الحساد حتى أوقعوا بينهما وبرغم ذلك فلم يصدر من قايتباى لفظ أو فعل يسىء الى الشيخ وفى ذلك يقول : فلم تزل الحسدة بنا حتى أوقعوا بيننا الو قيعة وكان ماسكا لى الأدب ما كلمنى كلمة تسوءنى قط ، ولقد طلعت له مرة فأغلظت له القول فأصفر لونه ، فتقدمت اليه وقلت له والله يا مولانا انما أفعل ذلك معك شفقة عليك وسوف تشكرنى عند ربك وإنى والله لا احب أن يكون جسمك هذا فحمة من فحم النار فصار ينتفض كالطير . وكنت أقول له أيها الملك تنبه لنفسك فقد كنت معدما فصرت وجودا وكنت رقيقا فصرت حرا وكنت مأمورا فصرت أميرا وكنت أميرا فصرت ملكا . فلما صرت ملكا تجبرت ونسيت مبدأك ومنتهاك »

الوصف المعمارى

يحدثنا الشيخ الشعرانى أن الشيخ زكريا عرف مكان قبره قبل مماته دون أن يكون له فيه اختيار ، فيقول : كنت يوما أطالع له فى شرح البخارى ، فقال لى قف ، اذكر لى ما رأيته فى هذه الليلة ، وقد كنت قد رأيت أننى معه فى مركب قلعها من حرير وحبالها وفرشها سندس أخضر وفيها أرائك ومتكآت من حرير والامام الشافعى رضى الله عنه جالس فيها والشيخ زكريا عن يساره ، فقبلت يد الامام الشافعى ، ولم تزل تلك المركب سائرة بنا حتى أرست على جزيرة من كبد البحر الحلو . وأخذ يصف الشعرانى كل ما فى الجزيرة من بساتين وفاكهة وزهور ونساء كحور الجنة حتى اذا ما انتهى من سرد منامه قال له الشيخ زكريا : إن صح منامك فأنا أدفن بالقرب من الامام الشافعى رضى الله عنه » .

فلما مات الشيخ زكريا هيأ له أصدقاؤه وتلاميذه قبرا بقرافة باب النصر فجاء جماعة من أصدقاء الشيخ الشعرانى ممن يعرفون منامه وقالوا له لقد كذب منامك ياشعرانى وهنا يقول الشعرانى « فبينما نحن كذلك وإذا بقاصد الأمير خير بك نائب السلطنة بمصر يقول ، ان ملك الامراء ضعيف لا يستطيع الركوب إلى هنا ، وأمر أن تركبوا الشيخ زكريا على تابوت وتحملوه للامير ليصلى عليه فى سبيل المؤمنين بالرميلة (ميدان القلعة) . فحملوه وصلوا عليه ، فقال خير بك ادفنوه بالقرافة عند الشيخ نجم الدين الخيوشانى تجاه وجه الامام الشافعى . وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وتسعمائة » .

مدرسة خاير بك

(٩٢٨هـ ١٥٢٢م)

عندما استولى السلطان سليم الأول العثماني على مصر (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، رأى ببعد نظره ، بعد مدة الثمانية أشهر التى قامها بمصر ، أن يعين خاير بك المملوكى نائبا عنه فى مصر ، بدلا من يونس باشا ، وذلك لمساعدة خاير بك للعثمانيين فى الاستيلاء على بلاد الشام[1] ، هذا فضلا عن أن سليم الأول رأى أن يستعين فى المرحلة الاولى من الحكم العثمانى ، بالحكام المحليين الموالين لهم

أما عن أصل خاير بك فهو من المماليك الجراكسة ، قيل إنه ولد بقرية يقال لها صمصوم من بلاد الكرج بالقرب من أقليم جورجيا . وقد عنى والده بتربيته وتنشئته فلما كبر باعه إلى السلطان قايتباى فالحقه بمجله مماليكه السلطانية . وقد آخذ خاير يترقى فى سلم الوظائف العسكر فى عهد قايتباى حتى وصل إلى درجة مقدم ألف .

وفى عهد السلطان الغورى تولى وظيفة حاجب الحجاب ، ثم خلع عليه السلطان لقب أمرة الأمراء وقرره فى نيابة حلب . واستمر خاير بك فى إمارة حلب حتى مجيء العثمانيين إلى مصر والشام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)

وقد كان لسياسة خاير بك الحكيمة فى إعطائه الأمان للمماليك تنفيذا لأوامر السلطان سليم ، اكبر الأثر فى كسب ودهم ووقوفهم إلى جانبه . فقد اشترك المماليك مع القوات العثمانية فى الحملات التى وجهها خاير بك ضد البدو ، كما استخدمهم فى قمع فتن

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ٥ صفحة ٢٠٢

الانكشارية التي قاموا بها ضد أوامر السلطان سليم القاضية باعادتهم إلى الأناضول بسبب اثارتهم المتاعب للسلطة الحاكمة فى مصر.

وقد بدأ خاير بك سياسته فى مصر باعطاء الأمان للمماليك فسمح لهم بركوب الخيل وشراء السلاح، والتزيى بزى المماليك لا بالزى العثمانى. كما انفقت عليهم الجامكية (الرواتب) كسابق عهدهم.

هذا ويجب أن نشير هنا إلى ملاحظة هامة، وهى استمرار جلب المماليك إلى مصر والحرص على شرائهم، وذلك رغبة من السلطان العثمانى فى إبقاء المماليك كجند، مما أدى فى نهاية القرن الثامن عشر إلى سيطرتهم على إدارة الحكم فى مصر

ولم يكتف خاير بك بابقاء المماليك كطائفة عسكر فحسب، بل استعملهم كذلك فى شغل المناصب الادارية الهامة كالكشوفيات وكذا بعض الوظائف المالية والدينية كامارة الحج وما إليها.

وقد استمر خاير بك فى ذلك فى منصبه واليا على مصر حتى وفاه الأجل ٩٢٨هـ، حيث مات فى القلعة وشيعت جنازته ودفن فى مدرسته بجوار أخوته.

أما عن تاريخ مدرسة خاير بك فقد اختلف علماء الآثار فى تاريخ إنشائها، فبينما نجد ابن[١] زمبل يذكرها فى تاريخه باسم (الخيربكيه) يرجعها إلى العهد العثمانى، فى حين يقول ابن اياس فى حوادث ٩٠٨هـ بأنها كانت موجودة وان جان بلاط المحمدى أخو خاير بك دفن فى تربة المدرسة التى أنشأها خاير بك بباب الوزير. هذا وقد ناقش الدكتور محمد مصطفى نجيب تاريخ المدرسة مناقشة دقيقة مفصلة فى رسالته[٢].

ومهما يكن الأمر فى اختلاف المؤرخين فى تاريخ الانشاء، إلا ان الأمر الذى يهمنا بالنسبة للعمارة الاسلامية، سواء أكانت من منشآت العصر العثمانى أم المملوكى. إلا أنه من الثابت أنها مملوكية التطراز مع وجود تفاصيل زخرفية فى الرسوم القالبية والرسوم المحفورة على الخشب متأثر بالطراز العثمانى.

---

(١) ابن زنبل: تاريخ السلطان سليم مع قنصوه الغورى ص ١٢٨

(٢) محمد مصطفى نجيب: مدرسة خاير بك (رسالة/ ماجستير ١٩٦٨ جامعة القاهرة مخطوطة)

الوصف المعمارى

تقع مدرسة خاير بك بحى باب الوزير ، جنوب القاهرة المعزية ، بجوار سور القاهرة الذى أقيم فى العصر الأيوبى (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) الذى يقع إلى الجنوب الشرقى للمدرسة . اما الجانب الجنوبى الغربى منها فيشغله قصر الأمير الين آق الذى بنى (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) . وفى الجهة الشمالية الشرقية من المدرسة يوجد مسجد آق سنقر الذى أقيم (٧٤٧هـ / ١٣٤٧م)

وتتكون المدرسة من شكل مستطيل ، يتوسطه صحن مغطى ويشغل اضلاعه الاربعة ايوانات متعامدة ، الا ان الايوانين الشرقى والغربى اكثر عمقا من إيوان القبلة الذى يشغل الضلع الجنوبى من المدرسة والايوان الشمالى المقابل له ، وذلك لان المدرسة مستطيلة الشكل وليست مربعة .

ويحيط بجدران الايوانات جميعها وزرة رخامية بارتفاع ١,٥ من أرضية المدرسة يعلوها شريط نقشت عليه آيات من سورة الفتح .

ويتوسط الايوان الجنوبى المحراب ويكتنفه حنيتان أقل عمقا . وتشغل هذه الحنيات الثلاث جميع مساحة الايوان الجنوبى . ومما يستدعى النظر فى تخطيط مدرسة خاير بك ، هو انفرادها بظاهرة لم تسبق إليها ، كما إنها لم تستعمل بعد ذلك ، وهو قلة عمق إيوان القبلة .

لقد وجدت ظاهرة قلة عمق بعض ايوانات مدارس عصر المماليك الشراكسة ولكنها كانت على الإيوانات الشرقية والغربية ، وليست إيوان القبلة وما يقابله مثل مدرسة السلطان اينال[1] ، وقد أطلق على هذا النوع من الإيوانات القليلة العمق فى العمارة المملوكية (السدلتان)

أما بالنسبة لمدرسة خاير بك ، فلعل مساحة الأرض التى أقيمت عليها المدرسة والمحصورة بين سور القاهرة القديم وبين العمائر السابقة عليها والتزام المعمار بجهة معينة لتكون جهة القبلة ، كل ذلك ، فى رأينا ، هو الذى حتم على المعمار ان يكون إيوان القبلة وما يقابله ضحلا يشبه (السدلة) .

---

(١) المؤلفة : مساجد مصر جـ٤ ص ٢٠٠ (مدرسة اينال)

ويوجد بالايوان الشمالى المقابل لأيوان القبلة أربعة كتبيات على مستويين تحفظ فيها الكتب الدينية وغيرها من المراجع والمصادر التى يحتاجها الدارس والمدرس .

ويوجد بايوان القبلة منبر خشبى جميل الصنع ، انشأة سليمان باشا الخادم نائب السلطنة العثمانية على مصر فى ولايته الثانية (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) . كما انشأ دكة للمبلغ فى الايوان المقابل لايوان القبلة.

ويتوسط الأيوان السابق بابان الشمالى منهما صغير وذو عتب مزرر يؤدى الى المدفن الصغير . والجنوبى كبير ويؤدى الى مدفن ثان ، ويقع فى تجويف عميق يكتنفها مصطبتان ، ويعلوه عقد ذو ثلاث فصوص يشغلها خمس حطات من المقرنصات والدلايات .

ويغطى صحن المدرسة قبة مفتوحة تقوم على مقرنصات ركنية كبيرة . كما فتحت فى الايوانات جميعها نوافذ معقودة مملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

وقد الحق بالمدرسة مدفنان أحدهما كبير ، ويتكون من مربع تتخلله فتحات النوافذ . كما يحيط باعلى الجدار وزرة رخامية يعلوها نص كتابى يضم القاب خاير بك وتاريخ الانشاء ٩٠٨هـ ويعلو المدفن قبة بصلية الشكل تقوم على رقبة رقعة مرتفعة يتخللها (١٦) نافذة أما المدفن الصغير فيتكون كذلك من مربع يحتوى على نافذتين أحدهما تطل على الرحبة التى تتقدم المدرسة والأخرى تطل على الطريق . ويحيط بالمربع من أعلى شريط من الكتابة القرآنية من سورة آل عمران . ويعطى المدفن قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية .

أما مئذنة المدرسة فتعلو المدفن الصغير وبجوار قبته الضحلة ، وهى تتكون من ثلاث طوابق ، تقوم على قاعدة مربعة ، ويتكون الطابق الأول من شكل ثمانى يتخلله أربع فتحات . أما الطابق الثانى فمستدير الشكل ، اما الطابق الثالث فقد سط . وتمتاز هذه المئذنة بأنها تحتوى على سلمين يلتفان على شكل حلزونى حول المئذنة من الداخل بحيث لا يلتقيان الا فى الطابق الثالث

السبيل

وقد الحق بمدرسة خاير بك سبيل يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المدرسة ويتكون السبيل من عدة طوابق، الاول منها مربع الشكل وبه شاذروان فى جهته الجنوبية، وفى الجهة المقابلة توجد حجرة مربعة بها فتحة بئر يجاوره حوض حجرى لوضع الماء به. ويعلو هذه الحجرة، حجرة ثانية بها حوض مثمن تجاور الفتحة العليا للبئر. ويوجد تحت الطابق الأول صهريج لتخزين المياه، وهو بناء مطمور تحت الأرض، يغطيه وتبرز الواجهة الشمالية الغربية للسبيل عن الواجهة الرئيسية للمدرسة. وبهذه الواجهة شبابيك بها طاسات نحاسية ذات سلاسل مربوطة يستعملها الناس فى الشرب من الصنابير التى بأسفل هذه الشبابيك.

مسجد الدمرداش وزاويته

بالعباســـــية

(٩٣٩هـ/١٥٢٣م)

اختلف المؤرخون وكتاب السير فى اسم الشيخ الدمرداش فقد جاء فى هامش كتاب (تحفة الأحباب[١]) للسخاوى ، أن اسمه محمد بن الأمير دمرداش المحمدى . وجاء فى كتاب طبقات الحنفية وأخذ عنه محمد لبيب الحلبى فى بحثه (الفيوضات النورانية[٢]) أن اسمه هو العارف بالله أبو عبد الله محمد شمس الدين المعروف بالمحمدي والملقب بالدمرداش .

وهكذا نرى أنهم اختلفوا فى الاسم ولكنهم اتفقوا فى الكنية واللقب وهو (الدمرداش المحمدى) .

ولد الشيخ أبو عبد الله محمد الدمرداش بمدينة تبريز بايران سنة ٨٥٧هـ (سنة ١٤٥٣م) وقد أمضى طفولته وبعض شبابه فى مدارس تبريز السنية التى كانت تعنى فى المرتبة الأولى بتدريس اللغة العربية إلى جانب اللغة الفارسية بطبيعة الحال . وقد تفقه شيخنا فى علوم الدين والحديث كما حفظ معظم القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ودرس الفقه على منهب الامام أبى حنيفة . وبرغم كثرة تردد أبو عبد الله على مسجد تبريز الرسمى المعروف باسم الجامع الأزرق[٣] الذى شيده السلطان تيمورلنك فى منتصف القرن التاسع الهجرى . حيث يدرس المذهب الشيعى وخاصة منهب الامامية الاثنى عشرية ، نجده فى نفس الوقت يعكف على دراسة مبادىء التصوف على طريقة (محى الدين بن العربى) وكان لاعتناقه المذهب السنى وتصوفه أثر كبير فى عدم وصوله الى وظائف الدولة الهامة او دخوله فى بلاط الملوك والأمراء رغم علمه الوفير وخلقه القويم ، فقد كانت الدولة شيعية المذهب ولا تعتمد ولا تثق الا فيمن كان على

---

(١) تحفة الاحباب وبغية الطلاب فى المزارات والتراجم والبقاع المباركات للسخاوى ص١٦ ، ١٧

(٢) الفيوضات النورانية فى محيا الطريقة الدمرداشية ـ لمحمد لبيب محمد الحلبى .

(٣) يعد الجامع الازرق من أبدع عمائر العصر التيمورى بنى فى تبريز فى منتصف القرن ٩هـ ويمتاز المسجد باحتوائه على قاعة كبيرة تتوسطه يعلوها قبة وتحيط بها القاعات من جميع الجهات . وفى أحد جوانب المسجد يوجد ضريح مغطى بقبو نصف دائرى . وقد زين هذا المسجد بفسيفساء من الخزف فى غاية الابداع والجمال وفيها اللون الأزرق الناصع والأزرق الداكن ومن هنا أخذ الجامع اسمه .

دينها ومذهبها ، وقد أدى هذا بدوره بالاضافة الى غلظة سلاطين التتر وتعسفهم فى معاملة الشعب الى رحيل أبى عبد الله محمد شمس الدين عن تبريز وحضوره الى مصر .

ويختلف المؤرخون مرة أخرى بالنسبة لموضوع رحيله وهجرته من ايران ، فبعضهم[1] يقول إن والده حضر الى مصر فى عهد السلطان الظاهر أبى سعيد ومعه ولده أبو عبد الله محمد شمس الدين وشغل أكبر وظائف الدولة فى عهده . ويذكر البعض الآخر[2] - وهو الراجح أن الشيخ أبا عبد الله هو الذى حضر الى مصر فى عهد السلطان الاشرف قايتباى ، والتحق بخدمته وما زال يترقى من وظيفة الى أخرى حتى وصل أمير مائة . وقد قربه السلطان قايتباى اليه واصطفاه لما بلغه عنه من حسن الخلق والتقوى ، مما أوغر صدر حساده عليه فأخذوا يحيكون ضده المؤامرات فأبلغوا السلطان انه كثيرا ما يترك الحراسة الى حيث لا يدرون وبذلك تعرض حياة السلطان للخطر . ولما كان قايتباى شديد الثقة فيه فقد صمم على أن يتبين الأمر بنفسه فخرج فى ليلة عاصفة بردها قارص ، فلم يجده فى حراسته ، وأنما وجده يتعبد فى الخلاء بعيدا عن أعين الناس ، فتعجب من أمره وقوة تحمله وقال له بالفارسية (دمير طاش) ومعناها أنت كالصخر أو الحديد فى تحملك ، فأصبحت منذ ذلك الوقت لقباله ، ثم حرفت فأصبحت تنطق الدمرداش .

وقد ارتفع قدر الدمرداش عند السلطان قايتباى بعد هذه الحادثة كما تأكد من ورعه وتقواه ، ولذلك دعاه للحج وزيارة المدينة المنورة معه سنة ٨٨٤هـ . ويقول ابن اياس فى حوادث سنة ٨٨٦هـ أن صاعقة عظيمة سقطت على المسجد الشريف النبوى فأحرقت منه المنارة والسقوف الخشبية والجدران والأعمدة ، ولم يسلم سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وقد أصبح المسجد جميعه كالتنور . فلما سمع بذلك السلطان قايتباى بكى فأبكى من كان حوله . وشرع قايتباى فى الحال فى تجديد المسجد الشريف وأرسل جماعة من البنائين والنجارين والمرخمين وعلى رأسهم الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن ، كما أرسل مع هذه البعثة أبا عبد الله محمد شمس الدين ليكون عينا له عليها ، لما يعرفه عنه من الورع والتقوى وحبه الشديد للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد أنتهى العمل فى الحرم النبوى الشريف فى أواخر سنة ٨٨٧هـ - ويصف ابن أياس عملية التجديد فيقول : « فجاء غاية فى الحسن من أجل الابنية وأعظمها حتى قيل إن السلطان صرف على بنائه نحوا من مائة ألف دينار وجدد معالمه ، وتناهى فى زخرفته إلى الغاية » . وقد كان لشدة حرص أبى عبد الله محمد

(١) تحفة الأحباب ص ١٦

(٢) ابن اياس ، الفيوضات النورانية .

شمس الدين فى أن يتم تجديد الحرم النبوى الشريف فى أقصر وقت ممكن وأبهى وأجمل صورة - أثر كبير فى محبة الناس وتقديرهم له ، حتى أنهم أطلقوا عليه (المحمدى) وهكذا أصبح كنية أبى عبد الله محمد شمس الدين (الدمرداش) ولقبه المحمدى .

وبعد عودة الشيخ الدمرداش من مهمته فى بعثة تجديد الحرم النبوى ، عينه السلطان قايتباى إماما وخطيبا لقبة الأمير يشبك بن مهدى بالمطرية (جامع القبة بسراى القبة حاليا) ولما أراد السلطان الحج سنة ٨٨٩هـ نزل بهذه القبة يوم الجمعة فصلى به إماما الشيخ الدمرداش وخطب خطبة بليغة فأعجب بها السلطان فأنعم عليه بهبة ملكية عظيمة من دنانير كما أقطعه أرضا بنى فى وسطها زاوية له ولفقرائه فاستقال من وظيفته وانقطع للعبادة وزراعة الارض المقطوعة له ، وبنى عددا من الخلاوى حول زاويته لأصحابه ومريديه .

وكان الشيخ الدمرداش مهيب الجانب قوى الشخصية ، قدوة حسنة لأصحابه ومريديه إذ كان يعمل ليأكل[1] من كسب يده ، وقد أفاض الله عليه نعمته فكثر ماله . وقد أوقف ثلثى ماله على إحياء طريقته ومقيمى شعائرها والمستحقين من مريديه وضيافة محبيه وترك الثلث الباقى لابنائه وأسرته . أما عن طريقة الشيخ الدمرداش فى الصوفية فقد جاء فى (الفيوضات النورانية) انه سلك الطريق عن الشيخ الخضرمى ثم الشيخ عمر الوشنى ، وتسير السلسلة حتى تنتهى إلى الشيخ أبى القاسم الجنيد ثم إلى الامام حسن البصرى امام التصوف ثم إلى الصحابى الجليل (حذيفة بن اليمان) رضى الله عنه ، ثم إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ومن مؤلفات الشيخ الدمرداش كتاب القول الفريد فى التوحيد وكتاب تحفة الطلاب فى حضرة الوهاب ، وكتاب جمع الاسرار وكشف الاستار ، وهذا الكتاب الاخير موجود فى المكتبة الاهلية بازمير بتركيا .

وقد توفى الشيخ الدمرداش سنه ٩٢٩هـ (١٥٢٤م) أى بعد زوال دولة المماليك ومجىء العثمانيين ودفن بزاويته (مسجده الحالى) .

وقد خلف الشيخ الدمرداش فى مشيخة الطريقة الدمرداشية عدد من الخلفاء بطريق الانتخاب أو الاختيار حتي انتهت إلى الشيخ عبد الرحيم مصطفى صالح وهو المعروف(بالدمرداش باشا والد السيدة قوت القلوب) وأصبحت وراثية فى أسرته فتولاها أبناء ابنته قوت القلوب .

---

(١) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف - السيد محمود أبو الفيض المنوفى ص ٢٦٣

وصف الجامع

يقع جامع الدمرداش بجوار مستشفى الدمرداش التابعة لكلية طب جامعة عين شمس بأول العباسية . يصفه على مبارك[1] فيقول : هذا الجامع خارج الحسينية وهو مسجد عامر بريع أوقافه تحت نظر الشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، وتتكون مقصورة الدمرداش من قبة قائمة على سبع بوائك وبه منبر من الحجر ودكة من الخشب وصحنه كشف سماوى مفروش بالحجر وفى وسطه ميضأة وبجوانبه خمسون خلوة للصوفية سفلية وعلوية ، وله مذئنة . ويقع مقام الدمرداش عن شمال المنبر وعليه مقصورة من الخشب الخرط ويقصده الزوار كثيرا وله مولد فى شهر شعبان « ويصف على مبارك سلوك الصوفية المقيمين فى خلاوى الدمرداش فيقول : ويمكث مولد الدمرداش ثلاثة ايام وحينئذ يدخل الصوفية الخلاوى متلبسين بالصيام والقيام والأوراد والعزلة عن الناس متريضين تاركين الشبع والنوم ومخالطة الناس ، ولا يخرجون إلا للصلاة مع الجماعة ، فاذا كان آخر ليلة خرجوا لمجالس الذكر ومصافحة الناس وهذه عادة جارية إلى الآن » .

وفى الجهة الغربية للمسجد توجد قبور النساء كتب عليها « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه مدافن الست المصونة والجوهرة المكنونة الست (كليوى) زوجة حسن أفندى رزنا مجى باشا بمصر ، والست المصونة والجوهرة المكنونة الست (هنا) والدة قدوة المحققين وعمدة السالكين أستاذنا الشيخ دمرداش الخلوتى المحمدى توفيت سنة ١١١٢هـ . وبالجهة الشرقية للمسجد يوجد قبر يقال إنه قبر المرحوم سنان باشا عليه كتابة مؤرخة سنة ٩٨٣هـ وهى توافق تاريخ وفاة سنان باشا . وقد جاء فى الجبرتى « أن الفرنسيس سنة ١٢١٤هـ وقت حربهم بمصر نهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغورى والمنيل وغيرهما » .

ويتكون المسجد الآن من حجرة مربعة تقريبا تبلغ مساحتها ١١ × ١٠ مترا تتوسط المسجد فى أركانها الأربعة ثلاثة مقرنصات كبيرة تقوم فوقها مباشرة قبة كبيرة بيضاوية مدببة بها ست عشرة حنية صغيرة ثمان منها مفتوحة كنوافذ ، والثمان الأخرى

---

(١) الخطط التوفيقية

مسدودة كحلية . وفى كل ضلع من أضلاع الحجرة الثلاثة عدا حائط القبلة توجد ثلاثة عقود . ويحتوى جدار القبلة على محراب كبير بجواره من الجهة اليسرى مقصورة من الخشب الخرط بها ضريح الشيخ الدمرداش . ويعلو المحراب نافذة قنديلية مملوءة بالخشب الخرط ، وفى كل ضلع من أضلاع القبة الأربعة توجد نافذة مربعة صغيرة مملوءة بالخشب الخرط . والوصف الحالى للقبة ينطبق تماما مع الوصف الذى ذكره على مبارك فى خططه مما يدل على أن القبة قديمة وترجع الى القرن الثانى عشر للهجرة على أقل تقدير وان كانت قد جدد طلاؤها . أما باقى المسجد فقد أعيد بناؤه لأنه يختلف اختلافا واضحا عن وصف على مبارك له ، اذ أنه يحيط بالقبة الآن من الجهتين الجنوبية والغربية وله سقف خشبى وليس مكشوفا وبه محراب ومنبر فى الجدار الفاصل بينه وبين القبة . كما يوجد (٥٤) خلوة فى دورين (سفلى وعلوى) فى الجهة الجنوبية منه ، ويحيط به من الخارج من جهاته الثلاث الشمالية والغربية والشرقية حديقة ومجموعة من المساكن التابعة لموظفى المسجد .

ويوجد المدخل الرئيسى للمسجد فى الجهة الجنوبية الغربية ويعلوه مئذنة مكونة من ثلاث دورات تنتهى بشكل مبخرة وهى مملوكية الطراز .

زاوية العمود أو ضريح حسن الرومى

بسكة المحجر مسجل برقم

(٢٥٨) (٩٢٩هـ/١٥٢٢م)

أنشأ هذا الضريح الأمير خاير بك بن مالباى ، لأحد الأولياء الصالحين من الأتراك الذى وفد الى مصر فى عهد السلطان الغورى وهو الشيخ حسن الرومى (أى التركى) . ويقال ان مماليك وأمراء السلطان الغورى قد اساءوا اليه كثيرا وعاملوه معاملة مهينة غير كريمة . ويبدو ان مثل هذه المعاملة كان يلقاها جميع الرعايا الأتراك الذين وفدوا مصر فى آخر العصر المملوكى بقصد الدرس أو الاقامة أو الاتجار ، وذلك كرد فعل طبيعى نسبة الى الحروب البحرية التى كانت قائمة فى ذلك بين الدولة العثمانية ودولة المماليك الشراكسة ، والتى انتهت بسقوط دولة المماليك (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) .

وقد كان الشيخ حسن رجلا ورعا تقيا أحبة المصريون والتفوا حوله وانزلوه منزلة رفيعة فى قلوبهم ، مما أوغر صدر المماليك عليه ، فتقولوا عليه عند السلطان الغورى ، الذى أمر ان يضرب ويطرد من الجامع الأزهر ولا تصرف له الجراية التى تصرف للمجاورين . وفعلا ضرب بالسياط وديس بحوافر الخيل حتى أجزاء كثيرة من جسده . الا أن أهل الخير والبر من المصريين سرعان ما تولوه بالعناية والرعاية ، فاستعاد صحته وعافيته ، الا أنه امتنع عن محادثة الناس بعد ان دعا على السلطان الغورى قائلا : اللهم مزق جسده وملكه كما مزق جسدى ، ولا تحرمه من أن يداس بحوافر خيله .

ثم انقطع الشيخ حسن لقراءة القرآن والعبادة ملتزما بالجلوس بجانب عمود معين برواق الأتراك حيث كان يقيم . وقد ظل على جلسته هذه لا يغادر جلسته بجانب العمود قرابة أربع سنوات : سنة فى حياة الغورى ، وثلاث سنوات فى عهد الدولة العثمانية ، ومن ثم فقد أطلق عليه الناس اسم « شيخ العمود » ، بل ان الكثيرين نسوا اسمه الحقيقى .

فلما تولى الأمير خاير بك ولاية مصر ، وهو مملوكى الأصل ، صرف مكافأة له نظير خيانته للسلطان الغورى فى موقعة مرج دابق ، وعلم بقصة الشيخ حسن الرومى أو شيخ العمود ، ورأى أن الله قد استجاب لدعائه على السلطان الغورى حتى أن فرسه داسته بحوافره فى موقعة مرج دابق فتمزق جسده بحيث لم يعثر له على جثة ، تأكد له أن الشيخ حسن هذا من أولياء الله الصالحين أمر ان تبنى له زاوية يدفن فيها بعد وفاته

وقد بدأ العمل فى بناء الزاوية فى حياة الأمير خاير بك أى ٩٢٨هـ الا انها لم تتم الا بعد وفاته ، فأتمها الأمير سليمان باشا الخادم الذى تولى باشوية مصر بعد خاير بك من قبل السلطان سليم الأول .

وقد سجل تاريخ الانتهاء من بناء الزاوية على لوحة وضعت على مدخلها الرئيسى وهو (٩٢٩هـ / ١٥٢٢م)

الوصف المعمارى

تتكون الزاوية من شكل مربع تقريبا إذ تبلغ مساحتها (١٠ متر) طولاً فى (٩) متر عرضا . ويقسم هذا المربع إلى ستة أقسام عمودان من الرخام تقوم فوقهما ثلاثة عقود مستديرة وممتدة ، أوسط العقود أوسعها فتحة واكبرها ارتفاعا . وقد غطى سقف الزاوية بتغطيات متعددة لم يسبق اليها ، فقد غطى المربعان اللذان يقعان أمام وخلف العقد الأوسط الكبير واللذان يبلغ ضلع كل منهما ٤,٥ مترا ، قبتان كبيرتان ، بحيث تقع القبة الجنوبية أمام المحراب ، ثم القبة الثانية الى شمالها . وتتكون منطقة الانتقال التى تقوم عليهما القبتان من مثلثات كروية .

أما القسمان الجانبيان فيبلغ سعة كل منهما (٢,٢٥) مترا وهما بذلك اضيق من المربعين الاوسطين اللذين أقيم فوقهما القبتان ، فيغطيهما قبو نصف دائرى أقل ارتفاعا بطبيعة الحال عن القبتين . وهذه الأقبية فى وضع عمود على حائط القبلة .

ويتوسط جدار القبلة الجنوبى الذى تتقدمه إحدى القبتين محراب مجوف خالى من الزخارف ، اللهم إلا من الوزرة الخشبية ، التى تحيط بالجدار الجنوبى والتى يبدو انها كانت تحيط بجميع الجدران وإن كانت قد اندثرت من الضلعين الغربى والشرقى .

أما الواجهة الرئيسية للزاوية فتقع فى الضلع الشمالى الغربى لها ، ويتوسطها المدخل الرئيسى الذى يعلوه عقد مدبب ، بداخله باب صغير يعلوه عتب فوق لوحة كتب فيها تاريخ تأسيس الزاوية . ويعلو ذلك نافذة معقودة ملئت بالخشب الخرط . ومما يسترعى النظر حقيقة فى هذا المدخل انه قد وضع جزء من عمود يعلوه تاج ارتفاعه بارتفاع نافذة المدخل .

ويحيط بالزاوية صفان من النوافذ من الجانب الشرقى والغربى والجنوبى . الصف السفلى يتكون من نوافذ مستطيلة يعلوها عتب فوقه عقد عاتق ، وقد ملئت بمصبعات حديدية . اما الصف العلوى ففتحاته أصغر ومعقوده . ومما يجدر ملاحظته أن كل صنف يحتوى على ثلاث نوافذ ، اثنتان منهما يقعان فى مربع الدائرة الأولى ، أما النافذه الثالثة فتقع فى الدائرة الثانية وقد احيطت نافذة القسم السفلى والفتحة العلوية داخل عقد ذى

ثلاثة فصوص . وقد خلق فى زوايا اركان مربع الزاوية من الخـارج أربعـة أعمدة قواعدها ترتفع بارتفاع جلسة نافذة الصف السفلى ، بينما ينتهى تاج العمود بارتفاع فتحات الصـف العلوى .

ونلاحظ أن ضريح الشيخ حسن الرومى ، الشـهير (بالعـمود) موجـود تحـت القبة الشمالية بالزاوية . وقد دفن فى نفس هذا الضريح كذلك الشيخ أفغا الديلى أحد الذين تولوا أمور هذا الضريح عندما تولى إلى تكية فيما بعد

ويحدثنا على مبارك عن أمور هذه التكية فيقول : وقد تحولت زاوية العـمود إلى تكية يؤمها عدد كبير من الصوفية والدراويش والمعتقدين فى الشيخ حسن الرومى .

كذلك اهتمت الرزنامة اهتماما خـاصا بهـذه التكية ولمن يفـد عليهـا من الدراويش فخصصت لها ايرادا سنويا يصرف عليها وعلى من يردها من الدراويش مقداره (٤٠٠٠) قرش فى السنة .

مسجد العارف بالله أبو السعود الجارحي

أبو السعود له جاه ومنقبة
من زار ساحته يبلغ به أمله
(٩٣١هـ/١٥٢٥م)

هو الشيخ العارف بالله أبو السعود الجارحي ، ذكره الشعراوى فى طبقاته على أنه من شيوخ المتصوفين فى القرن العاشر الهجرى وذكرت معظم المراجع التاريخية[١] وكتب الطبقات[٢] تاريخ وفاته سنة ٩٣١هـ ولكن لم يعن أحد منها بتحديد أو ترجيح تاريخ مولده إلا أننا نرجح اعتمادا على الاحداث التاريخية ، إنه من مواليد النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى ، إذ يذكر ابن اياس فى حوادث سنة ٩٢٢هـ ، أنه لما بلغ أمراء المماليك قتل السلطان الغورى فى موقعة مرج دابق ، وقع اختيارهم على الأمير طومان باى الذى كان يشغل وظيفة الدوادارية الكبرى والاستادارية العليا وكاشف الكشاف ونائب السلطان فى غيبته . الا أن الامير طومان باى اعتذر عن قبول السلطنة وامتنع غاية الامتناع ، لكنه اضطر تحت الحاح الأمراء وقولهم : « ما عندنا سلطان الا أنت » أن يذهب الى ولى الله الصالح ابى السعود الجارحى الذى له فيه اعتقاد كبير لكى يستخير له الله فى أمر توليه كرسى السلطنة وهنا يقول ابن اياس : « ثم ركب طومان باى ومعه الامير علاء وجماعة من الامراء المقدمين وتوجهوا الى كوم الجارح عند الشيخ أبى السعود ، فلما جلسوا بين يديه وذكروا له تعلل الامير طومان باى على السلطنة بأنواع من العلل ، منها خزائن بيت مال المسلمين ليس فيها درهم ولا دينار للانفاق على العسكر . ومنها أن الامراء قد يغدرون به ويرسلونه الى السجن بثغر الاسكندرية . فأحضر الشيخ أبو السعود بين يدى الامراء مصحفا شريفا حلفوا عليه بأنهم اذا سلطنوه لا يغدرونه ولا يثيرون فتنا ، وانهم ينتهون عن ظلم المسلمين ، فلما انتهوا أمر الشيخ أبو السعود الأمير طومان باى بقبول السلطنة فقبلها .

---

(١) ابن اياس بدائع الزهور (حوادث سنة ٩٢٢هـ) الخطط التوفيقية لعلى مبارك جـ٤ ص ٥٠.٥١.

(٢) طبقات الشعراوى جـ٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠

يقول الشعرانى إن الشيخ أبا السعود كان من أجل من أخذ عن الشيخ شهاب الدين المرحومى، وكانت له فى مصر الكرامات الخارقة، وأنه كان كثير المريدين والتلاميذ. له القبول عند العام والخاص. ولكننا لا نعرف من أين أتى ابو السعود وهل هو مصرى الاصل أو النشأة فقط، بل أننا لا نكاد نعرف شيئا عن طفولته أو شبابه المبكر، ولكننا التقينا به عندما اكتملت شخصيته وكثرت مكاشفاته وأصبح له مريدون وأتباع وله زاوية فى كوم الجارحى ويقول على مبارك وكان يساعده فى بناء زاويته الملوك والوزراء وغيرهم فكانوا يحضرون بين يديه خاضعين يعملون بأيديهم فى عمارتها فى حمل الطوب والطين وعمل له سرب تحت الأرض كان يدخله من أول رمضان يعتكف فيه طول الشهر فلا يخرج منه الا بعد العيد بستة ايام. ويضيف الشعرانى على هذه الرواية قوله: « وذلك بوضوء واحد من غير أكل وأما الماء فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية، ورغم ذلك كان يقول إنى لم أبلغ إلى الآن مقام مريد ولكن الله يستر من يشاء ».

وكان الشيخ أبو السعود رضي الله عنه يقول ليس لى أصحاب، وقد عزا السبب فى ذلك فى حديثه إلى الشعرانى عندما قال: من حين عملت شيخا فى مصر لى سبع وثلاثون سنة ما جاء لى قط أحد يطلب الطريق الى الله ولا يسأل عن حسرة ولا عن قرة ولا عن شيء يقربه الى الله. وانما يقول أستاذى ظلمنى وامرأتى تناكدنى وجاريتى هربت وجارى يؤذينى، شريكى خاننى وكلت نفسى من ذلك وحننت إلى الوحدة وما كان لى خيرة إلا فيها فياليتنى لم أعرف أحدا ولم يعرفنى أحد.

وكان أبو السعود عفيف النفس لا يقبل منحة ولا هدية فقد حدث أن جاء أحد أمراء المماليك بقفص موز ورمان، فرده عليه فقال الأمير هذا لله تعالى، فقال الشيخ إن كان لله فاطعمه للفقراء فأخذه الامير وعاد به إلى بيته، فأرسل أبو السعود فقيرين بصيرا وضريرا وقال لهما الحقاه وقولا له يا أمير اعطنا شيئا لله من هذا الموز والرمان فلحقاه وقالا يا أمير اعطنا شيئا لله فنهرهما ولم يعطهما شيئا فرجعا وأخبرا الشيخ بما وقع لهما، فأرسل الشيخ إلى الامير يقول له تقول هذا لله وتكذب على الفقراء وتنهر من يقول لك اعطنا يا أمير شيئا فلا عدت تأتينا بعد ذلك اليوم.

ويذكر ابن اياس إن الشيخ أبا السعود صار يتصرف فى أمور المملكة فى عهد السلطان طومانباى فاخذ يعزل ويولى ويعاقب ويثيب فمن ذلك ما حدث للزينى بركات ابن موسى محتسب القاهرة معه وذلك أن شخصا مدابغيا يبيع الجلود يقال له الدمراوى جار

عليه ابن موسى وأراد أن يقبض عليه ، فتوجــه الدمراوي الى أبي الســعود واحتمى به فأرسـل الشيخ رسالة لابن موسى يتشـفع فيه فلم يلتفـت ابن موسى الى رســالة الشــيخ ، فأرسـل الشيخ خلفـه فلما حضر عنده فى كوم الجـارح وبخـه الشـيخ فحنق منه ابن موسى وقام من عنده على غير رضى ، فأرســل الشــيخ الى الامير علان (الدوادار الكبير) فلما حضر قال له ضعه فى الحديد وشاور السـلطان عليه وأعلمه بأنه يؤذى المسـلمين . فأرسـل إليه السلطان يقول افعل فيه ما شئت فامر الشيخ باشـهار ابن موسى فى القـاهرة ثم بشـنقه على باب زويلة . ولكن الامير علان عاود الشــيخ فى أمره بأن عليه دينا ومالا للســلطان يضيع بشنقه ، فعفا الشيخ عنه من القتل وأبقاه فى الحديد ولكن الناس انكروا على الشـيخ هذه المعــاملة القــاسية التى اتبعــها الشــيخ مع ابن موسى حتى أفرج عنه وفكت قيوده الحديدية .

ويحدثنا الجبرتى عن بعض ذرية الشيخ أبى السعود الجارحي الامام العـلامة شـمس الدين ابى عبد الله ، كان اماما محققـا له باع فى علمى الفقـه والحـديث . وكان مسكنه فى باب الحديد احد أبواب القاهرة على الضفة الشرقية لنهر النيل .

ولما حضرت الشيخ أبا السعود الوفاة أرسل الى شيخ الاسـلام الحنفـى وجماعة من الصوفية وقال لهم أشهدكم انى ما أذنت لأحد من أصحابى ليكون خليفتى ، فما منهم أحد شم رائحة الطريق ثم قال اللهم اشـهد وكان يردد دائما لا تجعـل لك قط مريدا ولا زاوية وفر من الناس فان هذا زمان الفرار . ويقول الشيخ الشعرانى « سمعته مرة يقول لفقيه من الجـامع الأزهر متى تصـير (هاء) الفقيه (راء)؟ وتوفى رحمة الله عليه سـنة ٩٣١هـ ودفن بزاويته بالكوم الخـارج بالقـرب من جــامع عمرو فى السرداب الذى كان يعكتف فيه وقد حصل لى منه دعوات وجدت بركتها » .

الوصف المعماري

ويتكون مسجد أبى السعود من ضريح كبير ملحق به مسجد للصلاة ، والضريح عبارة عن حجرة مربعة بكل ركن من أركانها الأربعة مقرنص كبير تعلوه رقبة اسطوانية بها أربعه نوافذ مملوءة بالجص المخرم والزجاج المتعدد الالوان ، وان كان قد سقط معظمه . وتقوم فوق الرقبة قبة ممتدة وهى من الاصلاحات التى أجريت للضريح فى العصر العثمانى . أما المسجد فبسيط فهو عبارة عن مربع به صفان من الاعمدة يتكون كل صف من عمودين . وتقسم صفوف أعمدة المسجد إلى ثلاثه أروقة ، وفى جدار القبلة يوجد محراب كبير تحيط بعقده آيات قرآنية وملحق بالمسجد والضريح ساحة كبيرة تقام فيها الذكور كل أسبوع .

مسجد سليمان باشا الخادم

بالقلعة مسجل برقم (١٤٢) (٩٣٥هـ/١٥٢٨م)

سبق أن ذكرنا شيئا مجملا عن تاريخ هذا المسجد عند الحديث عن تجديد (جامع سارية[1] الجبل) بالقلعة . فقد ذكر المقريزى[2] عن البقعة التى يشغلها الآن مسجد سليمان باشا ، انه كان يشغلها على قلعة الجبل ، قبل بناء قلعة صلاح الدين عدة مساجد منها مسجد قسطة ، الذى أنشأه أبو منصور قسطة ويضيف المقريزى فيقول : وكان أصل منصور قسطة غلاما أرمينيا من غلمان المظفر ابن أمير الجيوش .

ويذكر الحافظ أبو الطاهر السلفى عند حديثه عن جامع قسطة ، أنه كان يوجد بالقلعة مسجد الردينى .

ويكمل لنا أحمد[3] رمزى تاريخ المساجد التى حل محلها مسجد سليمان باشا فى القرن العاشر الهجرى فيقول : اعتمادا على ما جاء بالمقريزى ، وعلى اللوحة التأسيسية التى نقلت من مكانها ووضعت على قبر أبى المنصور قسطة تبين لنا ، أن هذا المسجد أنشأه أبو منصور قسطة الأرمنى الذى كان واليا على الاسكندرية فى العصر الفاطمى ٥٣٥هـ ، وان هذا المسجد قد انتقل إليه ابو الحسن الردينى واستمر فى التدريس به إلى أن مات ٥٤٠هـ . ثم اختتم على مبارك[4] تاريخ المسجد فقال ان سليمان باشا الخادم ، جدد هذا المسجد ٩٣٥هـ ، كما هو ثابت على اللوحة التأسيسية أعلى الباب الغربى .

وقد كان سليمان باشا من رجال الدولة العثمانية البارزين فى عهد السلطان سليمان فقد كان قائد الحملة التى ارسلت لمساعدة الأمراء المسلمين فى الهند . وقد تولى سليمان

(١) المؤلفة : مساجد مصر جـ٢ ص ٣٨

(٢) المقريزى : الخطط والآثار

(٣) . ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٥ (حاشيه)

(٤) الخطط التوفيقية جـ٥ ص ١٤

باشا الخادم ولاية مصر فى عهد السلطان سليمان القانونى (٩٣١ / ١٥٢٥) واستمر بها حتى (٩٤١هـ / ١٥٣٥م). ثم عاد وتولى مصر مرة ثانية من (٩٤٣هـ الى ٩٤٥هـ) (١٥٣٦ - ١٥٣٨م)، وقد قام سليمان باشا فترة ولايته لمصر ببعض الاعمال العمرانية التى ما تزال تذكر له حتى الآن، فقد قام بعمل أدق مساحة لأقاليم مصر التى سجلت فى دفاتر عرفت بدفتر (ترابيع) وذلك ٩٣٣هـ / ١٥٢٧م) وقد عمل بدفتر الترابيع طوال العصر العثمانى على اعتبار انه اساس مساحة الأراضى الزراعية بمصر

ولعل السبب فى كثرة إنشاء وتجديد المساجد والجامعة منها بصفة خاصة، بمصر عامة ومدينة القاهرة بصفة خاصة، ذلك التغيير المذهبى الذى حدث فى عهد السلطان سليمان القانونى.

فقد حدث فى جمادى الثانية (٩٢٨هـ / ١٥٢٢م) أن أرسل السلطان سليمان إلى مصر قاضيا عثمانيا على المذهب الحنفى عرف بقاضى عسكر افندى ليتصرف فى الأحكام الشرعية على المذاهب السنية الأربعة. وكان القضاء قبل ذلك فى يد القضاة المصريين على المذاهب الأربعة، وبتعيين القاضى العثمانى ألغى نظام القضاء المملوكى بقضاته الأربعة[١] واقتصر على المذهب الرسمى للدولة وهو المذهب الحنفى. ومن ثم فقد اقتصر التدريس فى المساجد العثمانية على المذهب الحنفى وقد استتبع ذلك ضرورة إنشاء عدد كبير من المساجد لنشر المذهب الحنفى.

---

(١) ابن اياس: بدائع الزهور جـ٥ ص ٤٥١ - ٤٦٠

الوصف المعمارى

يقع جامع سليمان باشا الخادم داخل أسوار قلعة الجبل ، كما أسلفنا القول ، ولعله أول المساجد التى أنشئت فى مصر على الطراز العثمانى .

ويتكون الجامع من مستطيل كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب . وينقسم هذا المستطيل إلى مربعين متساويين تقريبا ، الشمالى منهما يتوسطه فناء مكشوف تحيط به الاروقة من جهاته الأربع . ويغطى كل رواق أربعة قباب ضحلة تقوم على أكتاف حجرية ويعرف هذا المربع باسم الحرم .

أما المربع الجنوبى وهو مكان الصلاة ، وهو يتصل بالحرم على طريق باب فى الضلع الجنوبى لرواق الحرم تعلوه الكتابة التذكارية للجامع ويغطى مكان الصلاة قبة كبيرة مبنية من الحجر تقوم على مثلثات كروية ، ويحيط بها من جهاتها الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية أنصاف قباب ، أما الضلع الشمالى فيشغله حنية معقودة .

وهذا النوع من التغطيةً فى محل الصلاة يعتبر من مميزات العمارة العثمانيةً ، لم ينتشر كثيرا فى مصر اذ لا نجد له مثيلا بعد ذلك ، اللهم إلا فى جامع محمد على باشا بالقلعةً .

ويحتوى الجامع على خمسة مداخل خارجية ، اثنان فى مربع محل الصلاة ، أما المداخل الثلاثة الاخرى فتتوسط كل مدخل منها أحد أضلاع الحرم الخارجية .

ويقول ايليا شلبى[1] إنه كان يوجد للجامع حديقة تقع خلف المحراب ، كما كان يوجد للجامع شزروان خارج الجامع من الجهة الغربية كانت تستعمل للوضوء .

ولعل من الأشياء التى ينفرد بها جامع سليمان باشا احتواءه على ظلة تتقدم الضلع الشرقى منه ، وتشغل ما يقرب من ثلثيه . وهى تتكون من سقف مسطح مزخرف برسوم محفورة حفرا دقيقا . وترتكز الظلة على تسعةً أعمدة خشبيةً مزخرفةً كذلك .

ويتوسط الضلع الجنوبى من مكان الصلاة محراب القبلة وهو مكسى بالرخام ومزخرف برسوم هندسية . وفى الضلع المقابل للمحراب توجد حنية تضم دكة المبلغ التى

---

(١) عن جامع الملكة صفية لهدايت تيمور ص ٢٠٥

تقوم على كوابيل خشبية جميلة . وبجوار المحراب يوجد المنبر الرخامى الابيض الجميل ، نقشت فيه رسوم وزخارف نباتية وكتابية جميلة .

وقد حظى جامع سليمان باشا بالعديد من أنواع الزخارف وبخاصة القبة الرئيسية والقباب الضحلة وكذا انصاف القباب . فقد نقشت بعض أجزائه بالرسوم الزيتية الملونة ، وكذا الزخارف الكتابية التى تكسو جدران مكان الصلاة إذ تحيط به وزرة تحتوى على كتابة قرآنية بالخط الكوفى المزهر بالاسلوب العثمانى المربع والمضفور .

كما استخدمت فى زخرفة قبابه بلاطات خزفية صنعت وفقا للاساليب المملوكية من حيث الطينة والألوان ، وهى ذات لون واحد هو اللون الأخضر[١]

أما مئذنة الجامع فتقع بين الحرم ومكان الصلاة ، وهى أسطوانية الشكل متعددة القنوات مسحوبة إلى أعلى يتخللها شرفتان ترتكز كل منهما على ثلاثة صفوف من المقرنصات والدلايات . وتنتهى المئذنة بالشكل المخروطى الذى أصبح شارة من شارات العمائر الدينية العثمانية .

---

(١) ربيع حامد خليفة ، البلاطات الخزفية فى عمائر القاهرة العثمانية ص ١٦٣ (رسالة ماجستير مخطوطة كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٧م)

زاويــة الشيخ سعــود

بشـارع سويقة العزى

بسوق السلاح بالقاهرة سجل

رقم (٥١٠) (٩٤١هـ/١٥٣٤م)

تقع زاوية الشيخ سعود بشارع سويقة العزى[1] المتفرع من حى سوق الســلاح بمدينة القاهرة . ويمتد هذا الشارع قرابة (٤٧٠) مترا ، وقد عرف بهذا الاسـم ، ذلك انه لما اختطت هذه الجهة عرفت هذه السويقة باســم الأمير عز الدين أيبك العــزى نقيب الجيش فى عهـد السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

وقد كانت هذه السويقة من جملة المقابر التى تقع خارج سور القـاهرة الجنوبى فيما بين الباب الجـديد والحـارات وبين بركة الفيل وبين جبل المقـطم الذى اقيمت عليه قلعـة الجبل ، كما يقول المقريزى .

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ١٠٥

الوصف المعمارى

وتعتبر زاوية الشيخ سعود المجذوب التى تقع فى شارع سويقه العزى من أهم الزوايا التى ترجع الى العصر العثمانى . وهى عبارة عن مبنى مربع صغير بداخله ضريح الشيخ سعود ، الذى اقامه له سليمان باشا الخادم (٩٤١هـ / ١٥٣٤م) . وكانت شعائره مقامة وله مولد يعقد سنويا . ولما توفى الشيخ سعود ٩٤١هـ دفن داخل هذه الزاوية تحت قبتها الخضراء .

وتتكون الزاوية من مربع صغير تغطيه قبة مرتفعة ترتكز على مثلثات كروية ، وهى بذلك تشبه جامع سليمان باشا بالقلعة . ويقابل هذه المثلثات الكروية فى الداخل شكل هرمى كبير فى الخارج يقوم على قاعدة تعلو المربع مباشرة .

وتقوم القبة على رقبة مرتفعة فتحت بها ست عشرة نافذة معقودة كانت مملوءة من الداخل بزجاج معشق متعدد الألوان ، فقد معظمه الآن .

أما القبة فهى مستديرة الشكل ولعل السبب فى ذلك هو أنها تغطى مربع الزاوية كله . وقد عرفت الزاوية باسم القبة الخضراء نسبة الى انها كانت مكسوة كلها ببلاطات القاشانى الأخضر اللون .

ويحدثنا السيد ربيع حامد[1] خليفة عن البلاطات الخزفية التى كانت تغشى القبة من الخارج فيقول تكسو البلاطات الخزفية الجزء السفلى للقبة من الخارج ، وهى بلاطات مربعة الشكل وذات لون واحد هو اللون الأخضر ، وذلك فى ست صفوف متتالية . ومن المحتمل أن تكون القبة كلها كانت مكسوة بهذه البلاطات الخضراء ، ومن ثم فقد أطلق عليها اسم القبة الخضراء ، كما جاءت فى الخطط التوفيقية ويفصل السيد ربيع طريقة تركيب هذه البلاطات الخزفية فيقول : وقد ثبتت هذه البلاطات بواسطة مسامير مدقوقة فى منتصف كل بلاطة . وقد استعمل هذا الأسلوب فى تثبيت البلاطات الخزفية منذ العهد المملوكى ، كما هو الحال فى قبة الإمام الشافعى ، فقد ثبتت البلاطات بواسطة مسامير ذات رؤوس كبيرة مدقوقة فى الفواصل بين البلاطات .

أما عن الطراز الفنى الذى استخدم فى كسوة قبة الشيخ سعود ، فقد صنعت وفقا للاساليب المملوكية كما يتضح ذلك من طينتها وألوانها وطريقة لصقها .

---

(١) البلاطات الخزفية فى عمائر القاهرة فى العصر العثمانى ص ١٦٤

مسجد الشيخ سطيحة

بشبرا قباله منوفية

(٩٤٢هـ/١٥٣٥م)

هو عمدة المحققين الشيخ أحمد شهاب الدين أبو مسلم الملقب « بالسطيحة » وهو حفيد الشيخ سليم أبو مسلم بن يوسف أبى يعقوب الهمذانى العراقى الذى ينتهى نسبه الى جعفر الصادق . وقد ولد الامام يوسف أبو يعقوب الهمذانى بقرية (بوزتجرد) من ضواحى همذان ، كما يقول السمعانى ، ويضيف ابن خلكان انه قدم فى صباه سنة ٤٩٠هـ بغداد ولازم الشيخ أبا اسحق الشيرازى وتفقه عليه حتى برع فى اصول الفقه والمذهب ، وسمع الحديث من القاضى أبى الحسين المهتدى بالله وقريبه ابى جعفر محمد بن احمد ابن أبى مسلم وكان رحمه الله يسجل ويدون كل ما يسمع ويرى فى مخطوطات حرصا منه على استيعابها والانتفاع بها عند الحاجة ثم انقطع بعد ذلك للعبادة والتصوف والسياحة والرياضة الروحية حتى صار علما من علماء الصوفية فى عهده . وفى سنة ٥٣٥ هـ عاد إلى بغداد واستقر به المقام فى المدرسة النظامية حيث كان يجلس للوعظ والارشاد وصادف قبولا عظيما من الناس .

أما ولده الشيخ أبو مسلم الجد الرابع لشيخنا شهاب الدين سطيحة فقد ولد سنة ٥٣١هـ بمدينة همذان بايران التى كانت وقتئذ مركزا هاما من مراكز الشيعة فى العصر العباسى ولذلك فقد وفد إليها واقام بها عدد كبير من أحفاد الائمة من العلويين والمتشيعين لهم . وكان لابى مسلم عم اسمه السيد منصور تفقه فى الفقه على مذهب الامام الشافعى ، ولذلك ترك أقاربه وأهله فى بغداد قبل رحلتهم الى همذان ، وحضر الى مصر وكان ذلك فى أواخر القرن السادس الهجرى . وعرف بين المصريين بعلمه وادبه وزهده وتقواه ، فقلده صلاح الدين الايوبى ، كما يقول ابن الأثير ، خطبة الجمعة بالمسجد الكبير بمصر (أى جامع عمرو بالفسطاط) . فلما توفى السيد منصور فى زمن السلطان العادل أيوب ، حل

محله فى الخطبة ولده ابراهيم . وكان ابراهيم مصرى المولد والنشأة ولد سنة ٥٦٣هـ ، وكان كما يقول ابن خلكان شاعرا رقيقا يكاد يتشابه بشعر الاندلسيين غير أن عليه مسحة من التصوف ومكارم الاخلاق ظاهرة واضحة . وقد جاء الى ابراهيم ابن عمه الشيخ سليم ابو مسلم سنة ٦١٠هـ فى عهد السلطان العادل ، ولكنه لم يبق فى القاهرة غير أسبوع واحد ثم توجه مع فئة كبيرة من أهله الى الشرقية حيث استقر عدد كبير من القبائل العربية منذ الفتح الاسلامى ، واتخذ له خلوة فى محلة (بحطيط) التى عرفت فيما بعد باسم كفر ابى مسلم .

وقد أدلى الشيخ سليم بدلوه فى سبيل الجهاد لنصرة الاسلام والمسلمين بشتى الصور ، فتارة نراه واعظا مرشدا الى ضرورة الجهاد فى سبيل الله بمحاربة أعداء الله وأعداء البلاد من الصليبيين وأخرى يخرج من قريته ومعه وفود كبيرة من أهله واتباعه الى ساحة الوغى يبشر المجاهدين بان لهم الجنة . وكان فى بعض الاحيان يحمل على ظهره ابريقا كبيرا يسقى منه الجنود فى ساحة الوغى . وظل على هذا الحال حتى فارق الدنيا فى عهد الملك الصالح نجم الدين الايوبى ٦٤٥ ودفن حيث كانت خلوته بكفر (ابى مسلم) حاليا .

أما عن شيخنا احمد سطيحة حفيد سليم أبى مسلم ، فقد كان من الراسخين فى العلم ، كما يقول الشعرانى ، ولد فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى ، وعاصر فى صباه السلطان الأشرف قايتباى وكان يقضى معظم أوقاته فى زاوية الشيخ الشعرانى . فقد جاء فى طبقاته لقد صحبت الشيخ احمد سطيحة عشرين عاما وأقام عندى أياما وليالى وكان رضى الله عنه يقول : ما أحببت أحدا فى عمرى قدرك (يعنى الشعرانى) وكان الشيخ سطيحة رحمه الله واسع العلم متفقها فى أمور دينه سميرا حلو الحديث ، خيّرا كثير الكرامات . حتى ذاع أمره بين الناس الى ان أصبح السلطان الغورى من أكثر المترددين عليه ، وكذا الكثير من أمراء المماليك وكبار رجال الدولة . وهنا يقول الشعرانى ، وكان رضى الله عنه يتكلم فى الخواطر ، ويقضى حوائج الناس عند الأمراء وولاة الامور وطريقه مخلاه بلا معارض » .

وكان الشيخ أحمد كسيحا ، ومن هنا عرف (بالسطيحة) ، وكان يحضنه خادمه على الفرس كالطفل ، وله طرطور جلد طويل وله زناق من تحت ذقنه (طاقية ولها رباط تحت الرقبة) . ويلبس الجبب الحمر ، ويضيف الشعرانى فيقول ، وكانت آثار الولاية لائحة

عليه ، اذا رآه انسان لا يكاد يفارقه » ويقص علينا الشعرانى قصة فى هذا المقام فيقول : حاكى شخص ملابس الشيخ سطيحة ، فعمل له طرطورا وركب على فرس وحضنه خادم فانكسرت رقبته فصاح اذهبوا الى الشيخ سطيحة ، فأتوه به فضحك الشيخ عليه ، وقال تزاحمنى على الكساح تب الى الله ورقبتك تطيب ، واستغفر ، فطابت رقبته وقلع الطرطور وصار يخدم الشيخ الى أن مات .

وكان للشيخ أحمد سطيحة بعض العادات التى انفرد بها هو والشيخ أحمد الفرغل فى لبسه ، كل جمعة مركوب جديد يقطعه مع أن سطيحة لا يتحرك . ويقول الشيخ الشعرانى ، وكان فى عصمته اربع سيدات ، وكانت كفه كالعجين وكان خفيض الصوت ، لا يتكلم الا همسا كثير المباسطة ، خفيف الذات ، سخيا كريما ، فقد حدث ان وردت عليه مرة من بلد سيدى احمد البدوى فقال كم نفر معك فقلت سبعة ، فاستضافنا تلك الليلة ، وكان الوارد على زاويته كثيرا فكان يعشى ويعلق للبهائم وله زرع كثير والناس تقصده بالهدايا من سائر البلاد .

ويقص علينا الشيخ الشعرانى الكثير من كرامات الشيخ أحمد سطيحة التى تبدو الكثير منها أشبه ما تكون بالاساطير فمن ذلك قوله : ووقعت له كرامات كثيرة ، منها أن ام زوجته تسللت عليه ليلة فرأته قد انتصب قائما سليما من الكساح كأحسن الشباب فلما شعر بها زجرها فخرست وتكسحت وعميت الى أن ماتت . ومن كراماته انه شفع عند أمير من الامراء كان نازلا بمنف ، فقبل شفاعته فلما خرج من عنده رجع وحبس الرجل ثانيا ، فطلعت فى رقبته غدة فخنقته فمات ليومه ويضيف الشعرانى أن من كراماته انه وقف بباب زاوية مرة وهو فى شفاعة عند الباشا (أى الوالى التركى) فقال : يكون خاطركم معنا فى هذه الشفاعة ، فاخذتنى حالة ، فرأيت نفسى واقفا على باب الكعبة ، فقال : يا هو أبعدت عنا ، وكان رضى الله عنه يعرف سريان القلوب وكان رضى الله عنه صائم الدهر .

وقد توفى الشيخ أحمد سطيحة فى سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ، ودفن بزاويته بشبرا قبالة بمحافظة المنوفية ، وقبره ظاهر يزار ، ويقول الشيخ الشعرانى انه كان دائم الدعاء على قريته بالخراب وعلى أهلها الذين كانوا ينكرون عليه ولايته ، فوقع بينهم القتل وخربوا فقلت له الفقير (أى الولى المتصوف) يعمر بلده ولا يخربها ، فقال هؤلاء منافقون فى حصادهم مصلحة للدين ، فنسأل ان يحفظنا من وسوسة الشيطان والحمد لله وحده .

الوصف المعمارى

دفن الشيخ أحمد سطيحة كما سبق القول فى زاويته وخلوته التى كان يقيم ويتعبد فيها فى شبرا قبالة ، وهى عبارة عن حجرة مربعة تعلوها قبة تقوم فوق رقبة مثمنة الشكل . وقد الحق الآن بالضريح فى ضلعه الشمالى مسجد كبير ، يتكون من مسطيل يقسمه صفان من الاعمدة الى ثلاثة أروقة ، الاوسط منها أوسعها حيث توجد به فتحات للإضاءة والتهوية . وتعلو الاعمدة عقود نصف دائرية ، والاروقة عمودية على حائط القبلة . وتوجد مئذنة المسجد بجوار مدخله الرئيسى فى الجهة الشمالية الشرقية . وتقوم المئذنة على قاعدة منفصلة عن المسجد وهى اسطوانية الشكل وتتكون من ثلاث دورات يفصل بينها شرفات . والدورة الثالثة تتكون من ثمانية أعمدة يعلوها الهلال ، ويزخرف بدن المئذنة رسوم هندسية متعرجة غاية فى الدقة والابداع ناتجة عن استخدام آجر مختلف الألوان وفى اوضاع هندسية متعددة .

وبجوار المسجد توجد مجموعة من الاضرحة تعلوها قباب وهى لابناء الشيخ سطيحة فقد تفرع من أبناء وأحفاد هذا الامام ذرية كثيرة منها من هو موجود بشبرا قبالة منوفية ومنها من هو موجود بقطيفة العزيزية شرقية ومنها من هو موجود بالحكيمة دقهلية ، ومنها من هو موجود بكفر ربما غربية ، كما يوجد فرع منها بالقاهرة ببولاق وباب الشعرية .

جامع الشيخ شاهين الخلوتى

بسفح جبل المقطم

(٩٤٥هـ/١٥٣٨م)

ولد الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدى بمدينة تبريز بايران فى القرن التاسع الهجرى اذ لا يعرف تاريخ ميلاده على وجه التحديد. وأمضى فى فارس طفولته ومعظم شبابه ثم رحل الى مصر فى عهد السلطان الاشرف قايتباى[١]، وكان ذا همة وشجاعة جميل الخلقة ممشوق القوام، فاشتراه السلطان واصبح من مماليكه الجلبان، وانتظم فى جنده. ولكن حياة المماليك والجندية لم توافق مزاج شاهين ولا طبيعته التى فطر عليها، فقد كان منطويا يحب العزلة ولا يطمئن الا الى صحبة الفقهاء ورجال الدين، فحفظ القرآن والكثير من الاحاديث. فلما عرف السلطان عنه هذه الصفات قربه منه وصار لا يبرح مجلسه ولما طلب منه شاهين أن يتركه ويخليه[٢] لعبادة ربه فعل وأعتقه فساح الى بلاد فارس وهناك تتلمذ على يدى الشيخ العارف بالله تعالى عمر روشنى الموجود بمدينة تبريز. حتى أصبح من أقرب تلاميذه ومريديه اليه. وأخذ عنه الطريق.

ثم رجع الى مصر وصاحب ولى الله محمد الدمرداش بالعباسية وأصبح من أعز رفقائه ومريديه، ولذلك عرف باسم شاهين الدمرداشى المحمدى، كذلك أخذ الشيخ شاهين عن الشيخ أحمد بن عقبة اليمنى وحسين جلبى المدفون بزاوية الدمرداش. ولما توفى الشيخ الدمرداش ترك العباسية وسكن جبل المقطم وبنى له فيه معبدا وحفر له فيه قبرا. وكان طبيعيا أن يلجأ الزهاد والمتصوفون الى جبل المقطم يتخذون من سفحه مقاما ومن أوديته مناما بعد أن عرفوا تقديس الديانات السماوية السابقة على الاسلام له وتكريم المسلمين ايضا، فيقول ابن الزيات[٣]: إن جبل المقطم كان اكثر الجبال انهارا واشجارا ونباتا،

---

(١) المناوى: الكواكب الدرية ج٤

(٢) الشعرانى: الطبقات الكبرى

(٣) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ص ١٢

فلما كانت الليلة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، أوحى الى الجبال ، أنى مكلم نبيا من أنبيائى على جبل منكم ، فتطاول كل جبل ، وتشامخ ، الا جبل طور سيناء ، فانه تواضع وتصاغر ، فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ، لم فعلت ذلك وهو به أعلم ، قال : اجلالا لك يارب . فاوحى الله تعالى الى الجبال أن يجود كل جبل بشىء مما عليه الا المقطم فانه جاد له بجميع ما كان عليه من الشجر والنبات والمياه فصار كما ترون أقرع . قال : فلما علم الله سبحانه وتعالى ذلك عنه ، أوحى اليه لأعوضنك عما كان على ظهرك لأجعلن فى سفحك غراس أهل الجنة .

وحكى الامام الليث بن سعد ، أن المقوقس سأل عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه سفح جبل المقطم بسبعين ألف دينار ، فكتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فرد عليه عمر قائلا : سله لماذا أعطاك ما أعطاك فيه وهو لا يزرع ولا يستنبط منه ماء . فسأل عمرو بن العاص المقوقس عن ذلك فقال : انا نجد فى سفحه فى الكتب القديمة انه يدفن فيه غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين فرد عليه قائلا : انا لا أعرف غراس الجنة الا للمؤمنين ، فاجعلها مقبرة لمن مات قبلك من المسلمين .

ولم يزل الشيخ شاهين مقيما فى خلوته فى جبل المقطم لا ينزل الى مصر نحو ثلاثين سنة ، واشتهر أمره فتردد عليه الامراء والوزراء لزيارته والتبرك به . وكان كثير المكاشفة قليل الكلام جدا ، وفى ذلك يقول الشعرانى : كنا نجلس عنده اليوم كاملا لا تكاد تسمع منه كلمة . وكان كثير السهر متقشفا فى الملبس معتزلا عن الناس وظل كذلك حتى توفى سنة ٩٠١هـ .

الوصف المعمارى

يقع مسجد شاهين الخلوتى بسفح جبل المقطم، مرتفع الأرضية يصعد اليه بمزلقان وقد أنشأ هذا المسجد جمال الدين عبد الله نجل العارف بالله شاهين الخلوتى مكان الخلوة التى كان يقيم بها والده. ونقش على بابه تاريخ الانشاء، فقد جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرخيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله» الى آخر الآية، أنشأ هذا الجامع ووقفه العبد الفقير الى الله تعالى جمال الدين عبد الله نجل العارف بالله تعالى الشيخ شاهين الخلوتى افتتح سنة خمس وأربعين وتسعمائة. ويصف على مبارك[1] المسجد فيقول: وبه أربعة أعمدة من الحجروقبلته مشغولة (مزخرفة) بقطع من الرخام الملون ومطعم بالصدف ويكتنفه عمودان من الرخام. كما يحتوى الجامع على منبر من الخشب ودكة المبلغ قائمة على عمود من الرخام. وهناك بداخله تربتان، احداهما تربة من الرخام مكتوب بدائرها آية الكرسى. كما يوجد بأسفل المسجد جملة من الخلاوى الصوفية، وله ميضأة ومرافق وبه صهريج صغير.

وقد حرص كبار الرحالة الذين وفدوا على مصر على زيارة ضريح الشيخ شاهين الخلوتى رغم المشقة التى يتكبدها من يريد الوصول اليه، فقد كان عليه الصعود الى سفح جبل المقطم فى مطلع غير معبد وكثير الانحدار، ومن هؤلاء الرحالة النابلسى[2] الذى قال: وسرنا الى أن دخلنا جامع الشيخ شاهين الدمرداشى الذى اشتهر بالصلاح والتقوى، فقد كان يغتسل لكل صلاة».

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٥ ص ٣١

(٢) الحقيقة والمجاز

التكيــة السليمانيــة

بشارع السروجية بالقاهرة

مسجلة برقم (٢٢٥)

(٩٥٠هـ/١٥٤٣م)

من المعروف ان الباشا فى مصر فى العـهد العثمانى كان هو ممثل السلطان ونائبه فى ادارتها وحكمها باسمه . ولما كانت مصر من أهم وأغنى الولايات فى السلطنة العثمانية ، فقد كان السلطان شديد الحـرص على ان يبعث اليهـا بولاة من ذوى الخبرة والحنكة السياسية . ومن الولاة الذين تولوا باشوية مصر ، وكانوا من قبل يشغلون مناصب رئيسية فى البلاط العثمانى ، داود باشا الخادم الذى نشأ فى قصر السلطان سليمان القانونى وكان خازنداره .

وقد تولى داود باشا الخادم باشوية مصر (٩٤٥هـ / ١٥٣٨) واستمر بهـا حتى (٩٥٦هـ / ١٥٤٩م) ، وهو أطول ولاة مصر عهدا ، فقد حكمها احدى عشرة سنة متصلة وتوفى بمصر .

وفى عهد داود باشا الخادم عمل الأمير سليمان باشا صاحب التكية السليمانية والتى كانت تعرف كذلك باسم مدرسة سليمان . ويحدثنا عنهـا على مبارك[1] فيقول تقع التكية السليمانية فى شارع السروجية فى القسم الخامس عشر من شوارع القـاهرة ويمتد أول شارع السروجية من باب شارع الداودية وآخره أول شارع الحلمية عند تقاطعه مع شارع محمد على (شارع القلعة الآن) تجاه حمام الدود (ما يزال هذا الحمام موجودا ويعمل حتى الآن) .

وشارع السروجية هنا بمعـنى الحـى ، اذ يقـول على مبارك فى وصـفه وبه عطف وحارات ودروب كهذا بيانها . كما يضيف فيقول انه كان بها كثير من الحوانيت والمحال التى تقوم بصناعة الجلود . فقد ذكر عند كلامه عن حارة الدالى حسين بحى السروجية

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٣٨

وزاوية الأمير أبي عبد الله الحسني ابن طاهر الوزان، أنه يوجد في صفها من الجهة القبلية وكالة تعرف بوكالة الجلود من انشاء الأمير أحمد كتخدا مستحفظان، وكانت الوكالة قبل ذلك جارية في وقف الملك الطاهر على جامع الفاكهاني.

كما يوجد بشارع السروجية (حي) عطفة الحناء على يمين المار بالشارع ويسلك منها الى شارع محمد وبهذه العطفه عدة دكاكين من الجانبين لبيع السروج ووكالة كبيرة من وقف السلطان قايتباي.

ويحدثنا على مبارك[1] عن تكية السليمانية فيقول وبجوار حمام السروجية وبين عطفتي المحكمة والحناء توجد التكية السليمانية المعروفة أولا بمدرسة سليمان باشا عمرها الأمير سليمان باشا في سنة خمسين وتسعمائة وهي عامرة إلى الآن ومعروفة بتكية السليمانية.

وتعتبر التكية من المنشآت الدينية التي حلت محل الخانقاوات والمدارس في العصر العثماني، فقد اختفى لفظ خانقاه وكذا لفظ المدرسة من البلاد التي استولت عليها الدولة العثمانية، وحلت محلها ألفاظ أخرى، أهمها التكية كما حل الكتاب الذي يعلو السبيل.

والواقع أن التكية أخذت تؤدي نفس الوظيفة التي كانت تقوم بها الخانقاوات، أي أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة. ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين المهاجرين من الدولة الأم والنازحين إلى الولايات الغنية مثل مصر والشام، ومن ثم فقد صدق المثل المأثور، إن التكايا تأوي (تنابل السلطان) (والتنبل هو الكسلان الذي لا عمل له).

أما من حيث التخطيط فهي خليط من طراز العمارة [2] الاسلامية فهي أساسا تشبه تخطيط المنزل الاسلامي ذو الصحن المتسع تحيط به مجموعة من القاعات الضيقة والمتسعة. كما تحتوي على ايوان او اثنين وعلى مسجد كما ان التكية تشبه الخانقاه والرباط، في انها تحتوي الكبيرة منها على صحن مكشوف تحيط به غرف صغيرة يستعملها (التانبال) كما يستعمل المتصوف الخلاوي في الخوانق والربط. كما يوجد في جهة القبلة عادة ايوان يتصدره المحراب وبجانبه المنبر. كما تتعدد الطوابق التي تحوي العديد من الغرف للسكنى والمبيت. كما يلحق بالتكية عادة مطبخ ودورات مياه ومنزل لشيخ التكية.

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٣٨

(٢) المؤلفة: مساجد مصر جـ٢ ص ٢٨

الوصف المعمارى

تتكون التكية السليمانية من مبنى مستطيل الشكل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الغرف من جميع الجهات عدا الجهة الجنوبيه حيث يوجد ايوان عميق بعض الشيء يتصدره محراب مجوف .

وملحق بالضلع الغربى للتكية ميضأة ودورة للمياه وكذا مطبخ لاعداد طعام المقيمين بالتكية كما تنص على ذلك وقفية سليمان باشا .

ويعلو الدور الأول من التكية طابق ثانٍ يحتوى على مجموعة من الغرف والخلاوى تحيط بالصحن من جميع الجهات عدا جهة القبلة التى يرتفع عقد إيوانها بحيث يشمل ارتفاع الطابقين . ويتقدم الغرف العلوية جميعها ممر يفصل بينها وبين الشرفات التى تطل على صحن التكية فى الطابق الثانى

وقد غطيت غرف الطابق الثانى بقباب ضحلة ، ولعل هذه التكية هى أول عمارة عثمانية تغطى غرف الطابق العلوى بقباب ضحلة .

ويتقدم التكية مدخل كبير يبلغ ارتفاعه ارتفاع الطابقين ، وقد زخرف هذا المدخل المعقود بكثير من الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية ، ولكن أهمها بلاطات القاشانى التى تكسو طبلة العقد العاتق التى يطلق عليها اسم (النفيس) ويؤدى المدخل الى دركاه تحتوى على فتحتين إحداهما توصل الى صحن التكية والثانية مقابلة لها وتؤدى الى منزل شيخ التكية .

ويحدثنا السيد ربيع[1] حامد خليفة عن الخزف الذى يزخرف التكية فيقول : وقد كسيت القباب الضحلة التى تغطى غرف الطابق الثانى ببلاطات خزفية ذات لون أخضر

(١) البلاطات الخزفيه ص ١٦٥

وفقا للطراز المملوكى . وقد اندثرت معظم هذه البلاطات ولم يتبق الا أجـزاء قليلة جـديدة فى عدة مواضع بهذه القباب .

ثم يضيف فيقول عن ظاهرة تغطية القباب بالبلاطات الخزفية فيقـول : من المعـروف ان تكسية رقاب القباب بالبلاطـات الخـزفية قد ظهـر بمصر منذ بداية القـرن الثامن الهجرى / الرابع عشر للميلاد ثم تطورت التكسية حتى اصبحت تغطى القبة كلها فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر للميلاد ، كما نرى ذلك فى قبة السـلطان الغـورى ثم قباب مسجد سليمان باشا الخادم فى القلعة وقبة الشيخ سعود بسويقة العزى .

أما بالنسبة للتكية السـليمانية فان ظـاهرة تغشـية القباب الضـحلة فى الطابق الثانى للتكية فتعتبر الأولى من نوعها فى العصر العثمانى فى مصر .

قبة الأمير سليمان باشا

بجبانة المماليك بالعباسية

مسجلة برقم (١٢٤)

(٩٥١هـ/١٥٤٤م)

لقد انشأ هذه القبة كذلك الأمير سليمان باشا (٩٥١هـ/ ١٥٤٤م) وتتكون القبة من مربع يعلو جدرانه من الخارج شرفات بديعه التكوين تشبه الى حد كبير شرفات عمائر الجراكسة.

ويغطى المربع قبة مرتفعة تقوم على أركان يشغلها مجموعة من المثلثات الكروية فى الداخل ، أما فى الخارج فيرمز لهذه المثلثات شكل هرمى فى اركان المربع الأربعة. وفى المناطق المحصورة بين المثلثات ، فتحت نافذة قنديلية مكونة من فتحتين معقودتين تعلوهما دائرة. والقصد من هذه النوافذ هو اضاءة داخل القبة هذا الى جانب الشكل الجمالى .

وتأتى بعد مرحلة الانتقال من المربع المثمن رقبة اسطوانية مرتفعة فتحت فيها ثمان نوافذ معقودة . وتعلو الرقبة قبة مدببة نقشت احجارها بزخارف نباتية غاية فى الدقة والابداع

وتعتبر قبة الأمير سليمان من أجمل القباب التى انشئت فى العصر العثمانى بمصر على الطراز المملوكى ، كما زخرفت بالعديد من البلاطات الخزفية التى ما تزال تحتفظ بالزخارف والرسوم المملوكية.

فقد كسيت رقبة القبة بصفين من البلاطات الخزفية المربعة الشكل المزخرفة بالرسوم النباتية والكتابية باللون الأزرق على أرضية بيضاء . وتتكون الكتابة من نصوص قرآنية من آية الكرسى بالخط النسخى المملوكى يتخلله اشكال الزهور والورود والكثير من الاوراق النباتية[١]

(١) ربيع خليفة : البلاطات الخزفية ص ١٦٦

· كما تكسو البلاطات الخزفيه (النفيس) الذى يعلو مدخل القبة، وتتوسط النفيس كتابة داخل دائرة بالخط النسخى المملوكى نصها :

الله ربى . لله ربى	فى الجهة اليمنى
الله ربى . فتح من الله	فى الجهه اليسرى
الله ربى	فى الناحيه الشمالية[1]

(١) المرجع السابق ص ١٦٦

جامع الشيخ
شهاب الدين الرملى الأنصارى

بميدان باب الشعرية
(٩٥٧هـ / ١٥٥٩م)

ولد الشيخ شهاب الدين الرملى[١] بمصر فى عهد السلطان الملك الظاهر أبى سعيد ، وقد عرف شهاب الدين باسم الرملى نسبة إلى قرية (الرمال[٢]) التابعة لمركز قويسنا بالمنوفية . ويقول على مبارك[٣] أنها قرية صغيرة على فرع دمياط قريبة من منية العطار تجاه قرية مسجد الخضر .

ورحل شهاب الدين وهو فى السادسة عشرة من عمره الى الحجاز وذلك فى عهد السلطان الاشرف قايتباى ضمن البعثة التى ذهبت الى المدينة تنفيذا لأمر السلطان لتجديد بناء المسجد النبوى ، فقد حدث سنة ٨٨٦هـ[٤] أن سقطت صاعقة عظيمة على المسجد النبوى الشريف فاحترقت منها المنارة الموجودة تجاه الحجرة النبوية كما احترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والاعمدة والابواب ، وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . فلما سمع السلطان قايتباى هذا الخبر بكى وبكى من كان حوله ، وأمر فى الحال بارسال بعثة يرأسها شمس الدين محمد بن الزمن للتوجه الى المدينة الشريفة وأرسل معه عدة من البنائين والنجارين والمرخمين وغير ذلك . ولا ندرى ما اذا كان شهاب الدين الرملى قد كان من البنائين او النجارين ام من غير ذلك ، وان كنا نرجح أنه لم يكن من طبقة عمال البناء ، فقد جاء فى ترجمته أنه تلقى علومه فى الجامع الازهر ، فحفظ القرآن والحديث والفقه على المذاهب الاربعة ، كما ذكر الشعرانى[٥] فى طبقاته « الامام الصالح خاتم المحققين بمصر والحجاز والشام » ولعل ذهابه

(١) جاء فى خلاصة الاثر أن اسمه حمزة .

(٢) جاء فى القاموس الجغرافى ص ٢٠٩ ج ٢ : اسمها الرمالى أصلها من توابع ناحية قويسنا ثم فصلت عنها فى سنة ٩٣٣ هـ .

(٣) الخطط التوفيقية ج٥ ص ١١٩ .

(٤) ابن اياس بدائع الزهور ص ٨٢٨

(٥) الطبقات الكبرى ص ١٨٨

مع بعثة التجديد والبناء كان من قبيل الحزن والهلع الذى أصابه عند سماعه بحريق المسجد النبوى فأراد أن يتحقق بنفسه من أن المقصورة النبوية ما تزال سليمة لم يصبها سوء. وبقى شهاب الدين فترة فى البلاد الحجازية-ولم يرجع مع البعثة التى قامت بعمارة المسجد النبوى - قضاها فى الدرس والفقه على أيدى علمائها وفقهائها، ثم رحل بعد ذلك الى بلاد الشام وبقى فترة التقى فيها برجال الدين والافتاء والعلماء مما أفاده كثيرا وأتم صقله وخبرته حتى أنه لما رجع الى القاهرة فى عهد السلطان قنصوه الغورى كانت شهرته قد طبقت الآفاق وخاصة بين فقهاء الشافعية مما جعل السلطان يسند اليه مهمة التدريس بالمدرسة الناصرية بالقرافة. وفى العصر العثمانى قام بالتدريس فى الازهر الشريف.

وكانت المدرسة الناصرية التى قام بالتدريس بها الشيخ الرملى بجوار قبة الامام الشافعى، أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين الايوبى وخصصها لتدريس الفقه على مذهب الشافعى، ورتب بها مدرسا جعل له فى كل شهر راتبا معلوما أربعين دينارا ورتب له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل، وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة. وقد وقف عليها صلاح الدين حماما بجوارها وفرنا تجاهها وحوانيت بظاهرها[1]. ويقول المقريزى «وولى التدريس بها جماعة من الاكابر الاعيان، فقد ولى التدريس بها قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين الحموى، كما تولاه ابن دقيق العبد وكذا الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى».

ويقول الشعرانى فى ترجمته للشيخ شهاب الدين الرملى الانصارى الشافعى «كان رضى الله عنه ورعا زاهدا عالما صالحا حسن الاعتقاد لاسيما عند طائفة الصوفية فكان يجيب عن اقوالهم باحسن الاجوبة ويذكر عنهم المستظرفات من الحكايات وقد انتهت اليه الرياسة فى العلوم الشرعية وكان الشعرانى من أحب التلاميذ الى قلب شيخه الرملى، اذ يقول «وكان رضى الله عنه يحبنى أشد المحبة، محبة السيد لعبده»[2]. ويسترسل الشعرانى فى ذكر فضل الشيخ الرملى وعلمه فيقول «وعاش حتى صار علماء الشافعية بمصر كلهم تلامذته الا النادر فلا يوجد عالم شافعى الا وهو من طلبته أو طلبة طلبته، كما كانت ترد اليه الاسئلة من سائر الاقطار ووقف الناس عند قوله اكثر مما أدركناهم من أشياخه». وليس من شك فى أن الشيخ الرملى كانت له مكانة علمية مرموقة بين معاصريه

---

(١) المقريزى جـ١ ص ٢٥١

(٢) طبقات الشعرانى ص ١٨٨

فى القرن العاشر الهجرى ، حتى أن الشيخ زكريا شيخ الاسلام اذن له ان يصلح فى مؤلفاته فى حياته وبعد مماته ولم يأذن لأحد سواه فى ذلك ، وقد قام الشيخ الرملى فعلا باصلاح عدة مواضع فى كتاب شرح البهجة للشيخ زكريا وشرح الروض فى حياته . كما قام الشيخ الرملى بتأليف عدة من الكتب القيمة مثل كتاب شرح الزبد فى الفقه ، وهو شرح عظيم جدا جمع فيه غالب ترجيحاته ومناقشاته وتحريراته التى حققها له الشيخ نور الدين الطنوتائى ، كما جمع الشيخ شمس الدين الخطيب فتاويه فصارت مجلدا ضخما .

وبرغم ما وصل اليه من المركز العلمى والادبى والمادى ، فانه كان متواضعا عفيف النفس فقد جاء فى الطبقات الكبرى « وكان يخدم نفسه ولا يمكن أحدا يشترى له حاجة من السوق الى أن كبر وعجز » . كما انه كان موضع الاجلال والتعظيم من كافة الطبقات وبخاصة طبقة الاولياء والمجاذيب والمتصوفين مثل الشيخ نور الدين المرصفى والشيخ على الخواص .

ولم يشغل الشيخ الرملى علمه وكثرة الفقهاء والعلماء والطلاب الذين كانوا لا يكادون يتركونه ليلا أو نهارا ، لم يشغله كل ذلك عن الاهتمام بأهل بيته وأولاده وتربيتهم تربية صالحة ، ويحدثنا فى ذلك تلميذه الشيخ الشعرانى فيقول : كان الامام العالم العلامة المحقق صاحب العلوم المحررة والاخلاق الحسنة والاعمال المرضية سيدى محمد بن شيخنا شهاب الدين الرملى ، فقد عرفته منذ كنت أحمله على كتفى الى وقتنا هذا (أى نهاية القرن العاشر الهجرى) فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ولا كان يلعب فى صغره مع الاطفال بل نشأ على الدين والتقوى والصيانة وحفظ الجوارح ونقاء العرض ، رباه والده فأحسن تربيته مع زيادة التوفيق من الله سبحانه وتعالى» . ويضيف الشعرانى فيقول : وكنت وأنا أقرأ على والده العلم فى المدرسة الناصرية أرى عليه لوائح الصلاح والتوفيق وقد أقر الله به أعين المحبين ، فانه مرجع أهل مصر فى تحرير الفتاوى . وقد أجمع الفقهاء على دينه وورعه وحسن خلقه ، ولم يزل بحمد الله تعالى فى زيادة من ذلك فى أخذ العلم عن والده فاغناه عن كثرة التردد والتطفل على غيره وبث فيه ما كان عنده من الفقه والحديث والتفسير والاصول والنحو والمعانى والبيان وغير ذلك فكانت بدايته كما قيل نهاية والده . وقد تولى التدريس فى الجامع الازهر بعد وفاة والده فاقبل عليه العلماء وما تخلف عن درسه الا من جهل مقداره أو عمه الحقد والحسد .

وقد توفى الشيخ الرملى سنة سبع وخمسين وتسعمائة وصلوا عليه يوم الجمعة فى الجامع الازهر ويقول الشعرانى : وما رأيت جنازة اجتمع فيها خلق كثير مثل جنازته فقد ضاق الجامع عن صلاة الناس الجمعة ذلك اليوم حتى أن بعضهم خرج يصلى فى غيره ، ثم رجع للجنازة ، ودفن رضى الله عنه بتربته قريبا من جامع الميدان خارج باب القنطرة

الوصف المعمارى

يقع جامع الرملى الآن فى ميدان باب الشعرية الذى كان يعرف قديما باسم باب القنطرة حيث كانت توجد قنطرة على الخليج المصرى وأمامها فى سور القاهرة الغربى فتح باب عرف باسم (باب القنطرة) . ويقول عنه على مبارك[1] «هذا المسجد بميدان القطن ، بقى متخربا مدة وبداخله ضريح الشيخ الرملى وضريح ابنه ، وبسبب أن المعلم حسنين الرمالى الخباز ينتمى اليه ويدعى انه جده ، قام بتجديده ، فجدده من ماله الخاص سنة ١٢٨٨هـ . وجدد الضريحين وقام بشعائره ورتب ميعادا وجراية للفقراء كل ليلة سبت ويعمل له مولد كل سنة » .

ويتكون المسجد الان من مساحة مربعة الشكل تقريبا اذ يبلغ طولها (١٢) مترا وعرضها (١١) مترا ويتوسطها عمود واحد يقوم عليه سقف خشبى . وبحائط القبلة يوجد محراب كبير مجدد ومنبر قديم بجواره مقصورة خشبية بها قبر محمد السطوحى خادم المسجد فى عهد الشيخ الرملى . وفى الجهة الغربية للمسجد توجد حجرة مربعة تقريبا بها محراب ومكان للصلاة الى جانب ضريحى الشيخ شهاب الدين الرملى وابنه محمد .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٥ ص ١١٩

أثر رقم (٤٧٢) جامع داود باشا

سنة (٩٦١هـ/١٥٥٣م)

أنشأ هذا المسجد داود باشا بن عبد الرحمن والى مصر من قبل الدولة العثمانية وذلك سنة (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م[١]) . ويعتبر داود باشا من الولاة العثمانيين الذين طالت اقامتهم فى مصر فقد بقى فيها مدة احدى عشرة سنة وثمانية أشهر ، فقد كانت السياسة التى اتخذها سلاطين الدولة العثمانية أساسا فى ادارة ولاياتها ، هى تقسيم السلطة على ثلاث إدارات هى الباشا والحامية العسكرية والمماليك ، كما راعت أن لا تطول مدة بقاء الباشا فى الولاية حتى لا تسول له نفسه محاولة الاستقلال بها والتفرد بالأمر فيها .

وقد جاء فى ترجمة حياة داود باشا اثناء اقامته بمصر ، انه كان رجلا مستقيما دمث الاخلاق كريما محبا للعلم والعلماء ، فعلا شأنهم فى أيامه فكانوا موضع الاحترام والتبجيل ، ولقد كان من أثر هذه المعاملة الحسنة للعلماء ان حببوا اليه اجادة اللغة العربية فصاروا يتعهدونه بقراءة الكتب العربية وشرحها وتفسيرها حتى اصبح كلفا بالمطالعة وخاصة كتب التفسير والتراجم ، واليهم يرجع الفضل فى جمعه مكتبة كبيرة حوت النادر والقيم من الكتب العربية[٢] . وتعتبر فترة ولاية داود باشا من الفترات القليلة فى العصر العثمانى التى حظى فيها الشعب المصرى بالشىء الكثير من الامن والاطمئنان وبحبوبة العيش[٣] .

وقد أمدتنا الحبوس التى حبسها على العمائر الدينية والاجتماعية والتى سجلتها حجج الاوقاف[٤] بمعلومات كثيرة عن اعمال البر والخير التى قام بها داود باشا بمصر

(١) جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث جـ٢ ص ١٩

(٢) محمد عبد المعطى الاسحاقى : نفس المرجع ص ١٥٠

(٣) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ص ٧٢

(٤) حجة رقم (١١٧٦) وزارة الاوقاف

والحجاز والشام. فقد جاء فى هذه الحجج انه اقام مدرسة وبجوارها رباطا للمتصوفين بمكة المشرفة موقعها بين العمرة الشريفة وباب ابراهيم من أبواب الحرم ألشريف[1] (بجوار فندق مكة الآن) وعين لهذه المدرسة شيخا حنفى المذهب وحدد عدد طلابها بثلاثين، يحضرون كل يوم بعد صلاة العصر ليتلقوا دروس الشيخ. ولما كانت الحجاز فى ذلك الوقت فقيرة، فقد كان معظم ما يبنى او يقام من اعمال البر والخيرات ينفق عليه من مصر حتى تستمر الحسنة جارية، لذلك فقد اوقف داود باشا على هذه المدرسة اوقافا كثيرة بمصر منها جميع المعصرة[2] لاعتصار قصب السكر ارضا وبناء، وقد حددت الوقفية مكان المعصرة فقالت «وهى كانت كائنة براس جزيرة الفيل[3] على يمين السالك من بولاق وجامع الخضيرى وذلك سنة ٩٥٤هـ». كما اوقف عليها وكالة فى خط (اى حى) بولاق[4] وأخرى فى مدينة رشيد[5].

ومن منشآته فى بلاد الشام الطاحونةالتى اقامها على نهر شريعة بنى كنانة بوادى الدوير التابع لمنطقة عجلون، كما اشترى اراضى زراعية فى تلك المنطقة وحبس ريع كل تلك الاراضى والمنشآت لشراء ماء عذب يصب لوجه الله تعالى فى سبيل الخان الذى أقامه فى مدينة الخليل وكذلك السبيل الموجود بقرية القنيطرة، وكذا لترميمها اذا لزم الامر

---

(١) حجة رقم ١١٧٦ ص٦ وزارة الاوقاف

(٢) حجة رقم ١١٧٦ ص ٤٠ وزارة الاوقاف

(٣) جزيرة الفيل: كان ثغر القاهرة فى العصر الفاطمى فى المكان الذى يعرف اليوم بميدان السكة الحديد، وحدث فى أواخر العصر الفاطمى ان غرق فى النيل بالقرب من هذا الثغر مركب اسمه الفيل، وترك فى مكانه فتراكم فوقه الطمى والرمال وانحسر عنه النيل فصار جزيرة وارتفعت اراضيها بالتدريج واطلق عليها جزيرة الفيل. وصارت هذه الجزيرة فى النيل، وما برحت تتسع حتى اخذت شكلها النهائى سنة ٥٧٠هـ فى عهد صلاح الدين الايوبى، وفى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون انحسر النيل عند جانب ميدان السكة الحديد وصارت رمالا متصلة من الجهة البحرية بجزيرة الفيل ومكان جزيرة الفيل اليوم هى المنطقة التى يخترقها شارع شبرا الان من الجنوب الى الشمال، ومن الجنوب شارع جزيرة بدران. وفى العصر التركى تغير اسم جزيرة الفيل واصبحت تعرف باسم جزيرة بدران نسبة الى الشيخ بدران صاحب الضريح الموجود بجامع الشيخ بدران، ولما جاء محمد على انشأ بناحية شبرا الخيمة قصر خاصا به ومد اليه شارع شبرا الحالى سنة ١٨٠٨م فعرفت المنطقة المحيطة بهذا الشارع باسم شبرا.

(٤) بولاق: عندما انحسر ماء النيل سنة ٥٧٠هـ عند منطقة المقس وظهرت جزيرة الفيل التى سبق الاشارة اليها تقلص النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى عند ميدان السكة الحديد، فامتلأت المنطقة بالرمال وظهرت الجزر التى اخذت تزداد سنة بعد اخرى حتى أصبح ماء النيل لا يمر بهذه المنطقة الا فى ايام الفيضان. ومنذ عام ٨٠٦هـ انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الان. واستمر بولاق ثغرا لمدينة القاهرة حتى عهد سعيد باشا حيث افتتح اول خط حديدى بين القاهرة والاسكندرية سنة ١٨٥٦م فاخذت اهمية الثغر تقل تدريجيا وقلت الحركة التجارية شيئا فشيئا حتى اصبحت مقصورة على بعض التجار.

(٥) حجة رقم ١١٧٦ ص ٤٠، ٢٧، ١٠٠ وزارة الاوقاف

وتضيف الوقفية فتقول : « واذا تعذر الصرف على هذين السبيلين (أى سبيلى الخانيين بالخليل والقنيطرة) من ريع الحصص ، تصرف من ثمن ماء عذب لسبيل فى أى مكان آخر وللفقراء والمساكين .

وقد انشا داود باشا فى القاهرة الجامع المعروف باسمه ، والذى سجل تاريخ انشائه على لوح من الرخام على المدخل الرئيسى للجامع فى بيتين من الشعر :

أتم بناه على داود صديقى وفى سبيل الهدى قد جد سيرا
حمدناه فأرخنا بناه حوى حمدا جزاه الله خيرا

وبحساب الكلم يكون تاريخ الانشاء سنة ٩٦١هـ ، ولما كان داود باشا قد توفى سنة ٩٥٦هـ ، فقد جاء فى الخطط التوفيقية ان داود باشا مات سنة ٩٥٦هـ ودفن بالقرافة[١] ومعنى ذلك ان داود باشا بدأ فى انشاء الجامع سنة ٩٥٥هـ ولكنه توفى قبل اتمامه ، فاتم بناءه وصيه احمد بك بن عبد الله كتخذا سنة ٩٦١هـ ، ويؤيد هذا ما جاء فى نص حجة[٢] الوقف من ان داود باشا جعل من بعده وصاية فوض بها كتخدا (اى نائب الباشا ووزير المالية) الحاجى المعتمى احمد بك بن عبد الله ويسنده فيها وجعله ايضا وصيا على كل احواله سنة ٩٥٦هـ وقد صدق على الوصية وأقرها شيخ الاسلام سنة ٩٥٧هـ وتم تنفيذها من الناظر من الاحكام الشرعية سنة ٩٦٠هـ ، كما جاء فى حجة الوقفية ، ان الوصى اشترى كل المؤجر من ارض الجامع وما حوله من اولاد الشيخ الحنفى ، خديجة بنت فيت والناصرى محمد بن فيت واتم البناء سنة ٩٦١هـ .

وتحدد حجة الوقف موقع الجامع فتقول : يقع الجامع على البر الغربى للخليج (شارع بور سعيد الآن) فى ظاهر القاهرة بخط سويقة صفية اللاله (اى مربية الملوك والأمراء) ويقول على مبارك : « ويبدأ هذا الخط من آخر شارع الحنفى الذى يبدأ من شارع سويقة السباعين وشارع الناصرية وينتهى بشارع الدرب الجديد الموازى لشارع الخليج (بور سعيد الحالى) .

وقد جاء فى حجة الوقف أن الارض التى أقيم عليها الجامع ، كانت فى بداية الامر مؤجرة من وقف قوصون وذلك بمستند مسطر بمحكمة الحنابلة بالصالحية النجومية[٣] .

---

(١) على مبارك : الخطط الجديدة جـ٤ ص ١١١

(٢) حجة الوقف : ١١٧٦ ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٠ وزارة الاوقاف

(٣) الصالحية النجومية : هى مدرسة الصالح نجم الدين ايوب التى بناها سنة ٦٤٨هـ وكانت اول مدرسة فى العصر الايوبى خصصت لتدريس المذاهب الاربعة ، والتى استعملت بعد ذلك محكمة . ومحكمة الحنابلة الواردة فى الحجة هى التى حلت محل ايوان الحنابلة ، الذى بنى مكان باب الزهومة بالقصر الشرقى الفاطمى .

وهى التى قام بشرائها بعد ذلك الوصى سنة ٩٦٠هـ كما سبقت الاشارة .

وقد اوقف داود باشا قبل وفاته على الجامع اوقافا كثيرة منها مصبغة فى الجهة الغربية ومجموعة من الحوانيت فى نفس الجهة وأخرى بالجهة الشرقية وعدة طباقات ، ودار حياكة بها اربعة انوال ، وفرن ومغسلة وطاحون ، وذلك للصرف على الجامع . وعندما تم بناء الجامع سنة ٩٦١هـ قرر الوصى احمد بك بن عبد الله ، ان يصبح الجامع مسجدا جامعا تؤدى فيه الصلوات الخمس والجمعة والعيدين كامثاله من المساجد الجامعة كما قرر له اماما حنفى المذهب وعين له ميقاتيا وعدد ستة مؤذنين وستة من جيدى التلاوة وبوابا ووقادا ومطهرا ومزملاتى ، وقد سجل كل ذلك فى حجة الوقف المعمارى

الوصف المعمارى

يتكون الجامع من مستطيل يبلغ طوله (٢٣,٥) من المتر وعرضه (١٦) مترا ، وتخطيطه لا يشكل طرازا معماريا معينا ، بل هو مكان للصلاة يتقدمه صحن وملحق به مجموعة من الغرف والدهاليز والخلاوى . وقد انتشر هذا النوع من العمائر الدينية فى آخر العصر المملوكى وأوائل العصر العثمانى ، ولما كان المبنى لا يتبع طراز المساجد ذات البوائك والاروقة ولا نظام المدارس ذات الاواوين ، كما انه ليس مغطى بقبة كبيرة او قباب ضحلة على غرار المساجد العثمانية ، لذلك فانه يذكر تارة باسم مسجد وأخرى باسم مدرسة ، فمثلا يقول الاسحاقى ، ان الامير داود باشا بنى فى ولايته مدرسة عظيمة محكمة البناء بسويقة اللاله ، ويقول على مبارك : ان جامع داود كان اول امره مدرسة ثم يعود فيذكره على انه مسجد . كذلك تذكره حجة الوقف باسم المسجد واخرى مدرسة ولكنى رأيت الاقتصار على تسميته بالجامع نسبة إلى ما جاء فى الوقفية عندما قرر الوصى سنة ٩٦١هـ ان يكون مسجدا جامعا تؤدى فيه الصلوات الخمس والجمعة والعيدين .

الواجهة الرئيسية :

تقع الواجهة الرئيسية فى الضلع الشمالى الغربى للجامع ، ويبلغ طولها (٢٣,٥) من المتر وتحتوى على ثلاث كتل بنائية ، الكتلة الاولى والتى تقع فى الركن الجنوبى الغربى للجامع ، حيث يوجد المدخل الرئيسى الذى يمتد بطول (٤,٢٥) من المتر من الواجهة وعمقه (٤,٤٠) من المتر ويتقدمه كتفان بارتفاع (٩) امتار يسد بينهما باب من الخشب الخرط بعرض (٢) مترا يؤدى الى قبلة من خمس درجات يصعد منها الى ردهة تتقدم باب المسجد . ويعلو الفتحة الخارجية الى ما يقرب نهاية المسجد وتحت الشرافات كرديان ممتدان من الحجر نقشت فى خواصرها زخارف نباتية محورة وتنتهى بأربعة صفوف من الدلايات .

وتبلغ سعة باب المسجد (١,٥٠) من المتر وارتفاع (٢,١) من المتر يكتنفه مكسلتان

من الحجر بطول (١,١٠) من المتر وعرض (,٥٥) من المتر وترتفع عن ارض الردهة بـ(,٧٥) من المتر . ويعلو الباب عتب من الرخام الاسود فوقه عقد عاتق مكون من صنجات معشقة من الرخام الابيض والاسود ، يعلوه لوح من الرخام نقش عليه بيتان من الشعر سجلت اسم المنشىء وتاريخ الانشاء السابق الاشارة اليه ، ويعلو اللوحة نافذة صغيرة مربعة ملئت بخشب الخرط ، ويتوج هذا الباب عقد ذو ثلاث فصوص زخرف بدلايات جميلة .

ويؤدى الباب الرئيسى الى ردهة تبدأ من فتحة الباب بجانبين مائلين وتبلغ مساحتها (٢,٧٥ × ٢,٢٥) من المتر غشيت جدرانها بالرخام الملون . وتؤدى هذه الردهة بدورها الى ردهة اخرى تبلغ مساحتها (٣ × ٢,٦) من المتر يتوسط سقفها فتحة مربعة (شخشيخة) طول ضلعها (١,٢٥) من المتر . وتوصل هذه الردهة بدورها الى خلوة ملاصقة لمكان الصلاة فى الركن الجنوبى الشرقى للمسجد وتبلغ مساحتها (٢,٥ × ٢,٢٥) من المتر ويجدرانها الثلاث ثلاث حنيات لعلها (كتبيات) ، ويعلو بابها نافذة صغيرة ، كما تفتح الردهة على مكان للصلاة ، وفى الضلع الغربى لها يوجد فتحة تؤدى الى مقابلة لباب الخلوة تؤدى الى ردهة صغيرة مساحتها (١,٧٥ × ١,٥٠) من المتر أطلق عليها مجازا (سدلة) كما جاءت فى الحجة وهى مفتوحة كلية على صحن الجامع ، وبجوارها دخلة عميقة مساحتها ٢,٢٥ × ١,٥٠ من المتر لها نافذة على الواجهة ، ويلى كتلة المدخل الرئيسى حنية مسطحة عرضها (١,٥٠) من المتر فتحت فيها نافذة مستطيلة طولها (٢,٢٥) مترا وعرضها (١,٣٠) من المتر ملئت بمصبعات حديدية ويعلوها عتب فوقه عقد عاتق ، وفى اعلى الحنية نافذة صغيرة مربعة .

وبعد الحنية وعلى بعد (٣,٥) من المتر من المدخل الرئيسى توجد الكتلة الثانية التى تشمل مدخل ثانوى فى حنية يبلغ سعتها (٢,٣٥) من المتر وارتفاع (٤) امتار يتوجها عقد ذو ثلاثة فصوص بسيط وعمقها (,٦٠) من المتر . ويتوسط الحنية باب يكتنفه مكسلتان ويعلو الباب نافذة مربعة صغيرة . وقد خصص هذا المدخل الثانوى للصعود الى المئذنة والى سطح الجامع وكذا الوصول الى دكة المبلغ الموجود بالضلع الشمالى الغربى للصحن .

اما الكتلة الثالثة فتتكون من حنيتين يبلغ عرض الاولى (٤,٧٥) من المتر والثانية (٦) امتار وارتفاعهما ثمانية امتار وعمق كل منهما (,٢٥) من المتر . وتحتوى كل منهما

على صفين من النوافذ الصف الاسفل ويحتوى على نافذتين مستطيلتين يعلوهما عتب وعقد عاتق ثم شريط عريض من الكتابة . وقد ملئت هذه النوافذ من الخارج بمصبعات حديدية ومن الداخل بضلف من الخشب المطعم بالعاج والصدف والابنوس ، اما الصف العلوى فتحتوى كل حنية على نافذتين كذلك معقودتين وتنتهى واجهة الجامع كلها من اعلى بشرفات على شكل ورقة نباتية ذات خمسة فصوص .

داخل الجامع :

يتكون ايوان القبلة من مستطيل تبلغ مساحته (١٤ × ٥,٤٥) من المتر وتبلغ سعة عقد الايوان الذى يفتح على صحن الجامع (٨) امتار ويتصدر الايوان محراب مجوف تبلغ سعته (١,٢٠) من المتر وعمقه (١,١٠) مترا وارتفاعه (٣,٢٠) من المتر كسى تجويفه وخواصره وجوانبه بالرخام الملون . ويعلو حائط القبلة اربعة نوافذ مربعة صغيرة يتوسطها ويقع فوق المحراب مباشرة نافذة مستديرة .

وتبلغ مساحة صحن الجامع (٦,١٠ × ١١,٧٥) من المتر ، ويوجد فى ضلعه الشمالى الغربى دكة للمبلغ من الخشب يبلغ طولها (٥,٨٥) من المتر وعرضها (١,٣٣) من المتر وترتفع عن ارض الصحن بمقدار (٣,٧٥) من المتر . وتقوم الدكة على كوابيل حجرية ، ولها طرقة عرضها (,٨٥) م تتصل بسلم المدخل الثانوى السابق الاشارة اليه .

المئذنة :

ظلت مئذنة الجامع قائمة حتى سنة ١٩٤١م ثم هدمت ولم يعد بناؤها حتى الان . وقد كانت المئذنة ، كما جاء وصفها فى الرسم التخطيطى التى اعدته هيئة الاثار ، تتكون من ثلاث طوابق فوق القاعدة التى تعلو كتلة بناء الباب الثانوى . وكان ارتفاع المئذنة يبلغ (١٧,١٠) من المتر ويتكون الطابق الاول من مربع طول ضلعه (٢,٣٥) من المتر وارتفاعه (٣,٧٥) مترا . اما الطابق الثانى فيتكون من مثمن ارتفاعه (٥,٣٥) من المتر فتحت فى اربعة من اضلاعه نوافذ عرض كل منها (,٢٥) وارتفاعه (١,٧٥) من المتر ويفصل بين الطابق الاول والثانى شرفة تقوم على ثلاثة صفوف من الدلايات . والطابق الثالث مستدير الشكل ارتفاعه (٤) امتار وينتهى بشكل مخروطى بارتفاع (٤) امتار ثم يأتى الهلال النحاسى . ويفصل بين الطابقين الثانى والثالث شرفة تقوم على خمسة صفوف من الدلايات .

جامع الخضيرى

بقلعة الكبش بطولون

أمام مدرسة صرغتمش

(٩٦٥هـ/١٥٦٠م)

الشيخ الخضيرى ، كما جاء فى كتاب مناقب[١] السادة الخضيرية ، هو سليمان أبو الربيعين الزبيرى الحسينى الذى ينتهى نسبه الى ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين . والمراد بكلمة الربيعين ، هو علم الظاهر والباطن . وكان رحمه الله كريما عفيف النفس لا يذكر أحدا بنقيصة ولا يسمع من أحد ذلك وكان يقول لا يذكر نقائص الناس الا ناقص وكان شأنه الصمت . تعلم القرآن وتفقه فى الدين عن جلال الدين السيوطى وأخذ الطريق عن الشيخ المرحومى المدفون بمصر القديمة . ومن زملائه فى الطريق الشيخ (أبو السعود الجارحى) وكان الخضيرى مهيبا مسموع الكلمة عند الخاص والعام وكان من العلماء العاملين ، لم يشغل وظيفة رسمية ومع ذلك كان الناس يحتشدون حوله لكى يرشدهم ويفتيهم فى أمور دينهم ودنياهم على السواء . وقد كثر تلاميذه ومريدوه حتى بلغ عددهم ، كما يقول الشيخ عبد الرحمن جاويش نحو خمسمائة ، الامر الذى حتم عليه أن ينشىء له مكانا يختلى فيه ويجتمع وتلاميذه به ، فأنشأ قبل وفاته زاوية بشارع درب الحناء بحى قلعه الكبش ، صارت فيما بعد جامعا عرف باسمه .

وكان الشيخ سليمان الخضيرى على جانب كبير من الثراء فقد وقف على زاويته هذه كثيرا من الاراضى الزراعية لاقامة شعائرها الدينية وشرط فى الوقف الشروط الآتية[٢] : أن ما فضل من الريع يكون لذريته طبقة بعد طبقة تحجب الطبقة العليا الطبقة السفلى الذكور والإناث فى ذلك سواء الا أن اولاد الظهور مقدمون على اولاد البطون بحيث لا يستحق اولاد البطون الا بعد انقراض اولاد الظهور الى آخر ما هو موضح بحجة الوقفية

---

(١) عبد الرحمن جاويش : مناقب السادة الخضيرية

(٢) الخطط التوفيقية : جـ٤ ص ١٠٨

« كذلك رتب فى الزاوية مجلس ذكر وصلوات بعد صلاة الجمعة تستمر الى آخر الليل ورتب لذلك شموعا وجرايات مستمرة حتى الآن .

ولما توفى الشيخ سليمان سنة خمس وستين وتسعمائة ، خلفه ابنه الشيخ احمد ، وكان صالحا ورعا تقيا نشأ منذ نعومة أظفاره فى طاعة الله وقد ترجم له علی مبارك فقال :- وكان ابنه الشيخ أحمد عارفا بالله تعالى وليا صالحا مجذوبا مربيا للمريدين ومرشدا للسالكين حصلت له جذبة قوية وهو صغير فى حياة والده .

ويقول على مبارك أن الشيخ أحمد كان يقيم معظم وقته وهو فى حالة الغيبوبة الروحية التى يطلق عليها (الانجذاب) فى قرية ساقية مكى بمحافظة الجيزة . وساقية مكى هذه كما وردت فى القاموس الجغرافى ، أن اسمها الاصلى ساقية مكة ، وسميت بهذا الاسم لأن ارضها كانت وقفا على اشراف مكة المكرمة ، وكان فى بدء تكوين هذه الناحية عليها ساقية فعرفت بساقية مكة وحرفت الى مكى فى العهد العثمانى ، كما وردت باسمها الحالى فى كتاب وصف مصر .

فلما رجع الشيخ أحمد الى حالته الطبيعية حضر الى زاوية والده بقلعة الكبش بطولون وتتلمذ عليه الامر الذى اتاح له فرصة القيام بطريقته من بعده وصار عالما وذاعت شهرته لهمته البالغة فى محاولته قضاء حاجات تلاميذه ومريديه بل كل من يطرق بابه فى الأمور الدينية والدنيوية على حد سواء ، كما كان يطعم الفقراء ويقدم لهم الكساء فى المناسبات والاعياد الدينية .

وكان يقضى الشيخ أحمد أربعه أشهر كل عام فى ثغر الاسكندرية ، وبذلك أصبح له عدد غير قليل من التلاميذ هناك يكاد يعادل مريديه بالقاهرة .

وقد زاد الشيخ احمد فى مساحة زاوية والده فاصبحت مسجدا تقام فيه الخطبة الى جانب ضريح والده ، فلما توفى دفن بجوار قبر والده . وفى سنة ١١٨٨هـ جدد الجامع ناظر الوقف سليمان ابن الشيخ عبد الرحمن من نسل الخضيرى فزاد فى مساحته من الجهة الشمالية وجعله جامعا وأحدث به المنبر ودكة المبلغ وكسا جدرانه ببلاطات القيشانى كما أحاط الجدران أعلى القيشانى بشريط عريض به كتابات من بردة البوصيرى وتاريخ

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٤ ص ١٠٩

(٢) احمد رمزى : القاموس الجغرافى جـ٣ ص ١٥

هذه العمارة مكتوب على واجهة باب المسجد في البيت التالى :

باب الخضيرى لما تبغى عليك به وأرخن فهو جاه حاضر المدد

وقلعة الكبش التى يوجد بها جامع الخضيرى هى جزء من جبل يشكر ، الذى عرف بهذا الاسم نسبة الى يشكر بن جديلة من لخم . ويشكر قبيلة من قبائل العرب اختط عند الفتح بهذا الجبل ، فعرف بجبل يشكر . وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء وكان يشرف على بركة الفيل (التى ردمت الآن) وبركة قارون التى ردمت وأصبحت تعرف اليوم بالبغالة . أما عن قلعة الكبش فيقال انه كان بجبل المقطم تنور يعرف بتنور فرعون وبجانبه قلعة عليها رسوم وتماثيل فرعونية قوامها الكبش الذى يرمز الى الاله آمون . وقد بقى التنور وكذا القلعة حتى هدمهما احمد بن طولون وبنى مكانهما جامعه وقصره وقطائع جنده .

ويصف على مبارك جامع الخضيرى كما كان فى القرن (١٩)م فيقول : فى سنة ١٢٧٩هـ حصل خلل فى البوائك التى تحيط بصحن الجامع فهدمها حسن خالد الخضيرى وكذا الدهليز الذى يؤدى من المدخل الرئيسى الى داخل المسجد ، فجدد على ما هو عليه الآن . يقع مدخل المسجد الرئيسى فى الجهه الشرقية على امتداد حائط القبلة ويصعد اليه بعدة درجات حجرية . وبداخل الباب يوجد دهليز بآخره توجد خلوة صغيرة يقيم بها خادم المسجد . وفى الجانب الايمن لهذا الدهليز يوجد باب يوصل الى دورة مياه الجامع ، فاذا ما انتهى الشخص من أداء الوضوء يصعد الى المسجد من درج يسمى (سلم الطهارة) . وفى الجانب الايسر للدهليز يوجد باب يوصل الى المسجد يعرف باسم الباب الوسط .

ويتوسط المسجد صحن صغير يحيط به من ثلاث جهات رواق واحد قائم على أعمدة بعضها من الرخام والاخر من الحجر ، أما ايوان القبلة فيوجد به صفان من الأروقة . وأرض الجامع مفروشة بالحجر وسقفه مغطى بالخشب المزخرف بالنقوش الزيتية ويحيط بأعلى الجدران وزرة خشبية مكتوب عليها « أنشأ هذا المسجد أبو العباس أحمد الخضيرى » ويوجد ضريح الشيخ سليمان تجاه باب الوسط عليه قبة ومقصورة من الخشب وبداخل المقصورة قبر ابنه الشيخ احمد وقبر السيد حمزة الخضيرى ومقصورة ثانية صغيرة بها قبر السيد تاج الدين . والضريح عبارة عن حجرة صغيرة مربعة الشكل فى اركانها الاربعة مقرنصات صغيرة حولت المربع الى شكل ثمانى وأقيمت فوقه رقبة مثمنة كثيرة الارتفاع فتحت بها اربع نوافذ للإضاءة ثم أقيمت فوقها قبة صغيرة .

والمسجد ملىء بالدواليب الحائطية يضع بها المجاورون حاجياتهم . وفى النهاية الغربية لايوان القبلة توجد دكة المبلغ وهى قائمة على عمودين وتحتها ازار خشبى كتبت عليه ابيات من الشعر فى مدح السادة الخضيرية ، وتحت الازار بلاطات من القيشانى التركى الجميل . وبجوار الضريح فى ايوان القبلة توجد خزانة للكتب بجوارها باب يسمى باب القبة نسبة الى قبة الضريح يوصل الى سطح المسجد . ويوجد بجدران المسجد الاربعة من أعلى نوافذ مملوءة بالجص والزجاج المتعدد الالوان ، أما النافذة التى تعلو المحراب فمملوءة بالخشب الخرط . وفى وسط جدار القبلة يوجد المحراب وقد كتب اعلاه قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » . وعلى يسار المحراب توجد خلوة صغيرة تسمى المعبد .

مسجد الأمير سليمان

بالفيوم

الشهير بالمعلق

(٩٦٦هـ / ١٥٦٠م)

الفيوم قاعدة محافظة الفيوم ، وهى من المدن المصرية القديمة ويقول جويتيه واميلينو وغيرهما من المؤرخين الذين كتبوا عن الفيوم ، ان اسم الفيوم فى العصر الفرعونى كان (Chdat) أو (Chdit) ، ومعناها الجزيرة . لأنها كانت وقت تكوينها واقعة فى بحيرة موريس ، ثم سماها القبط (Piom) ومعناه مركز اليم ، ومنها أخذ العرب كلمة فيوم وأضافوا اليها أداة التعريف فصارت الفيوم[١] . ويزعم المسعودى[٢] ان معنى الفيوم ألف يوم ، ويبدو أنه بنى هذا الزعم على القصة التى ذكرها المقريزى[٣] ، وتتلخص فى أن فرعون مصر طلب من سيدنا يوسف الصديق أن يستصلح أرض الفيوم لابنته ، فحفر يوسف خليجا يصل الفيوم بالنيل كى تصرف فيه المياه الزائدة وقت الفيضان ، مما أصلح أرض الفيوم ، وقد استغرقت تلك العملية من يوسف سبعين يوما ، فلما رأى فرعون تلك الأعمال التى أتمها يوسف قال لوزرائه « هذا عمل ألف يوم » فسميت الفيوم ، وقد غاب عنهم ان فرعون مصر لم يكن يعرف العربية . ومدينة الفيوم ظلت منذ نشأتها فى العصر الفرعونى حتى الآن قاعدة لاقليمها ، وردت فى معاجم[٤] البلدان أنها ضمن كور مصر ، وجاء فى أحسن[٥] التقاسيم ، الفيوم بلد جليل به مزارع الأرز الفائق، والكتان الدون[٦] ولها قرية سرية تسمى الجوهريات . وقال الادريسى ، الفيوم مدينة كبيرة ذات بساتين وأشجار وفواكه وغلات ، وأكثر غلاتها الأرز وهو أكثر من سائر حبوبها ، ولها جانبان على وادى اللاهون (بحر يوسف) . ويقول القضاعى « الفيوم وهى مدينة

---

(١) القاموس الجغرافى جـ٣ ص ٩٦ .

(٢) مروج الذهب جـ٢ ص ١١٥ .

(٣) المقريزى جـ١ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٢ .

(٤) المسالك لابن جرداذبه ص ٢٣٧ ، تقويم البلدان جـ١ ص ١١٤ .

(٥) المقدسى : ص ١٩٩ .

(٦) الدون : الجيد .

دبرها يوسف النبى عليه الصلاة والسلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضيعة تمد كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تمد مصر السنة . وكانت تروى من اثنى عشر ذراعا (وهو أقل منسوب لمياه الفيضان) ولا يستبحر ما زاد عن ذلك لأن يوسف عليه السلام اتخذ لهم مجرى ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وبنى به اللاهون . ويضيف الكندى وليس فى الدنيا ما بنى بالوحى غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنفس منه ولا أخصب ولا أكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ، ولو قايسنا بأنهار الفيوم أنهار بصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل . ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها فاذا هى لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك لأحد من مسلم ولا معاهد ، فاذا هو فوق السبعين صنفا » .

ولعل المراد بالوحى فى عبارتى القضاعى والكندى الالهام لأنه من معانى الكلمة لغة . وقال عبد الحكم[1] ان الفيوم أقامت سنة بعد الفتح لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو بن العاص جيشا ، (وقد اختلفت الروايات فى اسم قائد الجيش فقيل ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفى ، وقيل مالك بن ناعمة الصدفى ، وذكر قيس ابن الحارث الذى سار حتى أتى قرية قيس فنزل بها والتى تزعم المراجع العربية انها سميت باسمه كما تقدم) ، ويقول ابن عبد الحكم فلما هجموا عليها لم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم .

أما عن خراج مدينة الفيوم ، فتجمع المراجع العربية على أنها كانت أغنى كور مصر ، قال ابن زولاق ، حدثنى أحمد بن محمد بن طرخان الكاتب قال ، عملت على الفيوم لكافور الأخشيد فى هذه السنة (يعنى سنة ٣٥٦هـ) فعقدت بها ستمائة ألف دينار ، وعشرين ألف دينار ، ومنها المباح الذى يعيش الناس فيه من أهل مالا يضبط ولا يحاط بعلمه ، وذلك غير المرافق والخيرات التى تحت أيدى الملاك . وقال القاضى الفاضل فى كتاب متجددات الحوادث ، ان متحصلات الفيوم بلغت فى سنة ٥٨٥هـ مائة ألف واثنين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير . وقال البكرى ، والفيوم معروف هناك يغل فى كل يوم ألفى مثقال ذهبا . وقد أطنب كل من تكلم عن تاريخ مصر عن خيرات مدينة الفيوم حتى أصبح اسمها يقرن باسم مصر ، فيقول اليعقوبى مثلا[2] كان يقال فى متقدم الأيام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها ، وبها القمح الموصوف ، وبها يعمل الخيش ، ويقول على مبارك[3] ، ان صناعة الخيش

(١) فضائل مصر ص ٢٧ ، معجم البلدان جـ٦ص ٤١٤ .
(٢) البلدان جـ٥ ١٤٥ .
(٣) الخطط التوفيقية جـ١٤ ص ٨٤ .

ظلت قائمة بالفيوم حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وانها كانت تمون الميرى به . وورد فى الخطط التوفيقية ، أن بالفيوم سمكا كثيرا ، فقد ذكر مؤرخ بطارقة الاسكندرية فى تاريخ الشهداء أنه انكشف فى الفيوم بركة متسعة بها كثير من البلطى ، ينقل منه الى الفسطاط فى كل يوم مقدار عظيم ، فكان ما ينقل اليها يحمل على عشرين جملا ، وكانت تعطى لمن يلتزمها فى السنة بستين دينارا ، وكان البلطى نوعين كبير وصغير ، فالذى تزن الواحدة منه أربعة أرطال تباع العشرة منه بتسعة دراهم ، وما فوق العشرة منه بعشرة دراهم ، والكبير تباع العشرة منه بخمسه عشر درهما ، وكانت الواحدة منه ربما تزن خمسة عشر رطلا أو أكثر . على أن شهرة الفيوم بالسمك ترجع الى ما قبل العصر الاسلامى . فقد تكلم هيردوت عن سمك الفيوم ، فقال ان السمك كان يملح ويبقى طوال السنة وأن الأهالى تستهلكه بكثرة فضلا عما يطعم به الحيوانات المقدسة . وقد بلغت مدينة الفيوم من الأهمية فى القرنين السادس والسابع للهجرة أن عمل برج للحمام بالقاهرة خاص بها وسمى باسمها لتلقى البريد عن طريق الحمام الزاجل ، فقد ورد[1] بالمقريزى أنه كان بالقاهرة فى موضع يعرف بالبرقية ، برج حمام يسمى ببرج الفيوم ، وكان بناؤه بأمر الأمير فخر الدين عثمان الاستادار فى سلطنه الملك الكامل بن صلاح الدين وكانت الفيوم من اقطاعاته ، فكان حمام البريد يأتى بأخبار المديرية الى هذا الأمير فينزل بهذا البرج .

وذكر أبو صالح الأرمنى[2] ، أنه يوجد بالفيوم كثير من الأديرة والكنائس ومن أهمها دير بالقرب من حجر اللاهون باسم دير اسحق وهو على جبل فى جنوب الفيوم بموضع يعرف باسم بيربنوده يحيط به ثلاثة أسوار من الحجر واليه يذهب الناس . ومن الكنائس الهامة بها كنيسة ميكائيل وتقع بالقرب من الباب المسمى بباب السور ، وهى عظيمة الاتساع ، بوائكها محمولة على عمد غاية فى الدقة والجمال ، وهى نادرة المثال بصعيد مصر . ويشق مدينة الفيوم بحر يوسف اذ يمر بوسطها وعليه قنطرتان قديمتان احداهما فى أول المدينة توصل الى الأسواق والثانية عند نهايته وعلى هذه القنطرة جامع . ومبانى المدينة من الآجر وحاراتها ضيقة وغير مستقيمة ، وكان بها كثير من الخانات والحوانيت العامرة بأصناف البضائع . وبمدينة الفيوم كثير من المساجد الجامعة ، أشهرها جامع الروبى سمى باسم الشيخ الروبى المدفون بجواره

---

(١) المقريزى جـ١ ص ٤٠١ .

(٢) أبو صالح ص ٧٨ .

وضريحه مزار مشهور ويزعم العامة أنه من نسل روبيل أخى يوسف عليه السلام ، وذكر المقريزى ، أن صلاح الدين الأيوبى ، أنعم على ابن أخيه المظفر تقى الدين ، بالفيوم وأعمالها ، وأن هذا الأخير أقام بها مدرستين احداهما للشافعية والثانية للمالكية .

وقد كان بمدينة الفيوم كثير من العلماء والفقهاء من مختلف النحل والأديان فقد جاء فى كتاب الفهرست لأبى الفرج ، أن من علماء اليهود وأفاضلهم ابن سعيد الفيومى كان متمكنا فى اللغة العربية وله كثير من المصنفات ، ومن العلماء المسلمين الشيخ شعبان الفيومى[1] الأزهرى الامام الفقيه والشيخ سليمان الفيومى ومن شعرائها المطبوعين ، عبد البر بن عبد القادر وهو من أدباء الفيوم المعدودين .

(١) الطالع السعيد ص ٧٦ .

الوصف المعمارى

مسجد الأمير سليمان الشهير بالمعلق : (لوحة رقم ٣٧)

يرجع تاريخ انشاء هذا المسجد الى أوائل العصر العثمانى ، فقد بناه الامير سليمان بن جانم بن قصروه ، كاشف (حاكم) البهنساوية والفيوم(٩٦٦هـ / ١٥٦٠م) .

ويشبه هذا المسجد من حيث التخطيط والزخارف ، مساجد المماليك الجراكسة ، فقد حفل سقف المسجد بزخارف ونقوش كتابية تشبه الى حد كبير نقوش وكتابات خانقاه الأشرف برسباى بصحراء العباسية .

أما من حيث التخطيط الداخلى فقد روعى فيه تخطيط المدارس المتعامدة ذات الايوانات الأربعة ، أكبرها واعمقها ايوان القبلة وهو ايوان الحنفية ، فقد كان مذهب الدولة العثمانية الرسمى .

وقد عرف المسجد باسم المعلق وذلك لارتفاعه عن سطح الأرض فقد كان يصعد اليه بمجموعة من الدرجات المستديرة التى تتقدم المدخل الرئيسى للمسجد وهى تشبه الى حد كبير درجات مسجد الملكة صفية بالقاهرة .

مسجد الشعراوى

بشارع الشعرانى البرانى
(٩٧٣هـ/١٥٦٥م)

يقع هذا المسجد فى شارع الخليج المصرى (بور سعيد حاليا) ، كما تطل واجهته الشرقية التى توجد بها القبة على شارع الشعرانى البرانى ، والمسجد كله يشرف على ميدان باب الشعرية . والواقع ان هذا الميدان كان يوجد منذ العصر الفاطمى أمام أحد ابواب سور القاهرة الغربى المحاذى لخليج أمير المؤمنين ، كما كان يسمى بذلك الاسم فى ذلك الوقت (نسبة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) . وكان اسم الباب الذى يفتح فى السور الغربى بالقرب من نهايته الشمالية ، يعرف باسم (باب القنطرة) وذلك لوجود قنطرة على خليج أمير المؤمنين فى تلك المنطقة توصل بين ضفتى الخليج . وظل اسم باب القنطرة وميدان باب القنطرة متداولين فى خطط القاهرة حتى بنى مسجد الشعراوى ودفن فيه العالم الزاهد الشيخ الشعراوى ، ترك الجمهور اسم باب القنطرة وميدان القنطرة وتسامعوا باسم ميدان باب الشعرية وشارع الشعرانى فعرفا به وذلك منذ القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد .

أما عن صاحب هذا المسجد فهو الامام العامل العابد الفقيه المحدث الصوفى عبد الوهاب بن أحمد بن على بن محمد الشعراوى . ولد الشعراوى (٨٩٨هـ / ١٤٩٣م) بناحية قلقشندة التى تقع الى الجنوب من مركز طوخ بمحافظة القليوبية وبينها وبين القاهرة ثلاثة فراسخ[١] . كما تقع مدينة قلقشندة غربى بلدة أجهور الكبرى على ترعة الجاموس[٢]

---

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ١٦٨

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٤ ص ٥٨

واذا جاز لمدينة قلقشندة أن تباهى غيرها من المدن المصرية بنجابة ابنائها وبعض عظمائها ، فان لها ان تباهى المدن كلها بثلاثة رجال من رجالاتها[1] ، وهم الليث بن سعد الذى قال عنه الشافعى ، ان الليث افقه من مالك الا أن تلاميذه لم يقوموا على نشر مذهبه . وأما الثانى فهو أبو العباس القلقشندى العربى الأصل ، فهو من بنى بدر من فزارة من قيس بن عيلان[2] . وصاحب المصنفات العديدة لعل أشهرها كتابه (صبح الاعشى) . أما الثالث فهو شيخنا عبد الوهاب الشعراوى العالم المحدث الذى سلك طريق التصوف الصحيح وقطع علاقته بالدنيا .

أما عن شهرته بالشعراوى ، فيرجع السبب فى ذلك إلى أن والدته قد انتقلت به بعد ولاته بأربعين يوما إلى قرية والده المعروفة بساقية أبى شعرة فنشأ بها ونسب إليها . وبهذه المناسبة نود أن ننبه إلى أن جمهور المؤرخين يكتبون اسمه الشعرانى بالنون ، على الرغم من أن كتبه بخطه بالواو على بعض مؤلفاته المخطوطة من (مختصر له لمدونة الإمام مالك بما نصه « يقول مسطرها عبد الوهاب بن أحمد الشعراوى الشافعى . إنى بلغت فى الاختصار من أول المدونة إلى هنا امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى بالاطلاع على أقوال الإمام رضى الله عنه بتاريخ رابع ذى الحجة الحرام[3] ٩٥٤ هـ » .

وقد ظل فى طفولته يدرس فى كتاتيب ساقية أبى شعره ويحفظ القرآن حتى اذا بلغ الثالثة عشرة من عمره انتقل الى القاهرة[4] ٩١١هـ حيث تلقى العلم على كبار علمائها وفضلاء محدثيها ، مما حبب اليه علم الحديث فعكف على دراسته وكان رحمه الله متمسكا بأهداب السنة مغاليا فى الورع ، ثم سلك طريق التصوف وقطع علاقته بالدنيا ، فكان يطوى الأيام صائما ويفطر على قليل من الخبز . وكان يؤثر ذوى الحاجة على نفسه حتى بملبسه موزعا أوقاته بين العبادة والدرس .

---

(١) عبد اللطيف حمزه : القلقشندى فى كتابه صبح الاعشى ص ٤١ (كتب الاعلام)
(٢) السخاوى : الضوء اللامع جـ٦ ص ١٥٧
(٣) حسن عبد الوهاب ص ٢٩٩
(٤) شذرات الذهب جـ٨ ص ٣٧٢

وبعد مضى تلك الفترة الطويلة فى البحث والدرس ، عنى بالتأليف فصنف عددا كبيرا من الكتب بلغت نحو السبعين نذكر منهـا على سـبيل المثال ، مختصر الفتوحـات وسـنن البيهقى الكبرى ، ومختصر تذكرة القرطبى ، والميزان ، والبحر المورود فى المواثيق والعهود . ثم كتاب كشف الغمة عن جميع الأمة ، والمنهـج المبين فى أدلة المجتهـدين والبدر المنير فى غريب احاديث البشير النذير . وكان يحـب الفـلاسفة وينهـى عن الحـط من قدرهم وتنقيصهم وينفر ممن يذمهم ويقول «هؤلاء عقلاء[1]»

ومن الكتب التى اختتم بها حياته هى مشارق الانوار القـدسية فى العـهود المحمدية ، والجوهر المصـون فى علوم الكتاب المكنون ، وطبقـات ثلاث ، ولوائح الخـذلان على من لم يعلم القرآن[2] . وقد ظل شيخنا على هذا الحال من الورع والتقوى والتصـوف حتى قويت روحانيته ، فكان يفتتح الذكر عقب صـلاة العشـاء فلا يختمه الا عند الفجـر . وقد حـج واعتمر مرارا .

---

(١) الكواكب السائرة قسم (٣) ص ٨٥٩

(٢) شذرات الذهب جـ٨ ص ٣٧٣

الوصف المعماري

كان شيخنا عبد الوهاب الشعراوى يقيم فى مسجد الغمرى مدة طويلة ، ثم انتقل الى مسجد فاطمة أم خوند القريب من مسجده الحالى ، والذى أنشأته خوند فاطمة بنت قايتباى العمرى شرعت فى انشائه حوالى[1] (٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) وفى مدة اقامته بمدرسة أم خوند أنشأ القاضى عبد القادر الأرزملى[2] مدرسته المعروفة بالقادرية وهى التى حل محلها المسجد الحالى . فانتقل اليها الشيخ الشعراوى فآوى إليه المريدون وطلاب العلم والفقراء من المتصوفة لسماع دروسه فى الفقه[3] .

على أن مريديه لم يكونوا قاصرين على طبقة الفقراء والمعوزين ، فقد قصده الأمراء والوزراء وعلية القوم من الحكام والمحكومين على السواء[4] . وظل هكذا مجلسه موئل ومورد الجميع الى ان توفى عصر يوم الاثنين ٢ من جمادى الاولى (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) ودفن فى تربته التى أعدت له يوم وفاته بجوار المدرسة ، ثم أقيمت عليها هذه القبة[5] .

وقد أقيم المسجد الحالى محل المدرسة القادرية السالف الاشارة اليها وقد تم تجديده فى عهد نظارة السيد محمد عبد الحليم الشعراوى[6] (١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م)

ويتكون المسجد من مستطيل يقسمه صفان من الأعمدة الى ثلاثة أروقة . ويتكون كل صف من بائكة تحتوى على أربعة أعمدة يعلوها عقود مدبية ممتدة . وتحمل عقود البوائك سقف المسجد الخشبى المزخرف برسوم زيتية متعددة الألوان . ويوجد بالرواق الأوسط (منور) لاضاءة المسجد وتهويته .

---

(١) خلاصة الأثر جـ٢ ص ٣٦٤

(٢) طبقات الشعرانى جـ٢ ص ١٩٩

(٣) الخطط التوفيقية جـ١٤ ص ١١٠

(٤) شذرات الذهب جـ٨ ص ٣٧٥

(٥) الكواكب السائرة قسم ٣ ص ٨٦٣

(٦) الخطط التوفيقية جـ١١٤ ص ١٠٩

ويتصدر جدار القبلة المحراب وهو بسيط وخال من الزخرف اللهم الا بعض نقوش زيتية تشبه تجزيعات الرخام. وبجواره محراب من الخشب مزخرف بأنواع من (الزرنشان) ورسوم تقليد للتطعيم بالعاج

وللمسجد ثلاث واجهات ، الرئيسية منها فى الضلع الغربى وتطل على شارع الخليج (بورسعيد حاليا) والواجهة الجنوبية حيث توجد قبة الدفن وتطل على شارع الشعرانى البرانى.

وبجوار المسجد توجد القبة وهى الجزء الوحيد الباقى من المبنى القديم. وتتكون من مربع مبنى من الحجر ، تعلوها منطقة الانتقال التى يشغلها عدة صفوف من الدلايات ويقوم فوقها رقبة مرتفعة فتحت فيها ست عشرة نافذة معقودة. وتعلو الرقبة قبة مبنية من الطوب يعلوها هلال نحاسى. ويحتوى مربع القبة على صفين من النوافذ ، السفلى منهما يحتوى على نافذتين مستطيلتين يعلوهما عتب مكون من صفحات معشقه من الحجر الأبلق يعلوه عقد عاتق من الحجر الابلق كذلك. ويحتوى الصف العلوى على نافذتين قنديليتين تتوسطهما فتحة مستديرة ، وفى منطقة انتقال القبة توجد نافذة قنديلية. وقد ملئت جميع النوافذ القنديلية بالزجاج المعشق المتعدد الألوان

وقد حليت جميع جدران القبة من الداخل بنقوش زيتية. ويتوسط القبة مقصورة خشبية مطعمة بالعاج والصدف عملت[1] (١١٦١هـ/ ١٧٤٨م). كما صنع باب القبة من الخشب وزخرفت بطريقة الحشوات المجمعة وبطريقة الحفر البارز والغائر.

كما يوجد بالمسجد مجموعة من المقابر ، وهى قبر العلامة الشيخ على نور الدين الشونى الذى ترجم له الشعراوى[2] فى طبقاته فقال « شيخى ووالدى وقدوتى الشيخ نور الدين الشونى ، خدمته خمسا وثلاثين سنه ». والشيخ نور الدين من أهالى بلدة شونى من نواحى (طنتدا) طنطا ، بها أمضى طفولته وجزءا من شبابه ، ثم قدم الى مصر فاستقر به المقام خطيبا وشيخا فى تربة السلطان برقوق بالصحراء. وقد انشأ الشيخ نور الدين

---

(١) الخطط التوفيقية جـ١٤ ص ١١٢

(٢) طبقات الشعرانى جـ٢ ص ١٩٩

بالجامع الأزهر مجلسا للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك[١] (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) فى عهد السلطان قايتباى .

ثم تنقل بعد ذلك الى عدة اماكن فقد نقله السلطان طومانباى[٢] العادل الى تربته وعهد إليه بالسبيل الملحق بها . وأخيرا انتقل الى المدرسة السيوفيه فأقام بها حتى توفى (٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) ودفن بالقبة المجاورة لباب المدرسة القادرية .

كما دفن عند الشعراوى ابنه العالم الصالح عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشعراوى الذى تولى مشيخة المدرسة بعد وفاة والده ، وجاء وصفه فى شذرات[٣] الذهب « انه كان حسن الخلال من بيت مبارك متصل المدد والخيرات » توفى فى اواخر (١٠١١هـ / ١٦٠٣م)

---

(١) خلاصة الأثر جـ٢ ص ٣٦٤ .
(٢) الكواكب السائرة قسم ٣ ص ٨٦٥ .
(٣) شذرات الذهب جـ٨ ص ٣٧٤ .

مسجد المحمودية

بميدان صلاح الدين بالقلعة

(٩٧٥هـ/١٥٦٧م)

أنشأ هذا المسجد أحد وزراء الدولة العثمانية الذى أرسله السلطان سليمان القانونى ليتولى امارة مصر ، وهو محمود باشا وذلك فى (٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م) . وقد جاء ذكره فى النزهة[1] الزهية ، بأنه عندما وصل الى ميناء الاسكندرية استقبله كبار رجال الدولة بما يليق بمقامه من التحية والترحيب وقدموا له الهدايا من التحف الثمينة من الذهب والفضة والخيول المطهمة . ولما وصل مدينة القاهرة كان فى مقدمة مستقبليه حاكم الصعيد الأمير محمد بن عمر ، الذى قدم اليه الكثير من الهدايا من تحف وخيول وكذا خمسين ألف دينار . ولكن محمود باشا جزى الأمير محمد بن عمر على هذه الهدايا القيمة جزاء سنمار ، اذ لم يمض على وصوله القاهرة بضعة اسابيع حتى غدر به فقتله واستولى على ثروته .

وقد اشتهر محمود باشا بالظلم والجور والتعسف فى معاملة الناس ، فقد تشدد فى جمع الضرائب فاستعمل جميع انواع القسوة والعنف فى جمعها ، بل وصل به الأمر فى معظم الحالات الى مصادرة أموال من يتأخر عن السداد . وبرغم هذه الغلظة الا أنه اشتهر بالكرم الذى يصل الى حد السفه .

وكان طبيعيا ان تنتهى حياة مثل هذا الوالى بالقتل ، فقد قيل ان محمود باشا خرج فى يوم الاربعاء[2] آخر جمادى الاولى ، وقيل فى غرة[3] جمادى الثانية فى موكب فخم وخدم وحشم من القلعة للنزهة فى بساتين الناصرية ، وبينما هو يمر على بركة الناصرية بين البساتين اذ اعتدى عليه شخص مجهول وأطلق عليه عيارا ناريا فأصابه إصابة بالغة ولم يجد فيه العلاج . ولما أحس بدنو أجله أوصى بعتق جميع مماليكه ، كما أوصى أن تأخذ زوجته جميع أملاكه ، ثم توفى ودفن بمسجده الذى تم بناؤه (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) .

---

(١) النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ورقة ٤٩ ـ ٥٢ (مخطوطة)

(٢) أخبار الاول ص ٨٩

(٣) التوفيقات الالهامية ص ٩٧

الوصف المعمارى

يقع هذا المسجد فى ميدان صلاح الدين بالقلعه (المنشية سابقا) وهو من المساجد المعلقة اذ يصعد اليه ببضع درجات من الواجهتين الجنوبية والشمالية ويمتاز مسجد المحمودية باحتوائه على أربع واجهات مبنية بالحجر ، الا ان الواجهة الرئيسية تقع فى الضلع الجنوبى ويتوسطها المدخل الرئيسى . ويتكون المدخل من باب معقود يعلوه ثلاث مربعات بداخلها مزررات على هيئة شرافات ، يعلوها عتب آخر مزرر ، يأتى فوقه نافذة صغيرة يعلوها مقرنص كبير يعلوه ثلاث حطات من الدلايات . ويحيط بكل هذه الزخارف التى تعلو باب المدخل طاقية الباب وهى من الحجر الابلق ، أبيض وأحمر .

ويكتنف عقد الباب توشيحتان ملبستان بالحجر الأبيض والأحمر كذلك ، وقد كتب فى طبلة العقد (الله حسبى) .

وكان يوجد على يسار المدخل الرئيسى سبيل أدركت لجنة حفظ [1] الآثار العربية بقايا أرضيته الرخامية ، التى حفظت فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

أما الواجهة الشمالية فيتوسطها كذلك مدخل يقابل بابه باب المدخل الجنوبى على نفس محوره . ويعلو الباب عدة حطات من الدلايات البديعة التكوين . ويجاور الباب من جهته الغربية باب صغير يؤدى الى دهليز مقبى يشغل أسفل الايوان الغربى للمسجد . أما الواجهة الشرقية فتضم القبة التى تعلو مدفن محمود باشا . وهذه القبة بارزة عن سمت الواجهة وقائمة بمفردها . وقد بنى مربع القبة وكذا الرقبة بالحجر أما القبة فمبنية من الآجر .

ويتكون المسجد من مربع طول ضلعه ١٩,٧٥ مترا . ويعتبر تخطيط مسجد المحمودية فريدا فى نوعه ، فهو ينقسم الى ايوانين فقط يفصل بينهما (درقاعة) تمتد من الشمال الى الجنوب بحيث تصل بين بابى المسجد . ويتوسط المسجد مربع أصغر من مربع المسجد يحدده أربعة أعمدة كبيرة من الجرانيت الأحمر ، يعلوها أربعة عقود كبيرة يتوسطها منور

---

(١) حسن عبد الوهاب ص ٢٩٦

يرتكز على كوابيل حجرية تقوم فوقها عوارض خشبية تحمل سقف المسجد من جهاته الأربع . ويتكون السقف من برطوم ومربوعات مزخرفة برسوم زيتية متعددة الألوان ومذهبة .

ويتوسط جدار القبلة الشرقى محراب حجرى خال من الزخرف الآن ، يعلو عقده نافذة مملوءة بالزجاج المعشق ويتوسطها كتابة (لا اله الا الله محمد رسول الله) . ويجاور المحراب منبر خشبى ، صنعت (ريشتاه) بطريقة الحشوات المجمعة ويعلوها افريز من الخشب الخرط .

ويحيط بجدران المسجد من جهاته الأربعة صفان من النوافذ ، الاسفل منها كبيرة ومستطيلة الشكل يعلوها عتب فوقه عقد عاتق . وقد ملئت نوافذ الصف السفلى بمصبعات حديدية . أما نوافذ الصف العلوى فهى معقودة ومملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

ويعلو جدران المسجد ايزار خشبى كبير ، يحتوى على كتابات قرآنية محصورة فى بحور ويتخللها جامات ملئت بزخارف نباتية مذهبة ومن الآيات القرآنية قوله تعالى « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين »

كما يحيط بفتحة المنور ايزار كتب عليه النص التالى : « بسم الله الرحمن الرحيم لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون » . قال صلى الله عليه وسلم من (بنى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة أوسع منه) . أمر بانشاء هذا المسجد المعمور من فيض ماله المبرور المقام العالى واسطه عقد اللالى أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام فكان ابتداؤه وتاريخه بحكم منشئه الأول المبدى ٩٧٥ وانتهاؤه بمعاونه له من الرتب على أنه ليضىء برا للرضا للقوة ـ لاغلبيه وأول ـ والاكرام المختص حضرة الأمير الباشا محمود راجيا من كرم الله القبول والرضا من فضله العفو مرتضى تقبل[1] الله »

وفى جدار الايوان الغربى توجد دكة المبلغ التى تقوم على كوابيل حجرية . ويتوصل الى دكة المبلغ عن طريق سلم بابه فى الركن الشمالى الغربى من الإيوان ، والسلم يوجد فى

---

(١) محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية سنه ١٩٠٦ ص ١١٨

سمك جدار الحائط يمتد حتى سطح المسجد . ويعلو دكة المبلغ صف من النوافذ المعقودة المملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

ويقع خلف المحراب مباشرة قبة الضريح ، يدخل اليها من باب الى يسار المحراب . وقد فرش داخل القبة برخام أبيض وأسود فى تكوينات هندسية بديعة . وتقوم القبة على مربع ملئت اركانه بمقرنصات فى منطقة الانتقال ، تعلوها رقبة مرتفعة تقوم فوقها القبة . ويحيط بجدران مربع القبة صفان من النوافذ ، السفلى منه مستطيل ومملوءة بمصبعات حديدية . اما الصف العلوى فنوافذه معقودة ومملوءة بزجاج معشق متعدد الألوان . ويشغل مربع القبة ثلاثة قبور ، أحدها قبر منشىء المسجد . ويتصدر ضلعها الشرقى محراب

وفى الركن الجنوبى الشرقى توجد قاعدة مستديرة حليت بزخارف تنتهى عند ارتفاع الواجهة الجنوبية بحطتين من الدلايات هى امتداد الدلايات التى تعلو نوافذ الصف العلوى من نوافذ الواجهة . ويعلو هذه القاعدة المستديرة مئذنة المسجد ذات دورتين يتوسطهما شرفة خشبية تقوم على حطة من الدلايات الحجرية . وتنتهى المئذنة بشكل المسلة العثمانية الطراز .

مسجد سنان باشا

بشارع جامع السنانية
ببولاق (٩٧٩هـ/١٥٧١م)

أنشأ هذا الجامع سنان باشا التركى الذى عين واليا على مصر مرتين . وقد كان سنان باشا يجمع بين الحنكة السياسية والشجاعة والمقدرة الحربية الممتازة مما جعل سلاطين الدولة العثمانية الذين عاصرهم وهم سليمان القانونى وابنه السلطان سليم الثانى ثم مراد الثالث وأخيرا ابنه محمد خان ، يوكلون اليه القيام بالكثير من المهام الصعبة فى العالم العربى .

فقد تولى سنان باشا باشوية مصر (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) وفى تلك الأثناء عهد اليه بالقضاء على الفتن والثورات القائمة فى اليمن بين الباشاوات الأتراك وبين الائمة الزيدية حكام البلد الأصليين وذلك[1] (٩٧٦هـ / ١٥٦٩م) . ولما عاد منتصرا من هذه العملية الى مصر بقى بها الى (٩٨٠هـ/ ١٥٧٣م) ، كافأه السلطان بأن عينه صدرا أعظم فى القسطنطينية . ثم عهد اليه بمهمة اكبر وأخطر ، الا وهى فتح تونس واستخلاصها من أيد الأسبان

وقد يكون من المفيد ونحن نتناول شخصية سنان باشا ، ان نذكر فى شىء من التفصيل ، العمليات الحربية والسياسية التى قام بها ، فهى على جانب كبير من الأهمية ، اذ هى توضح لنا بطريق غير مباشر عن أحوال البلاد العربية فى المشرق والمغرب فى ظل الحكم العثمانى .

من المعروف ان السلطان سليم الأول قضى على دولة المماليك فى مصر ، ومن ثم فقد استولى على جميع الولايات التى كانت تابعة لدولة المماليك ، ومنها اليمن (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، فقد دان المماليك المقيمون فى اليمن للدولة العثمانية وذلك منذ سقوط دولتهم فى مصر وقتل آخر سلاطينهم قانصوه الغورى ٩٢٣هـ .

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ص ٢٦٣ ، الربيع : قرة العيون ص ١٧١

لكن خضوع المماليك فى اليمن للدولة العثمانية ، لا يعنى زوال حكمهم فى اليمن ، فقد ظلت السلطة والنفوذ الفعلى فى أيديهم حتى (٩٤٥هـ / ١٥٣٩م) وذلك فى عهد السلطان سليمان القانونى . ولعل السبب المباشر فى ذلك كما يقول سيرهنك[١] ، انه فى عام (٩٤٤هـ / ١٥٣٨م) استغاث بهادر ، حاكم كجرات الهند بالسلطان سليمان القانونى ، لتعديات أساطيل على بلاده قائلا : انها مستمرة على العبث بالسواحل الهندية دائبة السطو على كل سفينة لمنع المواصلات التجارية التى كان بينها وبين الديار المصرية « فأصدر السلطان أوامره الى سليمان باشا الخادم والى مصر بتجهيز دونانمه[٢] فى البحر ـ الأحمر لتسير بصحبة الجنود العثمانية الى بحر الهند .

فجهز سليمان باشا أسطولا مصريا مكونا من ستين غرابا[٣] وثلاثين سفينه وزودها بالمدافع والآلات الحربية ، ثم أقلع بها من ثغر السويس ومر فى ذهابه بعدن وقتل أميرها اليمنى عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ، وتصب عليها أحد قواده المسمى بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقلع الى الهند

وبرغم انهزام سليمان باشا أمام البرتغال فى موقعة قريبة من موقعة (ديو) ، الا ان اساطيلهم امتنعت لفترة الاعتداء أو الاحتكاك بالأمير بهادر حاكم كجرات بالهند . وفى عودة سليمان باشا الى عدن ومنها الى (فحا) خلع والى اليمن ونصب مكانه مصطفى بك نائب غزة سابقا ثم عاد الى مصر . وهكذا أصبحت لأول مرة تابعة للدولة العثمانية تبعية فعلية بعد ان ظلت قرابة ربع قرن من الزمان فى أيدى المماليك بعد أن زالت دولتهم فى مصر .

وقبل ان يترك سليمان باشا اليمن أناب عنه فيها مصطفى عزت باشا الذى واصل زحفه داخل اليمن حتى وصل (زبيد) (٩٤٦هـ / ١٥٣٩م) حيث انضم اليه المماليك فيها ثم واصلوا زحفهم الى تعز التى استعصت عليهم ، والتى كان يدافع عنها ويتولى أمورها الإمام شرف الدين وأولاده .

---

(١) سيرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار جـ٢ ص ٣٨

(٢) دونانمه : أى أسطول (La graviére : Doria et Barbarous a. P. 252 عن)

(٣) الغراب جمعه أغربة وغربان وهو نوع من المراكب عرف بهذا لان مقدمه يشبه رأس الغراب أو الطائر وهو يمثل فى الماء الطير فى الهواء . وهو من مراكب البحر المتوسط التى أخذها العرب عن القرطاجنين وبقيت حتى الى عهد الدولة العثمانية (سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الاسلامية ص ٣٥٩)

والأمام شرف الدين هو الذى حل محل الدولة الطاهرية ، التى ضعفت معنوياتها أثر الانتصارات المتكررة المتلاحقة للمماليك وخاصة بعد مقتل الأمير عبد الملك عبد الوهاب وذلك ٩٢٣هـ . وبذلك انتهى ملك آل طاهر الذى دام نحو خمسة وستين عاما .

ولما تم للإمام شرف الدين بسط نفوذه فى اليمن وذلك بمساعدة اليمنيين له ضد ما تبقى للمماليك من نفوذ بعد سقوط دولتهم ، فوض أمور دولته الى أولاده الأمراء المطهر وعز الدين وشمس الدين ، وذلك بعد مجيء مصطفى باشا ووصوله الى زبيد[1] ، وبعد أن أوفدت تركيا الى اليمن وفدا برئاسة حسن بهلول التركى للاتفاق مع الإمام الأشرف . الا ان وفد حسن بهلول لم ينجح فى غير افساد العلاقة بين الأمير المطهر وأبيه الامام شرف الدين . وقد أدى هذا الخلاف الى نجاح الأتراك فى الاستيلاء على تعز بايعاز من المطهر . الا ان هذا الخلاف سرعان ما انتهى عندما عرض الإمام شرف الدين على ولده المطهر مدينة طاهر وإعطاء أخويه بعض الحصون فعاد الوئام مرة أخرى

وانتقل المطهر الى صنعاء ٩٥٣هـ ، ضرب السكة باسمه ، الا أن الأتراك استولوا عليها سنة ٩٥٤هـ . وقامت بعد ذلك عدة مفاوضات بين المطهر وبين الدولة العثمانية ، الا ان الأتراك استطاعوا بعد انضمام حسن باشا والى القسم الجنوبى الى عثمان باشا والى القسم الشمالى ، بقواته ، الاستيلاء على تعز وطرد عامل المطهر منها .

وفى تلك الاثناء ٩٧٦هـ أرسل حسن باشا الى حضرة السلطان العثمانى بعد عودته الى (زبيد) يطلب النجدة ويستعجل الجيوش الجرارة . فلم يجد السلطان من يستطيع القيام بهذه المهمة الصعبة ، غير سنان باشا ، الذى جعل له ولاية مصر واليمن .

وجاء سنان باشا الى تهامة بجيوش كالغمامة ، والتى وصفها يحيى بن الحسين بن القاسم[2] فقال : قدم الوزير سنان الى اليمن بجنود كأنهم الجان من كماة الفرسان وأعيان الشجعان ، وخزائن قارونية ، وأبهة سليمانية وزى لم يعهد بمثله فى الاسلام وزمن الملوك الاعلام كالاموية والعباسية وسائر الملوك الايوبية والرسولية » .

ولما وصل سنان باشا إلى زبيد ، انتقل منها إلى اليمن الجنوبية حيث قضى على أصحاب المطهر فيها ، وانتقل إلى الشمال . . إلى صنعاء سنة ٩٧٧ هـ حيث دارت بينه وبين جند المطهر كثير من المعارك دامت عدة شهور أظهر كل منهما شجاعة وقوة وشكيمة نادرة المثال ، وانتهت بعقد الصلح بين المطهر وبين سنان باشا[3] .

---

(١) محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ص ٣١٥

(٢) غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى جـ٢ ص ٧٣٣ (نشر الدكتور سعيد عاشور)

(٣) البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ص ١٢٢

وفى ٩٧٨هـ عاد سنان باشا الى مصر بعد ان قرر أمور الجنود فى صنعاء وزاد فى نفقاتهم، وضاعف الخراج المحمول من اليمن الى السلطان الى مائتى دينار ذهبا كل عام بعد أن كان خمسين ألفا[1] من قبل.

وقد ظل سنان باشا واليا على مصر (٩٨٠هـ / ١٥٧٣م) حيث غادرها الى القسطنطينية فعين صدرا أعظم. ولكنه لم يبق طويلا فى تركيا فقد رأى السلطان سليم الثانى ان يعهد اليه بمهمة أخرى لا تقل خطورة وأهمية عن مهمة توطيد الأمن وتثبيت أركان الدولة العثمانية فى اليمن، الا وهى فتح تونس واستخلاصها من أيدى الاسبان.

من المعروف أن الدول الاوروبية كانت تخشى بشدة توحيد المغرب تحت سلطة دولة اسلامية كبرى مثل الدوله العثمانية، ومن ثم فان رد فعل استيلاء العثمانيين على تونس[2] (٩٧٥هـ / ١٥٦٩م) كان شديد العنف. فقد دعا البابا لتأليف حلف مسيحى[3] يقف أمام امتداد الدولة العثمانية فى شمال افريقية وتقوية نفوذ الاسلام واعادته الى قوته فى غرب البحر المتوسط التى كان عليها الى ما قبل سقوط الدولة الاسلامية فى الاندلس على يد فرديناند وازابلا (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م).

وفى (٩٧٧هـ / ١٥٧١م[4]) ألتقت القوى العثمانية بأساطيل الحلف المسيحى ودارت بين الفريقين معركة غاية فى القسوة والشراسة، فقد كانت الدوافع المؤدية الى القتال متعددة لعل أهمها بعد العامل السياسى الدافع الدينى، ومن ثم نستطيع القول بأنها كانت حربا صليبية ثانية.

وقد دارت هذه الموقعة قرب سواحل مالطة، ولكن من أسف تغلبت فيها قوى الحلف المسيحى فى معركة (ليبانتو)[5]. وكان من نتائجها احتفاظ الاسبان ببعض الجيوب الساحلية فى شمال افريقية وتوقف نفوذ الدولة العثمانية فى شمال افريقيا وفى غرب البحر المتوسط.

ولكن الدولة العثمانية سرعان ما استعادت مكانتها، وذلك عندما حاولت أسبانيا

---

(١) غاية الامانى جـ٢ ص ٧٤٣.

(٢) ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار افريقيا وتونس ص ١٨٣

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص ٦٧

(٤) صلاح العقاد: المغرب العربى ص ٣٦

(٥) Safwat. M. M: Tunis and the great Powers. 28.

معاودة الهجوم على تونس وذلك فى (٩٧٩هـ / ١٥٧٣م[1]) واعادة حكم الحفصيين اليها . ولكن ذلك لم يستمر غير عام واحد ، فقد استولى العثمانيون على تونس (٩٨٠هـ / ١٥٧٤م) واستقر حكمهم بها وتأسست النيابة الثالثة فى شمال افريقيا ، فقد سبقتها نيابة الجزائر ثم نيابة طرابلس[2] (الغرب)

لكن الحفصيين لم يقنعوا بهذه الهزيمه وحاولوا استعاده حكمهم مرة أخرى بمساعدة الأسبان ، عند ذلك لم يجد السلطان العثمانى سليم الثانى بدا من أن يرسل أشجع قواده واكثرهم حنكة ودراية سياسية ، سنان باشا ، الذى كان يشغل فى تلك الاثناء وظيفة الصدر الأعظم فى الاستانه . وقد استطاع سنان باشا القضاء على الحفصيين قضاء مبرما بحيث لم تعد لهم قائمة بعد ذلك ، كما استخلص تونس نهائيا من قبضة الاسبان .

ولم تقتصر أعمال سنان باشا العظيمة على الاعمال الخارجية والحربية فحسب بل شملت كذلك الكثير من الاعمال العمرانية والمدنية ، فى كل البلاد التى أقام بها أو ارتحل اليها . ولعل من أهم أعماله العمرانية فى مصر ، هو أعادة حفر خليج[3] الاسكندرية وإنشائه الكثير من الخانات والحمامات وغيرها من المنشآت الخيرية بها . كما اقام بها مسجدا ، هذا بخلاف المنشآت المماثله فى مدينة القاهرة وخاصة تلك التى اجتمعت فى حى بولاق ، وهى خان وحمام ثم المسجد الجامع موضوع البحث

هذا وأود ان أنبه هنا الى ان سنان باشا ، والى مصر والصدر الأعظم فى الاستانة ، هو غير الخواجه سنان المهندس الحربى العظيم الذى قام بتصميم الكثير من العمائر[4] فى تركيا ، والذى كان معاصرا لسنان باشا . ولكن ليس من المستبعد ان يكون الخواجة سنان وأحد تلاميذه[5] ، هو الذى وضع تصميم جامع سنان باشا بالقاهرة بحى بولاق .

وقد امتد عمر سنان باشا مدة ثمانين عاما فقد توفى[6] (١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م) كانت كلها حافلة بجلائل الاعمال . كما عاش حياة مرفهة ثرية ، فقد ترك عند موته ثروة كبيرة ما بين نقود وسبائك ذهبية وتحف وجواهر وأمتعة ورياش[7] ، فقد كان دخله السنوى (٤٠) ألف جنيه .

خلاصة تاريخ تونس ص ٧٦

Achard Prul: L'Histoirc de la Medliterranee. P193

النزهة الزهية ص ٥٣

M. A. Patricolo, : Monument d'Art arabe P. 178

(٥) J: lal Essad: Tstanbule. P. 291

(٦) خلاصه الأثر جـ٢ ص ٢١٤

(٧) البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ص ١٢٣

(٨) تاريخ الدولة الاسلامية ص ١٠٥

الوصف المعمارى

لقد أنشأ سنان باشا جامعه الذى يقع فى حى بولاق (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) . وهو يعتبر ثانى جامع أنشىء فى مصر على الطراز العثمانى ، فقد كان المسجد الاول جامع سليمان باشا الخادم بالقلعة .

والمسجد مستطيل الشكل يبلغ طوله (٣٥) مترا وعرضه (٢٧) مترا ، وان كان أوليا جلبى[١] الرحالة التركى الذى زار مصر قال فى وصفه انه مربع الشكل اذ تبلغ مساحتة (١٥٠) قدما فى الطول والعرض . ولعل الرحالة أوليا جلبى قد أدخل فى مقاس الجامع الحديقة التى تحيط به ، فقد كان للمسجد من خارجه من ناحية حائط القبلة حديقة وصفها أوليا جلبى فقال : وتوجد له حديقة ذات زهور وورد أمام محرابه » . كما كان يحيط بالمسجد سور به أبواب هدم الشرقى منها[٢] ١٩٠٢م

وقوام بناء المسجد قبه كبيرة يبلغ قطرها قرابة (١٥) مترا ويحيط بها من ثلاث جهات رواق واحد ، وهى الجهة الشمالية والجنوبية والغربية . وقد ناقشت السيدة هدايت[٣] تخطيط جامع سنان باشا الذى اعتبرته قد شذ عن الطراز التركى الذى استخدم فى بناء المساجد السابقة عليه سواء فى تركيا أو مصر ، وقالت عنه انه ظاهرة فريدة غير مألوفة من قبل . والظاهرة الفريدة فى رأى هدايت هو أن الجامع لا حرم له ، أى لافناء يتقدم مكان الصلاة مثل جامع أو شى شريفيلى فى أدرنه (شكل (٣) وجامع بايزيد الثانى فى اسطنبول (شكل (٥)) وجامع سليمان باشا الخادم بالقاهرة .

ولكننا لا نري سببا لهذا العجب ، فقد فسر لها الرحالة اوليا جلبى السبب الذى دعا المهندس فى اتخاذ هذا التصميم الذى لا يختلف عن الطراز التركى وليس فيه أى تأثير محلى اللهم الا فى التفاصيل الفرعية وهى بعض الزخارف . ذلك ان قوام الطراز التركى هى القبة التى تغطى مكان الصلاة كله ، ثم الأروقة التى تحيط بالحرم أو الفناء ان وجد أو تحيط بالقبة (مكان الصلاة) اذا كانت المساحة صغيرة لا تسمح بذلك . وفى ذلك يقول

(١) Evliya Celelsi : Seuah atname. vol. x. Misir P. 293 ترجمة الاستاذ على احسان اوقور نقلا عن رسالة جامع الملكه صفيه للاستاذه هدايت تيمور

(٢) حسن عبد الوهاب ص ٣٠٣

(٣) هدايت تيمور : جامع الملكة صفية ورقة رقم (٢٠٧)

اوليا جلبي : ولكن ليس له حرم[1] لوجوده على ثغر النيل » وهو يعني بذلك ان وجود الجامع على ضفة نهر النيل الشرقية لم يسمح بوجود حرم أو فناء من جهتة الغربية

ويتكون مكان الصلاة من مربع يبلغ طول ضلعه (١٥) مترا تغطيه قبة مبنية بالحجر من الداخل أما خارجها فمن الآجر . ويشغل اركان المربع الذى تقوم فوقه دائرة القبة مثلثات رؤوسها الى ركن المربع بينما تبرز قواعدها عن سمت جدار المربع . بحيث تصنع مثمن متساوى الأضلاع ، أصبح من السهل معه اقامة قبة حجرية كبيرة واستطاعة جدران المربع احتمال ضغطها الطارد .

ومثلثات منطقة الانتقال تشبه الى حد كبير المثلثات الكروية المقعرة التى استعملت فى العمارة الاسلامية من قبل مع اختلاف فى أن رأس المثلث فى منطقة الانتقال الاسلامية فى اسفل بينما رأس المثلث فى العمارة التركية فى أعلى ولعل السبب فى ذلك ، ان فى العمارة الاسلامية ، ان منطقة الانتقال تقوم فوقها رقبة القبة التى تأتى بعدها دائرة القبة ، بينما نجد فى العمارة التركية أن القبة ترتكز مباشرة على مثمن مرحلة الانتقال دون رقبة ، ومن ثم فهى فى حاجة الى الارتكاز على الضلع الاكبر من مثلث منطقة الانتقال (انظر شكل)

ويشغل مثلث منطقة الانتقال نصف دائرة تخرج منها ثلاثة فصوص ، وقد وجد هذا النوع من زخرفة منطقة الانتقال فى العصر المملوكي فى القبة الفدويةالتى أنشأها الأمير يشبك بن مهدى[2] (٨٨٤ / ١٤٧٩م) أى قبل مسجد سنان باشا بما يقرب من قرن من الزمان . وقد زخرفت الدائرة التى تتوسط المثلثات بلفظ الجلالة منزلا بالحجر الأصفر فى الحجر الابيض

ويحيط بالقبة صفان من الفتحات ، يبلغ عدد كل منهما سته عشرة فتحة الصف الأسفل فتحاته معقودة وكل اثنين منهما متجاوران فى ضلع من أضلاع المثمن . وقد فصل بين فتحات الصف الأسفل بثمان أعمدة مندمجة تنتهى بطاقية مضلعة . أما فتحات الصف العلوى فهى على شكل ورقة نباتية ذات ثلاثة فصوص يفصل بينهما ستة عشر عمودا مندمجا وقد ملئت هذه الفتحات جميعها بزخارف جصية معشقة بالزجاج المتعدد الألوان .

ويحيط بالقبة من الداخل ويفصل بين صفى الفتحات شرفة خشبية ، بها ممر ضيق لعل الغرض منه هو التفتيش على هذه الفتحات وصيانتها .

---

(١) اوليا جلبى : سياحه نامه (المترجم - جامع الملكه صفيه

(٢) سامى عبد الحليم : المنشآت المعمارية للأمير يشبك من مهدى (رسالة دكتوراه مخطوطة)

وقطاع القبة مدبب منبعج وكانت مغطاة بالرصاص كما جاء فى (سياحة نامه) والتى وصفها أوليا جلبى[1] بقوله « انها قبة جميلة كأنها صنعت فى مصنع السماء »

ويتوسط الضلع الشرقى للقبة محراب كثير العمق زخرف تجويفه وتواشيح عقده بالفسيفساء الرخامية البديعة التكوين . وبجوار المحراب يوجد منبر خشبى مصنوع بطريقة الخرط (المعقلى) والحشوات المجمعة . وفى الضلع الغربى المقابل لحائط القبلة توجد دكة المبلغ وهى من الخشب ومحمولة على الحوامل الخشبية كذلك (كوابيل) . وقد زخرفت دكة المبلغ وكذا سقفها الخشبى و(الكوابيل) بزخارف زيتية متعددة الألوان ومذهبة ، قوامها عناصر نباتية وهندسية . ويصعد الى دكة المبلغ وكذا الشرفة التى تعلو الفتحات السفلى للقبة السالف الاشارة اليها من سلم فتح فى سمك الجدار ، له باب فى النافذة الشمالية فى الجدار الغربى للقبة .

أما الأروقة الثلاثة التى تحيط بالقبة وتفتح عليها بثلاثة أبواب والتى يبلغ عرض كل منها ثمانية أمتار ، فهى مقسمة الى مربعات يعلوها قباب ضحلة تقوم على مثلثات كروية . ويبلغ عدد المربعات فى الضلع الكبير خمسة وهو الرواق الغربى وأربعة فى الضلعين الشمالى والجنوبى .

وتحمل قباب الأروقة بوائك معقودة مكونة من دعائم حجرية وأعمدة رخامية . ويعلو هذه البوائك دوائر جصية مفرغة بزخارف نباتية وهندسية بديعة التكوين ومكتوب بوسطها (الله ربى) ، وتنتهى من أعلى بشرفات مرتفعة جميلة

وتقع مئذنة المسجد فى الركن الجنوبى الشرقى ، وهى تقوم على قاعدة مربعة يعلوها الطابق الاول وهو اسطوانى زخرف بست عشرة قناة من الخارج . ويفصل بين الطابق الاول والثانى شرفة ذات ستة عشر ضلعا زخرف بنقوش مخرمة . وتقوم الشرفة على ثلاث حطات من المقرنصات والدلايات البديعة التكوين . والطابق الثانى دائرى كذلك ولكنه اصغر من الطابق الاول من حيث قطر الدائرة ومن حيث الارتفاع . ثم يعلو ذلك الشكل المخروطى ، الذى يميز المآذن التركية الطراز

وكان يوجد بالمسجد مزولة مصنوعة من القاشانى فى النهاية الغربية الجنوبية منه ، وهى من صناعة حسن الصواف[2] (١١٨٢هـ / ١٨٦٢م)

---

(١) سياحه نامه ص ٢٩٣ المترجم)

(٢) حسن عبد الوهاب ص ٣٠٥

جامع كريم الدين الخلوتى

بشارع بورسعيد (الخليج سابقاً)

(٩٨٦هـ/١٥٧٧م)

هو الشيخ محمد بن أحمد كريم الدين الخلوتى ولد فى عهد السلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٩٦هـ (سنة ١٤٩٠م) وعاصر السلطان الغورى آخر سلاطين دولة المماليك الجراكسه . جاء فى الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية[١] : نشأ فى كنف الله حتى شب وترعرع فصار يميل الى الخير ويحضر مجالس الذكر وينشد فيها كلام القوم ، فقد رزقه الله صوتا جميلا ونبرات حسنة متزنة ونغما رخيما . وقد أخذ عن الشيخ دمرداش المحمدى الطريق وكان من أقرب تلاميذه ومريديه ، وكان هينا لينا فأحبه شيخه وعطف عليه وقربه منه ولقنه علوم (الاوفاق والحرف والزايرجة والرمل) فأتقنها وتألق نجمه ، حتى انتهت اليه الرياسة فى طريق الخلوتية ، وكثر تلاميذه وحسن اعتقاد الناس فيه .

وكان كريم الدين متواضعا للزائرين ومهيبا على السالكين ، ومما يروى[٢] أنه ، أخلى مرة رجلا فقال له : يا سيدى أدركت كل ما يدرك بقوة الحواس بذاتى حتى كأنى عين الاسم الذى اشتغل به من جميع جهاتى ، فزجره زجرة شديدة ارتعدت منها جميع جوارحه فزال منه ذلك الاحساس الجسمانى .

وقد جاء فى الضوء اللامع[٣] « ولما دنت وفاة الشيخ الدمرداش أجاز جماعته واستخلف الشيخ حسنا ولم يوص الى الشيخ كريم الدين بشىء مع نجابته وتفوقه على غيره من أتباع الدمرداش فلزم الادب وسكت فلما احتضر الدمرداش قال لولده محمد قصرنا فى شأن الشيخ كريم الدين مع استحقاقه واشهدكم أنى أجزته فاكتبوا له وأعطوه جبتى[٤] .

(١) المناوى : الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية .

(٢) الخطط التوفيقية : جـ٤ ص ١١٠

(٣) الضوء اللامع للسخاوى جـ٦ ص ٢٢٧

(٤) المناوى : الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية .

ويكمل المناوى هذه القصة فيقول : فبدأ ولد الشيخ دمرداش فى كتابة الاجازة فمات الشيخ فاكملها بعده لكنه أعطى الجبة لغيره فاخذها ولبسها ، فقتل ، فأخذت الجبة ودفعت للموصى له بها (اى كريم الدين) » . وهنا يضيف المناوى : فكان ذلك علامة تقدمه فى التصوف والوصول الى الطريق ، فاجتمع عليه خلق كثير وانتهت اليه الرياسة فى طريق الخلوتية وعلا قدره وظهر أمره . ولما كثرت جماعته تحول الى زاوية بالقرب من قنطرة سنقر على الخليج - (كان موضع القنطرة فى منتصف الطريق بين المدرسة الخديوية الآن وميدان باب الخلق) (أما الخليج فهو شارع بور سعيد الآن) - وكان هينا لينا متواضعا للزائرين .

ويقول على مبارك ان الشيخ كريم الدين كان معاصرا للعارف بالله الشيخ الشعرانى وكانا يقصدان للزيارة والتسليك (للتبريك) ، فلما مات الشعرانى انفرد الخلوتى بالوجاهة وأقبل عليه الخاص والعام، ولم يزل الشيخ مقيما على الارشاد وأمره دائما فى ازدياد بحيث انه اذا خرج من الشارع يكثر الزحام على تقبيل يديه ورجليه وما برح كذلك حتى وافاه الحمام فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وتسعمائة عن نحو تسعين سنة » . ويصف على مبارك فى وصف جنازته فيقول : « واغلقت البلدة لمشهده وحمل نعشه على الاصابع من كثرة الخلق ، من زاويته الى الجامع الازهر وصلى عليه ثم رجعوا به ودفن بزاويته رحمه الله تعالى » .

ويصف الرحالة النابلسى[1] الذى زار القاهرة سنة ١١٠٥هـ / (١٦٩٤م) جامع الخلوتية فيقول: مررنا على جامع الخلوتية ، فدخلنا اليه وزرنا هناك قبور الخلوتية الدمرداشية وهم الشيخ كريم الدين والملقب بكوز البغا ، والشيخ عبد الجواد وغيرهم ، فقرأنا لهم الفاتحة ودعونا الله تعالى » . ويفهم من وصف النابلسى السابق لجامع الخلوتية ، ان الزاوية التى أنشأها كريم الدين الخلوتى فى حياته والتى دفن فيها بعد مماته أصبحت فيما بعد مقرا للخلوتية ومدفنا لمعظم شيوخها والمقربين من مريديهم .

اما عن المسجد الموجود بجوار الزاوية ، فيقول المرحوم حسن عبد الوهاب[2] ، اعتمادا على نص النابلسى الذى جاء فيه اسم (كوزاليغا) من بين المدفونين فى المسجد

---

(١) النابلسى : الحقيقة والمجاز ص ١٤٩

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ص ٣٤٢

وكذا اعتمادا على ما جاء فى المقريزى وفى الضوء اللامع ، أن منشئه هو (كوز البغا) فى عهد السلطان الظاهر جقمق (سنة ٨٤٢هـ - ٨٥٧م) أى قبل مولد كريم الدين الخلوتى. فقد جاء فى ترجمة (كوز البغا) للسخاوى مايلى : وخدم كوز البغا عند فيروز الساقى ثم توجه للعبادة والتلاوة وبنى جامعا على الخليج الحاكمى بالقرب من شق الثعبان وقنطرة سنقر ، وانقطع به الى أن مات فى ايام الظاهر جقمق » ويضيف حسن عبد الوهاب على ترجمة السخاوى ما نصه : وهذا التحديد الذى أورده السخاوى ينطبق تماما على الموقع الموجود فيه المسجد الحالى.

نخرج من كل ما تقدم أن كوز البغا هو الذى أنشأ المسجد وذلك فى منتصف القرن التاسع الهجرى كما أنشأ قبة فى الجهة الغربية منه دفن فيها كوز البغا. وعندما ترك كريم الدين الخلوتى زاوية الدمرداش فى العباسية ، اتخذ له زاوية وخلوة بجوار مسجد كوز البغا ، فلما توفى دفن فى قبة المسجد وذلك سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) ، ومنذ ذلك التاريخ عرف المسجد باسم جامع كريم الدين الخلوتى وأصبحت القبة زاوية وخلوة لشيوخ وتلاميذ ومريدى الخلوتية.

الوصف المعماري

يقع مسجد كريم الدين الخلوتي عند نهاية شارع البرموني عند تقاطعه بشارع بور سعيد (الخليج المصري سابقا) عند قنطرة سنقر (محطة ترام سنقر الآن) . ومن الثابت أن مساحة المسجد الحالية هي نفس المساحة التي أنشأ عليها كوز البغا مسجده ، وأن يد التجديد والتعمير قد توالت عليه عبر العصور نظرا لأهمية الشيخ كريم الدين عند أولى الأمر من باشوات وأمراء وشيوخ الخلوتية . فقد ذكر النابلسي[1] انه زار جامع الخلوتية سنة ١١٠٥م ، وجاء في كتاب الخطط التوفيقية[2] « أن جامع الخلوتي داخل قنطرة آق سنقر بالقرب من جامع حسين باشا (أبي أصبع) مكتوب على وجه بابه أبيات وتاريخ سنة ١١٢٣هـ ، وهو مقام الشعائر تام المنافع وبداخله ضريح سيدى محمد الخلوتي المنسوب اليه هذا الجامع يعمل له مولد كل سنة » .

كذلك جدد المسجد الامير (ايواز) بك سنة ١١٧٣هـ (١٧٥٦م) كما هو ثابت على الباب الغربي الموصل الى القبة المدفون بها الشيخ كريم الدين وكوز البغا وغيرهما . فقد نقشت عليه الابيات الآتية :ـ

بالحسين آل بيت طاهر لذ تعط ما ترجوه من مفاخر
فالخلوتي ذو التقى لما بهم لاذ ارتقى في كل سر باهر
مسجده قد زاد في اشراقه نورا بديعا حسن المآثر
جدده من قدأنير قلبه فقلت منشدا بقول ظاهر
يا سعد (ايواز) فقد أرخته أبشر بعفو من معز قادر

ويقول حسن عبد الوهاب ان الجزء الوحيد الذى يرجع الى عهد كوز البغا هو الجزء الأسفل من المئذنة حتى الدورة الاولى وقد نقش عليها النص التالي : (بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٩ ص ٣١

(٢) على مبارك : جـ٥ ص ١٠٩٠

وكان المسجد يتكون من صحن مكشوف مربع الشكل تقريبا وتحيط به الاروقة من ثلاث جهات ، الجهة الشرقية وتحتوى على صفين من البوائك تقسمها الى ثلاثة أروقة . وتتكون كل بائكة من أربعة عقود مدببة ترتكز على ثلاثة عمد رخامية . ويوجد بحائط القبلة محرابان ، الرئيسى ويقع على يمين المنبر ، ويتكون من قطعة واحدة من حجر البازلت الاسود تعلوه مجموعة من بلاطات القاشانى التركى ، لعل أهمها بلاطة تحتوى على شكل ضريح تحيط به مجموعة من اشجار السرو ، ويسمى الاتراك مثل هذه المناظر باسم (مرازلك) . ويحيط بالمسجد من الجانبين الشمالى والجنوبى رواق واحد ، أما الجهة الغربية فلايوجد بها أروقة بل يوجد بها باب يوصل الى القبة وحجرة الى الغرب منها . وباب ثان يوصل الى المئذنة ، التى ترجع قاعدتها ودورتها الاولى الى المنشىء الاول للجامع وهو (كوزالبغا) اما الجزء العلوى الذى يشبه (القلم الرصاص) أو المسلة فيرجع الى العصر العثمانى . وتتكون القبة من أربعة عقود تعلوها قبة بها مدفن كوز البغا ، أما الحجرة التى تقع الى الغرب منها فتحتوى على مقبرة الشيخ كريم الدين الخلوتى وغيره من شيوخ الخلوتية الذين أشار اليهم النابلسى سابقا .

ومما يؤسف له أن هذا المسجد بموقعه الفريد فى نهاية شارع البرمونى وتقاطع شارع بور سعيد (الخليج المصرى وقنطرة سنقر) والذى يرجع تاريخ انشائه الى القرن التاسع اى الخامس عشر الميلادى والذى يحتوى على جدث شيخ من أولياء الله الصالحين ، ترك دون صيانة حتى سقطت جميع أروقته وقبته سنة ١٩٦٩ . وأنى أهيب بالسيد الاستاذ وزير الاوقاف أن يتفضل مشكورا باعادة بناء هذا الجامع خاصة وأن مصلحة الآثار قد أخرجته الآن من حيازتها ، وفى ذلك احياء لذكر أوليائنا الصالحين وما أحوجنا اليوم الى مثل هذه السيرة العطرة .

مسجد الشيخ مرزوق ومسجد عز الرجال

. بمدينة طنطا بمحافظة الغربية

(٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)

تنقسم مصر من الوجهة الجغرافية منذ أقدم العصور الى قسمين أساسيين ، هما الوجه القبلى أو الصعيد أو أعلى الارض . والوجه البحرى أو أسفل الارض أو الريف . وقد عرف وسط الدلتا قبل أن يقسم الى كور فى عصر الدولة الفاطمية باسم (بطن الريف) ، ولأهمية بطن الريف من حيث الموقع الجغرافى ولخصوبة أرضه واعتباره جزءا هاما من الاقاليم الخراجية من جهة اخرى ، حرصت الدولة الاسلامية منذ فتح العرب مصر أن يجعلوا فى بطن الريف مقرا لنائب الوالى أو الامير . ولما كانت مدينة طنطا تقع فى بطن الريف فقد كانت مقراً لنائب الامير ومن ثم فقد كان اقامة مسجد جامع بها ضرورة تقتضيها مقومات الدولة الاسلامية ، اذ كان ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة فى الجامع الرسمى شارة من شارات الخلافة .

ويعتبر جامع البوصة الذى يسميه ابن عبد الحكم باسم الجامع العتيق أقدم مساجد مدينة طنطا بل مساجد بطن الريف على الاطلاق ، اذ يقال أن صحابيا أنشأه فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولهذه الصفة أصبح قبلة الوافدين على طنطا فنشأت به حلقات للدرس فى وقت سابق على انشاء الجامع الازهر وحلقات دروسه ، وان كان قد اهتدى بهدى جامع عمرو الذى يعتبر أول جامعة اسلامية فى مصر . وكثر عدد طلابه وزاد عدد الفقهاء الذين كانوا يجلسون للتدريس والافتاء به وزاد تبعا لذلك الممتلكات الموقوفة عليه . ولما دفن بجامع البوصة الشيخ محمد البهى ، عرف الجامع به . أما جامع الشيخ مرزوق الغازى فهو ثانى مسجد أقيم فى مدينة طنطا اذ يرجع تاريخه الى آخر عهد الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ . وقد ظل جامع الشيخ مرزوق طوال العصر العباسى والعصر الفاطمى يعرف باسم الجامع الاموى نسبة الى أنه بنى فى العهد الاموى حتى قدم الشريف مرزوق الغازى من مكة الى

القاهرة ، وأقام بها فترة قصيرة ثم ارتحل منها الى طنطا واستقر به المقام فى الجامع الاموى ولم يبرحه حتى توفى ودفن فيه سنة ٥٦٨هـ ومنذ ذلك التاريخ أصبح المسجد الاموى يعرف باسم جامع الشيخ مرزوق

والشيخ مرزوق هو مرزوق بن عبد الله بن غازى ينتهى نسبه الى الحسن بن على ابن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين . وقد دفن مع الشيخ مرزوق فى ضريحه الشيخ على بن عمر بن ناجى بن قيس العونى المعروف بالميهى نسبة الى بلدة (ميه) . وكان الشيخ على الميهى عالما من علماء الشريعة كان يحفظ القرآن ويبدع فى تجويده . ولد الشيخ على سنة ١١٣٩هـ فى قرية من قرى غرب البحيرة من قبيلة بنى العونة المنسوبة الى قيس العونى وتوفى سنة ١٢٠٤هـ .

وقد اشتهرت مدينة طنطا بكثرة مساجدها وأضرحة الاولياء الصالحين ، ولا غرو فى ذلك فهى قاعدة محافظة الغربية ، اسمها القديم (تاتنت) ويقول محمد رمزى فى قاموسه الجغرافى اذا قارنا اسمها القديم بالاسماء التى جاءت فى المعاجم وكتب المؤرخين تبين لنا ان اسم طنطا هو الاسم المصرى القديم لهذه المدينة . وجاءت فى كتاب المسالك باسم طندتا ويصفها فيقول : وهى صنيعة حسنة عظيمة بها جوامع لطيفة وحمامات ولها أسواق كثيرة ووردت فى نزهة المشتاق باسم طنطنة وهى مدينة متحضرة صغيرة ذات اسواق كثيرة ورزق واحوال صالحة وأهلها فى رفاهة وخصب . وجاءت فى قوانين ابن مماتى طنتدا من أعمال الغربية ، وفى الضوء اللامع للسخاوى طنتداء والنسبة إليها طنتدائى وفى تاريخ الجبرتى طنتدا . وفى العصر العثمانى حذفت الدال من طندتا لتسهيل النطق فصارت طنتا ، ثم فخمت التاء لتوافق ذوق العامة فصارت طنطا وهو أسمها الحالى .

ومن المساجد المشهورة فى طنطا كذلك جامع الشيخ عز الرجال . على أن اسم عز الرجال ليس هو اسم صاحب الجامع الحقيقى بل هو اسم شهرته فحقيقة اسمه هو محمد عز الدين كما جاء فى مقدمة ابن خلدون . وانما لقب بعز الرجال لانه كان مشهورا فى زمنه بنصرة الضعفاء واغاثة الملهوفين فلقب بعز الرجال وينتهى نسب الشيخ محمد عز الدين ، كما يقول ابن خلدون الى الامام الحسن سبط الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد أخذ الشيخ محمد عز الدين طريقته عن أبيه سيدى عبد السلام بن بشيش بن محمد ابن عبد الرحمن الحسن العطار الشهير بالزيات وقد أخذ الزيات بدوره طريقته عن القطب عبد الله الشاذلى ، وهذا الأخير بدوره عن أبى بكر الشبلى .

يتكون جامع الشيخ مرزوق الذى يرجع الى سنة ٩٨٦هـ والذى رممت وزارة الاوقاف سنة ١٣٤٦هـ الكثير من أجزائه ، من مربع كبير احتل الجانب الشمالى منه المدخل الرئيسى فى الركن الشرقى وضريح الشيخ مرزوق فى الركن الغربى . اما مكان الصلاة فعبارة عن مستطيل يتوسطه اربع دعائم كبيرة يقوم عليها سقف يترفع كثيرا عن سقف المسجد مما يعطى فرصة لفتح نوافذ للاضاءة والتهوية فى الجزء الذى يعلو سقف الجامع . ويتكون الضريح من غرفة مربعة تقوم فى أركانها الاربعة ثلاثة صفوف من المقرنصات تعلوها رقبة اسطوانية بها أربع نوافذ مغشاة بالجص والزجاج الملون . وتأتى القبة فوق الرقبة . وقد زخرفت من الخارج بزخارف جصية غاية فى الدقة والابداع .

ويعلو المدخل الرئيسى المئذنة وتتكون من ثلاث طبقات . الاول مثمن الشكل فى نواصيه ثلاثة اعمدة مندمجة وبه اربع شرفات والطابق الثانى مسدس فى نواصيه عمود مندمج أما الطابق الثالث فمستدير يعلوه الهلال . ويفصل بين الطوابق وبعضها شرفات تستند على صفوف من الدلايات المحفورة فى الحجر فى غاية الدقة والابداع . ويحتوى المسجد على منبر من الخشب المصنوع بطريقة الحشوات المجمعة وخشب الخرط وقد كتب على بابه : ما شاء الله لا قوة الا بالله انشىء هذا فى رمضان سنة ١٢٩٦هـ صنعه على وهبه . جدده عبده البحيرى .

اما مسجد الشيخ عز الرجال فقد صمم على شكل المدارس المتعامدة ، فهو يتكون من أربعة ايوانات ولكن لا صحن يتوسطها . الايوان الجنوبى به ثلاثة محاريب الاوسط اكبرها واعمقها وهو اكبر الايوانات اتساعا والايوانان الشرقى والغربى عميقان . اما الايوان الشمالى فهو أصغر الايوانات وذلك لان الضريح يشغل الجانب الغربى منه والمئذنة تشغل الجانب الشرقى .

ويتكون الضريح من مربع باركانه الاربعة خمس محطات من المقرنصات الصغيرة تعلوها رقبة بها اربع فتحات تأتى فوقها القبة المزركشة من الخارج بأسلوب يشبه الى حد كبير قبة الشيخ مرزوق وتقع المئذنة على المدخل الرئيسى فى مواجهة القبلة وتتكون من ثلاث دورات الاولى مثمنة والثانية مسدسة والثالثة مستديرة فهى بذلك تكاد تكون نسخة مطابقة لمئذنة جامع مرزوق . وقد كتب على المدخل تاريخ التجديد وهو سنة ١٣١٢هـ على نفقة وزارة الأوقاف .

جامع الشيخ على الخواص

بحارة الخواص بالحسينية

القرن العاشر الهجرى

يعتبر الشيخ على الخواص من أشهر أولياء الله الصالحين الذين ينتسبون الى ثغر البرلس بمحافظة كفر الشيخ . ويوجد على شاطىء بحيرة البرلس جملة قباب لجماعة من الصالحين يقال لهم الشرفاء العامرية[1] ، وحول تلك القباب كفور صغيرة تسمى عزب الشرفاء . وتمتاز تلك الكفور بمساجدها الكثيرة العامرة المبنية بالاجر (المكحول) . ويقول المقريزى[2] أن بعض أهالى البرلس عرب قرشيون من بنى عدى وكعب . وقد ولى بعضهم كتابة السر لملوك مصر الترك بالقاهرة ودمشق نحو مائة سنة .

وفى كتاب المستطرف أن فى البرلس وقطية أقواما يعرفون قيافة الاثر (أى الاستدلال بالاقدام) ، قال : والقيافة على ضربين قيافة البشر وقيافة الأثر ، فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان . فاذا عرض على أحد منهم مولود فى عشرين نفرا ليلحقه بأحدهم ، فيلحقه بأحدهم وقد تخصص فى ذلك نفر من (بنى مدلج)

وأما قيافة الأثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف ، ومن العجيب أنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ ، والمرأة من الرجل والبكر من الثيب ، والغريب من المستوطن ، ويذكر المقريزى فى خططه ان محتسب القاهرة فى القرن الثامن الهجرى كان من البرلس وهو صلاح الدين عبد الله بن عبيد الله البرلسى ، وهو الذى أحدث السلام على رسول الله ليلة الجمعة عقب الاذان سنة ٧٦٠هـ .

ويقول على مبارك ، وقد ظهر فى البرلس أيضا صلحاء وعلماء كثيرون ، مثل الشيخ على الخواص ، شيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، ذكره فى طبقاته وأثنى عليه ونقل عنه من الاحاديث والتفسير وأسهب فى الترجمة له ، لقد نشأ على الخواص فى البرلس فى أسرة فقيرة مما حدا به الى الاشتغال ببعض الاعمال البسيطة لكى يكسب قوت يومه ، فعمل فى

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ٣١ .

(٢) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب .

أول الامر طوافا يبيع الصابون والجميز والعجوة وكل ما وجد فى بيئته . فلما انتقل الى القاهرة فتح دكان زياتة سنين عديدة ثم صار يضفر الخوص ومن هنا عرف بالخواص . واستمر يمارس هذه الحرفة حتى مات . وكان لا يأكل شيئا من طعام الظلمة وأعوانهم ، ولا يتصرف فى شيء من دراهمهم فى مصالح نفسه أو عياله انما يضعه عنده للنساء الأرامل والشيوخ والعميان والعاجزين عن الكسب ، فيعطيهم من ذلك ما قسم . ومما يحكى عن الشيخ الخواص فى هذا الشأن ، أنه حدث أن ورمت عيناه مرة ورما شديدا وهو يضفر الخوص فأتاه شخص من الاغنياء بدارهم وقال يا سيدى أنفقها واسترح حتى تطيب عيناك ، فردها وقال : والله أنا فى هذا الحال ولا تطيب نفسى بكسب نفسى ، فكيف بكسب غيرى .

وكان الشيخ الخواص كريما متواضعا وهب نفسه فى أيام الجمع لخدمة بيوت الله ويعطى الفقراء والمحتاجين بغير حساب ، كما كان يفرض على نفسه القيام بكل واجبات مقياس الروضة من تنظيف وتطهير وذلك قبل مجيء مياه الفيضان ، وفى ذلك يقول تلميذه ومريده الشيخ الشعرانى : وكان رضى الله عنه يكنس المساجد وينظف بيوت الاخلية (دورات المياه) ويحمل الكناسة تارة ويخرجها الى الكوم احتسابا لوجه الله تعالى كل يوم جمعة . وكان يكنس المقياس (مقياس النيل بجزيرة الروضة) فى كل سنة ثانى يوم نزول النقطة وينفق على أصحابه ذلك اليوم نفقة عظيمة ، اذ كان يقبض من (عبه) الدراهم ويعطيها كل من رآه من المستحقين ، ويدفع لهم كراء المعدية وهم نحو مائة نفس ثم يفرق السكر والحلوى على القائمين على خدمة المقياس وجيرانه ، ثم ينزل فيكشف رأسه ، ويتوضأ من المقياس ويصير يبكى ويتضرع ويرتعد كالقصبة فى الريح ثم يطلع يصلى ركعتين ويأمر كل واحد من أصحابة أن ينزل ثم يكنس السلم بمشط من حديد ويخرج الطين الذى فيه بنفسه لا يمكّن أحدا من مساعدته . ويضيف الشعرانى فيقول : « ويقال أن خدمة النيل كانت عليه وأمر طلوع النيل ونزوله ورى البلاد وختام الزرع كل ذلك كان يتوجه فيه الى الله تعالى ، وكان أولياء عصره تقر له بذلك » .

ومما يدعو للعجب أنه برغم أنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ، كان رضى الله عنه يتكلم عن معانى القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما يقول الشعرانى ، كلاما نفيسا تحير فيه العلماء ، وقد رقمنا غالبه فى كتابنا المسمى (بالجواهر والدرر) كل جواب منه يعجز عنه

فحول العلماء حتى تعجب من كتب عليه من العلماء ، كالشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي ، والشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي والشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي ، والشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي ، وقال الشيخ الفتوحي ، لي سبعون سنة أخدم العلم فما أظن قط أنه خطر على بالي لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب يعني (الجواهر والدرر) .

وكان للشيخ الخواص ، آراء خاصة في العلم والمتعلمين ، وفي النقل والاقتباس والتأليف سبق بها عصره بأربعه قرون يمكن اتخاذها مبادىء هامة وشعارات يحذو حذوها طبقة المثقفين الآن في القرن العشرين ، فقد كان يقول لا يسمى عالما عندنا الا من كان علمه غير مستفاد من نقل او من مصدر آخر بل يكون أصيلا . وأما غير هذا فانما هو حاك لعلم غيره فقط ، فله أجر من حمل العلم حتى أداه ، لا أجر العالم والله لا يضيع أجر المحسنين . ويستطرد في حديثه فيقول : من أراد أن يعرف مرتبتهُ في العلم يقينا لا شك فيه ، فليرد كل قول حفظه الى قائله وينظر بعد ذلك الى علمه فما وجده معه فهو علمه ، وأظن أنه لا يبقى معه الا شيء يسير لا يسمى به عالما .

ثم يتحدث عن التصوف والمتصوفين فيقول : لا يصير الرجل عندنا معدودا من أهل الطريق الا ان كان عالما بالشريعة المطهره مجملها ومبينها ، ناسخها ومنسوخها ، خاصها وعامها ، ومن جهل حكما واحدا منها سقط عن درجة الرجال ، فسأله تلميذه الشعراني قائلا : ان غالب مسلكي الطريق في هذا الزمان على هذا القول ساقطون عن درجة الرجال ، فأجاب : نعم ان هؤلاء يرشدون الناس الى بعض أمور دينهم ، وأما المسّلك (أي المتصوف) فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم في سائر ما يطلبونه . وكان رضي الله عنه يقول في معنى قول الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه حين رأى رب العزة جل جلاله في منامه فقال : يارب بما يتقرب اليك المتقربون ؟ قال يا أحمد بتلاوة كلامي ، قال يارب بفهم أم بغير فهم ؟ قال : يا أحمد بفهم وبغير فهم . المراد بفهم ما يتعلق بعلم الشريعة وبغير فهم ما يتعلق بعلم الحقيقة ، فان العلماء مالهم آلة لفهم كلام الله تعالى الا بالفكر والنظر ، وأما العارفون فطريقهم الى فهمه الكشف والتعريف الالهي . وذلك لا يحتاج الى تفهم . فقيل له فما تقول فيمن يقرؤه من العوام من غير فهم ، فقال قد صح ان له بكل حرف عشر حسنات .

ثم يتحدث عن خلوة المتصوف وحكمها فيقول : ان الخلوة بالله وحده لا تكون الا للقطب الغوث فى كل زمان . فاذا فارق هيكله النور بالانتقال الى الدار الآخرة انفرد الحق تعالى بشخص آخر مكانه لا ينفرد بشخصين قط فى زمان واحد ، ثم يضيف ، وهذه الخلوة وردت فى الكتاب والسنة ولكن لا يشعر بها الا اهل الله تعالى خاصة لتلاميذه ومريديه .

وكان الشيخ الخواص يجلس مع تلاميذه ومريديه الساعات الطوال يحدثهم ويناقشهم ويبين لهم الطريق القويم والمنهج السليم الذى يجب أن ينتهجوه اذا أراد أن يسلك الطريق ، فيقول لهم مثلا : يجب على الفقير أن يذكر لشيخه أمراضه الباطنة ، وان كانت قبيحة ليدله على طريق شفائه منها . وان لم يفعل وترك ذلك حياء طبع ، فربما مات بدائه ، لأن حياء الطبع مذموم لكون الافصاح عن المرض فيه زوال رياستها وذمها . ويضرب لذلك مثلا ويقص عليهم حادثة معينة وقعت للشيخ زون بهار ، المدفون بالقرافة بالقرب من الشيخ يوسف العجمى فيقول :

ان الشيخ زون بهار كان يصعق فى حب الله تعالى فتضع الحوامل ما فى بطنها من صعقته فحول الله تعالى ذلك الى حب امرأة من البغايا فجاء الى الصوفية ورمى لهم الخرقة وقال لا أحب أن أكذب فى الطريق ان واردى تحول الى حب فلانة ثم صار يحمل لها العود ويركبها ويمشى فى خدمتها ، الى أن تحول الورد الى محبة الحق بعد عشر شهور ، فجاء الى الصوفية فقال ألبسونى الخرقة فان واردى رجع عن محبة فلانة ، فبلغها ذلك فتابت ولزمت خدمته الى أن ماتت . وكان يقول لتلاميذه اذ سئل أحدكم عن شيخه فليقل كنت خادمه ، ولا يقل كنت صاحبه فان مقام الصحبة عزيز .

ولم تقف معرفة الشيخ الخواص على علوم الشريعة وسلوك الطريق فحسب ، بل كان له طب غريب يداوى به أهل الاستسقاء والجذام والفالج والامراض المزمنة فكل شىء أشار باستعماله يكون فيه الشفاء ، كما يقول تلميذه الشعرانى .

ويحدثنا الشعرانى عن شيخه واستاذه فيقول ، وكانت مدة صحبتى له عشر سنين فكأنها كانت ساعة ، وكانَ رحمه الله له جبة واحدة وشاش صغير على زنط ، يغسل العمامة والجبة فى السنة مرة واحدة بالملح ويقول نوفر الصابون لغيرنا من الفقراء وكانت اذا اشتهت نفسه الدسم أخذ عظم الاذناب ثم قطف الدهن وكب ماءها ثم طبخ به القمح والرز ، هذا كان لحمه ويقول الاذناب لا تصيبها العيون ولا أحد ينظر اليها .

وكانت له أقوال فريدة لم يسبق اليها ، فقد جاء فى تعريفه للانسان : العلم والمعرفة والادراك والفهم والتمييز من أوصاف العقل والسمع والبصر ، والحاسة والذوق والشم والشهوة والغضب من أوصاف النفس والتذكر والمحبة والتسليم والانقياد والصبر من أوصاف الروح ، والفطرة والايمان والسعادة والنور والهدى واليقين من أوصاف السر والعقل والنفس والروح والسر المجموع أوصاف للمعنى المسمى بالانسان .

ولما توفى الخواص دفن فى ضريحه بشارع الخواص بحى الحسينية قسم الظاهر ويصف على مبارك[1] هذا الضريح فيقول : وجامع الخواص اصله زاوية الشيخ بركات الخياط التى أنشأها له تلميذه الشيخ رمضان خارج باب الفتوح تجاه حوض الصادر ولما مات الشيخ الخواص دفن معه فاشتهرت الزاوية به .

(١) الخطط التوفيقية

مسجد السادات

ببلبيس بمحافظة الشرقية

(١٠٠٢ هـ)

عرف اقليم الشرقية باسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان قبل ذلك مقسما الى عدة كور صغيرة كل كورة قائمة بذاتها ، ثم ضم بعضها الى بعض وسميت الشرقية لوقوعها فى الجهة الشرقية من الوجه البحرى ، وفى سنة ١٨٢٦ قسمت الشرقية الى مأموريات وكانت كل مأمورية قائمة بذاتها ، وفى سنة ١٨٣٣ ضمت هذه المأموريات بعضها الى بعض فأصبحت اقليما واحدا باسم مديرية الشرقية وقاعدتها مدينة الزقازيق[1] وفى سنة ١٩٦٠ تغير اسمها الى محافظة وظلت قاعدتها مدينة الزقازيق .

وعندما جاء عمرو بن العاص لفتح مصر سار على رأس جيش مكون من أربعة آلاف مقاتل حتى هبط رفحا فالعريش ، التى استولى عليها بسهولة على الرغم من أنها كانت مدينة ذات حصون . ويقول بتلر[2] ان الروم خسروا ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير فى معارك بلبيس حين نشوب الحرب كما قتل من المسلمين عدد ليس بالقليل . وقيل ان ابنة المقوقس كانت فى بلبيس حين اشتداد المعارك فأرسلها عمرو الى أبيها معززة مكرمة ، فكسب بذلك محبة المصريين . وبعد أن أمضى العرب فى بلبيس قرابة شهر هبطوا منها الى أم دنين لاستكمال الفتح حتى تم لهم ما أرادوا وأصبحت مصر قطرا اسلاميا كان ولا يزال درة فى تاج الدول الاسلامية .

وقد سلك عمرو بجيشه بعد استيلائه على الفرما طريق بلدة القنطرة ملتزما بذلك جانب الصحراء ، وحدث فى أثناء الفتح العربى أن كانت مياه بحيرة المنزلة قد طغت على ما حولها فأصبح الطريق من هناك صعب المسالك ، وكان جيش عمرو كله من الفرسان ولم

---

(١) القاموس الجغرافى جـ١ ص ٢٢ .

(٢) فتح مصر ص ٩٧ .

تكن لديهم وسائل بناء القناطر على الترع والأنهار ، فسار من القصاصين جنوبا واجتاز تلال وادى الطميلات فى موضع قريب من التل الكبير حتى بلغ بلدة بلبيس .

وجاء مصر فى العهد الأموى مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية بعد هزيمته أمام خصومه العباسيين فى واقعة الزاب الكبرى المشهورة ، وقد أقام فى طريقه فترة فى بعض قرى الشرقية ومنها أرسل قوات للاستيلاء على مصر الوسطى والاسكندرية ولكن دهمته جيوش العباسيين بقيادة صالح بن على فى بلدة بوصير باقليم الفيوم حيث لقى حتفه . وقد أرشد عنه أعراب الشرقية الذين كان قد انتشر فى ربوعهم المذهب الشيعى . ولم تقف ثورات أعراب الشرقية بزوال الدولة الأموية بل كانت أكثر التهابا فى عهد العباسيين ، فعلى أثر وفاة الرشيد ونشوب الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون عاد أعراب الشرقية الى ثورتهم القديمة ، لأن الأمين كان قد تحبب اليهم بأن عهد ببعض الوظائف الكبرى الى رؤسائهم فضمن بذلك ولاءهم حتى ثاروا فى وجه والى مصر من قبل المأمون وتغلبوا عليه وقتلوه . ولما استتب الأمر للمأمون عين عبد الله بن طاهر واليا على مصر فاستطاع بحزمه وسداد رأيه أن يوقف ثورات المصريين عامة ويعيد الهدوء الى ربوع القطر بأجمعه .

وفى غضون القرن الثالث الهجرى انقطع ما بين مصر ودولة بنى العباس من أسباب وانفصم ما كان يربط مصر بمركز الخلافة ببغداد من عرى الروابط وتربع على عرش مصر اذ ذاك أحمد بن طولون الذى أنشأ له فى مصر دولة دانت لها الشام وبعض أقطار أخرى وخشى بأسها الخليفة العباسى .

وفى نهاية الدولة الفاطمية ، عمت الفوضى والاضطراب ربوع البلاد اثر النزاع بين الوزيرين المصريين شاور وضرغام وامتد النزاع خارج حدود مصر اذ عول كل منهما - امعانا فى الكيد لخصمه - على أن يستعين بجيوش غير مصرية للانتقام والفتك من منافسه ، فطلب ضرغام من الصليبيين الحضور الى مصر ليضمنوا له الوزارة دون غريمه شاور الذى استعان بدوره بسلطان حلب (نور الدين) لنفس الأمر ، فما كان من نور الدين الا أن أرسل جيوشا بقيادة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى فالتقى بجيوش ضرغام من المصريين عند بلبيس حيث انتصر شيركوه وهبط بعد ذلك الى الفسطاط ولم يلبث أن قتل ضرغام وفاز شاور غير أنه تنكر لحلفائه وناصريه ، ومديده الى الصليبيين واتخذ منهم اعوانا له ضد شيركوه فتقدم ملك بيت المقدس الى بلبيس وضيق الخناق على جيش نور الدين ولم يرفع الحصار عن المدينة الا بعد أن جاءته الأنباء بأن نور الدين

استولى على أملاك الصليبيين فى الشام عند ذلك أسرع (أماريك) ملك الفرنجة فى العودة .

العرب فى الشرقية :

زعم كثير المستشرقين أن العروبة فى وادى النيل بشطريه لا يتجاوز تاريخها عصر الفتوح الاسلامية الأولى ، ولو درس هؤلاء الهجرات الآتية من طريق سيناء الى مصر الفرعونية دراسة عابرة لكفاهم ذلك فى دحض هذا الزعم على أنه من الثابت والمتفق عليه اليوم ، أن موجات الساميين قد انبعثت منذ فجر التاريخ من جزيرة العرب الى البلاد التى تدخل اليوم فى نطاق الوطن العربى الأكبر ، بل الى بلاد أخرى غيرها ، وكل ما فى الأمر أن الذى أطلق على هذه الشعوب كلمة (الساميين) هو عالم نمساوى فى القرن الثامن عشر ، اقتداء بما ورد فى بعض أسفار التوراة من أن هذه الشعوب تنتمى إلى سام بن نوح عليه السلام .

ومن بين هذه الشعوب ، العرب المقيمون فى جزيرتهم ، وجزيرة العرب هى المهد الأول للساميين أنفسهم ، فلا معنى لأن نفرق فى الاصطلاح بين العرب المقيمين فى الجزيرة وبين العرب النازحين منها . وغاية ما نفهمه من هذا الاصطلاح ، أن الساميين عرب سموا كذلك نسبة الى جدهم الأول ، أما لفظ العرب ، فهو فى الأصل نسبة الى (العربة) أى الصحراء ، أو مكان يقع فى الشمال الغربى من جزيرة العرب كان يسمى بهذا الاسم[1] .

وفى مدة فتح عمرو بن العاص لمصر لم تكن قناه السويس موجودة وكان النيل يغمر البلاد مدة الفيضان ، فاذا انحسرت مياهه تركت مستنقعات وأراضى مغطاة بالكلأ والحشائش صالحة لرعى الأغنام فى معظم أراضى الشرقية وبخاصة الشمالية منها والمجاورة للصحراء ، مما شجع القبائل العربية بعد الفتح على الرحيل اليها لقربها منهم فأخذوا يتنقلون فيها ولم يجدوا فارقا بينها وبين صحارى بلادهم .

وقد استوطن كثير من العرب بعد الفتح فى الجهات الشرقية من مصر ، واستمروا بها حتى أواخر الدولة العباسية حيث سادت الفوضى بالبلاد العربية وحل القحط بمصر ، فرحل بعض القبائل من الشرقية ومن مصر كلها متجهين ناحية الغرب وبخاصة الى طرابلس . ولما عاد الأمن والرخاء الى مصر فى عهد الفاطميين عاد بعض هذه القبائل الى

---

(١) البيان والاعراب ص ٣٧ .

مصر ، ومن ذلك العهد سمى العرب الذين لم يرحلوا الى الغرب عرب الشرق بينما سمى من عاد منهم الى مصر عرب الغرب .

لبث حال العرب فى مصر على الحال التى بيناها حتى أحضر ابن الحبحاب[1] عامل الخراج فى العصر الأموى مائة بيت من قيس ، وأقطعهم أرضا فى بلبيس وزودهم بالخيل والابل وجعل مهمتهم حراسة القوافل بين ساحل البحر الأحمر وداخل البلاد ، فأفادوا من ذلك فائدة كبيرة ، الأمر الذى جذب بيوتا أخرى من قيس لتلحق بهم .

وعند تولى الدولة العباسية زمام الخلافة كافأ عبد الله السفاح ، الخليفة العباسى عرب بنى هلال ، فمنحهم منطقة بلبيس ، وذلك لمناصرتهم له وإنضمامهم لصفوفه عند محاربته بنى أمية فى موقعة الزاب .

ولما ضعفت الدولة الفاطمية ثار عليها المعز بن باديس زعيم بربر صنهاجة ، فأرسل الخليفة المستنصر سنة ١٠٤٩م الى بنى هلال وسليم ليمنحهم أرض المغرب ، وكان غرضه من ذلك تخفيف وطأة القحط الذى حل بالبلاد ، كما كان يبغى من وراء ذلك تأديب الثوار المغاربة لخروجهم عن طاعته ، فهاجر كثير من عرب الشرقية الى شمال افريقيه تحت رياسة بنى هلال فقاومهم ابن باديس ولكن مقاومته باءت بالفشل ، وتوغل العرب فى طرابلس وتونس وتصاهروا مع القبائل البربرية .

ولما فتح صلاح الدين الشام انتقلت طائفة من قبيلة ثعلبة ونزلوا بالشرقية وكان فيهم من ذاع صيته وأمر بالبوق والقلم (أى أصبحت له الكلمة فى الجيش والديوان) . وفى عهد المماليك قام عرب الشرقية بثورات كثيرة قتل فيها عدد كثير منهم سنة ١٢٥٤م ، أيام سلطنة عز الدين أيبك التركمانى اذ أن العرب ثاروا بزعامة حصن الدولة العربى على المماليك وذلك لموالاتهم للأيوبيين ورغبتهم فى الثأر لمقتل توران شاه الذى قتله المماليك بعد موقعة المنصورة . غير أن العرب هزموا عند التحامهم بالمماليك ومنذ ذلك الوقت تفرق العربان وخمدت جذوتهم .

وفى عهد الحكم العثمانى قام عرب الشرقية وغيرهم بثورات كثيرة بقيادة ابن بقر ، وفى عهد محمد على ساهم عرب الشرقية فى حملته على بلاد العرب ، اذ قدموا له الخيل ودربوا الجند على طريقة الكر والفر المعهودة عند الوهابيين . وكانوا فى ذلك العهد أيضا

---

(١) الولاة والقضاة ص ١٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٣ .

يقومون بخفارة الدروب وطرق القوافل ، ويحملون البريد والمعدات وكانوا خبراء فى معرفة الطرق والمسالك والدروب . وعندما قامت ثورة عرابى اندفع العرب وانضموا الى جانب الثوار وذلك لميلهم بسليقتهم للحرب فقاتلوا فى كفر الدوار وعند القتال فى التل الكبير .

ومن أشهر قبائل العرب فى الشرقية الهنادى وقبيلة سمالوى والطميلات والعبابدة والسماعنة والصوالح والحرابى .

بلبيس :

قاعدة مركز بلبيس ، وهى من المدن القديمة تقع بين عين شمس وبين بسطة فى حدود الصحراء الشرقية ووردت فى المصادر العربية باسم بلبيس ، وجاءت فى كتب معاجم البلدان[1] بلبيس مدينة مليحة وهى قصبة الحوف (أى قاعدة اقليم الشرقية) وبها والى الحرب وبها جامع ومدارس وأسواق وفنادق وبساتين ، وبها نخل كثير ويمر بها نهر من النيل أيام زيادته وهى مسورة . ويضيف المقريزى[2] فى خططه « أن بلبيس سميت فى التوراة أرض جاشان » وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى فى أوائل العصر الاسلامى ، ثم قاعدة الأعمال الشرقية من العصر الفاطمى حتى نهاية العصر المملوكى ، ثم قاعدة ولاية الشرقية فى سنة ١٨٣٢م حين نقل ديوان المديرية الى مدينة الزقازيق ، وبذلك أصبحت بلبيس قاعدة لقسم بلبيس وفى سنة ١٨٧١م سمى مركز بلبيس .

وينسب الى محافظة الشرقية كثير من العلماء والفقهاء قديما وحديثا ، ومن أشهر المحدثين الشيخ عبد الله الشرقاوى . ورد فى الجبرتى أنه ولد سنة ١١٥٠ (القرن الثامن عشر الميلادى) ، فى قرية (الطويلة) من اقليم الشرقية (تتبع مركز فاقوس الآن) ولذا لقب بالشرقاوى ، وقد أظهر من الكفاية والنبوغ ما أهله لتولى منصب مشيخة الأزهر سنة ١١٠٨هـ وكانت له مواقف مذكورة مشكورة ضد الظلم فى العصر العثمانى كما كانت له مواقف خالدة مع الحملة الفرنسية .

ومن أبناء محافظة الشرقية الذين تفخر بآثارهم العلمية مصر الحديثة ، محمود الفلكى الذى ولد ببلدة الشبانات بالشرقية سنة ١٨١٥م ومن أهم مصنفاته التقويم العربى الذى وضعه سنة ١٨٤٦ وطبع بمطبعة بولاق ، ووضع رسالة فى المكاييل والمقاييس المصرية . ومن آثاره العلمية الجليلة أن وضع مدفع الظهر فى خط الزوال بالقلعة ، وتوفى سنة ١٨٨٥م

(١) معجم البلدان جـ٦ ص ١٦٢ ، المقدسى ص ١٩٦ .
(٢) المقريزى جـ١ ص ٢٩٦ .

بالقاهرة . ومن أبناء الشرقية الأبطال أحمد عرابى الذى ولد سنة ١٨٤١م بقرية (هرية رزنة) من أعمال مركز الزقازيق . تلقى علومه بالأزهر ، ثم انقطع عنه وبقى فى قريته يرتل القرآن ، ثم التحق بالخدمة العسكرية ، وتزعم حركات الجيش ضد الخديوى توفيق ، ثم قاد الجيش ضد الغزو البريطانى سنة ١٨٨٢م ونفى عرابى ورفاقه الى جزيرة سيلان ، حيث قضى نحو ١٩ سنة حتى صدر العفو عنه سنة ١٩٠١ ، وتوفى سنة ١٩١١ . وقد وضع قبل وفاته مذكرات عن الثورة العرابية سماها (كشف الستار عن سر الأسرار) ضمنها وقائعه الحربية ومشكلات السياسة فى أيامه . ومن أبناء الشرقية النابهين الذين كان لهم قصب السبق فى ميدان المال والاقتصاد طلعت حرب الذى ولد فى (ميت أبو على) من قرى الزقازيق ، وتخرج فى كلية الحقوق سنة ١٨٨٩م واشتغل فى قلم قضايا الدائرة السنية مترجما ، وأخذ يترقى فى قلم القضايا حتى ظهرت طلائع الأزمة الاقتصادية سنة ١٩٠٦ ، فأسس سنة ١٩٠٨ شركة مالية مصرية بحتة هى شركة التعاون المالى وفى ٧مايو سنة ١٩٢٠ افتتح بنك مصر ، وسار البنك منذ هذا التاريخ سريان الشريان فى الجسد بفضل روح طلعت الوثابة وازره تشجيع المصريين .

وصف المسجد

مسجد السادات :

ومن الآثار الباقية بمدينة بلبيس مسجد السادات الذى أنشأه الأمير مصطفى الكاشف ١٠٠٢هـ ، وهو ثانى المساجد من حيث الأهمية . وقد تهدمت معظم أجزائه ولم يبق منه الا المئذنة ، التى ثبت على بابها لوح من الرخام طوله ٥٧ سم ×٥٥ سم نصه « أنشأ هذا المنار المبارك الجناب العالى الأمير مصطفى الكاشف بالشرقية فى شعبان المكرم من شهور سنة ١٠٠٢هـ » .

جامع الملكة صفية

بحى الحبانية بشارع محمد على
(القلعة حاليًا) (١٠١١هـ/١٦٠٢م)

يعتبر حى الحبانيه الذى يقع فيه الجامع من الاحياء التى تقع ظاهر القاهرة المعزية من الجهة الجنوبية، وقد جاء ذكرها فى ظواهر[1] القاهرة، فقال المقريزى، فمازالت الدولة الفاطمية، هدم صلاح الدين الأيوبى حارة المنصورة التى كانت سكن العبيد خارج باب زويلة، وعملها بستانا، فصار ما خرج عن باب زويلة بساتين الى المشهد النفيس.

وبجانب تلك البساتين طريق يسلك منها الى القلعة التى أنشأها السلطان صلاح الدين. ويضيف المقريزى فيقول ثم حدثت العمائر التى هى الآن خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة، وصار خارج باب زويلة الآن (اى عهد المقريزى فى القرن (١٥ م) ثلاثة شوارع أحدها ذات اليمين والآخر ذات الشمال، والشارع الثالث تجاه باب زويلة وهذه الشوارع الثلاثة تشتمل على عدة أخطاط.

والذى يعنينا من هذه الشوارع هو الذى يقع الى اليمين من باب زويلة حيث يوجد شارع مسلوك ينتهى الى خليج أمير المؤمنين حيث قنطرة الخرق، وينتهى به فى الطول من باب زويلة الى خط الجامع الطولونى، وجميع ما فى هذا الطول والعرض بساتين حلت محل حارة المنصورة، كما سلف القول. ومن بين الأحياء والحارات التى تقع فى هذه الجهة اليمنى خط قنطرة الخرق وخط شق الثعبان وخط قنطرة آق سنقر وخط الحبانية وخط بركة الفيل وغيره.

ويبدو ان بساتين حارة الحبانية كانت تدر ربحا كبيرا حتى ان صلاح الدين الأيوبى، عندما حول دار سعيد السعداء الى خانقاه، عرفت بدويرة الصوفية، أوقف على

---

(١) المقريزى، الخطط جـ٢ ص ١١٠.

ساكنيها من ضمن ما أوقف بستان الحبانية بجوار بركة الفيل[1] .

أما عن اطلاق اسم الحبانية على الحارة والبستان ، هم بطن من درما ابن عمرو ابن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن يعل بن عمرو بن الغوث بن طى . فدرما فخذ من طى والحبانيون بطن من درما[2] .

أما عن الشوارع التى تحيط بجامع الملكة صفية الآن ، فمن جهته الشرقية يوجد شارع مختار باشا ومن الغرب شارع عصفور ومن الشمال شارع الداودية ومن الجنوب شارع محمد على (القلعة حاليا[3])

أما عن ترجمة الملكة صفية التى أطلق اسمها على الجامع ، فقد ناقشت السيدة هدايت[4] جميع الآراء المتضاربة التى وردت فى المصادر التركية[5] والمراجع الاوروبية[6] وانتهت فى ذلك الى رأى مقبول معقول .

فتقول بعض الروايات أنها سليلة عائلة بافو (Bafo) بالبندقية وان والدها كان حاكما على جزيرة كورفو (Corfu) ، وانها اختطفت عند خروجها فى رحلة بحرية وهى فى الثالثة عشرة من عمرها ، وأن القراصنة باعوها فى القسطنطينية ، حيث الحقت بالقصور السلطانية .

وقد كانت صفية على قدر كبير من الجمال ، فكان طبيعيا ان تكون موضع اهتمام أمراء القصور فقد عمل جمالها على قربها من الأمير مراد بن السلطان سليم الثانى تسراها قبل توليه السلطنة وكان إذ ذاك فى السادسة عشرة من عمره ، وكان حاكما لمقاطعة صاروخان . وبمخيم مدينة منسه (Manisa) انجبت صفية الأمير محمد الذى تولى السلطنة باسم محمد الثالث (٩٧٤هـ / ١٥٦٧م)

وعندما اعتلى السلطان مراد الثالث العرش بعد وفاة والده السلطان سليم الثانى ، أصبحت الملكة صفية تحتل المكانة الثانية بين حريم قصر السلطان فقد كانت الملكة صفية (خاصكى) للسلطان بعد والدته (نوربانو) التى كانت تحتل المركز الأول (كوالدة السلطان) ، فلما توفيت حلت صفية محلها .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٤١٥

(٢) الخطط جـ٢ ص ١٣٣

(٣) من يريد معرفة تفاصيل دقيقة عن موقع جامع الملكة صفية ، كما جاءت فى حجج الاوقاف والحبوس التى حبست عليه فليرجع الى (هدايت تيمور : جامع الملكة صفية رسالة ماجستير مخطوطة كلية الآثار بجامعة القاهرة ١٩٧٧)

(٤) جامع الملكة صفية ص ١٢٠

(٥) Ata, Taygar — Zade Ahmed: Taxi Data vol. (5).

(٦) Hammer: Histoire de In. T. Vii P.P. 9 — 16.

وقد امتازت الملكه صفية بذكاء مفرط وسرعة بديهة ، وقد تمتعت بنفوذ كبير خاصه بعد وفاة والدة السلطان مراد الثالث . وقد انجبت العديد من الأبناء ، اكبرهم السلطان محمد الثالث ثم عائشة التى تزوجت من ابراهيم باشا وفاطمة التى تزوجت من خليل باشا .

وفى عهد ابنها السلطان محمد الثالث ، رفعت الملكه صفية دعوى فى مصر ضد الناظر على أوقاف المرحوم عثمان أغا دار السعادة . ومضمون هذه الدعوى ، ان عثمان أغا هو عبد مملوك موكلته المشار اليها (الملكة صفية) وأنه ليس مأذونا ببناء الجامع ولا بحبس الحبوس عليه .

وان القائم بالدعوى نيابة عن الملكه صفية يريد ضبط الجامع لموكلته كسائر أمواله حيث أنه مملوكها ، وأبرز فتوى من شيخ الاسلام بأن الأوقاف المذكورة غير شرعية . وبعد حلف الملكة اليمين الشرعى ، حكم القاضى بأن الجامع والقرية وجميع الأصقاع هى ملك لها ووقفها باطل ، وكان ذلك سنه ١٠١١هـ .

الوصف المعمارى

يتكون جامع الملكة صفية ، الذى يوجد بحى الداودية والذى يصل اليه من سكة الملكة صفية المتفرعة من شارع القلعة ، من مستطيل يبلغ طوله (٥٠) مترا وعرضه (٣٠) مترا تقريبا . ممتد من الشرق الى الغرب .

وينقسم هذا المستطيل بدوره الى مربعين ، أحدهما فى الجهة الغربية والثانى فى الجهة الشرقية . ويتكون المربع الغربى من صحن مربع مكشوف تحيط به أروقة من جميع الجهات . وقد قسم كل رواق الى خمس مربعات غطى أربعة منها بقباب ضحلة . أما المربع الخامس وهو الأوسط منها فيشغل ثلاثة منها مداخل الجامع الخارجية الثلاثة ، أما المربع الرابع فيؤدى الى مكان الصلاة . وقد غطيت تلك المربعات الأربعة بأقباء متقاطعة

وجامع الملكه صفية من المساجد المعلقة ، اذ أنه يصعد اليه من مداخله الثلاثة بثمانى عشرة درجة مستديرة بديعة التشكيل

ويشغل المربع الشرقى الذى تبلغ مساحته (٢٠م ×١٨م) مكان الصلاة ، يصل بينه وبين حرم المسجد ثلاثة مداخل فى الضلع المشترك بينهما . وفى صدر الضلع الشرقى من مكان الصلاة يوجد محراب المسجد وهو مجوف يبلغ عرضه (٢,٣٠م) وعمقه (١,١٥م) وارتفاعه (٣,٧٥م) ، يحيط به مستطيل يعلوه عقد مدبب مكون من صنجات من الأبلق . ويكتنف المستطيل عمودان من الرخام .

أما تجويف المحراب فقد كسى بالفسيفساء الرخامية بينما زخرف كوشتى عقد المحراب ببلاطات من القاشانى العثمانى . ويوجد على جانبى المحراب فى الضلع الشرقى من بيت الصلاة نافذتان فى الطابق الأول يعلوهما نافذتان معقودتان ومغشاة بالزجاج المعشق . كما يشغل الضلعين الشمالى والجنوبى ، صفان من النوافذ كذلك ، فى كل صف نافذتان ، السفلى منها مملوءة بالمصبعات النحاسية والعلوية منها مملوءة بالزجاج المعشق وبجوار المحراب من جهته اليمنى يوجد المنبر الرخامى . الذى يقوم على قاعدة مستطيلة الشكل يحيط بها حجاب من زخرفة رخامية ويكتنف باب المنبر عمودان مندمجان . ويتوجه من أعلى صف من الدلايات تعلوه شرفات مزخرفة برسوم نباتية محفورة . اما

ريشتا المنبر فقد زخرفتا برسوم مفرغة فى الرخام قوامها زخارف هندسية ، هذا فضلا عن زخارف الباروك والركوكو التى انتشرت فى العصر العثمانى .

ويحيط بجلسة الخطيب من أعلى أربعة اعمدة رخامية يعلوها عقود مدببة وفوقها لوحة نحاسية كتب عليها بالخط النسخى الجميل : « بسم الله الرحمن الرحيم ، انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر »

وتعتبر قبة جامع الملكة صفية التى تغطى مكان الصلاة ، من أندر القباب فى مساجد العصر العثمانى فى مصر . وهى تتكون من قبة كبيرة كثيرة الارتفاع (١٧,٦٠م) تقوم على قاعدة سداسية وترتكز على سته أعمده جرانتيه تعلوها عقود مدببة . ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة (٥,١٥م) وتنتهى بتيجان كورنيشيه .

وقد نجح المعمار الى درجة كبيرة فى تغطية بقية مكان الصلاة ، فقد استطاع التغلب على تغطية الأجزاء المتبقية من القبة الكبرى ، وذلك باحاطتها بقباب صغيرة فى مساحات غير منتظمة الشكل

وتشغل مئذنة الجامع منتصف الضلع الجنوبى فى الجزء الفاصل بين مكان الصلاة والحرم . وهى تتكون من طابقين يبلغ ارتفاعهما (٣٣م) ، يتكون الطابق الأول منهما الذى يقوم على قاعدة مربعة من شكل اسطوانى تتخلله حنيات ذات حافات مشطوفه . ويفصل بين الطابقين شرفة تقوم على خمس حطات من الدلايات والمقرنصات .

أما الطابق الثانى فهو اسطوانى الشكل كذلك وتتخلله حنيات مشطوفة ، ويعلوه شكل مخروطى يشبه المسلة أو القلم الرصاص . ثم تنتهى المئذنة بحلية نحاسية

المسجد اليوسفي

بملوى (١٠٢٧هـ/١٦١٨م)

ملوى هى قاعدة مركز ملوى بمحافظة أسيوط وهى من القرى القديمة ذكرها أملينو فى جغرافيته باسم (Manlaou) ومعناهاموضع الاشياء . وقد ضبطها ابن بطوطة فى رحلته (مَنْلَوِى) ، وجاء فى قوانين الدواوين لابن مماتى (ملّوى) . ويقول الزبيدى فى تاج العروس ، ويسميها العامة (مَلّوَه) . ويقول محمد[1] رمزى انها جاءت فى تاريخ١٢٣٠هـ (ملوى العريش) وفى ١٢٦٠هـ ذكرت باسمها الحالى

ويصف على[2] مبارك موقعها الجغرافى فيقول ، ملوى مدينة قديمة بالصعيد الأوسط فى غربى النيل بنحو ساعة ، وفى شمال منفلوط بنحو ست ساعات وجنوب منية ابن الخطيب كذلك . وان اسمها الاغريقى القديم (هرموبولينا فيلاس) .

وقد أدى تحول النيل عنها الى انتقال التجارة الى المنية ، ومع ذلك فهى ما تزال مدينة كبيرة معمورة ، يبلغ محيطها (زمن على مبارك) (٢٥٠٠) متر غير التلال القريبة التى يبلغ ارتفاع بعضها الى (١٥) مترا .

ويحدثنا المقريزى[3] عن تاريخ ملوى فى العصور الوسطى فيقول ، مدينة ملوى بالجانب الغربى من النيل وأرضها معروفة بزراعة السكر ، وكان بها عدة أحجار لاعتصاره . وآخر من كان بها فى القرن الثامن الهجرى من البيوت الكبيرة أولاد فضيل الذين بلغت زراعتهم فى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ألفا وخمسمائة فدان من القصب فى كل سنة .

فلما علم بذلك (النشو) ناظر الخاص للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، حقد عليهم

---

(١) القاموس الجغرافى جـ٤ ص ٦٨

(٢) الخطط التوفيقية جـ١٥ ص ٧٠

(٣) الخطط والآثار جـ١ ص ٢٠٤

فأوقع الحوطة على كل موجوداتهم فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، فوجد من جملة مالهم أربعة عشر ألف قنطار من القند حملها الى دار القند بمصر ، سوى العسل وألزمهم بحمل ثمانية الآف قنطار . فلما أفرج عنهم وجدوا لهم حاصلا لم يهتد اليه النشو ، فيه عشرة آلاف قنطار قند سوى مالهم من عبيد وغلال وغير ذلك .

أما عن التقسيم الادارى (لملوى) فى العصر العثمانى ، فيقــول محمد رمزى ، ان ملوى كانت إحــدى قرى ولاية الاشــمونين ، فلما عين محمد باشــا النشــانجى واليا على مصر (١١٣٢هـ / ١٧٢٠م) ، وكان واليا مفكرا نشطا ، لاحـظ ان مدينة الاشـمونين قاعدة الولاية ، بعيدة عن النيل ، وهو كما نعلم طريق المواصلات بين القاهرة وبلاد الصعيد ، لذلك اصـدر أمرا بنقل ديوان الولاية من الأشمونين الى ملوى لوقوعها على النيل ، وبذلك أصبحت قاعدة لولاية الأشمونين ، مع بقاء الولاية باسم الاشمونين .

وبعــد مضى قرن من الزمان أبطل الوالى اســـم الأشـــمونين ١٢٤٧هـ وســـماها مأمورية أسيوط ، وأصبحت ملوى قاعدة لقسم ملوى ، ثم أصبحت مركز ملوى من أول ١٨٩٠م

وجـاء فى نزهة الناظـرين عن تاريخ ملوى فى العصر الحـديث ، أن أمير اللواء محمد بك حاكم جرجا قتل خنقا فى سجن هذه المدينة فى عهد الوزير غازى محمد بك ابن شاسوار المتولى وزارة مصر ١٠٦٧هـ . وبعد قتله حزت رأسه ورجع بهـا الوزير الى مصر ، وقيل إن السـبب فى قتله هو عصيانه وقيامه بالفتن هو وعصابته واشياعه .

وكانت ملوى مدينة تجارية هامة فى الصعيد ولهـا سـوقان مكتظان بالحـوانيت المشـــحونة بالبضائع اللازمه لها ولأهل البلاد المجاورة ، وذلك من ثياب القطن والحـرير والجـوخ وانواع العطارة والعقاقير والنحـاس وغير ذلك . كما يوجـد بهـــا كثير من الخـــانات والفنادق لإيواء الوافدين عليها للتجارة أو الزيارة أو كليهما

وصف المسجد

١ ـ المسجد اليوسفي :

مسجد مربع الشكل يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، ويتكون من أربعة صفوف من البوائك بكل منها ثمانية أعمدة تحمل عقودا مدببة من نوع العقود التى ظهرت فى أواخر العصر الفاطمى والتى عرفت باسم العقود الفارسية . وبايوان القبلة يوجد المحراب والمنبر ودكة المبلغ . وتوجد أمام المحراب قبة تشبه القباب الفاطمية . ويمتاز المنبر بأن جوانبه من الخشب الخرط كما تعلوه خوذة جميلة وقد كتب على لوحة على باب المنبر بخط ردىء النص الآتى :

١) تاريخ هذا المنبر المبارك .

٢) يوم الأحد المبارك سادس .

٣) عشر من شهر رمضان العظيم .

٤) قدره الذى (هو) من شهور سنة" .

٥) سبع وعشرين والف من

٦) الهجرة .

ويوجد بالرواق القبلى صفان من البوائك بكل منهما ثلاثة أعمدة تحمل أربعة عقود تشبه عقود رواق القبلة . أما الرواق الغربى فيحتوى على صفين من البوائك ، ويتكون الصف الأول المطل على صحن المسجد من ثمانية أعمدة والصف الثانى من ستة أعمدة . وبالجهة الشمالية من هذا الرواق توجد قاعدة المئذنة وبابها . اما الرواق الشمالى فيحتوى على صفين من البوائك بكل منهما ثلاثة أعمدة .

ومما هو جدير بالملاحظة ان الأعمدة الكثير التى يزخر بها المسجد والتى يبلغ عددها ٥٨ عمودا مختلفة التيجان فبعضها يونى والبعض كورنثى والبعض قبطى مما يدل على أنها جمعت من الآثار القديمة المتخربة المنتشرة بكثرة فى المنطقة .

ويوجد مدخل المسجد الرئيسى بالجهة الشمالية كما يوجد مدخل فى الجهة الجنوبية ،

يجاوره مدخل ثالث صغير ، يوصل الى الميضأة ودورة المياه المنشأة حديثا . كما فتح أحد نوافذ الواجهة الغربية وحول الى باب لدخول السيدات . وقد فتح فى جدران المسجد نوافذ كبيرة تعلوها أخرى صغيرة ، وقد أقفل الكثير منها الآن بالآجر وحول جزء منها الى دواليب حائطية حديثة .

كما نلاحظ فى العقود التى تحيط بصحن المسجد انه تتخللها فتحات متعددة الاشكال بعضها مستديرة والبعض على شكل نجمة ذات ستة رؤوس ، وقد كان هذا الأسلوب سائدا فى العمائر الفاطمية ، كما سنراها فى مسجد العسقلانى . أما مئذنة المسجد فتتكون من دورتين وهى تشبه طراز المآذن السائد فى صعيد مصر .

وقد جاء فى الخطط التوفيقية ان هذا المسجد بنى مكان كنيسة بعد أن دخل بعض القسس فى الديانة الاسلامية قبل دخول الحملة الفرنسية بأربع عشرة سنة .

مسجد الأمير حماد

بميت غمر بمحافظة الدقهلية

(١٠٢٤هـ)

ميت غمر قرية قديمة اسمها الأصلى منية غمر ، وردت فى نزهة المشتاق منية غمر قرية لها سوق ومتاجر ودخل وخرج قائم . ووردت فى السنية ، منيتا غمر وحماد من أعمال الشرقية ، ويقول محمد رمزى ، ان منية حماد التى ذكرت مع منية غمر فقد اشتركت معها بسبب اشتراكهما فى السكن والزمام ، وفى الروك الناصرى ألغيت منية حماد وأضيفت إلى زمام منية غمر ، وفى العصر العثمانى حرفت منية الى ميت ، فأصبحت ميت غمر .

الوصف المعمارى

مسجد الأمير حماد :

يشبه هذا المسجد فى تخطيطه المدارس المتعامدة التى ترجع الى العصر المملوكى . ويتكون المسجد من صحن تحيط به أربعة ايوانات متعامدة ، مغطاة بسقوف خشبية مزخرف بنقوش مدهونة متعددة الألوان ومذهبة . وبالمسجد منبر خشبى دقيق الصنع وقد سجل عليه تاريخ انشاء المسجد وهو سنة ١٠٢٤هـ . ومسجد الأمير حماد من المساجد المعلقة ، لأنه يرتفع عن سطح الأرض ، وهو لهذا يعد من المساجد النادرة فى المنطقة التى يصعد اليها بعدة درجات . وللمسجد مئذنة مبنية من الطوب وتتكون من دورتين ، وقد كتب على واجهتها الشمالية ، اسم الصناع الذين قاموا بعملها وهو شىء نادر فى العصر الاسلامى ـ وكذا اسم المنشىء : عمل الحاج والمعلم ـ باذن الأمير على . وقد انمحت اسماء الصناع . وتحتوى المنارة كذلك على لوحة أخرى من الجص كتب عليها ما يأتى : بسم الله الرحمن الرحيم انشأ هذا المنار الأمير قنديل فى شهر رجب سنة ١٠٩٨هـ .

مسجد آلتى بارمق

بالداودية

(١٠٣٣هـ/١٦٢٧م)

كان آلتى بارمق يشغل وظيفة خطيب وامام جامع الملكة صفية كما جاء فى وقفيات الجامع . ويحدثنا الرحالة أوليا[١] جلبى عن تاريخ حياة آلتى بارمق فيقول : هو الشيخ محمد بن محمد الشهير بآلتى بارمق من آهالى مدينة (أسكوب) ، وهى جنة من جنات الله . وقد كان الشيخ محمد يلقب أيضا بلقب (جاقير قوجور زاده)

ويضيف اوليا جلبى فيحدثنا كيف التقى بالشيخ محمد فى تركيا فيقول : وعندما كنت (أى اوليا جلبى) قادما من البوسنه[٢] بصحبة الوزير ملك أحمد باشا ، مررنا على مدينة (أسكوب) . وهناك دلنى الوزير على منزل آلتى برمق افندى حيث نزلنا عليه ضيوفا وأقمنا عنده لمدة يومين . وخلال إقامتنا عنده التقينا بالكثير من أقاربه كما تحدثنا فى موضوعات كثيرة ومتنوعة . ويستطرد أوليا جلبى فى حديثه فيقول : وقد أسعدنى الحظ مرة أخرى فالتقيت به فى مصر التى انتقل اليها ليقوم بمهمته العلمية والدينية الجليلة فى جامع الملكة صفية .

وكان آلتى بارمق من أهل العلم والمعرفة فقد كان يجيد العربية كما يجيد التركية ، كما كان متفقها فى العلوم الدينية مما جعل رجال الدين فى تركيا يختارونه لتولى وظيفة الدرس والخطابة فى مسجد الملكة صفية . وقد ألف وصنف فى كثير من علوم الدين والفقه الاسلامى لعل أهمها كتابه عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والذى يعرف باسم (سيرنبى) . . وكان آلتى بارمق حنفى المذهب حتى ان معاصريه كانوا يشبهونه بالامام

---

(١) سياحة نامه ص ٥٧٢ (المترجم)

(٢) البوسنة تقع فى أعلى غرب شبه جزيرة البلقان

الاعظم أبى حنيفة النعمان . فقد كان المذهب الحنفى ، هو مذهب الدولة العثمانية الرسمى فى تركيا وفى الولايات التابعة لها .

ويتكلم أوليا جلبى عن علم وفضل آلتى بارمق فيقول : كان شخصا عزيزا فهو بحق النعمان الثانى (اى ابو حنيفة الثانى) ، وكان بحرا فى العلوم والمعارف يغوص فى بحارها ومحيطاتها . كما كان متمكنا من علوم شتى ، بل انه كان راعى روضة العلوم عذب البيان طليق اللسان .

وقد توفى آلتى بارمق سنه ١٠٣٣هـ ودفن أمام قبلة المسجد المعروف باسمه موضوع البحث

الوصف المعمارى

والجامع مستطيل الشكل ، واجهته الرئيسية توجد فى الضلع الشمالى له ، حيث توجد فى نهايتها الغربية المدخل الرئيسى للجامع . وهو من المساجد المعلقة يصعد اليه بمجموعة من الدرجات يبلغ عددها ستة . وقد استفاد المعمار من تعليق المسجد بأن بنى فى الطابق الأرضى مجموعة من الحوانيت تبلغ ستة ، جعل ريعها يصرف منه على الجامع .

ويشمل الواجهة الرئيسية صفان من النوافذ والفتحات يفصل بينهما اكتاف يبلغ عددها خمسة . ونوافذ الصف الأسفل منها مستطيلة يعلوها عتب فوقه عقد عاتق . وقد ملئت النوافذ بمصبعات حديدية . ونلاحظ ان كل نافذة تعلو حانوتا من حوانيت الجامع الستة .

أما فتحات الصف العلوى فتتكون من فتحتين معقودتين تعلوهما دائرة وهى التى تعرف بالفتحات (القنديلية) . وقد ملئت هذه الفتحات بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

وفى النهاية الغربية للواجهة الرئيسية يوجد المدخل الرئيسى للجامع ، وهو كثير العمق وكثير الارتفاع . وقد استغل المعمار عمق المدخل بمكسلتين على جانبيه لجلوس الحارس . ويعلو المدخل عقد ذو ثلاثة فصوص ، ثم تأتى بعده شرفة تعتمد على (كوابيل) حجرية كانت تخص مبانى أخرى تابعة للجامع زال معظمها الآن .

ويؤدى باب المدخل الرئيسى الى قالب من الدرجات عددها ستة تؤدى الى مربعة الشكل تغطيها أقباء متقاطعة. وبالضلع الشرقى لها باب يؤدى الى المسجد. ولا يوجد للمسجد صحن بل تشغل مساحته كلها خمس صفوف من البوائك تقسمه الى ست أروقة موازية لحائط القبلة. وتتكون البوائك من أعمدة رخامية تعلوها عقود مدببة. وفى ذلك يقول أوليا جلبى : وللجامع باب واحد ، وليس له حرم (أى صحن) وهو قائم على أعمدة.

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يكتنفة عمودان من الرخام تيجانهما على شكل الرمانة. وقد غشى تجويف المحراب ودائرة عقدة وتواشيح العقد وكذلك الجدران التى على جانبيه بمجموعة رائعة من البلاطات الخزفية المتعددة الرسوم والاشكال التى روعى فيها ان تناسب المكان التى تغشاه ، مما يدعو الى الظن انها صنعت خصيصا لهذا المسجد ، حيث ان لكل مسجد مقاييس خاصة به. كما أن اسلوب البلاطات الخزفية وطرازها الزخرفى يدل على انها من صناعة مدينة (ازنيك) فى القرن السابع عشر.

ويعلو البلاطات الخزفية ويحيط بالجامع كله ازار خشبى قسم الى بحور كتب فيها آيات قرانية كما احتوت على تاريخ انشاء المسجد. وغطى سقف الجامع بالخشب المزخرف بالرسوم النباتية من زهور وورود داخل وحدات هندسية بالتذهيب والزيت المتعدد الألوان.

وتقوم أمام المحراب قبه كبيرة يشغل مربعها ثلاثة أروقة. ويشغل منطقة الانتقال مثلثات مفصصه على غرار القبة الفدوية ، ثم تأتى بعدها رقبة القبة. وقد فتح فى رقبة القبة ست عشره فتحه معقودة ومملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان. وتقوم على الرقبة قبة مدببة منبعجة يعلوها هلال نحاسى.

وفى الركن الشمالى الشرقى من الجامع توجد المئذنة. وهى تتكون من طابقين يقومان على قاعدة مربعة تبدأ من سطح المسجد. ويتكون الطابق الاول من اسطوانة مثمنة الاضلاع اما الطابق الثانى فيتكون من شكل اسطوانى أصغر فى قطره وارتفاعة من الطابق الاول. ويفصل بين الطابقين شرفة خشبية تقوم على خمس حطات من المقرنصات والدلايات. ويعلو الطابق الثانى شكل مخروطى على طراز المآذن العثمانية.

مسجد يوسف الحين

بشارع الحين بميدان باب الخلق

(١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م)

يقع هذا المسجد بشارع الحين بميدان باب الخلق عن يمين الذاهب فى شارع محمد على الجديد إلى القلعة، مشرف على الخليج من غربيه. أنشأه الأمير يوسف الشهير بالحين (فى القرن التاسع[١]) والحقيقة أنه فى القرن الحادى عشر. ولما مات الأمير يوسف دفن به وهو مقام الشعائر من الجمعة والجماعة والأذان. وله أوقاف كثيرة منها ربع تحت يد ناظره مصطفى الحين. ويتبعه صهريج يملأ كل سنة وبأعلى الصهاريج مكتب.

وقد كان يوسف الحين عين أعيان أمراء الجراكسة بمصر المحروسة، وكاشف البحيرة والبهنساوية وناظر السحابة (محفة يحمل عليها العجزة من الفقراء صحبة الحاج المصرى) الشريفة الكبرى سابقا. وقد أوقف وحبس وتصدق بجميع الجامع المسجد الإنشاء والعمارة المعروف بإنشائه وعمارته، بالقرب من جامع بطيخة وهو مسجد تقام فيه الجمعة والجماعة، ويلاصقه صهريج ومكتب للأيتام[٢].

(١) الخطط التوفيقية جـ٤ ص ١٠٢

(٢) حجة الوقف عن مساجد مصر لحسن عبد الوهاب ص ٣١٣

الوصف المعماري

هو عبارة عن مجموعة من المنشآت اساسها المدرسة وملحق بها سبيل يعلوه كتاب ، ومن ثم فانه يوجد للمبنى ثلاث واجهات ، الغربية التى تطل على الخليج المصرى (شارع بور سعيد حاليا) والواجهة الشمالية حيث يوجد السبيل ثم الواجهة الشرقية . ولكل واجهة من هذه الواجهات الثلاث لها باب مدخل منه . أما المدخل الرئيسى للمدرسة فيوجد فى الواجهة الشرقية فى ركنها الشمالى .

وتعتبر مدرسة الحين من المبانى المعلقه اذ يصعد اليها ببضع درجات ويوجد المدخل الرئيسى فى الركن الشمالى الشرقي يعلوه عقد ذو ثلاث فصوص ملئت بمقرنصات ودلايات فى شكل زخرفى جميل .

وقد زخرف جانبى المدخل بالرخام المتعدد الألوان . ويؤدى باب المدخل الى دركاة مربعة الشكل يتصدرها جلسة للمقرىء ولخدم المدرسة ، ويعلوها قبة ضحلة ملئت بمقرنصات مجمعة فى شكل مثلثات . وتؤدى الدركاة الى طرقة مستطيلة سقفها من الخشب المزخرف برسوم زيتية متعددة الألوان ، كما يحتوى على دوائر كتب فيها « قل كل يعمل على شاكلته »

وتنتهى الطرقة الى صحن المدرسة ، وهو مربع الشكل تحيط به الايوانات من جهاته الأربع . واكبر الايوانات هو ايوان القبلة الذى يقع فى الجهة الشرقية للمدرسة . ويليه من حيث المساحة الإيوان الغربى ، وقد تعمد المعمار الخروج بواجهته عن سمت الجدار الغربى حتى يضيف للمدرسة منظرا جميلا ببروز هذا الايوان الذى يطل على الخليج . ومن ثم ينتفع به كذلك للتهوية . وبهذا الايوان توجد دكة المبلغ

أما الإيوانان الشمالى والجنوبى فهما صغيران ومتساويان . ويتقدم الايوانات جميعها بعقود تطل على صحن المدرسة بعقود مدببة ممتدة ومزخرفة بطريقة الأبلق كما زخرف صحن المدرسة بالرخام الملون فى تكوينات هندسية بديعة .

وقد غطيت أسقف الايوانات بالخشب البرطوم والمربوعات المزخرفة بالنقوش الزيتية

الجميلة والمذهبة . وقد كتب على الإزار الذى يعلو جدار ايوان القبلة آيات من سورة الفتح كما يتصدر الايوان محراب مجوف زخرف برسوم زيتية تشبه الرخام والى جانب المحـراب يوجد منبر خشبى مصنوع بطريقة الخرط والحشوات المجمعة من نوع (المعقلى) .

ويحتوى الايوان الشرقى على صفين من النوافذ السفلى منها يعلوها عتب فوقه عقـد عاتق وملئت بمصبعات حديدية . اما الصـف العـلوى من النوافذ فيتكون من نوافذ قنديليه ملئت من الداخل بزخارف جصية معشقة بزجاج متعدد الألوان .

اما مئذنة المدرسة فتقع بين المدخـل الرئيسى وبين ايوان القبلة . ولهـا باب يؤدى الى سلمها الحلزونى يوصل الى حجرة فوق طرقة المدخل وتشرف على صحن المدرسـة ثم الى دكة فوق الايوان الشمالى والى نافذة بالواجهة الغربية ، كما توصل الى سطح المدرسة .

وبرغم ان المدرسة مملوكية الطراز فى كل تفاصيلها رغم رجوعها الى القرن الحـادى عشر للهجرة ، الا ان المئذنة عثمانية الاسـلوب ، فهـى تتكون من طـابقين اسـطوانيين مضلعين ، وتقوم المئذنة على قاعدة مربعة ويفصل بين الطابقين شرفة مبنية من حجر مجـرم برسوم بديعة وتقوم على ثلاث حطات من المقرنصات البديعة وتنتهى بشكل مخروطى

وفى الجزء الجنوبى من الواجهة الشرقية يوجـد سـبيل يعـلوه كتاب ، اشـتمل على ارضية رخامية دقيقة . وقد سجل على الازار الموجود بأعلى جدران السبيل تاريخ انشائه .

وقد انشأت ادارة حفـظ الآثار العـربيه بالواجهـة الشـمالية المطلة على ميدان باب الخـلق سـبيلا يعـلوه كتاب راعت فيه ان يكون عثمانى الطراز . وقد ثبتت على واجهـته لوحة تذكارية تبين تاريخ التجديد هذا نصـها : جـددت لجنة حفـظ الآثار العـربية هذه الواجهة فى عهـد الملك الصـالح فاروق الأول سـنة ثمان وخمسـين وثلثمائة والف من الهجرة . »

مسجد البدرى
سنة (١١٠٦هـ/١٥٩٧م)

وزاوية الرضوانية
سنة ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م

وضريح جمال الدين شيحة
سنة ١١٧٠هـ/١٦٥٩م

بدمياط محافظة دمياط

مدينة دمياط من ثغور مصر القديمة على الشاطىء الشرقى لفرع النيل المعروف بفرع دمياط ، وبينها وبين مصب هذا الفرع فى البحر الأبيض ١٥كيلو مترا واسمها القبطى (Tamiat) ومنه اسمها العربى .

وكانت دمياط القديمة تقع الى الشمال من دمياط الحالية ونقلت الى مكانها الحالى منذ سنة ٦٣٣هـ . وهى من المحافظات القديمة التى تولى ادارتها محافظ باعتبار أنها من الثغور التى أنشئت سنة ١٨١٠م . وفى سنة ١٩٠٦ ألغيت محافظة دمياط وألغى مركز فارسكور وضمت بلاده الى دمياط وجعلت مركزا واحدا باسم مركز دمياط وقاعدته مدينة دمياط ، ولكن هذا التغيير لم يدم طويلا ففى سنة ١٩٠٩ أعيدت محافظة دمياط وجعلت فارسكور[١] قاعدة له .

وقد خضعت مدينة دمياط للحكم الاسلامى منذ فتح العرب مصر ، فقد ورد فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى : لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجه عمير بن وهب الجمحى الى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلية وتيا وبوصير ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط .

ومنذ أن دخل العرب مصر ، أخذت بعض القبائل العربية تنزح إليها لاستيطانها وكان بعضهم قد قدم مع عمرو بن العاص . وجاء البعض الآخر بعد ذلك وكانت لهم عدة اقطاعيات فى جميع الولايات والأعمال . فانتقلت بطون من قريش ، ومنهم قوم من نصر بن معاوية من هوزان ، وسكن حول دمياط وتنيس ، وتزل بنو نصر فى وسط الدلتا . ومنذ سنة ٦٤٢م بدأت دمياط تتعرف الى العرب المهاجرين اليها من شبه الجزيرة العربية . والى المرابطين من رجال الجيش الفاتح ، كما بدأت بناية المساجد بها (ولا يزال يوجد بدمياط اليوم مسجد قديم يسمى

---

(١) القاموس الجغرافى جـ١ ص ٨ .

جامع فاتح ، يقال انه يرجع الى عهد عمرو بن العاص ، جدد عدة مرات فاندثرت معالمه الأثرية). على أنه من الواضح ان العرب لم يجدوا فى دمياط وتنيس وسائر جزر بحيرة المنزلة ما يرغبهم فى الهجرة اليها فى جموع كثيرة ، ولعل ذلك راجع الى اشتغال أهلها بالملاحة والصناعة وهى حرف تركها العرب لأربابها ، جريا على السياسة التى استنوها لانفسهم ، وهى ترك الحرف والصناعة والادارة فى أيدى أهلها وأن يتولوا هم الاشراف والحرب ، ولذلك فقد ظلت أكثرية أهل دمياط حتى القرن العاشر الميلادى من القبط . وشملت كورة دمياط مثلثا شماليا يشطره فرع دمياط شطرين ويحده البحر الأبيض المتوسط من شماله وجانبه ، فكانت بذلك تشمل مساحة من محافظتى الدقهلية والغربية الحاليتين . وكان يدخل فى زمامها من البلدان ، شطا وبورة البستان ، وفى شرقها كورة تنيس وحاضرتها مدينة تنيس ببحيرة المنزلة والى غربها كورة البجوم وجنوبها كورة دقهلة ، وقد ظل هذا التقسيم الادارى على حاله حتى أوائل العصر الفاطمى .

وقد لاقت مدينة دمياط الشىء الكثير من غارات الروم المدمرة المتوالية وكانت أولاها سنة (٩٠)هـ والثانية سنة ١٢١هـ . ويصف المقريزى[1] الغارة الأولى بقوله : وما زالت مدينة دمياط بين المسلمين الى أن نزل عليها الروم فى سنة ٩٠هـ فأسروا خالد بن كيسان (واليها من قبل الدولة الأموية) وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم ، فانفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التى كانت بينه وبين الروم » .

وعلى الرغم من فشل الدولة الرومانية فى هذه الحملة ، الا ان أساطيلها عادت ثانية الى دمياط بعد نحو ثلاثين سنة فى خلافة هشام بن عبد الملك وقد جاء فى خطط المقريزى أن مراكب الروم كانت ثلاثمائة وستين مركبا وأنهم قتلوا وسبوا وذلك فى سنة ١٢١هـ . ويرجع السبب فى هذه الغارات التى كانت تشنها الدولة الرومانية الشرقية بين الحين والحين الا أنها لم تنس منذ أن أخرجت من مصر ، أنها فقدت أكبر ولاياتها وأكثرها خيرا فظلت تتطلع الى استردادها ، فكانت محاولتها الأولى فى القرن السابع الميلادى بعد الفتح ثم أغار أسطولهم مرتين على دمياط فى القرن الثامن الميلادى . ثم عادوا فغاروا عليها ثلاث مرات فى القرن التاسع ومرة أخرى فى القرن العاشر ، وانتهت تلك الغارات كلها بالفشل . ولكنها أدت الى عناية الخلفاء وولاة مصر بتحصين الموانى وتزويدها بالحاميات المرابطة .

وفى القرن التاسع الميلادى ، فى عهد الدولة العباسية ، قسم الوجه البحرى الى ثلاثة أقاليم بدلا من الاقليمين الكبيرين (وهما الحوف والريف) ففصل من الحوف بعض الكور وأطلقوا

---

(١) المقريزى جـ١ ص ٣٤٤ .

عليها اسم (الحوف الشرقى) وكذلك فصلت بعض الكور من شرق الريف وأطلقوا عليها اسم (الحوف الغربى) ثم ضم ما فصل من الحوف والريف وجعل منه اقليما ثالثا ، عرف باسم (بطن الريف) وكانت كورة دمياط جزءا من بطن الريف . ثم عادوا فقسموا بطن الريف الى قسمين سمى الشرقى منهما باسم بطن الريف ، وأما الغربى فسمى (الجزيرة) وبقيت دمياط كما كانت جزءا من بطن الريف[1] .

ولما تولت الدولة الفاطمية كان أول ما وجهت اليه عنايتها بعد استقرار الأمور ، هو وضع نظام جديد للضرائب ، وتحصيل ما تأخر منها . فقد جمع من دمياط وتنيس والاشمونين فى يوم واحد من سنة ٩٧٣م أكثر من مائتين وعشرين ألف دينار ، وذلك أمر لم تعهده مصر من قبل . وقد أدت حالة الهدوء والاستقرار التى نعمت بها البلاد فى العصر الفاطمى الى ازدهار الصناعة والتجارة ولا سيما فى المدن العريقة كدمياط ومدن بحيرة المنزلة ، التى اشتهرت منذ أقدم العصور بصناعة المنسوجات الجميلة ، والتى أفرد لها كل من تكلم عن مصر من مؤرخى العصور الوسطى صفحات طوال يعدد فيها انواع منسوجات دمياط وخاماتها وطرزها . وأثمانها وما الى ذلك .

ذكر المقدسى[2] ، وأما الثياب الشطوية (شطا قرية بين دمياط وتنيس) فلا يمكن أن ينسج منها شىء الا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ، ولا تباع الا على يد سماسرة قد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت ما يباع فى جريدته ، ثم تحمل الى من يطويها ، ثم الى من يشدها بالقشر ، ثم الى من يشدها بالسنط ، والى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ، وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند اقلاعها . ويتحدث ابن حوقل[3] عن دمياط وبحيرتها عام ٩٧٦م فيقول : ومن جليل مدن مصر تنيس ودمياط وهما مدينتان لا زرع فيهما ولا ضرع لأنهما جزيرتان فى وجه النيل ، غربهما وجنوبهما وشرقيهما وشمالهما البحر ، وبهما يتخذ رفيع الدبيقى والشرب ، والمصبغات من الحلل السنية التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى الحسن والقيمة ، وربما بلغ الثوب من ثيابهم مائتى دينار اذا كان فيه ذهب ومالا فيه يبلغ المائة دينار ، وأصلها من الكتان . كذلك وردت أسماء مدن وقرى كثيرة تابعة لناحية دمياط ، اشتهرت بصناعة المنسوجات ، مثل دبيق وتونة وميرة وغيرها من مدن جزائر بحيرة المنزلة . فيذكر الكندى[4] أنه كان يصنع هناك (بناحية دمياط) الكتان الدبيقى

---

(١) القاموس الجغرافى جـ١ ص ٨ .
(٢) المقدسى ص ١٩٥ .
(٣) ابن حوقل ص ٢٣٧ .
(٤) الكندى ص ١٧ .

والمقصور والشفاف والأردية وأصناف المناديل الفاخرة للأبدان، والأرجل والمخاد والفرش المقلم والطراز ويبلغ الثوب المقصور منها خمسمائة دينار وأقل وأكثر.

ولم تقتصر نهضة دمياط وكورها فى العصر الفاطمى على الناحية الفنية والصناعية فحسب، بل شملت كذلك الناحية الثقافية، فقد كانت مساجد دمياط حافلة بطلاب العلوم الدينية وبالزوار من الفقهاء والشعراء والكتاب، الذين سجل بعضهم مشاهداته كما فعل شمس الدين المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم) أو من القضاة مثل أحمد بن مطرف أبو الفتح العسقلانى الذى تولى القضاء فى دمياط سنة ٤١٢هـ. ومن أدباء دمياط فى القرن الثانى عشر الميلادى، أشهر شعراء الدولة الفاطمية: ابن قادوس الدمياطى، والأنبا ميخائيل أسقف دمياط فى سنة ١١٨٤م وله عدة مؤلفات أخلاقية ودينية.

وقبيل نهاية الدولة الفاطمية، بدأت دمياط فترة جديدة فى تاريخها الاسلامى، هى فترة الجهاد ضد الحروب الصليبية، فقد تعرضت دمياط لغزوروجر ملك صقلية سنة ١١٥٥م، فى عهد الخليفة الفائز الفاطمى ووزيره ابن زريك، ولم تمنع أسوار دمياط أو حصنها الذى بناه المتوكل من اقتحام روجر لها لضعف الحامية، وعلى الرغم من ذلك فانه لم يستطع البقاء فيها طويلا وانسحب. وفى سنة ١١٧٠ م عاود الصليبيون الكرة مرة أخرى، فقد أرسل امبراطور القسطنطينية أسطولا لحصار دمياط تمهيدا لفتح مصر، فاستنجد الخليفة العاضد، (آخر خلفاء الفاطميين) بنور الدين زنكى، فأرسل اليه جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه وابن اخيه صلاح الدين الأيوبى. ولما علم بذلك الفرنج وهم حول دمياط خشوا على أملاكهم التى استولى عليها على سواحل الشام، من غزو نور الدين فاضطروا الى الرحيل عن دمياط بعد أن غرق لهم عدد من المراكب وتفشى بينهم المرض. ويروى المقريزى أن صلاح الدين انفق على صد هذه الحملة أكثر من نصف مليون دينار.

ولما استقل صلاح الدين بحكم مصر، وكانت الأنباء قد وصلت باستعداد جديد للفرنج لغزو دمياط، أمر بتحصين قلعة تنيس وأسوارها، وترميم سور دمياط وتزويد برجيها بالمقاتلة. وفى سنة ٥٧٧هـ (١١٨١م) سار صلاح الدين الى دمياط ليشرف بنفسه على اصلاح سورها وأبراجها وسلسلتها، وقبل وفاته بعام واحد (٥٨٨هـ - ١١٩٢م) أمر السلطان صلاح الدين باخلاء مدينة تنيس ونقل أهلها الى دمياط وقطع أشجار وبساتين دمياط وأخرج النساء منها ثم حفر خندقا حول دمياط وأنشأ جسرا عند السلسلة لوصل البرج بها. وخلت تنيس الا من المقاتلة وانتقلت مناسجها وصناعها الى دمياط ورحل بعضهم الى المحلة الكبرى وكانت هذه الهجرة مقدمة للضربة القاصمة التى حلت بهذه المدينة عندما أمر الملك الكامل بن العادل سنة

١٢٢٨ م بهدمها فزالت من الوجود حتى لا تقع فى أيدى الصليبيين الذين ظلوا يهددونها عدة قرون .

ولما اتضح للصليبيين من انتصارات صلاح الدين عليهم فى الشام واستعادته لبيت المقدس وغيره من المدن ، أن مصر هى حصن الاسلام ومورد الرجال والسلاح ، قرروا فى سنة ١٢١٨م الذهاب الى دمياط للاستيلاء عليها

إن اعتبار أنها مفتاح مصر وقلعتها الأمامية ، فاستولوا عليها وظلوا بها ستة عشر شهرا ، ولكنهم اضطروا أخيرا للرحيل عنها سنة ١٢٢١م بعد أن عقدوا الصلح مع السلطان الكامل . وعاد الصليبيون بعد ثلاثين سنة يحاولون الاستيلاء على مصر تمهيدا للاستيلاء على بيت المقدس وبلاد الشام ، فجاءت حملة لويس التاسع سنة ١٢٤٩م الى دمياط ، وانتهت هذه الحملة بالفشل الذريع وأسر فيها لويس التاسع وأنزلوه دار ابن لقمان فى المنصورة ولم يفك أسره الا بعد دفع فدية كبيرة ، وخرجت آخر فلول هذه الحملة من مصر فى مايو سنة ١٢٥٠م . وكان من أثر هذه الحملات المستمرة على دمياط والتى انتهت بغزوة لويس التاسع أن تخربت المدينة ، مما دعا الى انشاء بليدة صغيرة بالقرب منها تسمى بالمنشية[١] وكانت مدينة ذات أسواق وحمامات وما زال بدمياط حتى اليوم حى بهذا الاسم يعرف بالقرية القديمة .

ولما تولى بيبرس البنداقدارى أمر الدولة المملوكية ، رأى أن دمياط الجديدة لم تعد تحميها أسوار منيعة ، وان السلاسل الحديدية التى تعترض النهر لا تقوى وحدها على المقاومة فأمر فى سنة ١٢٦١م بسد مصب النيل بالأحجار حتى لا تستطيع سفن الأعداء أن تعبر الى داخل البلاد . وكان من أعمال بيبرس المدنية أن اهتم بالطريق الزراعى الذى يصل دمياط بالقاهرة وأنشأ به ست عشرة قنطرة ، كما نظم البريد على ظهور الابل والجياد . وكانت أهم الخطوط البريدية فى عصره ، الخط بين القاهرة ودمياط وبين القاهرة وكل من أسوان والاسكندرية ، وكان يخرج البريد من دمياط الى غزة ومنها تتفرع سائر خطوط البريد فى بلاد الشام وترسل المراسيم السلطانية الى أنحاء السلطنة . كما كانت هناك خطوط جوية بواسطة الحمام الزاجل . وكانت مدينة دمياط فى القرن الخامس عشر

(١) معجم البلدان جـ٤ ص ٨٥.

ملجأ للمهاجرين من العراق بعد أن استولى عليها التتار . ويقول ابن اياس[1] : وكانوا (أهل العراق) يجتمعون ويترافقون ويخرجون من دمشق الى مصر ، فكان أكثرهم ينزل الى البحر ويجيء من جهة دمياط ويدخلون مصر وهم فى أتعس حال .

ويروى السيوطى[2] فى حوادث سنة ٨٢٨هـ (١٤٢٥) فى أوائل حكم برسباى : وقع بدمياط حريق عظيم حتى احترق قدر ثلثها وهلك بها من الناس والدواب شيء كثير . ومن سلاطين المماليك الذين أقاموا بمدينة دمياط الملك المنصور ، الذى خلعه السلطان اينال (١٤٥٣م) ونفاه الى الاسكندرية ، ثم نقله السلطان قايتباى مكرما الى دمياط وبقى بها حتى توفى سنة ١٤٨٧ حيث نقلت جثته الى القاهرة . وقد زار المؤرخ المشهور تقى الدين المقريزى دمياط فى القرن الخامس عشر ، ووصفها شعرا ونثرا فى خططه حيث أفرد لها فصلا شائقا ، وقد جمع هذا الفصل مجمل ما وقع لها من أحداث فى نحو عشرين صفحة وأشار الى المصادر التى نقل عنها ، ولكنه لم يفصل بين الحقيقة والخرافة .

ولما ضعفت دولة الشراكسة فى القرن السادس عشر ، أضحت دمياط منفى للمتمردين من المماليك ، وأهمل أمرها كما أهمل غيرها من الموانى ووقفت حركة التصدير والتوريد نتيجة لفرض الضرائب الباهظة ولانتشار الظلم وعبث القراصنة الأجانب بالشواطيء ، وظلت كذلك حتى دخل العثمانيون مصر واستولوا عليها سنة ١٥١٧م .

وقد عانت دمياط فى العصر العثمانى ما عانته البلاد كافة ، ولكنها كانت نسبيا بمنأى عن الفتن وتقاتل المماليك وأحزابهم ، والصراع بين الهيئات الثلاث الحاكمة ، (وهى الوالى والديوان والمماليك) ، ولهذا انصرفت الى تجارتها وصناعاتها بالرغم من تدهور الأحوال الاقتصادية ، نسبيا نتيجة لاهمال أمر الميناء وانسداده بالرمال ، ومع كل هذا فان الحركة التجارية فى الميناء لم تنقطع ، فقد كان يصدر منها الأرز والمنسوجات والقمح والبطارخ والملح ، كما كانت ترد اليها السفن محملة بالأخشاب والصابون والتبغ والفواكه والنقل .

ولما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨م ، أدلت دمياط بدلوها فى الدفاع عن كيانها ، والذود عن استقلالها ، ولكنها اضطرت فى النهاية الى التسليم سنة ١٨٠٠ .

---

(١) ابن أياس جـ٢ ص ٣٠ .

(٢) السيوطى ص ٩٦ .

وبدأ نابليون فى تحصين منطقة دمياط وانشاء القلاع بها ، ويحدثنا على مبارك[1] فى خططه عن الحصون التى أنشأتها الحملة الفرنسية فى دمياط وما تبقى منهـا فى عصره فيقـول : ان قلعة البوغاز الكبرى أنشئت زمن دخول الفرنساوية فى القرى القديمة المسماة بعزبة البرج ، التى هدمها بونابرت لقيام أهلها ليلا على عساكره وذبحوا منهم جملة ، وبنى بأنقاضها تلك البقعة ، ولم يبق من آثارها الا الجـامع الذى بوسـطها ومنزل صـغير . وفى جهـتى البوغاز شرقا وغربا ، قلعتان أنشئتا فى زمن الفـرنساوية بصـورة الاسـتحكامات الدائمة . وقد تولى الجنرال كليبر الاشراف على تحصين دمياط خشية استيلاء الانجليز أو العثمانيين عليها .

وكانت دمياط يوم تولى محمد على الحكم سنة ١٨٠٥ أهم الثغـور المصـرية وأعظمهـا تجارة بل انها كانت أعظم من الاسكندرية شـأنا ، فلما أصـلح ميناء الاسكندرية وحفـرت ترعة المحمودية ، أخذت السفن التجــارية الكبرى تفــد اليهــا ، وكان من نتيجـة هذه المشروعات عودة العمران والحركة التجارية الى الاسكندرية ، والقضـاء على معـظم تجـارة دمياط ورشيد ، وأصـبحت تجـارة دمياط مقصـورة على ما تحمله اليهـا المراكب الشراعية التى تقف خارج البوغاز المسـدود بالرمال . وقد زاد فى اهمال ثغـر دمياط انشـاء الخـط الحديدى بين الاسكندرية والقـاهرة ، فأصـبحت الاسكندرية ميناء مصـر الأول ، كما زاد فى إضعاف شأن ميناء دمياط انشاء بور سعيد عند مدخـل قناة السـويس . كذلك كان لإنشـاء الخط الحديدى الذى وصـل بين مدن فلسـطين وبين القنطرة عن طـريق العـريش ، أثر ملحوظ فيما أصاب ميناء دمياط من الاهمال واضعاف حركته التجارية والعمرانية .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ١٠ ص ٧٧ .

وصف المساجد

مسجد البدرى

أنشاه الخواجه محمد والخواجه ابراهيم أولاد المرحوم يوسف خفاجة ١١٠٦هـ الا أن المسجد القديم تهدم وجددته وزارة الأوقاف (١٩٣٦م) .

ويقع المسجد فى وسط المدينة وتعلوه منارة شاهقة الارتفاع مكونة من ثلاث دورات مناسبة الابعاد ، يراها القادم على المدينة سواء من النيل أو من البر وكانها منارة تهديه سواء السبيل

زاوية الرضوانية :

يدل تصميم الزاوية على أنها كانت مدرسة لاحتوائها على ايوانات متقابلة ، وخلف الايوان الشرقى يوجد ضريح مقام عليه قبة ويكتنف القبة ايوانات . وقد زخرف القسم الشرقى بنقوش مذهبة وكتابات من آى الذكر الحكيم ، وبالمحراب بقايا من الفسيفساء الرخامية . واعتقدان تهدم الجزء الشرقى ، وبقاء القسم الغربى فقط بحالة جيدة ، جعلهم يطلقون عليها اسم زاوية . ويعلو الباب لوح من الرخام عليه اسم المجدد ، الحاج رضوان سنة ١٠٣٩هـ .

ضريح جمال الدين شيحة :

يقول على مبارك[١] : « علمت ان مدينة دمياط من أعظم الثغور الاسلامية بديار مصر فلذا تتوطنها ويقيم بها الاكابر والأعيان والأشراف والعلماء والصلحاء ومشايخ الطرق

(١) الخطط التوفيقية جـ١١ ص ٥٢ .

والسجادات ، وفيها مقامات كثيرة لأولياء الله تعالى المرابطين وغيرهم » ومن أهم هذه المقامات التى ما تزال باقية ضريح جمال الدين ، الذى يقع بالجبانة الى الغرب من جامع أبو المعاطى . والضريح عبارة عن مربع مكون من أربعة عقود سدت بحواجز من الخشب الخرط الجميل ، وتحمل العقود قبة صغيرة . ومما يسترعى النظر ان باب الضريح رصع بمجموعة من الأسلحة تبلغ العشر قطع ، ولعل معنى هذا انه كان مجاهدا اشترك فى الحروب الصليبية التى غزت الساحل الشمالى لمصر وخاصة دمياط . ولذا وضعت اسلحته على ضريحه ، أو لعلها اسلحة غيره من المجاهدين وضعت بعد وفاته وفاء لنذر .

وبجوار الضريح يوجد قبر باسم الأمير أحمد بك بن الأمير محمد أغا عزبان المتوفى سنة ١١٧٠هـ (١٧٥٦م) ، ولعله هو الذى اعاد بناء قبة ضريح الشيخ جمال الدين شيحة.

جامع الفتح

بشارع جامع عابدين
(١٠٤١هـ/١٦٣١م)

يقع هذا الجامع بميدان عابدين وهو يشغل الجزء الشرقى من قصر عابدين . ونود قبل ان نتناول تاريخ جامع الفتح ، ان نذكر فى ايجاز تاريخ حى عابدين . من المعروف ان مدينة القاهرة التى أنشأها الفواطم منذ (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) ، كانت عاصمة الدولة الفاطمية طوال الفترة التى كانت مصر خاضعة لها . وبرغم وجود العواصم السابقة على القاهرة وهى الفسطاط والعسكر والقطائع ، وكذلك امتداد القاهرة خارج اسوارها ، الا أن خلفاء الدولة الفاطمية لم يغادروا القاهرة ولم يخرجوا خارج أسوارها التى تمتد من الشرق بحذاء جبل المقطم حيث يوجد بابا البرقية والتوفيق ومن الغرب بحذاء الخليج حيث يوجد باب سعادة وباب القنطرة ، وفى الشمال حيث يوجد باب النصر وباب الفتوح وفى الجنوب بابا زويلة .

ظلت قاعدة مصر وحاضرتها القاهرة المحصورة داخل أسوارها قرابة قرنين من الزمن حتى سقطت الدولة الفاطمية ٥٦٧هـ / ١١٧١م وجاءت بعدها الدولة الأيوبية . ولكن صلاح الدين الايوبى لم يرغب فى سكنى قاهرة الفواطم ، التى كانت فى ذلك الوقت تزخر بقصورهم ومنشآتهم العظيمة وكذلك ببقايا أسرهم وأتباعهم وهم كما نعرف من الشيعة الاسماعيلية .

لذلك بدأ صلاح الدين فى اختيار منطقة جديدة فى منطقة المقطم ، فوقع اختياره على ربوة منفصلة من الجبل وأمر ببناء قلعة له ، عرفت فى ذلك الوقت باسم قلعة الجبل ، اتخذها مقرا له ولحكومته وترك مدينة القاهرة .

وظلت القلعة التى بناها صلاح الدين مقرا للحكومة وسكنا للحاكم طوال العصر

الايوبى فالمملوكى ثم العثمانى ثم محمد على حتى جاء الخديو اسماعيل ونقل مقـر الحكم من القلعة الى قصره الذى بناه فى حى عابدين .

أما حى عابدين فقد عرف بهذا الاسم نسبة الى أول من سكن وبنى فيه أمير اللواء السلطانى عابدين بك ، فقد كان يسكن بجهة سويقة صفية بالقرب من الزير المعلق . وكان يجاور قصره مسجد قديم يعرف باسم جامع الفتح ، فعمل عابدين بك على تجديده والعناية به ورصد عليه الاعيان وحبس عليه الحبوس وذلك (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) عرف الجـامع باسمه (جامع عابدين) .

وكانت مساحة الجامع فى ذلك الوقت (٦٤٠) مترا . فلما ترك الخديوى اسماعيل القلعة واتخذ القصر الذى بناه فى عابدين ، ترك الجامع متداخلا فى حدود القصر .

ويضـيف لنا حسـن عبد الوهاب[1] عن / جـامع الفتح قبل تجـديده واعادة بنائه (١٣٣٨هـ / ١٩١٨م) فيقول : كان المسجد عبارة عن قاعة ذات أعمدة تحمل عقودا يرتكز عليها السقف الخشبى ، وكان يتوسط السقف منور كبير للاضاءة والتهوية . وكانت واجهة المسجد تقع فى ضلعه الشرقى وهى بسيطة بنى تحت قسم من الواجهة بعض الحـوانيت يصرف ريعها على المسجد . وكان يعلو الحوانيت مناور دائرية

وكان باب المسجد الذى يقع فى شارع جامع عابدين ، يفتح الى الجهة الشـمالية ، ويكون امتداده مع الواجهة الجنوبية زاوية قائمة حيث توجد المئذنه التى كانت تبرز قليلا فى الشـارع . وكان يعلو هذا الباب عقـد مداينى ملئت فصـوصه الثلاثة بمجموعات من المقرنصات والدلايات .

أما الواجهة الشمالية للمسجد فكانت تشرف بمناورها على حارة سويقة صفية التى صارت جزءا من مدخل قصر عابدين الشرقى .

ويضيف حسن عبد الوهاب فيقـول : وفى اوائل (١٣٣٨هـ / ١٩١٨م) أمر السـلطان فؤاد (أى بعد توليه سلطنة مصر بعام) بتجديد جـامع الفتح ، فعـهدت وزارة الأوقاف الى لجنة حفظ الآثار العربية بذلك . وبناء على رغبة السلطان احتفظ بالمدخل القديم وبالمنارة . وقد أعد له مشروع عظيم روعى فيه أن يكون على مثال المساجد العثمانية . وأضـيف الى مساحته ضعفها من أرض السراى حتى بلغت (١٢٤٦) مترا

---

(١) المساجد الأثرية ص ٣٧٢

الوصف المعمارى

يتكون الجامع من مربع اساسى تقوم عليه قبة وهو مكان الصلاة . وقد الحق بهذا المربع ثلاث مجموعات من المبانى من جهته الغربية والجنوبية وكذا الشرقية . وكل هذه الملحقات بها أروقة ودهاليز وغرف تقوم بخدمة أغراض المسجد المتعددة

وتوجد الواجهة الرئيسية للمسجد فى الجهة الغربية منه وهى تشرف على حديقة قصر عابدين ويبلغ ارتفاعها (١٥,٧٠) . ويتوسط الواجهة الغربية المدخل الملكى للمسجد . وترتفع هذه الواجهة عن مستوى الشارع بعدة درجات .

ويحتوى المسجد على مدخلين آخرين ، أحدهما فى الطرف الجنوبى الشرقى للواجهة الشرقية ، وهو بارز عن المسجد ويصعد اليه بقالبتين من الدرجات . والمدخل مبنى بالحجر ويعلوه عقد مداينى ذو ثلاثة فصوص ملئت بتكوينات جميلة من المقرنصات والدلايات . وزخرف جانباه وأعتابه باحجار مزررة ملونة .

ويؤدى باب هذا المدخل مربع تعلوه قبة ضحلة ، ويفتح المربع الذى يقع فى الضلع الشرقى للمسجد فى جهته الجنوبية على رواق مقسم الى مربعات عددها أربعة يعلوها أربعة قباب ضحلة . ويؤدى هذا الرواق الى ثلاث فتحات تتوسط الضلع الجنوبى للمسجد يدخل منها اليه . ثم ينثنى الرواق الى الجنوب حيث يتصل بمبنى ملحق بالمسجد تغطيه ستة قباب ضحلة . وقد زخرفت المثلثات الكروية التى تعتمد عليها القباب الضحلة جميعها برسوم زيتية متعددة الألوان ومذهبة .

ويؤدى هذا الباب إلى مئذنة الجامع التى تقع فى الركن الجنوبى الشرقى منه ، كما تؤدى إلى السطح وإلى دورة المياه . وقد كتب بصدر الايوان على لوحة رخامية بالخط الكوفى المرجع « الله محمد وأسماء العشرة المبشرين بالجنة » .

والمبنى الملحق بالمسجد من جهته الجنوبية الغربية الذى يؤدى اليه الرواق السالف الاشارة اليه ، إنما أعد لاستراحة الملك قبل دخوله المسجد ، وهو كما أسلفنا القول مغطى بقباب ضحلة تقوم على دعائم حجرية وأعمدة رخامية ، ولهذا المبنى باب كسى بالرخام وقد كتب عليه ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم بفضل الله تعالى وحسن توفيقه تم تجديد هذا الجامع المبارك وأذن بالصلاة فيه فى يوم الجمعة السادس من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين

وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية وهى السنة الثالثة من عهد مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم. وقد وافق ذلك مبدأ السنة الثالثة والخمسين من عمره السعيد بارك الله فى عمره وأعزه بنصره »

أما الباب الثالث فيقع فى الضلع الشمالى للمسجد، ويصعد اليه بمجموعة من الدرجات تؤدى الى فضاء بسيط يدخل منه الى مكان الصلاة عن طريق ثلاث فتحات يعلوها ثلاثة عقود مدببة وممتدة.

أما مكان الصلاة فيتكون من مربع متساوى الأضلاع، يتوسطه أربعة أعمدة جرانتية حمراء ضخمة موهت تيجانها بالرسوم والزخارف المذهبة. ويقوم فوق هذه الأعمدة عقود حجرية مبنية بطريقة الابلق، وهى مدببة وممتدة. ويعلو هذه العقود قبة كبيرة يبلغ ارتفاعها (٢٢,٥) مترا، ترتكز على رقبة ممتدة تقوم على مثلثات كروية. وقد فتح فى رقبة القبة ست عشرة نافذة بواقع نافذتين فى كل ضلع عن أضلاع الرقبة المثمنة الشكل. ويفصل بين هذه النوافذ من الخارج بست عشرة دعامة تنتهى بخوذة مدببة.

وقد كتب حول رقبة القبة النص التالى :ـ بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال الى قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب. صدق الله العظيم. أمر بانشاء هذا المسجد المبارك حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر أدام الله أيامه. وكان الفراغ من بنائه فى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم تحية.

وقد زخرفت القبة بالنقوش المذهبة والمتعددة الألوان وكتب فى قطبها سورة الاخلاص.

ويحيط بالقبة أربعة أروقة معقودة حافلة بالنقوش الملونة والمذهبة. وتنتهى هذه الأروقة بأربع قباب صغيرة قطرها سعة الرواق تشغل اركان المسجد الأربعة. وقد كسيت جدران مكان الصلاة من الداخل الى ارتفاع (٢,٥) مترا بالرخام الذى ينتهى بافريز دقيق تحيط بالأبواب كذلك وهو يشبه الى حد كبير أفريز وزرة مسجد البردينى. وقد غطيت القبة الكبيرة وكذا القباب الأربع الصغيرة من الخارج ببلاطات خزفية خضراء استبدلت الآن بكسوة نحاسية.

كما زخرفت الجدران بنجاريات منهبة مكتوب عليها (الله) (محمد) (ابو بكر) (عمر) (عثمان) و(على). وجميع أرضيات المسجد مفروشة بالرخام الدقيق والمزخرف برسوم قوامها اشكال هندسية.

وفى صدر حائط القبلة يوجد المحراب زخرف تجويفه بأنواع لا مثيل لها من الرخام الملون على شكل أشرطة ومستطيلات وأخرى زخارف مورقة مذهبة ومقرنصات تعتمد على عمد من الخزف الترجوازى . أما طاقية المحراب فقد زخرفت على شكل دالات تنتهى بلفظ الجلالة ، كما احتوت تواشيح عقد بخامات رخامية متعددة الاشكال والألوان . وفى اعلى المحراب مستطيل كتب عليه بخط جميل قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماءفلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »

ويجاور المحراب منبر مصنوع من الرخام ، زخرفت ريشتيه بنقوش نباتية محفورة حفرا بارزا وطليت بالذهب . وقد اقتبس شكل المنبر وزخارف من منبر مسجد سليمان باشا الخادم بالقلعة .

وقد فتح فى داخل المسجد صفان من النوافذ ، السفلى منهما يتكون من أربع نوافذ معقودة ، يكتنف ابواب المسجد الداخلية الثلاثة والضلع الرابع تكتنف المحراب . أما الصف العلوى فيحتوى على أربع نوافذ اثنان منها فى وسط الضلع قنديليه وعلى جانبهما نافذتان معقودتان مماثلة لنوافذ الصف الأسفل . وقد ملئت جميع نوافذ المسجد السفلى والعليا بزجاج معشق كما نقشت أطرافها من الداخل برسوم وزخارف منهبة

وفى الضلع الغربى المقابل لحائط القبلة توجد دكة المبلغ التى تقوم على ثمانية عمد رخامية . وهى عبارة عن شرفة من الخشب المصنوع بطريقة الخرط ، يعلوها مقصورة أعدت لصلاة السيدات ومن ثم فقد غطيت فتحاتها بضلف من الخرط البديع . وفى الجدار الجنوبى يوجد باب يوصل الى المدخل الملكى كتب على شريط يعلو عتبه قوله تعالى « وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » .

ويضوء المسجد ليلا مجموعة من الثريات والتنانير علق اكبرها فى قطب القبة الكبيرة التى ترتفع (٢٢,٥) مترا . ويتكون التنور الكبير من شكل دائرى قطره (٢,٤) مترا يحتوى على ثلاث طبقات يبلغ مجموع ما تحتويه من المصابيح (٩٦) مصباحا . أما الثريات والتنانير الصغيرة فمعلقة فى القباب الصغرى وكذا الأروقة الأربعة . وبالركن الجنوبى الشرقى للمسجد توجد المئذنة التى يبلغ ارتفاعها حتى الهلال (٤١) مترا ، وهى عثمانية الطراز ، تتكون من طابقين يفصل بينهما شرفة . ويعلو الطابق الثانى شكل المسلة . وقد بلغت نفقات انشاء هذا المسجد ١٩٩٨م (٢٥٠٠٠) جنيها مصريا صرفت من ريع الأوقاف التى وقفها عليه اسماعيل باشا .

مسجد الحبشلى أو الفرقانى

بدرب سعادة بالقاهرة

مسجل برقم (١٩٣)

(١٠٨٠هـ/١٦٦٩م)

يقع مسجد آق سنقر الفرقانى بدرب سعادة، وهو الشارع أو الحى الذى سماه المقريزى[١] بحارة الوزيرية نسبة الى الوزير يعقوب بن كلس لان داره كانت بها. وهى أول دار كانت للوزارة بالقاهرة، وقد سميت بعد انقطاع نسبتها الى الوزير بدار الديباج لأن الديباج الذى كان يعمل لقصور الخلفاء كان يصنع بها، واستمرت كذلك مدة الخلفاء الفاطميين.

وكان يتوصل الى حى درب سعادة من خمسة أبواب، أحدها كان بقرب قنطرة باب الخرق عند الضريح المعروف باسم الست سعادة بجوار سراى الأمير منصور باشا تجاه الخليج، وهو محل أحد ابواب القاهرة التى فتحها جوهر فى الجهة الغربية من السور وسمى باب سعادة لدخول سعادة أحد غلمان المعز وحامل مظلته منه. والباب الثانى تجاه قنطرة الأمير حسين من محل الخوخة التى فتحها الأمير المذكور وثالثها بقرب قنطرة الموسكى وهو باب الخوجة ومن القصص التى تروجها العامة، هو ان الست سعادة علم على جارية زنجية من قهرمانات السلطان الناصر محمد بن قلاوون وينسبون ان الحارة منسوبة اليها وهذا غير صحيح. والباب الرابع بالقرب من باب حارة الجودرية وخامسها بجوار جامع الحبشلى.

والحقيقة ان مسجد الحبشلى له تاريخ طويل، فقد ذكره المقريزى[٢] وكذا ابو المحاسن[٣] وسار على هديهما على مبارك[٤]، تحت اسم المدرسة الفارقانية نسبة الى الأمير

(١) الخطط التوفيقية جـ٣ ص ٤٨

(٢) الخطط والآثار جـ٢ ص ١٤٥

(٣) الخطط التوفيقيه جـ٣ ص ٤٩

(٤) ابو المحاسن، المنهل الصافى ص ٣٢٤

شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلحدار . لذلك فقد رأيت ان أتناول تاريخ البقعة التى اقيم عليها مسجد الحبشلى (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م)

لقد كان يشغل مكان مسجد الحبشلى بشارع درب سعادة ، خلف محكمة الاستئناف الحالية ، مدرسة أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلحدار (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) وجعلها مدرسة لتدريس المذهب الشافعى والحنفى .

أما عن تاريخ الأمير شمس الدين آق سنقر ، فقد كان فى الأصل مملوكا للأمير نجم الدين أمير حاجب ، ثم انتقل بعد ذلك الى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، وآخذ يترقى فى وظائف الدولة حتى وثق فيه السلطان وأنابه عنه فى ادارة شئون الدولة مدة غيبته عنها فى محاربة الصليبيين فى بلاد الشام ، وكان قد وصل فى ذلك الحين الى وظيفة الاستادار . كما تولى نيابة السلطنة فى عهد السلطان السعيد بركة بن الظاهر بيبرس ، وقد توفى (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) وقيل أن داره كانت بجوار مدرسته داخل باب سعادة

وقد استمرت المدرسة الفارقانية قائمة حتى القرن الحادى عشر للهجرة ، ولكنها كانت فى حالة سيئة بحيث لم تستطع القيام بوظيفتها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان تخطيطها المعمارى المكون من ايوانات لتدريس المذاهب السنية كان لا يتفق مع تخطيط المساجد العثمانية التى اختفت منها الايوانات حيث أصبح المذ ب الحنفى هو المذهب الوحيد الذى يدرس كما أنه مذهب الدولة الرسمى .

وفى عام (١٠٨٠ / ١٦٦٩م) هدم الأمير محمد كتخدا[1] مستحفظان[2] المدرسة وأقام مكانها مسجدا ، عثمانى الطراز والتخطيط عرف بمسجد الحبشلى أما عن السبب فى تسمية

(١) كتخذا ويقال له أحيانا باسم الكاخيا ، وهو الوكيل او النائب ، وقد وجد فى مصر كتخذا الباشا وكتخذا اليك المملوكى وكتخذا قاضى عسكر افندى وكتخذا أوجاق .

(ليل عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ص ٤٥٤)

(٢) مستحفظان : اصطلاح تركى يعنى انكشارية . والانكشارية تعنى الجند الجديد ، ويمثلون الجيش النظامى فى الدوله العثمانيه الذى قام بأهم الفتوحات . وقد عرف او جاق الانكشارية فى مصر باوجاق السلطان ، وقد اشير اليهم باسم أهم أرجاق فى مصر

(ليل عبد اللطيف ص ٤٤٠ ، ٤٥٥)

المسجد باسم الحبشلى فيبدو انهـا لازمته منذ تجـديده ، ويذكر السـبب فى ذلك الجبرتى[1] فيقـول ، عند ذكره ترجمة الشـيخ على بن ابى الخير بن المرحـوم المتوفى (١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) انه يعمل خطيبا لجامع الحبشلى .

ويحدثنا على مبارك[2] عن جـامع الحبشلى فيقـول : هذا الجـامع بدرب سـعادة على رأس عطفة النبوية تجاه سور سراى الأمير منصـور باشـا وهو مقـام الشـعائر وبه منبر وخطبه . كما يحتوى على ست أساطين من الرخام . وفى صـحنه صـهريج ومظهـره ومنارته مرتفعة".

---

(١) الخطط الجديدة جـ٤ ص ٨١

(٢) الجبرتى جـ١ ص ٢٦٣

الوصف المعماري

يتكون المسجد من شكل مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيطه الأروقة من جهاته الأربع. ويوجد بايوان القبلة رواقان متوازيان لحائط القبلة، يتكون كل منهما من ثلاثة عقود مدببة وتقوم كل منها على عمودين من الرخام. أما الايوان الغربى المقابل لإيوان القبلة فيتكون من رواق واحد موازى كذلك لجدار القبلة. ويحتوى الرواق الغربى على ثلاثة عقود مدببة تقوم على عمودين من الرخام. أما الجهة الشمالية والجنوبية من المسجد فيحتوى رواق كل منهما على عقد واحد. وبذلك يكون عدد الأعمدة الرخامية بالمسجد ستة كما حددها على مبارك فى خططه.

ويتصدر رواق القبلة محراب مجوف يكتنفه عمودان حلزونيان، ويعلوه زخارف هندسية منحوتة فى الحجر يتوسطها دائرة مشعة، ملئت ببلاطة خزفية كبيرة مربعة قوام زخارفها زهرية تخرج منها ازهار القرنفل وذلك باللون الازرق الفاتح والداكن على أرضية بيضاء.

وبجوار المحراب منبر خشبى استعمل فيه خشب الخرط وكذا الحشوات النجمية المجمعة. وبالرواق الغربى به دكة المبلغ، كما يوجد به باب يوصل الى السبيل الملحق بالجامع. وقد فرشت أرضية السبيل بالرخام الملون باشكال هندسية بديعة التكوين. وغطى سقف السبيل بالعروق (البرطوم والمربعات) المنقوشة بالرسوم والزخارف الزيتية المتعددة الألوان وأخرى مذهبة. ويحيط بالسقف ازار خشبى نقشت على كتابات قرآنية، نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس
كان مزاجها كافورا، الى قوله تعالى، وجزاهم بما
صبروا جنة وحريرا، صدق الله العظيم.

وقد استخدمت البلاطات الخزفية فى زخرفة المسجد من الداخل والخارج، نجد النفيس الذى يعلو عقد المدخل الجنوبى بزخرفة بلاطات خزفية مربعة قوام زخرفتها زهرة مركبة تتوسط البلاطة الخزفية وتحيط بها اوراق نباتية المعروفة باسم (Saz). وهذا النوع من الزخارف الخزفية يدل على ان البلاطات الخزفية التى استعملت فى تكسية اجزاء كثيرة من

هذا المسجد مستوردة من مدينة (أزنيك) التى اشتهرت بصناعة هذا النوع من الخزف فى القرن الحادى عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) وللمسجد مدخل رئيسى ثان يوجد فى الجهة الشمالية فى مواجهة المدخل الجنوبى ، تعلو نوافذه زخارف منحوتة فى الحجر ، ويملأ نفيس عقد المدخل بلاطات من الخزف العثمانى صناعة (ازنيك)

ويغطى سقف الجامع عروق خشبية (برطوم ومربوعات) منقوشة برسوم ذهبية وزيتية متعددة الألوان قوامها زخارف نباتية قريبة من الطبيعة الى حد كبير .

وتحيط بجدران المسجد الاربعة تحت السقف الخشبى مباشرة ازار خشبى عريض نقش عليه كتابات بالخط الثلث المحصور داخل بحور ، آيات من سورتى الفتح ويسن . كما نقش عليه تاريخ المسجد ونصه :ـ

« أنشا هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطاه العميم الأميرى الكبيرى الأمير محمد كتخذا مستحفظان كان الله له بتاريخ سنة ثمانين وألف »

أما مئذنة المسجد فتقع فى الركن الجنوبى الشرقى منه ، وهى اسطوانية الشكل تقوم على قاعدة مربعة وتنتهى بشكل مخروطى على شكل المسلمة ، وهو طراز المآذن التركية الذى ساد العالم العربى كله فى العصر العثمانى .

مسجد ذو الفقار

بشارع الخليج المصرى (بورسعيد الآن)
مسجل برقم (٤١٥) (١٠٩١هـ/١٦٨٠م)

يقع جامع ذو الفقار بك الذى يعرف كذلك بجامع غطاس بحى اللبودية الذى يبدأ من نهاية شارع درب الجماميز تجاه حارة اسماعيل بك وآخره مسجد السيدة زينب رضى الله عنها . وقد يكون من المفيد قبل أن نتناول وصف حى اللبودية الذى يقع فيه مسجد ذو الفقار ، أن نستمع الى حديث على مبارك[1] وهو يروى لنا ما كانت عليه أحياء القاهرة وأقسامها الادارية فى أيامه إذ يقول : ولسهولة الضبط والربط انقسمت القاهرة الى ثمانية أثمان وكل ثمن ينقسم الى شياخات تكثر وتقل بالنسبة لكبر الثمن وصغره . ولكل ثمن شيخ يعرف بشيخ الثمن مرتبه شهريا من المحافظة مائة قرش صاغ ولكل شياخة شيخ يعرف بشيخ الحارة ليس له مرتب من المحافظة وانما تكسبه يكون من النقود التى يأخذها برسم الحلوان من سكان الاملاك التى فى شياخته ، ذلك أن العادة أن من أراد أن يؤجر بيتا فى حارة من الحارات يكون ذلك بمعرفه شيخ الحارة . وبعد تأجيره للبيت يدفع له اجره شهر برسم الحلوان وكانت الحكومة تستعين بهم فى توزيع الفردة والطلبات .

ويبدو مما ذكره على مبارك من تقسيم القاهرة الى ثمانية أثمان انه لم يكن معروفا فى مصر قبل مجيء الحملة الفرنسية اليها ذلك اننا لم نجد له ذكرا فى اى مصدر من المصادر التى تناولت بالبحث والدراسة مدينة القاهرة وخططها اللهم الا فى الجبرتى الذى ذكر أن القاهرة قسمت الى ثمانية اثمان زمن الفرنساوية وأنهم هم الذين وضعوا هذا النظام والذى بقى مستعملا من بعدهم حتى منتصف القرن العشرين

ويبّين لنا على مبارك أثمان مدينة القاهرة فيقول : ثمن الموسكى وثمن الازبكية وثمن

---

(١) الخطط التوفيقيه جـ١ ص ٨٦

باب الشعرية وثمن الجمالية وُثمن الدرب الاحمر وُثمن الخليفة وثمن عابدين وُثمن السيدة زينب هذا فضلا عن ضاحيتى القاهرة بولاق ومصر العتيقة التى سبقت الاشارة اليهما فى التقسيم الادارى للقاهرة فى العصر العثمانى.

وكان يوجد فى الاثمان المذكورة ثمانية وأربعون قُره قولا موزعة داخل البلد وخارجها لاقامة العسكر المحافظين بها وفى كل ثمن بيت للصحة به حكيم وحكيمة وكاتب وتمرجى، للكشف على من يموت وتطعيم الجدرى ومعالجة بعض المرضى واعطائهم بعض الادوية وقيد من يُولد ومن يموت فى دفاتر مخصوصة ترسل لديوان الصحة. وفى كل ثمن كذلك معاون وكاتب وبعض عساكر وهم تابعون لديوان المحافظة ووظيفتهم النظر فى المنازعات والخصومات فيما يمكنهم صرفه والا أرسله الى جهة الاختصاص.

أما عن ترجمة (ذو الفقار) منشىء هذا المسجد فقد جاء ذكره فى كتاب قلائد العقيان[1] ضمن ترجمة والى مصر الامير حمزةّ باشا الذى تولى باشوية مصر من سنة ١٠٩٤ الى ١٠٩٨هـ / ١٦٨٣ / ١٦٨٦م اذ يقول: وفى يوم الاحد سادس عشر من شعبان سنة سبع وتسعين وألف مات عز الدولة العثمانية فى الديار المصرية أمير الحج الامير ذو الفقار بك رحمه الله تعالى.

وكان ذو الفقار بك آية وحجة على أهل الفساد من العرب وغيرهم فى سائر الاقاليم وقد اجتمع فى جنازتة عدد كبير جدا من المشيعين وكان فى وقت مرضه قد وزع اموالا كثيرة. وكان ذو الفقار بك أميرا طاهرا محافظا على الصلوات الخمس فى أوقاتها معظما للعلماء شفوقا على الفقراء غليظا على المفسدين.

وتقديرا لخدمات الامير ذو الفقار بك فقد قام الوزير حمزةّ باشا قبل دفنه بالقرافه بالباس ولده الرشيد ابراهيم بك امير اللواء خلعة السنجقية وجاء فى الخطط التوفيقية[2]

---

(١) قلائد العقيان ص ١٤٧

(٢) الخطط التوفيقية جـ١ ص ٨٦

ان الامير ذو الفقار كان تابعا للامير حسن بك الفقارى الذى تولى الصـنجقة وامارة الحـج فى يوم واحـد . وقد تولى امرة الحـج احـدى عشرة مرة وانه توفى (١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) . وقد تولى السنجقة بعد أبيه ولده الامير ابراهيم بك الذى تولى كذلك امارة الحـج بعـد ابيه (١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م) . ولم يزل يتولى الأمير ابراهيم إمارة الحـج حتى توفى (١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م) بعد ان تولاها خمس مرات " .

والذى نود ان نؤده هنا ان كلا الترجمتين صحيح ، فقد حرص الأمير ذو الفقار على تسجيل كل هذه الاحداث على سقف الجامع الخشبى ، كما سجل تاريخ وفاته (١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) ، وكذا ما نقش على اللوح الرخامى الموضوع على مدخل الجامع الرئيسى

الوصف المعمارى

يصف على مبارك جامع (ذو الفقار) فيقول : يقع هذا المسجد بشارع اللبودية احد احياء ثمن درب الجماميز ، ويعرف الآن باسم جامع غطاس .

وهو من المساجد المعلقة ، اذ يصعد اليه بقالب من السلالم المصنوعة من الحجر ، وكذا واجهته الغربية . وعلى بابه لوحة من الرخام نقش عليها الشعر التالى : ـ

جامعا جاء لطيفا وبديع الانشا على السمك منبعا ووسيع الاحشا
فى بيوت أذن الله لها ان ترفع والعبادات بها كل زمان تفشى
دام فيه صلوات وأجيبت دعوات بنهار متجل وبليل يغشى
ذو الفقار فازبخير فعلا تاريخها عمر الجامع بالسعد بديع الانشا ١٠٩١هـ

ثم يفصل وصف المسجد فيقول : ـ

وبالمسجد أربعة أعمدة من الرخام ، وبمحرابه عمودان من الرخام ايضا وله منبر خشب . وبدائره ايزار خشب مكتوب فيه سورة يسن وسورة الفتح . وله منارة بديعة وميضأة على أربعة أعمدة من الرخام وحنفية وبجوارها أشجار صغيرة . ثم يحدثنا عن أوقاف المسجد فيقول : وله اوقاف منها سبعة حوانيت ومصبغة ومرتب بالروز نامجه[1] ثلاثة قروش وثمانية وعشرون نصفا فضة فى كل شهر . وله من وقف الشيخ عبد الفتاح الحريرى كل سنة لفرشه بالحصر مائتان وخمسون قرشا من وقف الحاج ابراهيم الشيباوى . وبهذا الجامع أيضا خلوتان من فوق بعضهما ، كان بعض الصالحين يتعبد فيهما ، والآن يسكنها ناظره الشيخ ابراهيم المذكور .

وله ساقية ركبت عليها طلمبة كما يتبعه سبيل وكتاب بجواره ويتكون المسجد من مستطيل مبنى من الحجر يمتد من الجنوب الى الشمال . يقع مدخله الرئيسى فى واجهته الغربية ويشغل الركن الجنوبى الغربى منها . ويعلو المدخل عقد مرتفع جدا يبلغ اقصى ارتفاع للمسجد ، وهو مكون من ثلاث فصوص ملئت بالمقرنصات والدلايات فى تكوين وتشكيل جميل بديع . وعقد المدخل عميق مما سمح بوجود مكسلتين على جانبيه .

---

(١) الروز نامجه : روز كلمة فارسية بمعنى اليوم واضافة نامجه الى روز تعنى دفتر الحوادث اليومية او الحساب اليومى . ثم اصبح معناها المكتب الذى يقوم بتحرير وضبط حسابات الولاية .

وفى وسط عقد المدخل يوجد باب المسجد الذى يعلوه عتب مزخرف بمجموعة من الصنجات المعشقة ، كما استخدمت البلاطات الخزفية (النفيس) المحصور بين عتب الباب وعقدة العاتق ، لزخرفته . وقوام زخرفة هذه البلاطات رسوم نباتية غير متوافقة مما يعنى بأن بعضها قد سقط ووضع بدل منها .

كذلك كسيت المنطقة التى تحيط باللوحة التذكارية المثبتة على مدخل المسجد بمجموعة من البلاطات الخزفية ، وقد امتازت تلك التى تشغل الجانب الأيسر من اللوحة بان قوام زهرية تخرج منها زهرة القرنفل وزهرة اللوتس (اللالة) تحيط بهما اشجار السرو وذلك باللون الازرق والاخضر على أرضية بيضاء

ويؤدى باب المسجد الى سلم مكون من ست درجات ثم الى دركاه مربعة الشكل تعلوها قبة تقوم على أربعة مجموعات من المقرنصات فى أركان المربع فى وضع هندسى بديع . وعن يمين الدركاه يوجد باب يؤدى الى باب المئذنة والى المطهرة . اما من الجهة اليسرى فتوجد نافذة مملوءة بمصبعات حديدية ثم باب المسجد .

وتعتبر الواجهة الغربية للمسجد وهى المواجهة لحائط القبلة الواجهة الرئيسية ومن ثم فقد عنى المعمار بزخرفتها ، بالحجر الملون بطريقة الابلق ثم ظاهريا الى طابقين وفتح فى كل طابق خمس نوافذ السفلى منها يعلوها عتب فوقها عقود عاتقة . أما الصف العلوى من النوافذ فهى أصغر ومعقودة ومملوءة بزجاج معشق سقط معظمه واستبدل بالسلك بينما ملئت النوافذ السفلى بمصبعات حديدية .

ونلاحظ ان النافذة الوسطى فى الواجهة اكبر من النوافذ الجانبية التى فتحت داخل حنيات مسطحة . ويعلو الواجهة وكذا المدخل الرئيسى شرفات جميلة على شكل العرائس ، وهى من بقايا العصر المملوكى .

أما داخل المسجد فينقسم الى رواقين موازيين لحائط القبلة ، يفصل بينهما خمسة عقود مدببة تقوم على أربعة أعمدة رخامية .

ويتوسط جدار القبلة المحراب وهو من الحجر زخرف بنقوش ومقرنصات بديعة التكوين . ويعلو المحراب منطقة مربعة منحوتة فى الحجر تتوسطها منطقة مستديرة ، كسيت بالبلاطات الخزفية ، وقوام زخرفتها ازهار القرنفل وزهرة (اللالة) مرسومة باللون الأخضر والازرق على أرضية بيضاء ويجاور المحراب منبر خشبى مصنوع بطريقة الخرط والحشوات المجمعة . ويوجد فى الضلع المقابل للمحراب دكة المبلغ وهى محمولة على

كابولين من الخشب المزخرف بطريقة الحفر برسوم نباتية قريبة من الطبيعة تشبه الى حد كبير زخارف البلاطات الخزفية التى كست اجزاء كثيرة من المسجد . كما كانت ارضية المسجد مفروشة بالرخام الملون والمزخرف برسوم هندسية دقيقة ، ولكن للاسف تلف معظمها .

ويعلو المسجد سقف خشبى مكون من عروق (براطيم ومربوعات) نقشت بالذهب والرسوم الزيتية المتعددة الألوان . كما يحيط بأعلى جدران المسجد من جهاته الاربع بازار زخرف بكتابات بالخط الثلث الجميل ، المحصورة فى بحور آيات من سورة الفتح ، كما سجل فى الضلع الشرقى منه تاريخ انشائه وفيمايلى نصه :ـ

« انشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى ، وعونه وجزيل عطائه العميم الجناب الكريم العالى والكوكب المنير المتلالى الأمير ذو الفقار بك أمير اللواء الشريف السلطانى وأمير الحاج . وكان الفراغ فى شهر ذى الحجة ١٠٩٠هـ »

وكتب فى ازار الرواق الغربى آيات من سورة يسن الى قوله تعالى : « قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين» .

وتقع مئذنة الجامع بجوار المدخل الرئيسى فى الركن الجنوبى الغربى منه . وهى تتكون من قاعدة مربعة تمتد حتى منتصف المدخل الرئيسى ثم تأتى منطقة الانتقال من المربع الى المثمن فتشغل معظم باقى ارتفاع المدخل الرئيسى .

وتتكون المئذنة من طابقين ، الاولى مثمنة الشكل بها أربعة نوافذ معقودة . أما الطابق الثانى فهو مثمن الشكل كذلك الا ان قطره أصغر من الاول ، ويفصل بينهما شرفة تقوم على مجموعة من المقرنصات والدلايات البديعة التكوين . ويعلو الطابق الثانى الشكل المخروطى الذى تتميز به المآذن العثمانية .

مسجد زغلول

برشيد بمحافظة البحيرة

القرن (١١) هـ/(١٧) م

محافظة البحيرة من الاقسام الادارية التى استجدت فى العصر الاسلامى باسم كورة البحيرة . وفى عهد الدولة الفاطمية أضيف اليها كور أخرى مجاورة لها فصارت اقليما كبيرا باسم البحيرة . وفى العصر المملوكى أطلق عليها اسم أعمال البحيرة ثم تغير اسمها فى العصر العثمانى فسميت ولاية . وفى القرن التاسع عشر عرفت باسم مديرية ثم محافظة سنة ١٩٦٠م .

ومن مدن البحيرة الهامة مدينة رشيد ، وهى من الثغور المصرية القديمة ، كان اسمها القديم (بلبتين) وتقع على مصب فرع بولبتين (أى فرع رشيد) . أما اسمها القبطى فهو رشيت ومنه اسمها العربى رشيد . ويقال إن رشيد كانت تقع الى الشمال من موقعها الحالى ، الذى نقلت اليه سنة ٢٦٥هـ فى عهد أحمد بن طولون .

وجاء فى كتاب المسالك لابن حوقل أنها مدينة على النيل قريبة من مصبه فى البحر المالح من فوهة تعرف بالاشتوم ومعناها المدخل من البحر . وبها أسواق صالحة وحمامات ونخيل كثير وارتفاع (ايراد) واسع . ووردت فى نزهة المشتاق : رشيد مدينة متحضرة بها سوق وتجار وفعلة ، ولها مزارع وغلات وحنطة وشعير وبها بقول حسنة كثيرة وبها نخيل كثير ووردت فى معجم البلدان رشيد بليدة على البحر والنيل قرب الاسكندرية بمصر . وفى الانتصار ثغر رشيد المحروس من الاعمال النستراوية عند مجمع البحرين (يعنى بذلك النيل والبحر الابيض) وبها جامع وحمام وأمير مركز ، وبها كوم الافراح وبأعلاه منار يرى منه مراكب الفرنج القادمة وهى على شاطىء النيل وأهلها كلهم مرابطون وعامتهم صيادون فى السمك والطير . ويقول على مبارك فى خططه : ولم تزل هذه المدينة آخذة فى الازدياد الى اليوم (القرن التاسع عشر) حتى صارت تشمل على نحو ألفين وثلثمائة

مسكن وصارت ابنيتهـا فى غاية المتانة والاحكام مزينة الظاهر والباطـن ، ذات دور فسيحة وقصور مشيدة ، بعضها مشرف على النيل والاخر على المزارع الا أن شـوارعها وحـاراتها ضيقة غير مستقيمة ولا ميادين بها » والواقع أن وصـف على مبارك لمدينة رشـيد فى القـرن التاسع عشر ، يكاد ينطبق عليها الآن ، فبرغم التقدم العـمرانى فى القـرن العشرين وما تبع ذلك من تقدم فى فن العمارة وتخـطيط المدن فان مدينة رشـيد ما تزال تحتفـظ بطابعـها القديم ، بل لا أكون مبالغـة إذا قلت ان عمائرها التى انشـئت حـديثا أقل قيمة من الناحية الفنية والجمالية عن تلك التى بنيت فى العصـور الوسـطى . أما عن عمائر رشـيد الدينية فيقول على مبارك : » ومساجدها جامعة معمورة بالصلاة تبلغ نحـو خمسـة وعشرين جـامعا وعشر زوايا وأكثرها بمنارات مرتفعة ارتفاعا حسنا ، ومن أهمها جـامع المحـلاوى فى غاية الرونق والانتظام تدرس فيه العـلوم ، وضريحـه به مشـهور يزار . ثم يتكلم عن الاسـواق فيقول : وبها أسواق ذات حوانيت حسنة الوضع نحو سـتمائة حـانوت مشـحونة بالمتاجـر وفيها فنادق تنيف على الثلاثين وقهاوى كثيرة وأنوال لنسـج ثياب القـطن الغـليظ وفيهـا خمس حمامات وثلاث عشرة معصرة وثنتان وخمسـون طـاحونة تديرها الخيل وطـاحونة بخارية . وبها شوادر للاخشاب ووابورات لضرب الارز وورشـة لعـمل الرخـام وأخـرى لعمل الورق وثالثة لعمل الآلات الموسيقية . وهناك مصانع لحلج القطن وفيها حـرف كثيرة كالنجارة والحدادة والدباغة والخياطة ويوجـد بهـا محصـولات كيمائية ومحـلات لتركيب الادوية وغيرها كثير » .

ومما يذكر بالفخر لاهل هذا الثغر انتصارهم على الحملة الانجليزية التى جـاءت الى مصر سنة ١٨٠٧م فيذكر الجبرتى : والتحـم الحـرب بينهـم (اهل رشـيد) وبين الانكليز فكانت الهزيمة على الانكليز وأسروا منهم طـائفة وقتلوا منهـم كثيرا وجلوهم عن متاريس رشيد ثم يضيف الجبرتى فيقول : وبعد وقعة رشيد الاولى تراجعت نفوس العساكر وطمعوا فى الانجليز وتجاسروا عليهـم وكذلك أهل البلاد وقويت هممهـم وتأهبوا للبروز والمحـاربة والجهاد وكثر المتطوعون ونصـبوا البيارق والاعلام وخـرجوا فى موكب عظيم فلما وصـلوا الى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية وصدقوا فى الحملة عليهـم وألقـوا أنفسـهم فى النيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم وادهشوهم بالتكبير والصـياح حتى أبطلوا رميهـم ونيرانهم فالقوا سلاحهم وطلبوا الأمان فلم يؤمنوا وقبضـوا عليهـم وذبحـوا الكثير منهـم وحضروا بالاسرى والرؤوس الى القلعة بالقاهرة » .

وينسب الى رشيد على بن ابراهيم الخياط الرشيدى الشافعى الشيخ الامام الحجة الولى المتفنن فى علوم الدين واللغة ، ولد برشيد وبها نشأ وحفظ القرآن وتصدر للتدريس بها وتوفى سنة ١٠٩٤هـ ودفن بها .

وتعتبر رشيد من المدن الهامة فى جمهورية مصر العربية التى استطاعت ان تحتفظ بالكثير من آثارها الدينية والمدنية والحربية . فمن أهم آثارها الحربية القلعة التى تقع على الشاطىء الغربى للنيل على بعد ستة كيلو مترات جنوب رشيد التى أنشأها السلطان قايتباى ، جاء عنها فى ابن اياس « لما انتهى السلطان قايتباى من افتتاح قلعته المعروفة بالاسكندرية سنة ٨٨٤هـ ، قصد رشيد ليشرف على ما تم من بناء قلعتها التى كانت تشيد فى ذلك الحين » . ثم يعود ويتكلم عنها فى عصر السلطان الفورى فيقول : انه (اى الفورى) لما خشى غزو العثمانيين ذهب بنفسه للتفتيش على حصون الاسكندرية ورشيد وكان ذلك سنة ٩٢٢هـ ، وشاع الخبر بان السلطان قد أمر ببناء سور رشيد على ساحل البحر الابيض وأرسل لاجل ذلك البنائين والحجارين ، ولما عاد السلطان من رحلته ندب كبير معماريه وعينه قائد الالفى للاشراف على بناء تلك الاسوار » . وقد وصف قلعة رشيد كثير من الرحالة الذين وفدوا على مصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ومجمل وصفهم أن البناء الاصلى يشبه فى تصميمه الى درجة كبيرة الحصن الداخلى فى قلعة قايتباى فى الاسكندرية ، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا ، باركانه الاربعة ابراج مستديرة ، ويحيط بهذه الابراج خنادق . وقد اكتشف أحد ضباط الحملة الفرنسية فى قلعة رشيد الحجر المشهور بحجر رشيد الذى ساعد على كشف رموز اللغة المصرية القديمة .

وتزخر مدينة رشيد ببيوتها الاثرية التى تبلغ العشرين ، وقد بنيت هذه المنازل على طراز خاص ساد فى كثير من مدن وبلدان الوجه البحرى وخاصة دمياط والمحلة الكبرى وفوة وبعض مدن الوجه القبلى وخاصة اسنا فى نهاية العصر المملوكى وفى العصر العثمانى . وتمتاز عمائر رشيد بأن معظمها من العصر العثمانى وان واجهاتها مبنية بالطوب المبخور المكحول ، كما أن نوافذها وكذا مشربياتها من الخشب الخرط الدقيق الصنع . أما من الداخل فان تصميم المنازل هو نفس تصميم المنازل فى القاهرة فى العصور الوسطى فهو يتكون من صحن أو فناء فى وسط الدار تحيط به أربعة ايوانات متعامدة فى المنازل ذات المساحات الواسعة أو إيوانان فى المنازل الضيقة . وفى الدور الذى يعلو الدور الأرضى

يوجد ايوان مكشوف يطل على صحن الدار ويعرف باسم المقعد الرجالى يقابله ايوان آخر مغطى واجهته بخشب خرط يعرف بايوان الحريم . ويحيط بهذين الايوانين باقى غرف الدار الخاصة بالنوم والاكل وما شابه ذلك .

الوصف المعمارى

أما مساجد رشيد الاثرية فتبلغ تسعة من أهمها جامع دمقسيس الذى أنشأه صالح دمقسيس سنة ١١٠٦هـ . وقد زخرفت واجهة الجامع البحرية باستعمال الطوب فى اوضاع هندسية جميلة ، كما هو الحال فى عمائر رشيد كلها التى ترجع الى العصر العثمانى ، وفى منتصف هذه الواجهة توجد المئذنة ويتكون المسجد من صحن مكشوف يحيط به صف من الاروقة ، أما ايوان القبلة فعبارة عن مربع به صفان من الاعمدة يقسمانه الى ثلاثة أروقة . والاعمدة متساوية الاطوال ومنتظمة التيجان كما أنها فى وضع مواز لحائط القبلة . وجدران المسجد الداخلية وكذا القبلة مكسوة ببلاطات من القاشانى كما توجد بالمسجد كتابات أثرية تبين اسم المنشىء وتاريخ الانشاء . ويوجد بالمسجد منبر خشبى يعتبر من أجود المنابر الخشبية التى تحتوى على زخارف من الخشب .

ولعل أهم وأقدم مساجد رشيد هو مسجد زغلول ، وهو يتكون من جامعين ، احدهما قديم من المرجح أن يكون من العصر المملوكى ويعرف باسم الديوانى ، نسبة الى منشئه هو متولى الديوان فى المدينة فى ذلك الوقت ، ويقع فى الجهة الغربية الآن ، والجزء الثانى وهو الحديث يقع فى الجهة الغربية أسسه زغلول أحد مماليك السيد هارون أحد الامراء الذين عاشوا فى القرن السابع عشر . وبهذا الجزء يوجد ضريح زغلول ، ويصف على مبارك هذا المسجد فيقول : « ومنها الجامع الكبير (أى جامع زغلول) له شبه بالجامع الازهر فى الاتساع وكثرة العمد وأرضيته مفروشة بألواح من الخشب » .

وقد نتج عن كثرة الاضافات والتجديدات التى حدثت فى هذا المسجد ، أن أصبح غير منتظم الوضع ، فهو يحتوى على أربع قبلات مجوفة ، كل منها تسجل عهدا من العهود التى مرت بالمسجد والمسجد كبير الحجم اذ تبلغ مساحته (٩٠) مترا طولا فى ٤٨مترا .

عرضــا كما أنه يحتوى على حقــل من الاعمدة يبلغ عددها (٢٤٤) عمودا . وتحمل هذه الاعمدة سقفا على شكل قباب صغيرة ضخلة كالتى نجدها فى جامع محمد على بالقلعة وهى عثمانية الطراز . والأعمدة متعددة الاشكال والمقاس بعضها من حجر الصوان والبعض من الرخام والبعض الآخر منحوت من الحجر الجيرى . وتوجـد بالمسـجد اكتاف ودعائم مبنية من الطوب . وقد استخدم صحن الجزء القديم (الديوانى) كحديقة بهـا كثير من النخيل . وللمسجد مئذنتان الشمالية بحالة جيدة . اما الشرقية فقد زالت أدوارها العليا ولم يبق منها الا القاعدة والدور الاول . والمسـجد مبنى من الطوب المبخور (المكحل) ، ومعـظم المسـجد غير مبلط الآن عدا أجـزاء فى ايوان القبلة ، ويوجـد بالمسـجد بقـايا دكة المبلغ وهى ذات سقف مذهب وعليها كتابات أثرية توضح تاريخ تأسيس الجزء الحديث من المسجد .

جامع دمقسيس

برشيد

(١١٠٦هـ/١٦٩٤م)

رشيد من الثغور المصرية القديمة، وردت فى جغرافية استرابون باسم (Bolbitine) وأنها تقع على مصب بوليتين. وذكرها اميلينو فى جغرافيته فقال إن اسمها القبطى (Raschit) ومنه اسمها العربى رشيد، ويقال إن رشيد كانت تقع الى الشمال من موقعها الحالى، الذى نقلت اليه فى سنة ٢٥٦هـ فى عهد أحمد بن طولون.

وجاء فى كتاب المسالك لابن حوقل[١]، أنها مدينة على النيل قريبة من مصبه فى البحر المالح من فوهة تعرف بالأشتوم، وهى المدخل من البحر، وبها أسواق صالحة وحمامات ونخيل كثير وارتفاع (ايراد) واسع. ووردت فى نزهة المشتاق[٢]: رشيد مدينة متحضرة بها سوق وتجار وفعلة، ولها مزارع وغلات، وحنطة وشعير وبها بقول حسنة كثيرة وبها نخيل كثير. ووردت فى معجم البلدان[٣]: رشيد بليدة على البحر والنيل قرب الاسكندرية بمصر، وفى الانتصار[٤]، ثغر رشيد المحروس من الأعمال النستراوية عند مجمع البحرين (يعنى بذلك النيل والبحر الأبيض) وبها جامع وحمام وأمير مركز، وبها كوم الأفراح وبأعلاه منار يرى منه مراكب الفرنج القادمة، وهى على شاطىء النيل، وأهلها كلهم مرابطون وعامتهم صيادون فى السمك والطير.

ومما يذكر بالفخر لأهل هذا الثغر انتصارهم على الحملة الانجليزية التى جاءت سنة ١٨٠٧م. وكانت مدينة رشيد محافظة من محافظات مصر القديمة وفى سنة ١٨٩٥ ألغيت

---

(١) ابن حوقل ص ٢٣٨.
(٢) الأدريسى ص ١٤٧.
(٣) معجم البلدان جـ٤ ص ٣٥٢.
(٤) ابن دقماق ص ٥٨.

محافظة رشيد وجعلت مركزا ثانيا من مراكز مديرية البحيرة ، ومنذ سنة ١٨٩٦ أصبحت رشيد قاعدة مركز رشيد .

وينسب الى رشيد على بن ابراهيم الخياط الرشيدى الشافعى الشيخ الامام الحجة الولى المتفنن فى علوم الدين واللغة ، ولد برشيد وبها نشأ وحفظ القرآن وتصدر للتدريس بها وتوفى سنة ١٠٩٤هـ ودفن بها .

الوصف المعمارى

جامع دمقسيس :

أنشأ هذا المسجد صالح أغا دمقسيس فى سنة ١١٠٦هـ . وقد زخرفت واجهته البحرية باستعمال الطوب فى أوضاع هندسية جميلة ـ كما هو الحال فى عمائر رشيد كلها التى ترجع الى العصر العثمانى ـ وفى منتصف هذه الواجهة توجد المئذنة . ويتكون رواق القبلة من صفين من الاعمدة يقسمان المسجد الى ثلاث بوائك . والاعمدة متساوية الأطوال ومنتظمة وتتجه من الشرق الى الغرب . وجدران المسجد من الداخل مكسوة ببلاطات القاشانى ، وكذا القبلة ، وتوجد بعض الكتابات الأثرية التى ترجع الى تاريخ انشاء المسجد . كما يوجد بالمسجد منبر خشبى يعتبر من أجود المنابر الخشبية التى تحتوى على زخارف من الخشب الخرط التى تمثل العصر العثمانى أصدق تمثيل . والمئذنة مبنية كذلك من الطوب المكسى بالبياض ولكن قوالب الطوب وضعت فى زوايا وأوضاع خاصة فجاءت زخارفها غاية فى الابداع،بل انى أرى انه ليس لها مثيل فى زخارف المآذن المشابهة .

مسجد مصطفى جوربجي ميرزا

بشارع سيدى الخطيرى ببولاق

مسجل برقم (٣٤٣) (١١١٠هـ/١٦٩٨م)

يقع هذا المسجد فى شارع الخطيرى ببولاق ، ويجدر بنا قبل ان نتناول تاريخ منشىء المسجد ، ان نذكر شيئا عن تاريخ شارع الخطيرى الذى يقع فيه المسجد . يوجد هذا الشارع فى بولاق ، وكان موضعه مغمورا بماء النيل ، ثم انحسر عنه الماء حتى سنة سبعمائة ، ثم اصبح بعد ذلك متنزها به زرع وفواكه وزهور ، بحيث أصبح الموقع جميلا .

ويقول على مبارك[1] ، ثم بنى فى ذلك الموقع دار تشرف على النيل ، عرفت باسم دار الفاسقين لكثرة أنواع المحرمات التى كانت ترتكب فيها . فلما كثر حديث الناس عنها ورغب أهل الحى فى ازالتها ، اشتراها الأمير عز الدين ايدمر الخطيرى ، وهدمها وأقام مكانها جامعا سماه جامع التوبة .

أما عن الأمير عز الدين الخطيرى[2] فقد كان مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيرى .وكان الأمير مسعود بن خطير قد انتقل الى مماليك السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ، فرقاه حتى صار أحد أمراء الألوف . ويضيف ابن اياس فيقول : وكان منور الشيبة كريما يحب كثرة الزواج ويتفاخر به .

كما كان متقشفا رغم ثرائه فلا يلبس قباء مطرزة ولا مصقولة ، وكان يخرج الزكاة ، كريما يتصدق على الفقراء . توفى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

أما عن جامع الخطيرى الذى أعطى الشارع والحى اسمه ، فقد تأنق الأمير عز الدين الخطيرى فى عمارته ورخامه ، فجاء من أجل جوامع مصر . فقد كان به منبرا من رخام فى غاية الحسن والجمال[3] . كما كانت نوافذه التى تشرف على النيل مملوءة

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٥ ص ١٠٩

(٢) ابن اياس جـ٢ ص ١٣٧

(٣) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ١٤٧

بالزجاج المعشق التى كانت تبدو وكأنها لوحات تصويرية مضيئة عندما تشرق عليهـا أشعـة الشمس أو يتجه اليها ضوء القمر . كما كان بالمسجد مكتبة جليلة كذلك كان يعقد به دروسا للشافعية . ويقال ان جملة ما انفق فيه أربعمائة ألف درهم نقـرة ، وكمل بناؤه سـنة سبع وثلاثين وسبعمائة

ويحدثنا المقريزى عن تاريخ المنطقـة فيقـول ، ثم قوى البحـر على الجـامع (أى النهر)وهدمه ، فاعيد بناؤه ورمى قدام زريبته ألف مركب مملوءة بالحجارة . ثم انهدم مرة ثانية بعد موت الأمير ايدمر الخطيرى وأعيد زريبته . ويضـيف المقـريزى فيقـول ، ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصـد للنزهة على النيل ويرغب السكنى بجـواره . حتى اذا ما انحسر ماء النيل سـنة سـت وثمانمائة تكاثرت الرمال حـوله حتى قربت من نوافذه من الأرض ، وهو الآن (اى القرن[١٥]) عامر الا انه اتضح حال ما يجاوره من السوق .

ويكمل على مبارك[١] قصته فى عهده فيقـول ، وقد تخـرب الجـامع وبقـى مدة ثم فى عصرنا هذا عمر السيد محمد المعروف بالشيخ رمضان البولاقى المجـذوب جـانبا كبيرا منه وأقام شعائره .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٥ ص ١٠٩

الوصف المعمارى

يصف على مبارك جامع مصطفى جوريجى ميرزا فيقول : جامع مرزه هو فى بولاق بشارع خط الحبو (الخطيرى الآن) أنشأه الامير مصطفى چوربجى[1] مرزه سنة الف ومائة وعشرة .

وكلمة چوربجى التى تلى اسم مصطفى منشىء الجامع ليست اسم علم بل هى اسم وظيفة فى العصر العثمانى ، فهى مفرد وجمعها چوربجيه أى اعيان فى الفرق العسكرية وكبار رجال الحفظ فى الاقاليم ، وعلى مختارى القرى المتقدمين فيها . وهى رتبة عسكرية تعادل رتبة اليوزباشى[2] أو الرائد فى العصر الحاضر .

ويتكون المسجد من شكل مستطيل يتوسطه صحن مربع تقريبا تحيط به الاروقة من جميع الجهات . ويتكون كل رواق من صف واحد من البوائك المحتوى على ثلاثة عقود مدببة تقوم على دعامتين من الحجر . أما رواق القبلة فهو اكبر الاروقة وأعمقها ، فهو يحتوى على بائكتين تحمل كل منهما ثلاثة عقود مدببة وتقوم على دعائم حجرية .

أما صحن الجامع فقد كسى برخام متعدد الألوان مزخرف برسوم هندسية دقيقة بديعة التكوين .

وقد حظى جامع ميزره بمجموعة كبيرة من البلاطات الخزفية النادرة التى تغشى معظم جدرانه من الداخل والخارج ، حتى اعتبرها (ربيع خليفة[3]) أكبر مجموعة من البلاطات التى استخدمت فى جدران العمائر العثمانية فى القاهرة ، بعد مجموعة بلاطات مسجد آق سنقر (ابراهيم أغا مستحفظان) . كما يضيف : وأنه يتضح من انسجام زخارفها وتكامل إطاراتها ، أنها عملت خصيصا فى مصانع (ازنيك) لكسوة جدران إيوان قبلة المسجد إذا أنها تكسى الجدران كلها حتى تصل إلى سقف المسجد .

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف زخرف بأنواع من الرخام (الخردة) الفسيفسائية وكذا الصدف . وبجواره يوجد منبر خشبى مصنوع بطريقة الخرط والحشوات المجمعة . ويعتبر

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٥ ص ١١٢

(٢) شفيق غربال . مجلة كلية الآداب ـ عدد مايو ١٩٣٦ .

(٣) ربيع حامد خليفة : البلاطات الخزفيه ص ٢٠٨

منبر مسجد مرزه وثيقة تاريخية هامة فقد سجل على جانبيه (ريشـتيه) آيات قرآنية كما سـجل على باب اسم منشئه وفيما يلى نصه :

قد جاء فى القرآن حقا إنما يا فوز من يسمونه برهانه
ولمن قام شعار إسلام غدا والحور تخدمه كذا ولدانه
وكفاك هذا يا سمى المصطفى عزا من البارى جزاه جنابه
أرخت مسجده الشريف بجامع يزهو يوم الوفا بنيانه
إنى لأحمده على إحسانه لأبدع إن نظرت له غزلانه
صل على العزيز المصطفى ما طاب ورد أو زهت أغصانه
والآل والأصحاب ما أقر الحيا أو لاح برق أو همت سحباته
ما قال مبتكر المديح مؤرخا لاح الفــــلاح

ويختم على مبارك حديثه عن جامع ميزره فيقـول : ومنافعـه تامة وشـعائره مقـامة بالأذان والجمعة والجماعة على الدوام وله أوقاف دائرة .

مسجد المجاهدين

بمحافظة أسيوط

(١١٢٠هـ/١٧٠٨م)

أسيوط بلدة مصرية قديمة على الشاطىء الغربي للنيل كانت طوال العصر الاسلامى حتى نهاية العصر المملوكى قاعدة لأعمال الأسيوطية ، وفى العهد العثمانى الغيت الأسيوطية وأضيفت الى ولايتى المنفلوطية وجرجا ، وفى سنة ١٨٢٦ أعيد انشاء مأمورية أسيوط ، وفى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت محافظة قاعدتها أسيوط .

عرفت أسيوط منذ أقدم العصور بخصوبة أرضها وكثرة خيراتها فقد ذكر الكندى[١] ، أن أحد عمال الخليفة هارون الرشيد وصف له بلاد الدنيا فما استحسن غير اسيوط ، وقال[٢] ياقوت ان كورة أسيوط كانت احدى منتزهات أبي الجيوش خمارويه . ويقول المقريزى[٣] ان أبا بكر الماردانى وزير هارون بن خمارويه حبس على الحرمين ضياعا تبلغ غلتها السنوية ما يقرب من مائة ألف دينار ، منها أسيوط وأعمالها . ويقول ياقوت ، ان خراج أسيوط ٣٦ ألف دينار أو زيادة ، ويضيف : حدثنى بعض النصارى من أهلها ان فيها خمسا وسبعين كنيسة وهم بها كثير . وكانت أسيوط فى العصر المملوكى غاصة بالبضائع المحلية مثل الابزاز (التوابل) وقصب السكر والكتان والنيلة والأفيون ، والحبوب والبقول ، وكذا البضائع المستوردة ، ولعل السبب فى ازدحام مدينة أسيوط بالتجارة هو وقوعها عند نهاية درب الأربعين الذى يمتد من دارفور جنوبا واليها شمالا .

ويقول المقريزى[٤] ان فى اسيوط طائفة من أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق

---

(١) النجوم الزاهرة ـ جـ٥ ص ٣١٣ (الحاشية) .

(٢) ياقوت جـ١ ص ٢٥١ .

(٣) المقريزى جـ٢ ص ١١٧ .

(٤) البيان والاعراب ص ٣٤ .

ابن محمد الباقر بن الحسين بن على بن أبى طـالب يعـرفون باسـم الشريف قاسـم . وكانت أسيوط منبع العلماء وذوى الفضل ، ومن أجل علمائها أبو بكر كمال الدين السيوطى تولى منصب القضاء بهـا وتوفى سـنة ٨٥٥هـ ، وترك ابنه جـلال الدين السـيوطى وهو لم يولد بأسيوط ، وانما تنسب اليه من جهـة أبيه ، ويظن الكثيرون ان جـلال الدين دفن بأسيوط ولكنه توفى بالقاهرة ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة سنة ٩١١هـ . ومن النصـارى نبغ أسـعد بن مهـذب بن زكريا بن قدامة بن نينا شرف الدين مماتى ، اتصـل جـده بأمير الجيوش بدر الجمالى وتولى اسـتيفاء الديوان ، ولما مات تولى ابنه زكريا ديوان الجيش فى آخر دولة الفاطميين ، ثم خلفه ابنه أسـعد بن مهـذب على ديوان الجيش فى عهـد صـلاح الدين الأيوبى ، وابنه الملك العـزيز عثمان ثم ولي النظارة وتوفى سـنة ٦٠٦هـ . ومن أبناء أسـيوط البررة عمر مكرم ولد بهـا سـنة ١٧٥٥م وتعـلم بالأزهر وقضى حياته الأخيرة فى خدمة القضـايا الوطنية واسـتمر يناضـل حتى توفى سـنة ١٨٢٢م . وكأنما كانت الأقدار تحـفظ لأسيوط دائما حظها من المجد والذكر الحسن ، فلم تكد الأحداث تتوالى على مصر نتيجة خيانة الحاكم واغتصاب المستعمر الدخيل لحقوق الشعب وأقواته حتى أشار التاريخ بأصبعه الى وليد من بنى مر احدى قرى اسـيوط ، ألا وهو جمال عبد الناصر الذى ولد فى ١٥ يناير سـنة١٩١٨م وتولى قيادة ثورة ٢٣ يوليو سـنة ١٩٥٢ المباركة ، كما تولى رياسـة الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٩ .

واذا كان العالم العربى يفخر بالرئيس جمال عبد الناصر ويشيد بفضله الكثيرون من أقطاب السلام وأنصار التحرر فى العالم فان لأسيوط أن تتيه به تقديرا واكبارا .

وبأسيوط كثير من الآثار التي ترجع الى العصر الاسلامى ، أهمها الجـامع المعـروف باسـم سـيد محمد البقلى وهو مهـجور اليوم ، ويتبين من الأجـزاء الباقية من أعمدته الجرانيتية وأرضية الفسـقية الرخـامية أنه من الكنائس التى تحـولت الى جـوامع فى أوائل العصر الاسـلامى ، على أنه من المؤكد أنه عمر فى العصر المملوكى ، اذ وجـد بجـواره أحـواض المياه التى كانت تشرب منهـا معسكرات المماليك[1] . ومن العـمائر المدنية قنطرة تعرف باسم قنطرة المجـذوب كانت توصـل المياه الى بركة المجـذوب ويرجـع تاريخ هذه

(١) أبو صالح ص ٩١ .

القنطرة على أقل تقدير الى العصر العثمانى ، اذ وجدت صورتها فى خرائط الحملة الفرنسية . ومن المساجد التى ترجع الى القرن ١٩م مسجد سليم الكاشف الذى يقول عنه الجبرتى[1] ، انه من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر ، ويمتاز مسجد السنجق الذى يقع فى سوق الحمام ، بأنه مبنى بالطوب الأسود اللون الذى لا شبيه له بأسيوط ، أما من حيث التخطيط فهو يشبه مسجد محمد على بالقاهرة .

الوصف المعمارى

مسجد المجاهدين :

أسس هذا المسجد أمير اللواء السلطانى محمد سنة ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م ، وقد تهدم معظم المسجد القديم ولم يبق منه غير مدخله المبنى من الطوب (المنجور) . ومبنى المئذنة مكون من أربعة طوابق وهو خارج عن سمت المسجد . وتوجد بأعلى المدخل لوحة مقاسها ٥٠ × ٨٠ سم طليت باللون الأسود ونقش عليها النص الآتى :

١ ـ الله منّ على الصعيد وأهله	٢ ـ بمحمد أمير اللواء السلطانى
٣ ـ من جاز أوصاف الكمال بأمرها	٤ ـ عين الأكابر عمد الأعيان
٥ ـ حرم بأسيوط بنا لربه	٦ ـ يرجو ثواب الواحد المنان
٧ ـ اكرم به من مسجد ارخته	٨ ـ تم الفتاح به وفاز البانى . سنة ١١٢٠هـ .

أما باقى المسجد فقد جدد حديثا .

---

(١) الضوء اللامع جـ٩ ص ٧١ .

جامع الأمير حسن
بأخميم
(١١٢١ هـ)

اخميم بلدة مصرية قديمة من مدن الصعيد الأوسط على الشاطىء الشرقى للنيل ، وكانت فى العصر الفاطمى قاعدة كورة الاخميمية ، واستمرت كذلك حتى نهاية العصر المملوكى ، وفى العصر العثمانى ألغيت الاخميمية وأضيفت بلادها الى ولاية جرجا ، وأضحت اخميم احدى المدن التابعة لمركز سوهاج وفى سنة ١٩٠٣ فصلت البلاد الواقعة شرقى النيل من مركز سوهاج وجعلت مركزا باسم اخميم وهى قاعدة المركز منذ ذلك التاريخ وتتبع الآن محافظة سوهاج[١] .

قال أبو الفداء ، مدينة اخميم من المدن الكبيرة بيوتها مبنية من الطوب اللبن ومساجدها وزواياها من الحجر وحاراتها متسعة ونظيفة (لوحة رقم ٢١) . كما كانت من أشهر مدن الصعيد فى صناعة المنسوجات فى العصر القبطى والاسلامى وكانت منتجاتها تصدر الى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وكانت بها مصانع حكومية لصناعة النسيج تعرف (بالطراز) وكان ثمن الثوب من الطرز الصوف الرقيق ، أو المعلم أو المطرف من الكتان يبلغ عشرين دينارا[٢] . كذلك اشتهرت اخميم بالانطباع ، كما اشتهرت بتمرها وغلالها ، اذ كانت من اكبر المدن المنتجة للغلال فى الصعيد وكانت بها معاصر لزيت السلجم[٣] .

وكان باخميم عدد غير قليل من الأقباط ولهم بها كنيستان عظيمتان[٤] احداهما تعرف باسم كنيسة سوتير (أى المخلص من العذاب) والثانية كنيسة القديس ميخائيل ، وكان من عادتهم فى الاحتفال بعيد الشعانين أن يخرجوا من الكنيستين مع القساوسة والقسامصة فى هيئة محفل حاملين المباخر والعطر والصلبان والأناجيل والشموع ويقفون أمام بيت قاضى القضاة برهة من الزمن يتلون فيها بعض صفحات من الانجيل وينشدون بعض المقطوعات فى مدحه ،

---

(١) النجوم الزاهرة جـ٩ ص ٤٠ (حاشية) .

(٢) المقريزى جـ١ ص ٣٨٧ .

(٣) معجم البلدان جـ١ ص ١٥٣ .

(٤) أبو صالح الارمنى ص ٩٢ . المقريزى جـ٤ ص ٤١٧ .

ثم يتابعون بعد ذلك الوقوف أمام بيوت أعيان البلد ووجهائها من المسلمين . ويوجد باخميم كثير من الأديرة منها دير السبع جبال ، وكان خارج ذلك الدير عين ماء تظلها شجرة الصفصاف وتعرف المنطقة باسم وادى الملوك ، وذلك لأنه ينمو بها نبات يشبه نبات السلجم ، له عصارة حمراء داكنة تستعمل فى الصباغة وقد عرف النبات باسم (ملوك) لأن عصارته كانت تستعمل فى صباغة الحرير القرمزى الذى اقتصر لبسه على الملوك والأباطرة فى العصر الرومانى . وفى الجبال ، الى الشرق من اخميم مغارات كثيرة بعضها مقابر والبعض الآخر كان يسكنه الرهبان هربا من ظلم أباطرة الرومان ، ويقول المقريزى[1] ان بطرك قسطنطين واسمه نسطورس نفى الى اخميم لخلاف فى العقيدة بينه وبين بطرك الاسكندرية وروما ودمشق ، وأقام بها سبع سنوات ثم مات ودفن بها . وقد دان بمذهب نسطورس ، نصارى ايران والعراق والموصل والجزيرة والفرات ، وعرفوا بالنساطرة .

وجاء فى كتاب البيان والاعراب[2] أنه كان باخميم جماعة من بنى قرة فصيلة من بنى هلال بن عامر بن صعصعةالذى ينتهى نسبه إلى معد بن نزار بن معد بن عدنان جد النبى عليه السلام ، كما كان بها نقيب أشراف يقال انه من ذرية الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر صاحب المقام الشهير بهذه البلدة . ومن أشهر أعلام مدينة اخميم أبو الفيض ذو النون بن ابراهيم المصرى ،

---

(١) المقريزى جـ٤ ص ٤٠٧ .

(٢) المقريزى ص ٧٣ .

وصف الجامع

جامع الأمير حسن باخميم :

يمتاز هذا المسجد بمميزات خاصة غير مألوفة فى مساجد الصعيد ، ذلك ان سقفه محمول على أعمدة وأعتاب من الخشب ، رغم فقر البيئة للخشب وهو يشبه إلى حد كبير مسجد سيدى جلال بمدينة جرجا . كما أن المحراب مبنى من الحجر الملون باللون الأخضر ، مما أكسبه منظرا جميلا . والسقف حافل بالزخارف الزيتية وتحيط به وزرات خشبية كتب عليها آيات قرآنية . وكتب على الباب القبلى النص التالى : (العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير المتوسل بسيد المرسلين الجناب العالى حاوى كملات المفاخر والمعالى الأمير الكبير الواثق بالملك الأمجد الأمير حسن بن الأمير محمد كان الله له ، وكان الفراغ من هذا المسجد فى غاية شهر ربيع الأول سنة ١١١٦هـ) وقد كتب أعلى المحراب : (بسم الله الرحمن الرحيم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى) عمل هذا المسجد المبارك الأمير حسن بن محمد سنة ١١٢١هـ . ونلاحظ هنا ان هذا التاريخ المكتوب على المحراب متأخر عن التاريخ المكتوب على الباب بنحو خمس سنوات ، وذلك يجعلنا نرجح أن بناء المسجد قد تم أولا سنة ١١١٦هـ ثم استمر العمل فى الأعمال التكميلية الأخرى كالطلاء وتركيب الرخام والاخشاب والمنبر وغيرها حتى سنة ١١٢١هـ .

وفى الجهة البحرية الغربية من المسجد نجد ضريح منشىء المسجد وقد كتب عليه : (هذا قبر المتوفى الى رحمة الله تعالى الأمير حسن بن الأمير محمد توفى ليلة الجمعة الغراء ٢٧ شهر جمادى الأولى سنة ١١٣٢هـ) .

مسجد الحاج عبد الله عاصى

بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية

(١١٣٥هـ/١٧٢٢م)

تكونت كورة الغربية فى العصر الفاطمى، وأطلق عليها اسم الغربية لوقوعها غربى فرع النيل، وعرفت بأعمال الغربية فى العصر المملوكى ثم ولاية الغربية فى العصر العثمانى. ثم فى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية الغربية ثم أصبحت محافظة الغربية سنة ١٩٦٠. وكانت المحلة الكبرى قاعدة لاقليم الغربية من عهد الدولة الفاطمية حتى سنة ١٨٣٦ التى نقل فيها ديوان المديرية من المحلة الى طنطا، وكان يشرف فى ذلك الوقت على مديريتى المنوفية والغربية مدير واحد باسم مدير روضة البحرين[1]. وقد اضمحلت بعد ذلك شهرة المحلة واعتبرت قرية صغيرة من توابع قسم سمنود، ثم عادت اليها شهرتها وزاد عدد سكانها بسبب المحالج والمصانع الكبيرة التى أنشأتها فيها شركة مصر سنة ١٩٢٠، فأصبحت المحلة الآن من أكبر المدن المصرية وأشهرها.

والمحلة الكبرى من المدن المصرية القديمة اسمها القبطى دقلا، ولما فتحها العرب سموها محلة دقلا، وعرفت بمحلة شرقيون ثم سميت المحلة الكبرى لأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلة[2] بمصر. وذكرها المقدسى[3] باسم المحلة الكبرى وقال انها مدينة على نهر الاسكندرية (أى فرع رشيد) بها جامع لطيف وليس بها أسواق كثيرة غير أنها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر يقابلها صندفا عامرة كذلك وبها جامع، شبيها بمدينة واسط الا أنه ليس بينهما جسر بل يعبرون فى المراكب. ووصفها الادريسى[4] قال، المحلة مدينة ذات أسواق عامرة وتجارات شاملة، وذكرها ياقوت[5] المحلة عدة مواضع بمصر

---

(١) الخطط التوفيقية جـ١٤ ص ٥٨.

(٢) القاموس الجغرافى جـ٢ ص ٨

(٣) المقدسى ص ١٩٨.

(٤) الادريسى ص ١٧٥.

(٥) ياقوت جـ٦ ص ١٦٩.

منها محلة دقلا وهى أكبرها وأشهرها تقع بين القاهرة ودمياط ، ثم ذكر بعدها محلة أبى الهيثم ثم محلة شرقيون بمصر أيضا وهى المحلة الكبرى مدينة مشهورة بالديار المصرية وهى ذات جنبين أحدهما صندفا والآخر شرقيون . ويعلق محمد رمزى على ياقوت فيقول ، يفهم من عبارة ياقوت ان محلة دقلا هى بلدة أخرى غير المحلة الكبرى فى حين أنهما بلدة واحدة . والظاهر ان ياقوت لم يتنبه لذلك وقت وضع معجمه . ووصفها ابن دقماق وصفا شاملا ، قال ، وتعرف بمدينة المحلة وهى قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية ، وولايتها قديما تعرف بالوزارة الصغيرة . ثم يضيف وفى بلاد مصر نحو المائة قرية تعرف كل منها بالمحلة تتميز بلقب تعرف به أو بنسبة تعرف بها . والمحلة هذه مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جامع ومدارس وقياسر وبزازين وفنادق ، ومنارة ويشقها نهر من النيل .

الوصف المعمارى

مسجد الحاج عبد الله عاصى :

أنشأ هذا المسجد الحاج عبد الله عاصي سنة ١١٣٥هـ - سنة ١٧٢٢م وقد زالت الآن معظم معالم المسجد القديم ولم يبق منه غير مئذنته . وتعد هذه المئذنة من المآذن النادرة التى تعلو المدخل الرئيسى للمسجد وتتكون من قاعدة مثمنة تعلوها طبقة اسطوانية وتنتهى بخوذة مخوصة وهى تشبه الى حد كبير مئذنة خانقاه الجاشنكير . وقد ثبت على باب المنبر المجدد لوح قديم كتب عليه : أنشأ هذا المسجد بفضل الله تعالى الحاج عبد الله عاصى سنة ١١٣٥هـ .

جامـــع الخطبـــاء

بمحـلة أبوعـلى
بمركز دسـوق بمحافظة كفر الشيخ
(١١٣٦هـ/١٧٢٣م)

كفر الشيخ من القرى القديمة اسمها الأصلى دمينقـون ، وردت فى قوانين ابن مماتى[1] باسم دمنيقون وورد فى تاريخ ١٨١٣ م دميلاقون وهى كفر الشيخ طلحة نسبة إلى الشيخ طلحة الشاذلى صاحب المقام الموجود بها ويقول محمد رمزى إنه لاحظ أن الكثير من القرى المصرية القديمة قد تغيرت أسماؤها فى العصر العثمانى وسميت بأسماء المشايخ أصحاب المقامات الموجودة بها ، مثال ذلك دمينقون هذه التى سميت كفر الشيخ ، والطا التى سميت أبو العز بمركز كفر الزيات نسبة الى الشيخ أبو العز المدفون بها ، وديروط بلهاسة التى سميت الشيخ زياد بمركز مغاغة نسبة الى الشيخ زياد بن مغيرة المدفون بها ، وأهريت التى سميت الشيخ فضل بمركز بنى مزار نسبة الى الشيخ فضل المدفون بها . ويعلل محمد[2] رمزى السبب فى هذا التغير هو رغبة أهالى هذه البلاد فى احياء ذكرى أصحاب هذه المقامات ولفت نظر الناس اليهم لزيارتهم والتبرك بهم فى الموالد التى تقام سنويا . ولا يخفى ما يعود على خدمة هذه المقامات من فائدة وما يكسبه أهل البلد من رواج لمحاصيلهم وتجارتهم . هذا بالاضافة الى رغبة الأهالى فى التخلص من الأسماء المستهجنة التى لا يعرفون لها معنى . وفى سنة ١٨٣٣م ضمت كفر الشيخ لمديرية الغربية وفى سنة ١٩٣١ انفصلت عن مديرية الغربية ثم أصبحت فيما بعد مديرية مستقلة تماما عن الغربية وفى سنة ١٩٦٠ تغير اسمها الى محافظة .

---

(١) ابن مماتى ص ٢٨٣ .

(٢) القاموس الجغرافى جـ٢ ص ١٤٣ .

دسوق :

من القرى القديمة وردت فى قوانين ابن مماتى أنهـا من أعمال الغـربية وهى قرية كبيرة عامرة . من أعمال مصر . وإليها ينسب سيدى ابراهيم الدسـوقى . صـاحب المقـام العظيم الكائن بها . وفى سنة ١٨٤١ أنشىء بمديرية الغربية قسم ادارى باسم قسـم المندورة وجعل مقره بلدة دسوق لأنهـا أكبر بلاده . وفى سـنة ١٨٩٦ سـمى بمركز دسـوق بدلا من المندورة .

محلة أبو على :

هى من قرى مركز دسوق بمحافظة كفر الشـيخ وتقـع على الشـاطىء الشرقى لفـرع رشيد . وجاء فى الخطط التوفيقية أنها كانت مدينة متسعة ومبانيهـا من الاجـر وبهـا جـامع بمنارتين وقيسارية على البحر . ومن أهم آثار محلة أبو على الباقية جامع الخطباء

الوصف المعمارى

جامع الخطباء : أنشأ هذا المسجد الأمير خليل أغا سنة ١١٣٦هـ ، ثم أعيد بناؤه عدة مرات أهمها العمارة التى قام بها ابراهيم بك الدفتردار . ولم يبق من المسـجد الأصلى غير المئذنة التى تشرف على النيل ، لقـرب المسـجد منه ، فتبدو ليلا وهى مضـاءة وكأنهـا منارة لهداية السـفن المارة بالنهـر . وقد كتب على المنارة مانصـه : « جـدد هذا المنار الشريف المصون مدوة الأكابر والأعيان الأمير خليل أغا . وكان المباشر بالنيابة الأمير سليمان غفـر الله لهم وأسكنهم فسيح الجنان فى ربيع الأول سنة ١١٣٦ هـ ـ ١٧٢٣ م »

أما تاريخ تجديد المسجد فقد دون على لوحة رخامية مثبتة على الباب القبلى مانصـه : « جدد هذا المسجد المبارك ابراهيم بك دفتر دار مصر حالا تجـل حضـرة أفندينا محمد على والى مصر حالا غفر الله لهم آمين سنة ١٢٢٢هـ ـ ١٨٠٧م » وقد ثبت على المدخل الرئيسى للمسجد لوحة رخامية كتب عليها مرسوم صـدر فى عهـد السـلطان الناصر أبى السـعادات فرح من ملوك دولة المماليك الجراكسة . وهذا المرسوم على جـانب عظيم من الأهمية ، لأنه أولا يعطينا فكرة عن طـريقة الاعلان عن المراسـيم التى تصـدرها الدولة واختيار المسـجد

مكانا للاعلان على اعتبار انه مكان اجتماع الناس للصلاة ، ولأنه مكان له حرمته يجب معها تنفيذ الأوامر التى يكتبها ولى الأمر على بابه ـ وثانيا لما ورد فيه من أن السلطان أبطل ضمان الهلالى ، وبذلك أعطانا فكرة عن الضرائب التى كانت تجبيها الدولة طوال العصر الاسلامى . ويقول المقريزى فى ذلك ، ان الدولة كانت تجبى نوعين من الضرائب أو الجزية أو الخراج ، الاول ويسمى بالمال الخراجى وهو ما يفرض على الأراضى الزراعية ، وكان يعرف فى زمن المقريزى (القرن التاسع الهجرى) كذلك باسم الجوالى ، وكان يؤخذ سلفا وتعجيلا فى غرة السنة .

والضريبة الثانية وتعرف بالمال الهلالى ويعرفها المقريزى بما يأتى : هى عبارة عما يستأدى مشاهرة كأجر الأملاك المسقفة من الدور والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين ، وعداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة واحكار البيوت وريع البساتين التى تستخرج أرضها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الزيت . ويضيف المقريزى ، وكان من أبواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهى الزكاة والمكوس .

أما المرسوم فيتكون من عشرة سطور وفيما يلى نصه :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم .

٢ ـ برسم المقر العالى السيفى سودون النظامى .

٣ ـ نائب القلعة الشريفة أعزه الله تعالى آمين .

٤ ـ يبطل ضمان الهلالى والساحل بناحية محلة أبو على الغربية .

٥ ـ وناحية جملجون فى البلاد المجاورة اليها وذلك ابتغاء وجه .

٦ ـ الله تعالى وطلبنا لرضوانه وملعون ابن ملعون من يغيره أو يبدله

٧ ـ أو يجدده أو يتعرض اليه أو يغشه وما تفعلوا من خير يعلمه الله تعالى .

٨ ـ ورسم أن يكتب بباب الجامع بناحية البلد حسب المرسوم العالى .

٩ ـ بتاريخ مستهل شهر جمادى الأولى .

١٠ ـ سنة اثنين وثمانمائة والحمد لله اللطيف بعباده .

زاويـة عبد الرحمن كتخـدا

بشارع المغربلين بالقاهرة
مسجلة برقم (٢١٤)
(١١٤٢هـ/١٧٢٩م)

تقع هذه الزاوية فى حى المغربلين الذى يكون جزءا من القسم الرابع عشر من أقسام القاهرة الذى يضم كذلك شارع قصبة رضوان والخيمية الى جانب المغربلين . ويمتد هذا القسم الذى يوجد خارج باب زويلة (بوابة المتولى) وينتهى عند شارع الداوودية . وقد عرف أول القسم من جهة باب زويلة باسم شارع قصبة رضوان بعد بناء الأمير رضوان بيك[١] قصبته المعروفة به والتى اعدها لبيع المراكيب وغيرها من المصنوعات الجلدية .

ويحدثنا الجبرتى[٢] عن ترجمة الأمير رضوان فيقول ، هو الأمير الكبير رضوان بيك الفقارى تولى إمارة الحج عدة سنين . وكان وافر الحرمة مسموع الكلمة ملازما للصوم والعبادة وهو الذى عمَّر القصبة المعروفة به خارج باب زويلة عند بيته ، وتوفى فى سنة خمس وستين والف .

ويذكر المقريزى[٣] فى خططه تاريخ الدار التى اصبحت ملكا للأمير رضوان فى القرن الحادى عشر للهجرة فيقول : الدار القردمية هى خارج باب زويلة ، بناها الأمير الجائى الناصرى مملوك الناصر محمد بن قلاوون . وكان كما يقول المقريزى فقيها حنفيا يكتب الخط المليح ونسخ بخطه القرآن الكريم فى ربعة وكان عفيفا عن الفواحش حليما لا يكاد يغضب .

أما عن داره التى آلت الى الأمير رضوان وعرف بها اسم الحى ، فيقول المقريزى وقد بالغ الأمير الجائى الناصرى فى اتقان عمارة هذه الدار بحيث انه انفق على بوابتها

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٣٣
(٢) الجبرتى جـ٢ ص ١٥٣
(٣) الخطط والآثار جـ٢ ص ٢٤٩

خاصة مائة ألف درهم فضة، منها يومئذ نحو الخمسة آلاف مثقال من الذهب ، ولكنه لم يتمتع بها غير قليل اذ مات ٧٣٢هـ . ويكمل المقريزى تاريخ الدار فيقول سكنها من بعده خوند عائشه خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زمانا فعرفت بها . فلما ماتت الأميرة القردميه تولى الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار مدة ، ويتم على مبارك[١] قصة الدار فيقول : وبقيت هذه الدار تنتقل من يد مالك الى آخر حتى انتقلت الى ملك الأمير رضوان بيك الذى نسبت اليه قصبة رضوان .

أما بقية القسم الرابع عشر وهما الخيمية والمغربلين ، حيث توجد زاوية عبد الرحمن كتخدا ، فقد عرفا بذلك نسبة الى وكالة رضوان بك الكبيرة التى كانت تمتد الى الجنوب من قصبته وداره . فقد كانت الوكالة . . وما تزال ، معدة لبيع جميع أصناف الجلود ، كما كان يتبعها عدد كبير من الحوانيت يصنع الخيام ويبيعها ثم يلى الخيمية جنوبا عدد كبير من دكاكين العطارين فعرف بهم .

أما عن شارع المغربلين فقد بسط المقريزى[٢] الكلام فى وصفه عند ذكر (الخوخ) ، نوجز منه ما يلى ، يقول : وهذا الوصف هو وصف شارع المناخلية والسكرية اليوم ، وأما الازمان القديمة ، فكانت هذه الخطة تعرف بسوق الغرابلين والمناخليين ، ذلك انه لما انقل أمير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن (اى الى الجنوب من الباب السابق) صار فى المسافة التى حدثت بين الباب القديم والباب الجديد سوق الغرابليين والمناخلية . ثم قال وكان فيه حوانيت تعمل بها مناخل الدقيق والغرابيل .

ونضيف ، فلما بنى السلطان الملك المؤيد شيخ جامعه مكان هذا السوق خرج السوق الى خارج باب زويلة، واصبح امتداد القصبه رضوان والخيمية وهو شارع او سوق المغربلين .

أما عن ترجمة منشىء الزاوية وهو عبد الرحمن كتخدا فيحدثنا الجبرتى[٣] عنها

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٢ ص ٣٥

(٢) الخطط والآثار جـ٢ ص ٢٥٩

(٣) الجبرتى جـ٢ ص ١٧٣

فيقول : هو الأمير الكبير والمقدام الشهير ، عبد الرحمن كتخدا ابن حسن جاويش القازدغلي ، استاذ سليمان جاويش استاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الامراء المصرية .

أما عن الوظائف التى تولاها عبد الرحمن كتخدا فيقول الجبرتى ، ومبدأ اقبال الدنيا عليه انه لما مات عثمان كتخدا القازدغلي واستولى سليمان جاويش على موجوده لم يعط ابنه عبد الرحمن كتخدا شيئا ، حنق منه ولم يجد أحدا من طائفته وهى طائفة البنكجريه[1] من يساعده على أخذ حقه فتركهم وانتقل الى وجاق العزب[2] .

فلما مات سليمان جاويش بادر سليمان كتخدا الجاويشيةَ ، زوج أم عبد الرحمن كتخدا ، بعد استئذان عثمان بيك فى تقليد عبد الرحمن جاويشا للسرداريه[3] عوضا[4] عن سليمان جاويش لانه وارثه ومولاه . وهكذا استلم عبد الرحمن المفاتيح الخاصة بالخشخانات والتركه باجمعها وكانت شيئا كثيرا .

وقد حج عبد الرحمن كتخدا مع عثمان بيك سنه خمس وخمسين واقام بمكةَ الى سنةَ احدى وستين ، ثم حضر مع الحجيج ، فتولى كتخدا[5] الوقف سنتين ، وشرع منذ ذلك الوقت فى بناء المساجد وعمل الخيرات وإبطال المنكرات وكان أولها إبطال حمامير حارة اليهود من الحجر . والمدخل يعلوه عقد مرتفع مكون من ثلاث فصوص ملئت بمقرنصات ودلايات على شكل مخروطى .

ويكتنف المدخل ثلاث حنيات مسطحة يشغل الجزء الأسفل من اثنين منهما نوافذ يعلوها عتب مكون من صنجات معشقه يعلوه عقد عاتق ، وقد ملئت النوافذ بمصبعات حديدية . ويشغل الجزء العلوى من الحنيات بنوافذ قنديلية ، ويعلو جدار الواجهة الشمالية شرفات جميلة .

---

(١) البنكجرى نسبة إلى ينكجرى أى الانكشارية (أى الجند النظامى للدولة) .

(٢) وجاق غرب ، أو غربان ، وهو فى الأصل من جند البحرية ، فقد كان فى مصر فى أوائل العهد العثمانى أو جاق غزبان ، وكان من الاوجاقات الهامة ، إذ هو يأتى بعد الانكشارية فى الأهمية ، وكان يعهد إليه بحراسة القلعة عند باب العزب الذى يطلق الآن على ميدان صلاح الدين . كما عهد إليه الاشراف على الجمارك فى البحرين المتوسط والأحمر وكذا ترسانة الاسكندرية .

(٣) الجاويش : أى رسول وعادة رسول السلطان أو كبار الشخصيات .

(٤) السرداريه : وجمعها سداره وهم قادة الفرق العسكر ، وسرجاويشان رئيس الجاوشية .

(٥) كتخدا أو كاخيابك هو وكيل الصدر الأعظم (أى رئيس الوزراء) .

وقد زخرف المسجد بمجموعة من البلاطات الخزفية ، كما زخـرف (النفيس) الذى يعلو عقد المدخل والمنطقتان المستطيلتان اللتان تقعان على جانبهما ببلاطـات خـزفية مربعـة قوام زخارفها نباتات محورة باسلوب الأرابيسك الذى يعرف باسم الطراز الروحى الرومى فى العصر العثمانى . . وزخـارف البلاطــات باللون الأخضر والأزرق والاحمر الطماطمى (المعروف باسم (Crminian— bole)[1] على أرضية زرقاء فاتحة .

ويتكون المسجد من مستطيل يتوسطه مربع مكشوف تحيط به الاروقة من جميع الجهـات ويحتوى كل رواق على صف واحـد من البوائك المكونة من عقـود مدببة ممتدة عددها خمسة تقوم على أربعـة أعمدة رخـامية . أما رواق القبلة فيحتوى على ثلاث بوائك . ويغـطى المســجد سقف خشبى مكون من (براطيم) ومربوعات مزخـرف برسـوم زيتية وقد أنشـأ وجــدد ورقم عبد الرحمن كتخدا الكثير من العمائر الدينية وأقام الاسبلة والكتاتيب مما لا يتسع المقام لذكره وسنكتفى بالحديث عن زاويته التى أقامها بشارع المغربلين ، موضوع البحث

---

(١) المؤلفة : الخزف التركى ص ٥٣

الوصف المعمارى

تقع هذه الزاوية بشارع المغربلين بجوار جامع جانبك . أنشأها عبد الرحمن كتخدا فى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف . ويقول على مبارك[1] فى وصفها : وهى علوية وتحتها حنفية وشعائرها مقامة ، ولها راتب من اوقافه الكثيرة الجمة ، المبينة فى حجة وقفيته ضمن مرتبات جهاته الخيرية من عمائر الازهر وخلافه وهى فى نظر ديوان الاوقاف .

وتتكون الزاوية من مبنى مستطيل معلق . ذلك ان الطابق الاول يشغله سبيل حول بعد ذلك الى حنفية تملأ منه الروى . ومن ثم فانه يصعد الى الزاوية بمجموعة من السلالم فى ثلاث قلبات ، تبدأ فى الركن الجنوبى الغربى للزاوية وتسير بعرض الواجهة الغربية حتى تنتهى ببسطة تتقدم المدخل الرئيسى الذى يقع فى الركن الشمالى الغربى للزاوية .

ويتكون المدخل من عقد كبير مرتفع يصل الى نهاية جدار الزاوية ، ويتكون من ثلاثة فصوص مملوءة بالمقرنصات والدلايات البديعة التكوين . ويتوسط عقد المدخل باب الزاوية الذى يعلو عتب مكون من صنجات معشقة أحيطت فى مستطيل مزخرف برسوم هندسية محفورة حفرا بارزا . ويعلو العتب عقد عاتق زخرف كذلك برسوم هندسية محفورة حفرا بارزا على شكل معينات . وعند طرفى العقد توجد زخرفة بارزة كذلك تمثل شجرة السرو . وعند سمت العقد يوجد رسم مدلية مزخرفة على شكل الطبق النجمى وقد زخرف نفيس عقد الباب ببلاطات خزفية قوام زخرفتها الزهرة المركبة ، وهى باللون الأخضر والازرق على أرضية بيضاء ناصعة .

أما داخل الزاوية فيتكون من رواقين يفصل بينهما عمودان تقوم فوقهما ثلاثة عقود مدببة . وفى صدر الجدار الشرقى يوجد المحراب ، الذى كان مزخرفا بمجموعة من البلاطات الزخرفية سقطت معظمها .

---

(١) الخطط التوفيقية ، جـ٦ ص ٣٥

مسجد عثمان كتخدا القازدغلى

بميدان الأزبكية بالقاهرة
(١١٤٧هـ/١٧٣٤م)

يقع هذا المسجد فى حى الأزبكية عند تقاطع شارع ابراهيم بشارع قصر النيل. وقد عرف هذا الحى بالازبكية نسبة الى الأمير أزبك، الذى كان من[1] أجل الأمراء قدرا وأعظمهم ذكرا وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة فى سعة من المال. وكان أزبك من معاتيق السلطان الظاهر جقمق وصاهره مرتين فى ابنتيه، كما تولى عدة وظائف جليلة بمصر منها حجوبية الحجاب ورأس نوبة كبير ثم تولى نائب الشام فى دولة الظاهر بلباى، ثم عاد الى مصر وتولى الاتابكية فى دولة الأشرف قايتباى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة.

أما عن أصل منطقة الأزبكية فيقول المقريزى[2] عنها اول ما عرف من خبر بركة الازبكية أنها كانت بستانا كبيرا غرب الخليج وكان يمتد فيما بين المقس وجنان الزهرى يعنى من أولاد عنان (ميدان المحطة) الى قنطرة باب الخرق. وكان البستان يعرف بالبستان المقسى حيث كانت تجبى المكوس بعد الفتح الاسلامى، وكانت من قبل قرية تعرف بأم دنين.

وفى عهد الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله أمر بعد سنة ٤١٠ بازالة البستان وان تعمل بركة أمام المنظرة التى تعرف باللؤلؤة، ومحلها الآن عند[3] جامع الشعراوى فعملت بركة وبقيت كذلك حتى كانت الشدة العظمى فى أيام الخليفة المستنصر الفاطمى فهجرت البركة.

---

(١) ابن اياس جـ ٣ صفحة ٢٣٥

(٢) الخطط والاثار جـ ٢ صفحة ١٨٧

(٣) الخطط التوفيقية جـ ٣ صفحة ٦٦

ويكمل ابن ابى السرور[1] البكرى ، ان هذه البقعة كانت قبل بناء الأمير أزبك بها عمارته ، مساحة أرض خراب وكيمان فى أرض سباخ ، وفى سنة ٧٢٤هـ جرت فيها المياه وزرعت برسيما وشعيرا واستمرت على ذلك سنة ٨٠٨هـ فى دولة الأشرف قايتباى ، فرأى الاتابكى أزبك ان يعمّر هناك فبنى القاعات الجليلة والدور والمقاعد صرف عليها نحو مائتى الف دينار ، ثم شرع الناس فى البناء .

ويضيف على مبارك فيقول : ولم تزل على هذه الحال الى زمن الخديو اسماعيل فجرى تنظيمها وأخذ جزءا منها عمل فى بعضه (التياترو) الاوبرا والباقى دخل فى الميادين وكان ذلك مدة نظارتى على ديوان الأشغال .

أما عن منشىء هذا المسجد فهو الأمير عثمان كتخدا القازدغلى والد الأمير عبد الرحمن كتخدا . وكان عثمان تابعا للأمير حسن جاويش القازدغلى ، أخذ يتنقل فى وظائف حتى عين كتخدا (أى وكيلا) للأمير حسن جاويش ، وصار من كبار الموظفين وسطع نجمه ، كما جمع ثروة كبيرة ساعدته على القيام بالكثير من أعمال البر والخيرات[2] .

كما اقام الكثير من العمائر الدينية عدا هذا المسجد ، فهو الذى أقام زاوية العميان الملحقة بالجامع الأزهر (زالت الآن) ، ورصد لها الحبوس والاوقاف . ويحدثنا عنها الجبرتى فيقول ، وأما زاوية العميان فهى بخارج المدرسة الجوهرية فى الجانب الثانى من الحارة بينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من ميضأتها . أنشاها المرحوم عثمان كتخدا القازدغلى تابع حسن جاويش القازدغلى .

أما عن السبب فى حصوله على تلك الثروة الكبيرة التى مكنته من اقامة تلك المنشآت فيقول الجبرتى ولما وقع الفصل فى سنه ١١٤٨هـ ومات كثير من أعيان مصر وأمرائها ، وذلك فى عهد والى مصر « ابو بكر باشا » الذى عاد الى حكم مصر ثانية . فغنم الأمير عثمان أموالا كثيرة من المصالحات والتركات ، فأقام المساجد والزوايا والأروقة فى الأزهر

(١) الجبرتى جـ١ صفحة ١٦٨

(٢) الكواكب السائرة فى اخبار مصر القاهرة ورقة ١١٩ (مخطوطة بالجامعة العربية رقم ٤١٩)

الشريف ورتب لذلك المرتبات من وقفه وجعل مملوكه الجوخدار ناظرا عليها وأمر له ان يلبس الصنلمه[1] (اى الألوان المتعددة) كناية عن حريته وعلو مركزه.

ويصف الجبرتى يوم افتتاح مسجد عثمان كتخدا للصلاة فيقول : وبعد افتتاح المسجد وزعت الصدقات ، وبعد ان استمع الى خطيب المسجد حسن أفندى ابن البواب ، وحضر درسا للشيخ على الطحلاوى المدرس أنعم عليهما[2].

الوصف المعمارى

قد يكون من المفيد قبل ان تتناول وصف المسجد من الناحية المعمارية ان نذكر فى ايجاز ما رصد له من نفقات وكيفية صرف تلك الأموال المرصودة ، وفى ذلك يقول على مبارك[3] : ان يصرف للامام شهريا ستون نصفا بشرط أن يكون شافعيا وللمدرس الحنفى مائه وخمسون نصفا شهريا ولسبعة من الطلبه يحضرون الدروس مائتان وعشرة أنصاف ولمدرس شافعى تسعون نصفا وثلاثة من الطلبة يحضرون عليه تسعون . ولمدرس الحديث مع ستة من الطلبة مائتان وعشرة أنصاف ولأربعة مؤذنين ثلثمائة وستون نصفا وللمرقى عشرون نصفا وللمبلغ عشرون نصفا .

هذا فضلا عن خمسة عشر يقرءون بالمسجد كل يوم ختمة لكل منهم مائة وخمسون نصفا ، ولشيخ القراء وهو الداعى ثلاثون نصفا ، وللمنادى فى اوقات الصلاة بالسوق بقوله الصلاة يا مفلحون خمسة عشر نصفا ، ولفرق الربعة الشريفة خمسة عشر نصفا .

والمسجد معلق اذ يصعد الى مدخله الرئيسى فى الواجهة الشمالية بمجموعة من الدرجات . ويتوسط المدخل باب يصعد اليه بمجموعة من الدرجات الرخامية . والباب مبنى قوامه رسوم نباتية . ويحيط بجدار المسجد من أعلى ازار خشبى نقشت عليه كتابات قرآنيه محصوره فى بحور . وقد كتب فى ازار الايوان الشرقى نصوص تاريخيه تثبت تاريخ المسجد مع ذكر اشارة بسيطه عن اسم منشئه ، وفيما يلى النص التاريخى .

(١) الخطط التوفقية جـ٤ صفحة ٢٠

(٢) الجبرتى جـ ١ صفحة ١٦٩

(٣) الخطط التوفقية جـ ٥ صفحة ٩٠

وقد وافق الفراغ من انشاء هذا المسجد المبارك غرة جمادى الأولى من شهور سنة ألف ومائة وسبعة وأربعين فنسأل الله الكريم من فضله العميم ان يتقبله من واقفه ويدخله الجنة دار النعيم .

ويتوسط جدار ايوان القبلة محراب مجوف من الرخام البديع التكوين يكتنفه عمودان أخضران بتيجانهما على شكل مقرنصات . ويعلو المحراب نافذة مستديرة مملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان مكتوب عليه الله محمد . ابو بكر عثمان . وبجوار المحراب منبر خشبى مصنوع من خشب الخرط والحشوات المجمعة .

ولاضاء المسجد من الداخل فقد فتحت فى جدرانه الأربعة من أعلى نوافذ معقودة مملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

وفى الجدار الجنوبى للمسجد يوجد بابان ، احدهما الكبير ، وقد حلى مصراعاه بأشرطة نحاسية وكلا البابين يوصل الى المصلى والميضأة .

مسجد عبد الباقى چوربـجى

بشارع الميدان بالإسكندرية
(١١٧١ هـ / ١٧٥٨م)

أنشأ هذا المسجد الحاج عبد الباقى بن علّى الذى يعمل چـوربـچيا[1] فى قلعـة الركن بثغر الاسكندرية . وعلى جوربجى هو ابن الشيخ محمد الشربونى الشهير نسبه بزقوقح[2]

أما قلعـة الركن بالاسكندرية فهـى من القـلاع التى أقيمت فى العصر المملوكى الى جانب قلعة (أو طابيه) قايتباى القـديمة ، لحماية السـاحل الغـربى من ميناء الاسكندرية . فلما جاء العثمانيون الى مصر ، اهتموا اهتماما خـاصا بسـواحل مصـر الشـمالية المطلة على البحر المتوسط والشرقيه المطله على البحـر الأحمر ، ومن ثم فقـد خصصـوا أوجـاقا (حامية) خاصة لحراسة ومراقبة السواحل هى أوجاق عزبان .

الـوصف المعمارى

يعتبر مسجد چوربچى من المساجد المعلقة اذ يصعد اليه بمجموعة من الدرجات . وقد استغل الطابق الأرضى من المسجد ببناء مجموعة من الحـوانيت يسـتغل ريعـها فى الصرف على المسجد .

وتقع الواجهة الرئيسية للمسجد فى الضلع الجنوبى ، والتى تنتهى من جهتها الغـربية بالمدخل الرئيسى للمسجد . ونلاحظ ان الواجهة الرئيسـية تتكون من شرفة تعـلو حـوانيت

(١) وظيفة عسكرية فى الجيش العثمانى تعادل رتبة (مقدم) الان

(٢) مساجد مصر الأثرية صفحة ٣٢٧

الطابق الاسفل وتمتد بطول الضلع الجنوبى حيث تنتهى عند المدخل الرئيسى . وتتكون من بائكة من ثمانية أعمدة رخامية تقوم عليها تسعة عقود مدببة ممتدة يصل بينهما أعمدة ربط خشبية .

وقد زخرفت حواف العقود بالحجر الابلق ، وفتح فى خواصرها نجمة سداسيه . ويتقدم الشرفة من اعلاها مظلة خشبية ينتهى طرفها الخارجى بشرفات خشبية صغيرة وزخرف سقفها بنقوش زيتية بديعة . ويعلو الشرفة بعد الظله نهاية جدار الواجهه وقد زخرف بشرفات مبنية متدرجة

أما المدخل الرئيسى للمسجد ، الذى يقع فى النهاية الغربية للضلع الجنوبى ، فيعتبر من حيث اسلوبه الزخرفى ، من مميزات المداخل الأقليمية فى مصر فى العصر العثمانى وخاصة فى الوجه البحرى ، الا وهو الاسلوب المعروف (الطوب المنجور أو المكحول) . وهو استعمال قوالب الأجر فى اوضاع هندسية مكونة اشكالا زخرفية بديعة . ولا ظهار هذه التكوينات الزخرفية استعمل فى الملاطات مواد ملونة لتوضيحها اما باللون الابيض أو الاسود .

ويتكون المدخل الرئيسى من كتفين بارزين يقوم فوقهما عقد (ميمونى) من ثلاث فصوص . وبداخل العقد يوجد عقدان صغيران ذو زاوية (Keel arch) ممتدان ويربط بينهما عمود ربط . وقد زخرف عقد المدخل بجميع اجزائة وتواشيحه بطريقة الطوب المنجور .

ويأتى بعد ذلك باب المدخل الذى يؤدى الى مجموعة من الدرجات توصل الى حرم المسجد فى جهته الغربية المقابلة لمكان الصلاة . وقد زخرف أعلى باب الدخول ببلاطات من الخزف على شكل ثلاثة أطباق نجمية . كما كسى أسفل الباب وأعلاه بالخزف المغربى يتوسطه اسم صانعه بما نصه : « عمل كاتبه الحاج مسعود السبع »كما يوجد على باب المدخل الرئيسى لوحه تذكارية من الرخام مكتوب عليها النص التالى :-

إن المساجد للإله الباقى فلمن لها أحيا ثوابا باقى
الله يبنى فى الجنان لمن بنى بيتا أتى نصا بغير شقاق
فابشر من الباقى فاتك عبده بالفوز فى العقبى وقاك الواقى
واغنم ثناء دائما لا ينقضى فى سائر الأوقات والآفاق

إن رمت أن تحظى بكل مسرة وتفوز بالحسنى من الخلاق
اسمع لامر بالرشاد مؤرخا جزاء الهدى والخير عبد الباقى
فى شهر ربيع آخر سنة ١١٧١هـ

ويكتنف الباب من جانبيه نافذة مملوءة بالخشب الخرط ومكتوب فيه بالخط الكوفى المربع « لا اله الا الله محمد رسول الله » كما حليت مصاريعهما بأحزمة وبخاريات حديدية

وللمسجد باب آخر يقع فى الضلع الشمالى فى نهاية الجهة الشرقية ، وهو يشبه فى زخرفته باب المدخل الرئيسى وان كان أقل منه زخرفة .

ويتكون داخل المسجد من مستطيل جزؤه الغربى خال من الأروقة ويمثل فى المساجد العثمانية الحرم أو الصحن الا انه مغطى . أما الجزء الشرقى فهو مكان الصلاة ويتكون من بائكتين تحتوى كل بائكه على أربعة أعمدة رخامية تقوم عليها عقود مدببة ممتدة ، فتقسم مكان الصلاة الى ثلاثة أروقة .

ويغطى سقف مكان الصلاة سقف خشبى مزخرف برسوم زيتية جميلة . ويتوسط سقف مكان الصلاة منور (شخشيخه) للاضاءه والتهوية .

وفى صدر حائط القبلة محراب مجوف يكتنفه عمودان رخاميان يتكون كل منهما من فرعين ملفوفان يخرجان من زهرية . وتاج العمود مكون من عقود من الزهور . أما تجويف المحراب وطاقيته وكذا تواشيحه ، وكذا الجدران أعلاه وعلى جانبيه ، فقد غشى ببلاطات من الخزف المغربى الجميل ، يحتوى بعضها على أسم صانعها المغربى (محمد ابن عبد الكريم الفاسى) المعروف بالزريع ومؤرخه سنة ١١٧١هـ .

والى جانب المحراب يوجد منبر خشبى ، يعتبر تحفة فنية رائعة لصناعة الأخشاب فى العصر العثمانى . فقد صنعت جوانبه (ريشتيه) بطريقة التجميع على هيئة الأطباق المجمعة والمزخرفة بالعاج والصدر . أما الايزار الذى يعلو الجوانب ، فمصنوع بطريقة الخرط بأساليب وزخارف متعددة غاية فى الدقة والابداع .

مسجد الهياتم

بدرب الهياتم بالقاهرة

(سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م)

يقع هذا المسجد بدرب الهياتم المتفرع من شارع الطينة أو شارع الحنفى[1]. وهو درب كبير بداخله الجامع المعروف بجامع الهياتم، أنشأه الأمير يوسف جوربجي فى سنة سبع وسبعين ومائة والف. وشعائره مقامة من ريع أوقافه. وبقرب الجامع دار ورثة محمد بيك الدغستلى بها حديقة. وملحق بالجامع سبيل يعلوه كتاب تابع له. وجامع الهياتم قريب من جامع إلبرمونى بحارة الميضأة.

ويضيف على مبارك فيقول: وبهذا الدرب أيضا من الدور الكبيرة دار الأمير سليم باشا أباظه ودار الامير ابراهيم باشا چركس، وهى دار الأمير يوسف چوربچي صاحب جامع الهياتم. وكذا توجد به دار احمد باشا الطوبجى ودار مراد بك ودار الأمير مصطفى ودار الأمير أمين باشا الازمرلى. ويعلق على مبارك على دور الهياتم فيقول: وجميع سراى الهياتم توجد بها حديقة.

الوصف المعمارى

يتكون المسجد من مستطيل يتوسط صحن مكشوف مربع الشكل تقريبا وتحيط به الأروقة من جميع الجهات. وتحتوى كل جهة على رواق واحد مكون من بائكة من خمس عقود مدببة وممتدة وترتكز على أربعة أعمدة رخامية بتيجانها مكونة من ثلاث حطات من الدلايات.

---

(١) على مبارك جـ ٤ صفحة ٩٢

أما ايوان القبلة فيحتوى على رواقين موازيين لحائط القبلة ويتكون كل واحد منهما من بائكة من خمسة عقود مدببة وممتدة وترتكز على أربعة اعمدة رخامية.

أما الواجهة الرئيسية للجامع فتقع فى الضلع الغربى للمسجد حيث يتوسطه المدخل الرئيسى الذى يعتبر تحفة فنية رائعة بالنسبة لزخارفه الهندسية والنباتية المنحوتة فى الحجر فى العتب وفى العقد العاتق وكذا حواجز العصر. وكذا بالنسبة للبلاطات الخزفية التى تزخرف واجهة المسجد وكذا (النفيسى)

وقوام الزخارف الخزفية فى هذا المسجد هندسية تحصر بينها رسم زهور وذلك باللون الازرق على ارضية بيضاء. وهذا النوع من الزخارف كانت تنتجه مدينة دمياط فى القرن الثامن عشر، وفقا لطراز المدرسة المصرية[1] المحلية المتأثرة بأسلوب شمال افريقيه والمغرب الأقصى

ويشغل واجهة المسجد صفان من النوافذ يتكون كل صف من خمس نوافذ زخرفت (النفيس) النوافذ العشرة ببلاطات خزفيه قوام زخارفها مكونة ايطار من رسوم ورقه نباتية مسننة تحصر بينها مجموعة من زهرة اللايه، تخرج من كأس.

ومما يجدر ملاحظتة أنه بينما نجد البلاطات الأولى السالف الإشارة اليها متأثرة بالطراز المصرى المحلى ذى المسحة المغربية، نجد هذه البلاطات الأخيرة تتبع الاسلوب العثمانى فى القرن الثامن عشر.

أما عن بلاطات (النفيس) التى تعلو نافذة السبيل الملحق بالجامع، فقد رسمت باللون الأزرق على أرضية بيضاء، كما أن بعضها رسم على ارضية زرقاء وهى من صناعة مصر فى القرن الثامن عشر

---

(١) ربيع خليفة : البلاطات الخزفية صفحة ٢٤٦

جامع همام

بفرشوط

(١١٨٣هـ)

فرشوط من القرى القديمة بمحافظة قنا مركز نجع حمادى ، ذكر اميلينو فى جغرافيته باسم Fargout . ووردت فى تاج العروس (فَرْجُوط) كعصفور ، قال وعلى ألسنة العامة ، فِرشوط كِبَرْذَون . وذكر ياقوت فرشوط فى معجمه فقال : قرية كبيرة على شاطىء غربى النيل من صعيد مصر . ووردت فى قوانين الدواوين ، فرجوط من أعمال القوصيه . ويقول محمد رمزى[١] ، وكانت فرشوط قاعدة لقسم فرشوط من تاريخ انشائه سنة ١٨٢٩م الى ان نقل منها ديوان القسم الى نجع حمادى ١٨٨٦م

ويتحدث على مبارك[٢] عن فرشوط فيقول ، فرشوط قرية من مديرية قنا هى رأس مركز فى غربى النيل باكثر من ساعة وفى شمال قرية الكوم الأحمر على نحو ربع ساعة ، وفى جنوب قرية القمانه ، ويقابلها على الشاطىء الشرقى قرية نجع ابن سالم . وهى كثيره العماره المبنيه من الآجر وبعضها مكون من ثلاث طبقات . وبها مصنع للاقمشه ، كما تحتوى على قيّساريتان (سوق مركزى) بها مجموعة من الحوانيت والقهاوى وأربع وكائل وجوامع عامرة . وفى جهتها الشرقية يوجد جامع شيخ العرب .

ويروى على مبارك تاريخ شيخ العرب همام ، فيقول كانت فرشوط فى العصور الماضية من أعظم بلاد الصعيد ، وخاصة فى عهد الشيخ همام ، الجناب الأجل والكهف الأظل ملجأ الفقراء الامراء ومحط رحال الفضلاء والكبراء وهو الامير شرف الدولة شيخ العرب همام بن يوسف بن أحمد بن محمد بن همام بن صبيح بن سبيبة الهوارى عظيم بلاد الصعيد وأميره وحاكمه من ادناه الى اقصاه .

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ٤ .

(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٤ صفحة ٦٨

وقد كان الشيخ همام حاكم غير متوج ، فقد كان له جنود وعدد وذخائر ودانت له الرقاب وذلت له الصعاب . وكان خيره يعم القريب والبعيد ، وكان اذا نزل لساحته الوفود والضيفان تلقاهم الخدم وأنزلوهم فى اماكن معدة لامثالهم وأحضروا لهم جميع ما يلزم من السكر وعسل الشمع وغير ذلك .

ثم ترتب لهم الأطعمة فى الغداء والعشاء والصباح مدة اقامتهم ولو أقاموا شهورا . وكان الفراشون والخدم يهيئون أمر الفطور من طلوع الفجر فلايفرغون منه الا ضحوة النهار ، ثم يشرعون فى أمر الغداء من الضحوة الكبرى الى قرب العصر ، ثم يشرعون فى العشاء فلا يفرغون منه الا بعد العشاء ، وهكذا .

وكانت الجوارى تنعم بالسكر والغلال والتمر وكذا العبيد . وكان للأرض المنزرعة قصب السكر اثنى عشر ألف ثور ، خلاف المعد للحرث ودرس الغلال والسواقى والطواحين . كما كان يوجد الجواميس والابقار الحلابة وغير ذلك من الماشية . أما شون الغلال وحواصل التمر بأنواعه والسكر فشىء لا يعد ولا يحد .

وكان للشيخ همام دواوين وعدة كتاب من الاقباط لا يبطل شغلهم أبدا . وكانت له صلات وإغداقات وغلال يرسلها للعلماء وأرباب المظاهر وغيرهم بمصر وغيرها كل سنة .

الا ان الأمر لم يدم للشيخ همام ، اذ لم يكد يظهر أمر على بك الكبير واختلافه مع خشراشيه ، محمد أبو الذهب ، فسافر على بك الى الصعيد وانضم الى صالح بك ، ثم بعد ذلك غدر على بك بصالح فقتله . فخرجت عشيرته الى الصعيد وأخبرت شيخ العرب همام بذلك ، فاغتم على فقد صالح بك غما شديدا ، لانه كان صديقه .

وقد دفعت الصداقة . . الشيخ همام الى ان يشير على عشيرة صالح بك ان يذهبوا الى اسيوط ويمتلكوها ، قائلا لهم انها باب الصعيد . فذهبوا اليها وملكوها ، وهرب من كان فيها ، فوصل الخبر الى على بك ، فأرسل تجريده بددت شمل العصاة ، وقتل منهم من قتل وفر من فر .

ثم توجه محمد بك أبو الدهب لقتال همام ، لما ثبت لديهم من خيانته ، وأرسل الى عبد الله بن عم همام يستميله ووعده ببلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام . فاطمأن اليه عبد الله وركن الى وعده وصدق تمويهاته . فتقاعس عن القتال مع ابن عمه وثبط طوائفه ، فعند ذلك تحقق عند الشيخ همام ، أنه مطلوب وأن لابد مغلوب خاصة مع ما وقع من فشل كبار الهوارة وأقاربه ونفاقهم عليه .

عند ذلك لم يسع الشيخ همام الا الارتحال من فرشوط وتركها بما فيها من الخيرات وذهب الى جهة اسنا فمات مكمودا مقهورا سنة ثلاث وثمانين ومائة والف

وبعد موته دخل محمد أبو الذهب فرشوط فملكها ونهبها وأخذ جميع ما كان بدوائر همام وأقاربه وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد.

الوصف المعمارى

فرشوط قرية من محافظة قنا تقع على الضفة الغربية للنيل، وكانت تعرف باسم برشوط ثم قلبت الباء فاء وأصبحت فرشوط. ومن عمائر فرشوط الهامة جامع همام الذى يرجع الى القرن الثامن عشر. ويتكون المسجد من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جوانبه الأربعة، وهو مبنى بالآجر من الداخل والخارج على السواء. ويحيط بسقف المسجد وزره خشبية نقش عليها قصيدة البردة وانتهت بما نصه: (انشاء الشيخ بن الشيخ يوسف الله تعالى هذا المسجد المبارك وعمارته سنة ألف ومابة واثنين وسبعين. وقد تبرك بكتابته عبد الهادى بن اسماعيل ». وتقع مئذنة المسجد فى الركن الشمالى الغربى وهى من الطوب كذلك، وعلى الواجهة الرئيسية للمسجد فى الجهة الغربية كتبت بعض أبيات من الشعر نصها:

لجامع همام بن يوسف رونق به لاذت العباد من كل وجهة
عليه علامات القبول لوائح وقد طاب من ارجائه كل بقعة
فيا داخلا ادع لمنشيء وأرخ بسدان شر المنية

كتبه على تابع شيخ العرب همام سنة ١١٧٢هـ

وكان شيخ العرب الأمير همام قد غادر فرشوط الى اسنا على أثر الخلافات التى دبت بينه وبين على بك الكبير، بعد أن تأكد من هزيمته اذا ما دارت بينهما الحرب. وقد مات كمدا فى اسنا ونقل الى فرشوط ودفن فى المسجد المعروف باسمه.

ولعل من أهم مميزات جامع همام بفرشوط مئذنته المكونة من ثلاثة طوابق يفصل بينها شرافات خشبية، ويتكون الطابق الثالث من شكل جوسق صغيرة به أربع فتحات مقبية. ويعلوا الطابق الثالث عمود قصير يحمل الهلال وهى تشبه الى حد كبير مئذنة مسجد الكاشف بسوهاج ومئذنة مسجد المتولى بجرجا. ومثل هذه المئذنة يوجد نادرا فى الصعيد، ولكنها كثيرة الانتشار فى الوجه البحرى، وهى من مميزات المآذن العثمانية بخلاف النوع المعروف بشكل المسلة أو القلم الرصاص.

مسجد محمد بك أبى الذهب

بميدان الأزهر

(١١٨٨هـ)

ترجم الجبرتى[١] لمحمد بك أبى الذهب فقال :

هو الأمير محمد بيك ابو الذهب تابع على بيك الكبير اشتراه أستاذه فى سنة خمس وسبعين فاقام مع أولاد الخزنة أياما قليلة وكان اذ ذاك اسماعيل بيك خازندرا فلما قلد اسماعيل بيك الامارة قلد الخازندارية مكانه وطلع مع مخدومه إلى الحج ورجع أوائل سنة ثمان وسبعين وتأمر فى تلك السنة وتقلد الصنجقية وعرف بأبى الذهب بسبب أنه لما تلبس بالخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهبا وفى حال ركوبه ومروره جعل ينثر الذهب على الفقراء الجعيدية حتى دخل منزله فعرف بذلك فانه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الامارة واشتهر عنه هذا اللقب وسمع شهرته بذلك فكان لايضع فى جيبه الا الذهب ولا يعطى الا الذهب ويقول أنا أبو الذهب فلا أمسك إلا الذهب وعظم شأنه فى زمن قليل ونوه مخدومه بذكره وعينه فى المهمات الكبيرة وكان سعيد الحركات مؤيد العزمات لم يعهد عليه الخذلان قط واستكثر من شراء المماليك والعبيد حتى اجتمع عنده فى الزمن القليل مالا يتفق لغيره فى الزمن الكثير وتقلدوا المناصب والامريات فلما تمهدت البلاد بسعده المقرون ببأس أستاذه ثم خالفوا عليه ضم المتشردين وغمرهم بالاحسان واستمال بواقى أركان الدولة واستلانوا جانبه فجنحوا إليه وأحبوه وأعانوه وتعصبوا له وقاتلوا بين يديه حتى أزاجوا على بيك وخرج هاربا من مصر الى الشام واستقر محمدابو الذهب بمصر وساس الامور وقلد المناصب وجبى الأموال والغلال وأرسلها الى الدولة واظهر الطاعة وقلد مملوكه ابراهيم بيك إمارة الحج وصرف العلائف وعوائد العربان وأرسل الغلال والصرر للحرمين وتحرك على بيك

(١) الجبرتى جـ ١ صفحة ٤١٧

للرجوع إلى مصر وجيش الجيوش فلم يهتم محمد أبو الذهب لذلك وكاد له كيدا بأن جمع القرانصة والذى يظن فيهم النفاق وأمر إليهم أن يراسلوا على بيك ويستعجلوه فى الحضور وينمقوا مساوىء محمد أبي الذهب ويعدوه بنصرته متى حضر ففعلوا ذلك فراج واعتقد صحته وأرسل إليهم بالجوابات وأعادوا الرسالة لذلك باطلاع مخدومهم وإشارته فقوى عزم على بيك على الحضور وأقبل بجنوده إلى الديار المصرية فخرج إليه ولاقاه بالصالحية وأحضره أسيرا حتى مات بعد أيام قليلة وانقضى أمره وارتاح أبو الذهب من قبله وجمع باقى الامراء المطرودين وأكرمهم واستوزرهم وقلدهم المناصب ورد اليهم بلادهم وعوائدهم واستعبدهم بالاحسان والعطايا فثبتت دولته وارتاحت النواحى من الشرور والتجاريد وهابته العربان وأمنت السبيل وسلكت الطرق ووصلت المجلوبات من الجهات للتجارات ، ويكمل كتاب[1] حقائق الاخبار قصة محمد أبى الذهب فيقول : وحضر والى مصر خليل باشا وطلع الى القلعة وحضرت للمترجم المرسومات والخطابات من الدولة وسيف وخلعة فلبس ذلك فى الديوان ونزل فى ابهة عظيمة وانفرد بامارة مصر وأهمل أمر أتباع أستاذه على بيك فأقام أكثرهم بمصر بطالا وحضر الى مصر مصطفى باشا النابلسى من أولاد العضم والتجأ اليه فاكرم نزله ورتب له الرواتب وكاتب الدولة وطلب له ولاية مصر فأجيب الى ذلك ووصلت اليه التقاليد والتقادم فى ربيع الثانى سنة ثمان وثمانين ووجه خليل باشا الى ولاية جدة وسافر من القلزم وبالجملة فإن أبا الذهب كان آخر من أدركنا من المصريين شهامة وصرامة وسعدا وحزما وحكما وسماحة وحلما وكان قريبا للخير يحب العلماء والصلحاء ويميل بطبعه اليهم ويعظمهم وينصت لكلامهم ويعطيهم العطايا الجزيلة ويكره المخالفين للدين ولم يشتهر عنه شيء من الموبقات والمحرمات ولا ما يشينه فى دينه أو يخل بمروءته ، بهى الطلعة جميل الصورة أبيض اللون معتدل القامة والبدن مسترسل اللحية مهيب الشكل وقورا محتشما قليل الكلام والالتفات ليس بمهزار ولاخوار ولا عجول مبجلا فى ركوبه وجلوسه يباشر الاحكام بنفسه ولولا ما فعله آخرا من قتل أهل يافا باشارة وزرائه لكانت حسناته أكثر من سيئاته وذلك أنه توجه الى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر واستخلاص ما بيده من البلاد فبرز خيامه الى العدلية وفرق الاموال والتراحيل على الامراء والعساكر والمماليك واستعد لذلك استعدادا عظيما فى البر والبحر وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر وسافر

---

(١) حقائق الاخبار جـ ٢ صفحة ٢٠٦

بجموعه وجيوشه فى أوائل المحرم من سنة تسع وثمانين وأخذ صحبته مراد بيك وابراهيم بيك طنان وإسماعيل بيك تابع إسماعيل بيك الكبير وترك بمصر ابراهيم بيك وباقى الامراء والباشا الذى بالقلعة وهو مصطفى باشا النابلسى وارباب العكاكيز والخدم والوجاقية ولما وصل الى جهة غزة ارتجت البلاد ولم يقف أحد فى وجهه وتحصن أهل يافا وكذلك الظاهر عمر بعكا فلما وصل إلى يافا حاصرها وضايق أهلها فامتنعوا عليه وحاربوه من داخل . وحاربهم من خارج ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال فكانوا يصعدون الى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا ولم يزالوا بالحرب عليهم حتى نقبوا أسوارها وهجموا عليها من كل ناحية وملكوها عنوة ونهبوها وقبضوا على أهلها وربطوهم فى الحبال وسبوا النساء والصبيان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ودوروا فيهم السيف فقتلوهم عن آخرهم ولم يميزوا بين الشريف والنصرانى والعالم والجاهل ولا بين الظالم والمظلوم وبنوا من رؤوس القتلى عدة صوامع وجعلوا وجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع ثم ارتحل عنها طالبا عكا فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا اشتد خوفه وخرج من عكا هاربا وتركها وحصونها فوصل اليها ابو الذهب ودخلها من غير مانع وأذعنت له باقى البلاد ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته وداخله من السرور والفرح مالا مزيد عليه وأرسل البشائر إلى مصر وأمر بزينتها ويحدثنا على مبارك[1] عن مظاهر الفرح والزينات التى أقيمت فى القاهرة فيقول : فنودى بذلك وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة وعمل بها وقدات وشنكات وأفراح ثلاثة ايام بلياليها وذلك فى أوائل شهر ربيع الثانى وعند انقضاء ذلك ورد الخبر بموته واستمر يفشو ويزيد حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك وشاع بين الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » وذلك انه لما تم له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية واذعن الجميع لطاعته أرسل اسماعيل أغا أخا على بيك الغزاوى الى اسلامبول بطلب أمر مصر والشام وأرسل صحبته أموالا وهدايا فأجيب الى ذلك وأعطوه التقاليد والخلع واليرق والداقم فأرسل له يبشره بتمام الأمر فوافاه ذلك يوم دخول عكا فامتلأ فرحا وحم بدنه فى الحال فأقام محموما ثلاثة أيام ومات ليلة الأربعاء ثامن ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائة وألف وأخفوا موته على بعضهم ثم ظهر ذلك وارتبك العرضى وجردوا على بعضهم السلاح بسبب الأموال فحضر مراد بك وكفهم عن بعضهم وجمع كبراءهم وتشاوروا

---

(١) الخطط التوفيقية جـ٥ صفحة ١٠٦

فى أمرهم فاتفق رأيهم على الرحيل وأخذ رمة سيدهم صحبتهم فعند ذلك غسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات ووضعوه فى عربة وارتحلوا طالبين الديار المصرية فوصلوا فى ستة عشر يوما ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع الثانى أواخر النهار.

وأرادوا دفنه بالقرافة فحضر الشيخ على الصعيدى واشار بدفنه فى مدرسته تجاه الجامع الازهر فحفروا له قبرا فى الليوان الصغير الشرقى وبنوه ليلا ولما أصبح النهار عملوا له مشهدا وخرجوا بجنازته من بيته الذى بقوصون ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الاحزاب والاوراد وأولاد المكاتب وأمام نعشه مجامر العنبر والعود حتى وصلوا به الى مدفنه وعملوا عنده عدة ختمات وقراءات وصدقات نحو الاربعين يوما، فسبحان مالك الممالك الحى الذى لا يموت.

أما عن تاريخ المسجد فقد أعطانا على مبارك تاريخا وافيا ومفصلا عنه راينا ان ننقله كاملا[1]: يقع هذا الجامع بجوار الازهر ليس بينهما فاصل الا الطريق وقليل من الحوانيت وهو جامع معلق إذ يصعد اليه بمجموعة كبيرة من الدرجات ويحتوى الجامع على ثلاثة أبواب كتب على وجه الباب الذى فى حائط القبلة هذان البيتان:

أنشأت يا مولى الاكابر مسجدا ولواء نصرك فى البرية يسعد
ولك العناية بالسعادة أرخت حاز الفضائل والكمال محمد

وعلى الباب الثانى وهو الذى تجاه الطريق الموصل الى المشهد الحسينى.

أميراللواء الاكرمين محمد بمسجده حاز الفضائل والذهب
عليه ضياء للقبول مؤرخ بسعد لقد دام العزيز أبو الذهب

والثالث عنده الميضأة فى طريق النافذ الى الكعكيين وفى داخل الباب الاول طرقة مستطيلة مفروشة بالحجر توصل الى مقصورة الجامع والى التكية والميضأة ولمقصورة الجامع ثلاثة ابواب على احدها هذان البيتان:

أمير اللواء أنشأت لله مسجدا عليه بهاء العز جل الذى وهب
لك الفوز فيه بالثواب مؤرخ لقد حازالطاف القبول أبو الذهب

وعلى الثانى

فريد الآن مسجده تحلى بماسر النواظر والمسامع

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ صفحة ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥

لواء النصر شيده فأرخ مكان محمد للخير جامع

وعلى الثالث كتابة لم يظهر منها الا بيت واحد

فيه لواء النصر لاح مؤرخا لمحمد خير المساجد يشمل

وبها ثمانية شبابيك من النحاس ومنبره مشغول بالصدف وخارج المقصورة من الجهة اليسرى فى نهاية الرحبة مدفن الامير محمد بيك أبى الذهب عليه مقصورة من النحاس الاصفر وعلى القبر تركيبة من الرخام عليها نقوش فيها آيات قرآنية وعلى أحد الشاهدين هذه الابيات :

هذا مقام عزيز مصر أميرها عين الأكابر ذى العلا والسؤدد

أعنى أبا الذهب الذى فى عصره كانت له الأقطار فى طوع اليد

تجرى على طول المدى صدقاته بدروس علم أو عمارة مسجد

فسحائب الرحمات يصحبها الرضا تهمى عليه فى المساء وفى الغد

والحور فى المأوى قد أرخت دار الكرامة مسكن لمحمد

وعلى الشاهد الآخر :

ياواقفين بقبرنا لاتعجبوا من أمرنا

بالامس كنا مثلكم وغدا تكونوا مثلنا

وبجواره قبر ابنته عديلة هانم زوجة ابراهيم الالفى بيك وبجوار ذلك خزانة الكتب ثم ان هذا الجامع كان أصل انشائه برسم مدرسة وهو الى الان يدرس فيه كثيرا ، فنى تاريخ[1] الجبرتى من حوادث سنة تسع وثمانين ومائة وألف ان الامير محمد بيك أبا الذهب شرع فى آخر سنة سبع وثمانين ومائة وألف فى بناء مدرسته التى تجاه الجامع الازهر وكان محلها رباعا متخربة فاشتراها من أربابها وهدمها وأمر ببنائها على هذه الصفة وهى على مثال جامع[2] السنانية الكائن بشاطىء النيل ببولاق .

فرتب لنقل الاتربة وحمل الجير والرماد والطين عدة كبيرة من قطارات البغال وكذلك الجمال لشيل الاحجار العظيمة كل حجر واحد على جمل وطحنوا لها الجبس الحلوانى المصيص ورموا أساسها أوائل شهر الحجة ختام السنة المذكورة ولما تم عقد قبتها العظيمة

(١) الجبرتى جـ ١ صفحة ٤١٩

(٢) المقصود بجامع السنانية هو جامع سنان باشا

وما حولها المعقودة على اللواوين وبيضوها نقشوا داخلها بالالوان والاصباغ وعملوا لها شبابيك عظيمة كلها من النحاس الاصفر المصنوع .

وعمل بظاهرها فسحة مفروشة من الرخام المرمر وبوسطها حنفية وبدائرها مساكن للصوفية الاتراك وبداخلها عدة كراسى راحة وكذلك بدورها العلوى وبأسفل ذلك ميضأة عظيمة تمتلىء بالماء من نوفرة بوسطها تصب فى صحن كبير من الرخام المصنوع نقلوه اليها من بعض الاماكن القديمة ويفيض منه فيملأ الميضأة وحول الميضأة عدة كراسى راحة .

وأنشأ لذلك ساقية فلما حفروها خرج ماؤها حلوا فعد ذلك أيضا من سعده مع ان جميع الابار والسواقى التى بتلك الخطة ماؤها فى غاية الملوحة وأنشأ أسفل ذلك صهريجا عظيما يملأ منه الماء ويمتلىء فى كل سنة من ماء النيل وأنشأ حوضا عظيما لسقى الدواب وعمل بأعلى الميضأة ثلاثة أماكن برسم جلوس المشايخ الثلاثة المفتين يجلسون بها حصة من النهار لافادة الناس بعد املاء الدروس .

ويبين لنا على مبارك فى شىء من التفصيل أنواع الوظائف التى يقوم أصحابها بالدرس والخطبة والإمامة وغيرها من الخدمات التى يحتاجها الجامع فيقول :(1) وقرر فيها الشيخ أحمد الدردير مفتى المالكية والشيخ عبد الرحمن العريشى مفتى الحنفية والشيخ حسن الكفراوى مفتى الشافعية ولما تم البناء فرشت جميعها بالحصر ومن فوقها البسط الرومى من داخل وخارج حتى فرجات الشبابيك ومساكن الطباق ولما أستقر جلوس المفتين المذكورين بالاماكن الثلاثة التى اعدت لهم أضرت بهم الرائحة الصاعدة اليهم من المراحيض التى من أسفل فأعلموا الأمير بذلك فأمر بإبطالها وبنوا خلافها بعيدا عنها .

وتقرر فى خطابتها الشيخ أحمد الراشدى وترتب بها غالب المدرسين بالازهر مثل الشيخ على الصعيدى والشيخ أحمد الدردير والشيخ محمد الامير والشيخ عبد الرحمن العريشى والشيخ حسن الكفراوى والشيخ أحمد يونس والشيخ أحمد السمنودى والشيخ على الشنويهى والشيخ عبد الله اللبان والشيخ محمد الحفناوى والشيخ محمد الطحلاوى والشيخ الجداوى والشيخ أبى الحسن القلعى والشيخ البيلى والشيخ محمد الحريرى والشيخ منصور المنصورى والشيخ أحمد جاد الله والشيخ محمد المصيلحى وقرر درسا ليحيى أفندى شيخ الأتراك .

---

(1) الخطط التوفيقية جـ ٥ صفحة ١٠٧

وتقرر السيد عباس إماما راتبا وفى وظيفة الشيخ محمد الصبان وجعل بها خزانة كتب عظيمة وجعل خازندارها محمد افندى حافظ وينوب عنه الشيخ محمد الشافعى الجناجى.

ورتب للمدرسين الكبار فى كل يوم مائة وخمسين نصفا فضة ورتب لمن دونهم خمسين نصفا ومن الطلبة من رتب له عشرة أنصاف فى كل يوم ومنهم من له أكثر أو أقل وبقدر عدد الدراهم أرادب من البر فى كل سنة ولما انتهى امرها فى شهر شعبان سنة ثمان وثمانين حضر الأمير المذكور واجتمع المشايخ والطلبة وأرباب الوظائف وصلوا بها الجمعة وبعد انقضاء الصلاة جلس الشيخ على الصعيدى على الكرسى وأملى حديث «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة» فلما انقضى ذلك أحضرت الخلع والفراوى فألبس الشيخ عليا الصعيدى والشيخ الراشدى الخطيب والمفتين الثلاثة فراوى سمور وباقى المدرسين فراوى نافا بيضا.

وأنعم على الخدمة والمؤذنين وفرق عليهم الذهب والبقاشيش وتنافس الفقهاء والاشياخ والطلبة وتحاسدوا و تفاتنوا ووقف على ذلك أمانة قويسنا وغيرها.

ولم يصرف ذلك الا سنة واحدة فانه لما مات تأمر أتباعه وتقاسموا البلاد ومن جملتها أمانة قويسنا فبرد أمر المدرسة وعوضوا عن ذلك الوكالة التى أنشأها على بيك ببولاق لمصرف أجر الخدمة وعليق الاثوار بعد ما أضعفوا المعاليم ونقصوها ووزعوا عليهم ذلك الايراد القليل ولم يزل الحال يتناقص ويضعف حتى بطل التوقيت والاذان بل والصلاة فى اكثر الاوقات وخلق فرشها وبسطها وعتقت وبليت وسرق بعضها وأغلق أحد أبوابها المواجه للطريق الموصل للمشهد الحسينى بل أغلقت جميعها شهورا مع كون الامراء أصحاب المال والعقد وأتباع الواقف ومماليكه.

أما عن الاوقاف والحبوس التى وقفها محمد ابو الذهب على الجامع والمبانى الملحقة به فقد حفظها لنا كتاب[1] وقفيته المؤرخ سنة ثمان وثمانين ومائة والف من شهر شوال فقد أوقف المسجد والتكية والصهريج والحوض بخط الازهر ووقف فى اسفل المسجد ثلاثة وثلاثين حانوتا وتسع خزائن فوقها تسعة مقاعد وفى خان الزركشية سبعة عشر حاصلا وعشرة طباق وفى ربع ذلك الخان ثلاثة بيوت وبجوار باب الخان حانوتا وحانوتا بجوار وكالة

(١) حجة الوقفية

قايتباى كما أوقف عمارة ببولاق على شط البحر بظاهر وكالة الخرنوب تعرف بعمارة على بك أمير اللواء تشتمل على قيسارية بداخلها من الصفين حوانيت وخزائن وبخارجها حوانيت وقهاو ووكالة فيها ثلاثة وعشرون حاصلا وفوقها ثمانيةوعشرون مسكنا .

ووقف كثيرة صالحة للزرع فى نواح متعددة منها بولاية الغربية ناحية قويسنا وشرانيس وكفر الاقرع ودملو وكفر السعديين وعرب الرمل ومنية الحوفيين وجزيرة منية الحوفيين وناحية بجيرم وناحية الرمال .

ومنها بولاية جرجا ناحية بلسفورة وبندار الكرمانية وجزيرة بندار وناحية الصلعا وجزيرة جوبلى والبقلى والرمال بناحية بندار الكرمانية .

أما عن رواتب مدرسى الجامع وباقى الموظفين به فقد ذكرها الجبرتى فقال :[1] ووظف وظائف بمرتبات جسيمة فجعل بالمدرسة ستة عشر مدرسا منهم ثلاثة من شيوخ الحنفية لأولهم فى اليوم مائة وخمسون نصفا وفى السنة مائة وخمسون اردبا ولمقرئه فى اليوم أربعة عشر نصفا وفى السنة عشرة أرادب ولعشرة من الطلبة يحضرون درسه فى اليوم سبعون نصفا وفى السنة مائة اردب .

ولثانى الشيوخ فى اليوم سبعون نصفا وفى السنة ثلاثون اردبا ولمقرئه فى اليوم عشرة أنصاف وفى السنة عشرة ارادب ولعشرين طالبا يحضرون درسه فى اليوم مائة واربعون نصفا وفى السنة مائتا اردب .

ولثالثهم فى اليوم خمسون نصفا وفى السنة ثلاثون اردبا ولمقرئه فى اليوم اربعة عشر نصفا وفى السنة عشرة ارادب ولسبعة من الطلبة يحضرون درسه فى اليوم تسعة واربعون نصفا ومنهم ستة من شيوخ المالكية لأولهم مقرئان واثنان وعشرون طالبا ومرتباتهم كمرتبات أول الحنفية وطلبته .

ولثانيهم مقرئان أيضا وثمانية وعشرون طالبا ومرتبه كالاول ولطلبته فى اليوم مائة وستة وعشرون نصفا وفى السنة مائة وثمانون اردبا .

ولثالثهم خمسون نصفا وثلاثون اردبا وله مقرىء وسبعة من الطلبة مرتبهم بحسب ما قبله وكذلك الرابع ولخامسهم عشرون نصفا وثلاثون اردبا ومقرئه كما قبله وله أربعة من الطلبة مرتبهم كما سبق والسادس كالخامس الا ان طلبته خمسة ومنهم سبعة من شيوخ الشافعية لأولهم مقرىء وعشرة من الطلبة مرتباتهم كمرتبات أول المالكية مع طلبته ولكل

(١) الجبرتى جـ ١ صفحة ٤٢٩

من ثانيهم وثالثهم ورابعهم وخامسهم خمسون نصفا يوميا وخمسون اردبا شهريا ومقرىء كل وطلبته كما قبله .

وللسادس فى اليوم ثلاثون نصفا وفى السنة ثلاثون أردبا وله مقرىء وسبعة من الطلبة مرتبهم كما سبق وللسابع عشرون نصفا وثلاثون أردبا ولمقرئه وسبعة من طلبته مثل ما مر ويفتى ويدرس كل منهم فى مذهبه وفيما يشاء من تفسير وحديث وغيره .

ولشيخ التكية فى اليوم خمسون نصفا وفى السنة خمسون اردبا ولكل واحد من ثلاثة وخمسين طالبا من الاتراك المقيمين بالتكية فى اليوم عشرة أنصاف وفى السنة عشرة أرادب ولكل من قارىء فضائل رمضان وفضائل ليلة نصف شعبان وفضائل ليلة القدر وفضائل المولد النبوى وقصة المعراج فى اليوم ثلاثة انصاف وفى السنة عشرة ارادب ولاثنين يقرآن بالقراءات السبع فى اليوم عشرون نصفا وفى السنة عشرون اردبا ولخمسة عشر يقرءون فى المسجد خمسة عشر جزءا فى اليوم خمسة وسبعون نصفا وفى السنة مثلها أرادب ومثلهم خمسة عشر يقرءون الربعة كل يوم .

ولعشرة من الصالحين يقرؤون سورة الإخلاص فى اليوم ألفى مرة لكل واحد خمسة عشر نصفا فى اليوم وخمسة أرادب فى السنة وللإمام خمسون نصفا وخمسون أردبا وللخطيب كذلك وللمرقى فى اليوم نصف واحد وفى السنة خمسة أرادب ولقارىء سورة الكهف يوم الجمعة كل يوم خمسة أنصاف وفى السنة خمسة أرادب وللمبخر كل يوم ثمانية أنصاف وثلث نصف ولخمسة مؤذنين فى اليوم خمسون نصفا وفى السنة خمسون أردبا وللميقاتى خمسة عشر نصفا وثلاثون أردبا ولخازن الكتب ستون نصفا وستون أردبا ولثلاثة بوابين فى اليوم أربعة وعشرون نصفا ولثلاثة كناسين فى اليوم ثلاثون نصفا ولاثنين يخدمان المطهرة فى اليوم أربعة عشر نصفا وفى السنة عشرة أرادب .

ولأربعة وقادين فى اليوم اربعون نصفا وفى السنة أربعون اردبا ولبواب الميضأة فى اليوم عشرة انصاف ولثلاثة من ملاتيه فى اليوم خمسة عشر نصفا ومثلها فى السنة اردبا ولخادم المزيرة بالتكية فى اليوم عشرة انصاف ولاثنين سقاءين فى اليوم عشرون نصفا ولخادم حوض الدواب فى اليوم عشرة انصاف ولثلاثة سواقين بالساقية فى اليوم اثنا عشر نصفا وفى السنة عشرة أرادب ولنجار الساقية فى اليوم نصف نصف وفى السنة أربعة أرادب .

ويصرف فى مهمات المسجد والتكية والساقية والصهريج كل سنة مائة ألف وأربعة وستون الفا وخمسمائة نصف وبرسم عليق أثوار الساقية الاربعة فى السنة ثلاثون اردبا من

الفول ولشراء اثنين وأربعين قنطارا من الزيت الطيب للاستصباح فى المسجد والتكية والمنارة والمطهرة فى السنة اثنان وأربعون ألف نصف فضة وفى ثمن شمع سكندرانى لمحراب المسجد فى رمضان أربعة آلاف نصف وفى ثمن حصر فى السنة أحد عشر ألف نصف وفى ثمن زجاج وسلاسل وحبال وتوابيت ستة آلاف نصف وفى ثمن مكانس وزحاحيف ومزاريق ألف وخمسمائة نصف وفى ثمن ماء عذب للصهريج فى السنة ثلاثون ألف نصف.

وفى أجرة نزح الصهريج وبخوره وثمن سلاب ولاء وقلل فى السنة ثمانمائة نصف وفى ثمن قرب شعارى ودلاء للرش ونحوه فى السنة ألف وخمسمائة نصف وفى ثمن طواس وقواديس وحلفاء وكلالات ودهن للساقية ألفان وثمانمائة نصف.

وفى أجرة جرش الفول عليق الأثوار ستمائة نصف وفى ثمن تبن تسعة آلاف وستمائة نصف ولربيع الأثوار سبعة آلاف ومائتا نصف وفى أجرة كسح المسجد خمسة آلاف نصف وفى أجرة مراكب لنقل غلال الوقف ومصاريفها ببولاق أربعة وثلاثون ألف نصف وفى ثمن عجول جاموس تذبح فى عيد الأضحى وتفرق على الفقراء والمساكين سبعة آلاف وخمسمائة نصف.

ولناظر الوقف فى السنة مائة وخمسة وعشرون ألف نصف فضة وخمسمائة أرادب قمحا وللمباشر سبعة آلاف ومائتا نصف فى السنة وخمسون أردبا وللجابى ثلاثة آلاف نصف وعشرة أرادب ولشاد الوقف كذلك وما فضل من الريع بعد ذلك فهو للواقف وأولاده ومن بعده لعتقائه وأولادهم فإذا انقرضوا كان الثلثان لعميان الأزهر والثلث لناظر الوقف فإن تعذر ذلك فللفقراء والمساكين.

وقد أذن للموظفين بسفر الحج إلى بيت الله الحرام وبغياب ثلاثين يوما لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وصلة الرحم وقد جعل فى خزانة كتبه نحو ستمائة وخمسين كتابا منها جملة وافرة من كتب التفسير ككتاب الفخر الرازى والكشاف والدر المنثور والبحر والبيضاوى والجلالين وحواشيه وأبى السعود وغير ذلك وجملة من كتب الحديث كالسنن الستة وشروحها والشفاء والجمع بين الصحيحين والمواهب اللدنية وغير ذلك وجملة من كتب القراءات وجملة من كتب التصوف وفقه المذاهب الأربعة وكتب النحو والمعانى والبيان والصرف واللغةوالمنطق والتوحيد والفرائض والتواريخ وغير ذلك وشرط فى وقفيته انه اذا ضاع شيء من كتب الوقف يلزم خازن الكتب تعويضه.

وأما اموال الديوان التى على الاطيان فتصرف من الفائض.

الوصف المعماري

لقد انشئ هذا الجامع ليكون مدرسة تساعد الأزهر على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب الوافدين عليه من جميع انحاء العالم الاسلامي، خاصة بعد سقوط بغداد في يد المغول ٦٥٦هـ ثم سقوط الاندلس في ٨٩٧هـ، وأفول نجم جامعة الزيتونة والقرويين في المغرب على يد المستعمرين من الاسبان والفرنسيين.

وكان الشروع في انشائه (١١٨٧هـ / ١٧٧٣م) والفراغ منه (١١٨٨هـ / ١٧٧٤م)، وقد الحق به مكتبة، وصفها الجبرتي[1] فقال: وألحق بالجامع مكتبة تضم نحو (٦٥٠) كتابا في شتى العلوم والفنون. وقد بلغ من اهتمامه بها أن زودها بمؤلفات قيمة اشتراها من السيد مرتضى الزبيدي، فقد حرص على شراء قاموسه بمبلغ مائة ألف درهم فضة. كما كانت تحوي المكتبة الكثير من كتب علم التاريخ وغيرها من الكتب النادرة بلغ عددها في القرن الثالث عشر (١٢٩٢) مجلدا.

كما التحق بالجامع تكية لمتصوفي الأتراك، وسبيلا وحوضا لشرب الدواب، التي تقع في الجهة الجنوبية من المسجد

والمسجد معلق اذ يوجد أسفله من الجهة الشرقية والشمالية مجموعة من الحوانيت. وكان يصعد اليه من بابه الشمالي بسلم مزدوج من الرخام الملون، وأمام بابه الشرقي سلم مستدير. وكلا البابين يؤديان الى دهليز مكشوف يحيط بالمسجد من جميع الجهات عدا جهة القبلة. وهذا الدهليز هو الجزء الوحيد الذي يحيط بمكان الصلاة، اذ ليس له حرم (أي صحن).

ويتكون المسجد من مستطيل يبلغ طوله من الشمال الى الجنوب (٣٣) مترا، وعرضه من الشرق الى الغرب (٢٤) مترا ويبلغ عرض الدهليز الذي يحيط بالمسجد من جهاته (٣) أمتار، ثم يتأتى بعد ذلك رواق يحيط بمكان الصلاة من جهاته الثلاث يبلغ عرضه (٦) أمتار.

وقد قسمت الأروقة التي تحيط بمكان الصلاة الى مربعات صغيرة يبلغ عددها في الضلع الصغير أربعة وخمسة في الضلع الطويل. وتقوم فوق هذه المربعات قباب ضحلة

(١) الجبرتي جـ٥ ص ١٩٩

تعتمد على مثلثات كروية فى اركان المربع . وقد كانت القباب مزخرفة من الداخل برسوم زيتية قوامها رسوم نباتية زال معظمها للأسف الآن . ويوجد بكل رواق من هذه الأروقة مدخل اليها يوجد فى القبة الثانية فى الضلعين الشمالى والجنوبى ، وفى القبة الوسطى فى الضلع الغربى . ومداخل هذه الأروقة يقابلها مداخل الى مكان الصلاة .

ويتوسط المسجد مكان الصلاة ، وهو عبارة عن مربع يبلغ طول ضلعه (١٥) مترا . وتقوم فوق المربع قبة كبيرة ترتكز على منطقة انتقال مكونة من انصاف قباب صغيرة محمولة على عقود ومقرنصات متكئة على اكتاف وأعمدة من الرخام . وقد حولت زوايا منطقة الانتقال المربع الى شكل ثمانى قامت عليه رقبة القبة الضخمة

وزخرفت زوايا المربع بالكثير من الزخارف فقد توسط عقد المقرنصات وانصاف القباب لفظ الجلالة بالحجر الأصفر بين حجر رمادى . ويعلو زوايا المربع افريز خشبى يحتوى كتابات قرآنية مذهبة على أرضية زرقاء داكنة من سورة الفتح وكذا اسم المنشىء جاء فيها « حررت برسم أمير اللواء السلطانى محمد بك أبو الذهب » ويعلو الافريز دوائر مفرغة برسوم نباتية وهندسية جميله التكوين تتخلل نافذتين معقودتين يعلوها مقرنص كبير . ويأتى فوق ذلك نوافذ قنديلية . وقد كانت القبة من الداخل حافلة بالنقوش الملونة والمذهبة وبكثير من الكتابات القرآنية .

ويتوسط أضلاع مربع القبة ابواب مقابلة لابواب الأروقة الثلاثة التى تحيط بمكان الصلاة . وقد كسى ما حول أبواب القبة بالرخام الأسود والابيض كما غطيت بمقرنصات مذهبة نقشت تواشيحها وطعمت بالعاج . وقد كتب على الباب الشمالى منها ما نصه :-

أمير اللوا أنشأت لله مسجدا عليه بهاء العز جل الذى وهب
لك الفوز فيه بالثواب مؤرخ لقد حاز ألطاف القبول أبو الذهب

وكتب على الباب الغربى

فريد الآن مسجده تحلّ بما سر النواظر والمسامع
لواء النصر شيده فأرخ مكان محمد للخير جامع

ويزين رقبة القبة من الخارج صفان من الفتحات ، الصف الأسفل يتكون من فتحتين معقودتين فى كل ضلع من أضلاع المثمن يكتنفها دعائم تغطيها طاقية مدببة . أما الصف العلوى فيتكون من ست عشرة نافذه قنديلية يتخللها ست عشرة دعامة ، ثم تقوم بعد ذلك قبة مدببة .

أما داخل القبه فيتصدر جهة القبلة محراب مجوف زخرف تجويفه وكذا طاقيته وتواشيحه بالفسيفساء الرخامية وكذا الصدف يشبه الى حد كبير محاريب العصر المملوكى وخاصةً قبة قلاوون. وقد كتب على توشيحتيه النص التالى : ـ ما شاء الله لاقوة الا بالله العلى العظيم.

ويوجد بجوار المحراب منبر خشبى، صنعت ريشتيه بطريقة الحشوات المجمعة على شكل الأطباق النجمية. وقد زخرفت الأطباق النجميه بالعاج والصدف (والزرنشان). أما الافريز (الدربزين) الذى يعلو ريشتى المنبر، فقد صنع بطريقة الخرط البديعة التكوين.

وفى الضلع الغربى لمكان الصلاة المقابل للقبلة، وفوق باب القبة الذى يتوسط ذلك الضلع دكة المبلغ، وهى من الخشب المصنوع بطريقة الخرط. ويتوصل الى دكة المبلغ من سلم مسحور فى الجدار الغربى بابه فى النافذة الشمالية من الضلع الغربى، كما يوصل هذا السلم الى سطح القبة.

ويضىء مكان الصلاة نافذتان فى كل ضلع من أضلاع المربع، اذ يكتنف كل باب من ابواب المربع الثلاثة وكذا المحراب اثنان منها. وهى مستطيلة الشكل ملئت بمصبعات حديدية. وكانت الأرضيات مفروشة بالرخام الملون فى تكوينات هندسية جميلة، زال معظمها الآن ولم يبق منها الا اجزاء يسيره فى الطرقات أمام الابواب وكذا فى جلسة النوافذ وبهذا نرى ان مسجد (محمد ابو الذهب) يكاد يكون نسخة مطابقا لمسجد سنان باشا الذى سبقه بقرنين من الزمان تقريبا.

وكان يشغل الركن الشمالى الشرقى من المسجد، وبالتحديد تحت القبه الأولى فى الضلع الشمالى منه مكتبة المسجد التى كانت تزخر بالكتب النادرة كما اسلفنا القول. وكانت وما تزال محاطة بسياج كبير من النحاس المفرغ بأشكال زخرفية بديعة التكوين. وهى تحتوى فى داخلها على أرفف خشبية لوضع الكتب، المزخرفه بنقوش مذهبة ومتعددة الألوان.

فلما توفى محمد أبو الذهب ولم يكن له بالمسجد مقبرة فقد اقتطع من المكتبة جزء وأعد لدفنه. وقد أحيط الجزء المخصص للدفن بمقصورة يحيطها سياج من النحاس المخرم بأشكال جميله تغاير سياج المكتبة كما كسيت جدران المقبرة ببلاطات من القاشانى المغربى وكذا التركى وهى مجموعة نادرة. وقد كتب على الافريز الخشبى الذى يعلو مكان

الدفن وكذا على العقد الذى يعلو ، آية الكرسى . كما كتب على قبره ما يلى :

هذا مقام عزيز مصر أميرها عين الأكابر ذى العلا والسؤدد
أغنى أبا الذهب الذى فى عصره كانت له الاقطار فى طوع اليد
تجرى على طول المدى صدقاته بدروس علم أو عمارة مسجد
فسحائب الرحمات يصحبها الرضا تهمى عليه فى المساء وفى الغد
والحور فى المأوى له قد أرخت دار الكرامة مسكن لمحمد

وقد حوت المقبرة الى جانب محمد ابو الذهب اخته زليخه[1] زوجة ابراهيم بك الكبير وقد كتب على قبرها[2] ما يلى : « هذا قبر الست المصنونة ستى زليخة زوجة أمير اللواء ابراهيم بك شيخ البلد حالا توفيت الى رحمة الله يوم ٢٨ محرم ١٢١٦هـ »

ويؤدى الباب الشرقى للمسجد الى طرقة تمتد بطوله وتنتهى بالمئذنة التى تعتبر فريدة فى نوعها بالنسبة للعمائر العثمانية ، وان كان قد سبقتها من حيث الطراز المعمارى مئذنة مدرسة الغورى . وهى تتكون من ثلاثة طوابق مربعة الشكل يفصل بينها شرفتان تقوم كل منهما على ثلاث حطات من المقرنصات والدلايات فى تكوينات بديعة . ويعلو الطابق الثالث خمسة رؤوس على شكل (زلع) ، تعتقد العامة أنها مليئة بالذهب ويحرسها أفعى كبير .

---

(١) الجبرتى جـ ٥ ص ٢١٠ .

(٢) شاهد القبر محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

جامع السادات الوفائية

بسفح جبل المقطم
(١١٩١هـ/١٧٧٧م)

كان الشيخ محمد النجم جد الاسرة الوفائية مغربى الاصل ولد بمدينة صفاقص بلد بتونس تقع الى الشرق من المهدية بها بساتين كثيرة وماؤها من الآبار ، ونزح الى ثغر الاسكندرية فى شبابه وكان كما يقول عنه السخاوى[1] من اصحاب الاحوال الباهرة والكرامات الظاهرة اجتمع بالقطب سيدى ابراهيم الدسوقى واخذ كل منهما عن صاحبه . وقد طابت للشيخ محمد نجم الاقامة بالاسكندرية ورزق فيها بابنه سيدى محمد الاوسط والد السيد محمد وفا وكان محمد الاوسط ، كما جاء فى جمهرة الاولياء[2] ، مشهورا بالولاية عرف بعلمه ، وفضله ، توفى شابا عن ولده محمد وفا ودفن بزاويته المعروفة بالزاوية النجمية نسبة لولده المدفون بها أيضا بالاسكندرية .

ولد محمد وفا بمدينة الاسكندرية سنة سبعمائة واثنتين هجرية ، ونشأ منذ نعومة اظفاره ورعا تقيا محبا للعلم ، سلك طريق الاستاذ ابى الحسن الشاذلى وذلك على يد الامام داود ابن ماخلا . ويقول الشعراني، ان الشيخ محمد وفا كانت له مؤلفات كثيرة ألفها فى صباه وهو ابن سبع سنين أو عشر ، فضلا عن كونه كهلا وله رموز فى منظوماته ومنثوراته مطلسمة الى وقتنا هذا (اى وقت الشعرانى فى القرن العاشر الهجرى) لم يفك احد فيما نعلم معناها » . ومن القصص التى يرويها الشعرانى لاظهاره كرامات الشيخ محمد وفا « انه لما دنت وفاته خلع منطقته (شارة مشايخ اصحاب الطرق الصوفية) (على الابزارى) صاحب الموشحات ، وقال له : هى وديعة عندك حتى تخلعها على ولدى (على) ويضيف[3]

---

(١) الضوء اللامع للسخاوى جـ ٨ ص ١٢٥

(٢) جمهرة الاولياء واعلام اهل التصوف للسيد محمد ابو الفيض المنوفى جـ ٢ ص ٢٥٥

(٣) الطبقات الكبرى للشعرانى جـ ٢ ص ٢١

الشعرانى فيقول : وقد الف (الابزارى) وقت ان كانت عنده منطقة الشيخ محمد وفا احسن الموشحات واظرفها ، الى ان كُبِّر سيدى (على ولد محمد وفا ، فخلع عليه منطقة والده ، ولكن (الابزارى) اصبح لا يعرف يعمل موشحا واحدا » .

أما عن السبب الذى من أجله عرف باسم وفا ، فتجمع المراجع التاريخية وكتب التراجم على سرد القصة التاليه : « انه سمى وفا لان بحر النيل توقف فلم يزد الى أوان الوفا فعزم اهل مصر على الرحيل (اى الرحيل من الاحتفال بوفاء النيل) ، فجاء سيدى محمد الى البحر (النيل) وقال : اطلع باذن الله تعالى فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعا وأوفى فسموه وفا . أما عن نعت اولاده واحفاده بالسادات ، فيقول على مبارك » ان لهؤلاء السادات فضلا تليدا وعزا قديما وجديدا فهم غنيون عن التعريف فائقون على كل شريف ، ينتهى نسبهم الى الادارسة الاشراف سكان المغرب الاقصى اولاد سيدنا الحسن بن الامام على رضى الله عنهم ، وان أكبرهم شهرة وجلالا واوفرهم حرمة واحوالا سيدى محمد وفا . ويقول الشعرانى ، كان سيدنا محمد وفا من اكابر العارفين ، واخبر ولده سيدى على انه هو خاتم الاولياء وصاحب الرتبة العلية . ويضيف الشعرانى « انه لما سئل ولده على أن يشرخ تائية والده لا أعرف مراده لانه لسان أعجمى . ومن كلام الشيخ محمد وفا كما جاء فى كتابه (فصول الحقائق) : أعوذ بالله من شياطين الخلق والكون وأبالسة العلم والجهل ، وأغيار المعرفة والنكرة ، اللهم انى اعوذ بك وبسبق قومك من سر حدودك وبظلمة ذاتك من نور صفاتك وبقوة أسلوبك من ضعف ايجمادك وبظلمة عدمك من نور تأثيراتك » . ومن أهم مؤلفاته العديدة التى حصرها كتاب مناهل الصفا ، كتاب العروس وكتاب الشعائر ، وديوان شعر عظيم .

وقد توجه محمد وفا الى اخميم فتزوج بها ، وأنشأ زاوية كبيرة ووفدت عليه الناس افواجا . ثم سار الى مصر واقام بالروضة عاكفا على العبادة مشتغلا بذكر الله تعالى وطار صيته فى الآفاق ، وتوفى رضى الله عنه بالقاهرة سنة ٧٦٥هـ ودفن بالقرافة بين ضريح الشيخ أبى السعود بن ابى العشائر والشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنهم باشارة منه . اذ قال قبل وفاته : ادفنونى بين سعد وعطا . ولما توفى الشيخ محمد وفا رضى الله عنه ترك ولديه السادة على وفا وشهاب الدين احمد وفا وكان على اذ ذاك صغيرا فنشأ مع اخيه فى كفالة وصيهما الشيخ محمد الزيلعى ، ولما بلغ السيد على من العمر سبعة عشر عاما ، جلس مكان أبيه فى زاويته ولبس منطقته فشاع ذكره فى البلاد وكثر اتباعه ومريدوه .

ولد الشيخ علي بن محمد وفا بالقاهرة سنة ٧٥٩هـ، كما جاء في جمهرة الأولياء أما الشعراني[1] فيقول: «أن سيدي علي كان يقول: مولدي سحر ليلة الاحد سنة احدى وستين وسبعمائة كما رأيته بخطه» ويضيف الشعراني، انه كان في غاية الظرف والجمال لم ير في مصر اجمل منه وجها ولا ثيابا وله نظم شائع وموشحات رقيقة فيها أسرار أهل الطريق، وأعطى لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجميع، وقليل من الاولياء من أعطى ذلك. وكان الشيخ على كثير الاقامة بمنزله بالروضة، وله أحزاب وأوراد وتوجيهات وتصانيف كثيرة وديوان شعر. وكان رضى الله عنه كثير التحجب هو واخوه شهاب الدين احمد لا يخرجان الا عند عمل الميعاد (أي الاجتماع بالمريدين). وكان شهاب الدين احمد بن وفا عارفا جليلا وسيدا نبيلا، وكان الشيخ على وفا يقول عنه، هذا خزانة العلم وانا انفق منها، وتوفى سنة ٨١٤هـ.

وتوفى الشيخ على وفا (سنة ٨٠٧هـ او سنة ٨٠١هـ) وله من الذكور أبو العباس احمد وابو الطيب وأبو الطاهر وأبو القاسم. وقد كانت جنازته تضم خلقا كثيرا لم تر القاهرة مثلها فقد كانت جماعته وأصحابه يمشون امامها ويذكرون الله بطريقة تهز المشاعر وتلين لها القلوب.

(١) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٢٢

الوصف المعمارى

يوجد مسجد السادات الوفائية بسفح جبل المقطم بالقرب من ضريح ابن عطاء الله السكندرى وضريح أبى السعود أبى العشائر . وقد أقيم المسجد مكان زاوية تعرف باسم زاوية السادات أهل الوفاء تنفيذا للفرمان الذى اصدره السلطان عبد الحميد سنة ١١٩١هـ . فقد جاء فى كتاب وقفية هذا الجامع الذى نشره على مبارك[1] ، « انه لما ورد فرمان السلطان الى الوزير عزت محمد باشا محافظ مصر المحمية بأن يخرج المال اللازم من الخزينة العامرة برسم عمارة الزاوية الشريفة كعبة الأسرار القدسية بسفح الجبل المقطم المعروف بغراس اهل الجنة المعروفة بزاوية السادات أهل الوفاء المشمولة بنظر سيد السادات الشيخ محمد أبى الأنوار بن وفا » . وقابل الوزير الامر بالسمع والطاعة وفوض أمر العمارة والصرف عليها للناظر ، الذى قام بازالة الزاوية وما تبعها من الغرف والخلاوى والمساكن والمنافع وغير ذلك من المبانى القديمة » ويضيف على مبارك فى وصف المبنى الجديد فيقول : وانشأ محل الزاوية بناء جديدا يشتمل على واجهة بحرية مبنية بالحجر الفص النحيت الاحمر بها باب مقنطر (يعلوه عقد) على جانبيه جلستان ويعلوه لوح من الرخام الأبيض نقش عليه اربعة أبيات من الشعر . وتجاه هذا الباب من الخارج يوجد سلم ذو ثلاث درجات ومصطبة برسم الركوب .

ويدخل من الباب الخارجى الى فسحة كبيرة مستطيلة مفروشة بالحجر النحيت مبنى جهاتها الأربع بالحجر النحيت . وعلى محور الباب الخارجى يوجد مدخل المسجد فى الجهة الغربية منه ، يعلوه عقد من الرخام الأبيض وفوقه لوحة من الرخام نقش فيه بالحفر البارز كتابة . . عربية منهبة نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم»وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » وقد سجل تاريخ البناء بحروف الكلم فى البيتين التاليين :

باب شريف قد رقى ببنى الوفا الحب فيه أفضل الأقطاب

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ١٣٨

سنة ١١٩١ سنة ١١٩١

قالت لنا انوار سر جنابه لاشك هذا أكمل الأبواب

وبجانبي الباب دائرتان من الرخام الأبيض يمنة ويسرة ، مكتوب على اليمنى بيتان بحروف بارزة مذهبة هما :

لسلطاننا عبد الحميد مكارم أقام بها للدين ركنا مشيدا

له النصر من آل الوفاء مؤرخ تدوم وتبقى بالصلاح مؤيدا

وعلى الدائرة اليسرى كتب :

عبد الحميد تجاه النصر معتصم عن الملوك بأوصاف الثنا فاقا

حزت الفلاح أبا الأنوار دم فرحا أعطاك ربك أنورا وإشراقا

وبجوار باب المسجد توجد نافذة تطل على الإيوان البحرى للمسجد ، يعلو عقدها دائرة من الرخام مكتوب عليها بالخط البارز المذهب :

حبا الله سلطان البرية نصره وأيده المولى الحميد بمجده

وجازاه عن آل الوفا أحسن الجزا وأولى أبا الانوار سائر قصده

وعلى امتداد الحائط الغربى للمسجد حيث يوجد المدخل الرئيسى وكذا النافذة يوجد باب يؤدى الى طاحونة ومسكن فوقها ، يعلو عقده لوح من الرخام كتب عليه : قد كمل بناء هذا الحرم الوفائى السعيد بعناية الله الملك الحميد فى غاية عام احدى وتسعين ومائة الف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم .

ويتكون باب المسجد الرئيسى من مصراعين من الخشب الجوز مصفحين بصفائح من النحاس الأصفر بكلٍ منهما حلقة من النحاس ويعلو الباب من الداخل لوح مكتوب عليه هذا البيت :

الأولياء وان جلت . مراتبهم فى رتبة العبد والسادات سادات

وتبلغ مساحة المسجد من الداخل ٢٩ مترا طولا فى ٢٧ مترا عرضا ويتوسطه صحن منخفض عن الأروقة الجانبية تبلغ مساحته ٩,٥ متر عرضا فى ١٤ مترا طولا . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع الأروقة ، ويتكون ايوان القبلة من رواقين وصفين من البوائك تحتوى كل بائكة على خمسة عقود مدببة ترتكز على عمد رخامية مختلفة التيجان . أما الجهات الثلاث الأخرى فتحتوى على رواق واحد يحتوى على صف من الأعمدة يبلغ عددها فى الجهتين الشمالية والجنوبية خمسة يعلوها أربعة عقود مدببة ، أما الإيوان الغربى

المقابل لإيوان القبلة فيحتوى على أربعه عمد يعلوها خمسة عقود ، كما يوجد بهـذا الإيوان وأمام مدخل المسجد مباشرة فتحة مثمنة فى السقف (شخشـيخة) وأخـرى فى الرواق الذى يليه . وأمام باب المسجد توجد طرقة منخفضـة يبلغ عرضـها أربعـة امتار وطـولها عشرة امتار .

ويشتمل المسجد على محراب من الفسـيفساء الرخـامية الجميلة الصـنع والزخـرفة ويتقدمه عمودان صغيران من المرمر الأبيض يعلوهما تاجـان من الخشب الجـوز المنقـوش بالذهب وبجوار المحراب منبر من خشب الجـوز زخـرف جـانباه (ريشـتاه) وكذا بابه بطريقة (الزرتشان) ويعلوه قبة من الخشب عليهـا هلال من النحـاس المذهب وأرضـية المسجد مفروشة بالبلاط ، اما أرضية صحنه فمكسـوة بالرخـام الملون ، أما سـقف المسـجد فمن الخشب وبه إزار من الخشب المدهون باللون الترجـوازى وعليه كتابة باللون الذهبى قصيدة فى مدح بنى الوفا .

ويحائط القبلة وزرات كبيرة من الرخـام يفصـل بينهـا سـتة عشر عمودا من المرمر يعلوها عقود مدببة ويوجد بالحائط الغربى اثنا عشر شباكا مملوءة بالجص المخرم والزجاج الملون (قمريات) وبالسـقف أربع فتحـات (نمارق) وقبة من الخشب يعـلوها هلال من النحاس المموه بالذهب .

وبالمسجد ثلاث خلاو ، احداهما خـاصة بالخـطيب وتوجـد بجـوار المنبر ، كتب على عتب بابهـا « افتح يا فتاح ، وهو تاريخ البناء بحـروف الكلم » . والثانية لوقاد المصـابيح بالمسـجد وما يتعـلق بالوقادة من الأحمال والقناديل وغير ذلك وقد كتب على عتبهـا بالحروف المذهبة « الله نور السموات والأرض » والثالثة لشيخ السجادة مكتوب على عتبها بالحروف المذهبة« اللهم هب لنا الخلوة معك والعـزلة عما سـواك » . ويجـاور الخلوة باب يوصل للمساكن ، ودواليب من الخشب الجـوز المدهون بنقـوش زيتية بالأسـلوب التركى الجميل .

وفى منتصف صحن المسجد تقـريبا توجـد مقصـورة العـارف بالله محمد وفا وولده القطب الغوث الشيخ ابى الحسـن على وفا ، وهى مصـنوعة من الخشب ويحيط بهـا من جهاتها الأربع من أعلى ازار بارز من الخشب المدهون والمموه بالذهب . وترتكز المقصـورة على قاعدة مبنية من الرخام المرمر الأبيض . وتحتوى المقصورة على باب من خشب الجوز المصفح بالنحاس المذهب . ويعـلو المقصـورة قبة مدهونة بنقـوش زيتية وذهبية بالأسـلوب

التركى الجميل ، وهى ترتكز على ستة أعمدة من الرخام وست أكتاف متصلة بسقف المسجد . وقد كتب على دائرة المقصورة أبيات من الشعر مدهون بالذهب أولها :

هذه روضة وهذا مقام مزهر نوره قطب امام

هذه جنة بروض رضاها خير آل نزيلهم لا يضام

بالرضا فى ضريح جدك أرخ حى قطب الأقطاب هذا المقام سنة ١١٩١هـ

وكتب على باب المقصورة بيتان هما :

ان باب الله طه جدكم ولكم قدر على عن على

كل من يرجو الوفا من بابكم وانى من غيركم لم يرحل

وكتب على (رفرف) القبة من جهاتها الاربع آيات من القرآن الكريم بالخط المذهب وبجوار المقصورة حوض كبير من الرخام المرمر موضوع به رمل احمر يفرش منه أرضية المقصورة على العادة المتبعة .

وبجوار باب المقصورة يوجد لوح من الرخام ذو أربعة وجوه مكتوب بالذهب على الوجه الأول النص التالى :

الاول : لا اله الا الله الواحد الحى الدائم العلى الحكيم

الثانى : محمد رسول الله الفاتح الخاتم اصل الوفا المشفع العظيم

الثالث : نسب حضرة روح أرواح اللطائف المحمدية وسر من أسرار كنز المواهب الرحمانية الاستاذ أبى الحسن على وفا بن محمد بن محمد بن محمد النجم بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله ابن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن حسين بن ابى بكر بن على بن محمد ابن أحمد بن على بن احمد بن ادريس التاج بن ادريس الاكبر بن الحسن المثنى ابن الحسن سبط على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

وبالمسجد مجموعة كبيرة من أضرحة عائلة السادة الوفائية من الأقطاب والعلماء والمتصوفين . وللمسجد مئذنة قصيرة لا تتناسب مع كبر مساحة المسجد ، وهى تتكون من دورتين . وبجوار المسجد وداخل السور الخارجى توجد مجموعة من المبانى تحتوى على قصور ومساكن تحتوى على مشربيات من خشب الخرط (رواشن) ومخازن لأمتعة الوقف وقاعة تقام فيها أسمطة الموالد ومطابخ وبيت عجين وفرن وطاحونة ووكالة لإيواء الزوار ، وصهريج كبير للمياه .

مسجد العسقلانى

بملوى

(١١٩٣هـ/١٧٧٩م)

تقع ملوى على الجانب الغربى من النيل ويقول المقريزى : إن أرضها معروفة بزراعة قصب السكر وخاصة فى عصر الناصر محمد بن قلاوون وقد سبق أن ذكرنا تاريخها كاملا

الوصف المعمارى

مسجد العسقلانى :

أنشأ هذا المسجد أمير اللواء ابراهيم قائمقام مصر فى محرم سنة ١١٩٣هـ ٢٤ من يناير سنة ١٧٧٩م . وكان الساعى فى ذلك كما هو مدون على المدخل الشرقى للمسجد ، هو الأمير سليمان كاشف ببنادرملوى ، ودفن بقبته الشيخ العسقلانى . وللمسجد مداخل ثلاثة يوصل الغربى منها الى المسجد مباشرة ، والشرقى يؤدى الى فضاء مسقوف يرتكز على عمود واحد ، ومنه الى باب آخر يؤدى الى داخل المسجد . وعلى يمين هذا الفضاء نجد القبة . أما المدخل البحرى ، فتقع شرقيه المئذنة التى تعتبر نموذجا جميلا لمآذن الصعيد . أما داخل المسجد فيتكون من ثلاث بوائك ، البائكة الثانية والثالثة تتكون كل منهما من أربعة أعمدة تحمل خمسة عقود مدببة تنتهى من أعلى بخط مستقيم . وبالواجهة الشرقية يوجد شباكان من خشب الخرط على جانبى المدخل . والقبة تحتوى على ضريح الشيخ

العسقلانى ، وقد استعيض عن المقرنصات التى تحمل القبة والتى تحول المربع الى دائرة أو شكل مثمن ، بأخشاب تحمل القبة ، وتحتوى القبة كذلك على مقصورة . وبالمسجد محراب حديث يعلوه زخارف جصية بديعة . وقد عثر فى هذا المسجد على اسم المعمار منقوشا فى لوحة أعلى مدخل القبة وهناك كتابات أخرى هى :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . علمت به ما دمت حيا أما ترى ولما له نور علينا له فضلا .

٢) نباسما سمو السما قد علا محضره سلطان كراماته بنا . وفى خمسة مع واحد من محرم وضعنا اساسا والسور حلا به .

٣) هو العسقلانى الغيث لمن أتى على باب يرجو النوال ملاذه . وهذا البنا قد ارضوه ولى علا مقاما له المكروب يأتى بلا مهلا ومن حساب العمل فى « ولى علا مقاما له المكروب اتى بلا مهلا » يكون تاريخ التأسيس ١١٩٣ - ١٧٧٩م أما اللوحة التى بداخل القبة فنصها كما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم "ألا إن أولياء الله" لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» .

٤) والمعمار فى هذا البناء المبارك (ابوا) زيد السراج غفر له .

اما الكتابة التى على المدخل الشرقى للمسجد : « أنشأ هذا المكان امير اللواء ابراهيم قائمقام مصر حالا فى سنة ١١٩٣هـ والساعى فى ذلك الأمير سليمان كاشف بنادر ملوى حالا » .

مسجد مدينة قفط

(القرن ١٢)

يعتبر مسجد قفط من أهم مساجد محافظة قنا التى أعيد بناؤها فى القرن التاسع عشر، ليس لقيمته المعمارية فحسب، بل ولتاريخه الطويل الذى يرجع الى العصر الأيوبى. فقد انشىء من أجل جماعة من كبار العلماء والحكام الذين تولوا أمور الدولة الأيوبية فى مصر والشام.

لذلك فقد وجدت لزاما على أن أذكر شيئا عن جغرافية وتاريخ مدينة قفط أولا ثم أعرج بعد ذلك على تراجم هؤلاء العلماء الذين أنشأت لهم الدولة الأيوبية مسجد قفط.

يذكر جوتييه فى قاموسه مدينة قفط فيقول: انها مدينة قديمة جدا، ويقول ان اسمها المصرى القديم (Oclsti) واللاتينى (Coptos) والقبطى (Keptou). وذكر اسمها أميلينوا فى جغرافيته فقط (Keft)، ويضيف ماسبرو وفييت فى كتاب مدن مصر، على الأسماء المتقدمة، فيقولا: ان قفط عرفت فى أوائل القرن السابع الميلادى باسم جستنيانو بوليس (Justiniano Polis) نسبة الى الامبراطور جستنيان

وقد كانت قفط من أقدم المدن المصرية، وكانت مركزا تجاريا فى الدرجة الأولى من الأهمية، ورأس طريق القوافل التى تخترق الصحراء العربية بين وادى النيل والبحر الأحمر[١].

وكانت قفط من كور الصعيد الأعلى، ذكرها كثير من مؤلفى معاجم البلدان[٢]، فقد ذكرها الادريسى فقال: إن مدينة قفط متباعدة عن ضفة النيل، من الجهة الشرقية، وان

---

(١) محمد رمزى: القاموس الجغرافى جـ ٤ صفحة ١٧٧

(٢) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، اليعقوبى: كتاب البلدان، ياقوت: معجم البلدان، الادريسى: نزهة المشتاق وغيرهم كثير.

أهلها شيعة ، وهى مدينة جامعة متحضرة ، بها أخلاط من الناس بينهم بقايا من الروم (اى البرنطيين) . ويضيف الادريسى فيتكلم عن ثروتها الزراعية فيقول : وبها مزارع كثيرة للبقول وكثير من الخضراوات كاللفت والخس ، التى يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون أدهانها ويصنعون منه أنواعا من الصابون ، يتصرفون به فى جميع أرض مصر ، ومنها يتجرون به فى كل انحاء البلاد ، وصابونها معروف بالنظافه » .

ويقول عنها ياقوت فى معجمه ، قفط مدينة شرق النيل بصعيد مصر الأعلى ، والغالب على معيشة أهلها التجارة ، والسفر الى الهند . ويضيف ياقوت فيقول : وقفط ليست على ضفة النيل ، بل بينهما نحو الميل ، وساحلها يسمى بقطر وبينهما وبين قوص نحو فرسخ[1] ، وفيها اسواق ، وأهلها أصحاب ثروة . ويحيط بقفط المزارع والبساتين الكثيرة[2] .

ولعل أطرف ما جاء عنها فى معاجم البلدان ما ذكره ابن دقماق فى الانتصار فقد قال : انها كانت قديما مدينة الاقليم ، وكان بها مسبك للسكر ، وست معاصر للقصب ، وبها قباب بأعلى الدور ، ثم يضيف فيقول : قالوا : إن كل من ملك من أهلها عشرة آلاف دينار ، يجعل له قبة فى داره .

ويقول المسعودى[3] ، ومعدن الزمرد فى عمل الصعيد الأعلى من مدينة قفط ، ومنها يستخرج من موضع يعرف (بالخربة) وهى مفازة وجبال ، تقوم البجة بحفره وحمايته .

ويضيف المقريزى[4] فيقول ، وكان للزمرد بقفط ديوان فيه شهود وكتاب ، وينفق على العمال به ، وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى الفسطاط ومنه يحمل الى البلاد . وان هذا المعدن يستخرج من الجبل الآخذ على شرقى النيل بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى (أقرشندة) وليس هناك من الجبال أعلى منها .

ويفصل المقريزى أنواع الزمرد المستخرج من مدينة قفط فيقول : وهذا المعدن فى صدر مغارة طويلة فى حجر أبيض يستخرج منه الزمرد ، وهذا الحجر الأبيض ثلاثة أنواع ،

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال

(٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، وتحفة الارشاد ، وجاءت فى التحفة السنية انها من اعمال القوصية

(٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ صفحة ١١٧

(٤) المقريزى : الخطط والآثار جـ ١ صفحة ٢٣٣

أحدها يقال له (طلق كافورى) ، والثانى يقال له (طلق فضى) والثالث يقال له (حجر حروىّ) . ويضرب فى هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد وهو كالفريق فيه ، وأنواعه (الريانىّ) وهو أقل من القليل لا يخرج الا فى النادر ، واذا استخرج ألقى فى الزيت الحار ثم يحط فى قطن ويصرّ ذلك القطن فى خرق الخام أو نحوها . ويضيف المقريزى فيقول : ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد الى أن ابطل العمل منه الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن بنور فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى سنة بضع وستين وسبعمائة .

ويروى لنا المقريزى بعض الأحداث التاريخية الهامة التى تعرضت لها مدينة قفط فيقول : وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، كانت فتنة كبيرة بمدينة قفط سببها ، أن داعيا من بنى عبد القوى ، ادعى أنه داود بن العاضد (آخر خليفة فاطمى) فاجتمع الناس عليه ، ومعظمهم شيعة فى ذلك الوقت ، فبعث السلطان صلاح الدين بن يوسف الأيوبى أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها بظاهر مدينه قفط بعمائمهم وطيالستهم

ويحدثنا على مبارك[1] عن تاريخ مدينة قفط فى عصر أسرة محمد على باشا ، أى فى القرن التاسع عشر فيقول : وهى الآن (أى فى عصر محمد على) فى نهاية تلول البلد القديم من الجهة الغربية ، رأس قسم واقعه فى حوض ابنودبين الجبل والبحر (اى النيل) فى شرق ترعة سنهور . أكثر ابنيتها بالآجر وبها ثلاثة مساجد ، أحدها بمنارة وهو مسجد قديم (وهو موضع حديثنا) . وكان بها قشلاق (ثكنات) للعسكر ، وقنا فى بحريها على نحو ثلاث ساعات ونصف وفى شرقيها بالجبل بئر يقال لها بئر عنبر قد بنى عليها سر عكسر ابراهيم باشا ، والد الخديوى اسماعيل باشا ، سبيلا ومساكن للحجاج ، ويحيط به أشجار السنط .

ويضيف على مبارك فيقول : والى الآن ، (القرن ١٩) . يتولى خدمة السبيل موظف يأخذ راتبه من الدائرة السنية الخديوية . وفى زمن الخديو عباس باشا عملت اشارات أبراج فى طريق الرصفة ، وهى محطات يجتمع عندها القوافل الصاعدة والهابطة (فى طريق الحج الى ميناء عيزاب) للسقى والاستراحة . وبناحية قفط بستان ليوسف أفندى مدير

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ١٤ صفحة ١٠٤

قنا ، الذى كان يعمل قبل توليته للمديرية يعمل متعهدا لتلك الناحية ، وللمدينة سوق كل يوم ثلاثاء .

مما ذكره على مبارك عن تاريخ مدينة قفط فى عهد أسرة محمد على واهتمامهم بها وذلك لوقوعها فى طريق القوافل الذهابة والآتية من الحج ، تبين لنا السبب الذى من أجله أعيد بناء جامعها القديم . أما عن السبب فى اختيارهم لهذا المسجد بالذات دون غيره من المساجد ، فيحدثنا عنه الاسنوى فى كتابه الطالع السعيد .

يقول الاسنوى ، لقد نشأ فى مدينة قفط وجاء اليها جماعة من أفاضل العلماء منهم ابراهيم بن أبى الكرم ، ذكره ابن خلف فى تاريخه فقال : كان عالما فاضلا أديبا شاعرا تولى القضاء بيوس ، توفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وممن وفد عليها وعمل بها الشيخ ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن اسحق ابن محمد الشيبانى المحتد المقدسى المولد الحلبى المنشأ والوفاة . والوزير المؤيد أخو الوزير الأكرم ، سمع الحديث الشريف من هاشم عبد المطلب بن أبى الفضل الهاشمى ، وحدث بدمشق وحلب ووزر بحلب بعد أخيه . ولد بالقدس ومات بحلب سنة ثمان وخمسين وستمائة .

ومن علمائها ورجالها المبرزين ، الشيخ اسماعيل بن محمد بن أحمد بن أبى النصر على بن أبى النصر ، كان مجازا بالفتوى وتولى الحكم ببلده وغيرها والخطابة بقفط ، توفى بها سنة احدى وسبعين وستمائة .

ولعل أعظم علماء قفط قاطبة فى العصر الأيوبى هو الشيخ شعيب بن ابراهيم ابن محمد بن هدية بن الحاج الفقيه المالكى القفطى ، كان قيما بالعربية وله فيها تصانيف . وكان ملوك مصر يجلونه فى عهد الأيوبيين فكانوا يعظمون قدره ، ويرفعون ذكره . فقد كان حسن العبادة لم يره أحد ضاحكا ولا هازلا ، وكان يسير سيرة السلف الصالح فى أقواله وأفعاله . ولد بمدينة قفط ثم انتقل الى قنا ، وكان من العلماء العاملين ، كف بصره فى آخر عمره ، وله بقفط حارة ما تزال باقية تعرف باسم حارة ابن الحاج ، يوجد بها المسجد (موضوع الحديث) . توفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

ومن رجال قفط فى العهد الأيوبى كذلك على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد ابن موسى بن محمد بن اسحق بن الشيبانى . كانت له دراية فى الهندسة وجميع العلوم العقلية والتواريخ . تولى الوزارة فى حلب ، وله كثير من التصانيف منها كتاب أخبار

المصنفين وما صنفوه وكتاب أنباء الرواة فى أنباء النحاة وكتاب تاريخ اليمن وكتاب تاريخ مصر فى أيام الملك الناصر صلاح الدين وكتاب تاريخ بنى بويه وتاريخ الملوك السلجوقية ، وكتاب أشعار اليزيديين وغير ذلك. وقد ولد ابن الشيبانى بقفط ومات بحلب سنة ست وأربعين وستمائة.

نكتفى بهذا القدر من تراجم علماء قفط وشيوخها فى العهد الأيوبى ، والتى يتضح معها ، ان الدولة الأيوبيه قد عنيت عناية خاصة بمدينة قفط. فقد بعثت اليها بالوزراء والقضاة وكبار رجال الدين ، ممن كانوا يعملون فى بلاد الشام وخاصة مدينة حلب. وتفسير ذلك سهل ميسور ، وذلك لأنها أرادت أن تغيّر مذهب أهلها من الشيعة الى السنة ، خاصة بعد فتنة ابن دواد المدعى أنه ابن الخليفة العاضد. كما عنيت باقامة المساجد السنية التى لم يبقَ منها غير ثلاثة ، أعادت أسرة محمد على أقدمها والمسجد الذى ما يزال باقيه فى حارة الحاج بها.

الوصف المعمارى

يتكون المسجد من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف مربع الشكل تحيط به الأروقة من جميع جهاته. وتتكون الأروقة من بائكة واحدة من الأعمدة الرخامية يعلوها عقود مدببة يحيط بها إطار من الطوب المنحور، على غرار ما اتبع فى مساجد العصر العثمانى وخاصة فى دلتا مصر.

أما الضلع الشرقى للمسجد وهو ايوان القبلة فيحتوى على خمسة أروقة. ويتوسط الجدار الشرقى حنية المحراب وعلى يساره يوجد المنبر. وفى الرواق الثالث من إيوان القبلة توجد دكة المبلغ، مما يدل على أنه مسجد جامع.

وقد غطى سقف المسجد بالاخشاب، وذلك لأن المنطقة غنية بأخشاب السنط، التى كانت تصدر الى الفسطاط

وتوجد مئذنة المسجد فى الجهة الغربية منه، وهى تشبه الى حد كبير مئذنة مسجد (هو). وطراز المئذنة متأثر الى حد كبير بالمآذن الأيوبية مما يقطع بأن المسجد القديم يرجع الى ذلك العصر وأن أسرة محمد على عند إعادة بنائه حافظت على طراز مئذنته القديمة.

وتتكون المئذنة من ثلاث دورات الأولى مثمنة الشكل والدورة الثانية مستديرة يفصل بينها وبين الدورة الأولى شرفة خشبية. أما الدورة الثالثة التى سقطت شرفتها فمثمنة الشكل فتح فى كل ضلع منها فتحة معقودة، ويعلو ذلك قبيبة صغيرة مخوصة.

مسجد الشيخ أحمد الدردير

بشارع الدردير (الكعكيين سابقاً)

بحى الأزهر

(١٢٠١هـ/١٧٨٧م)

هو الامام أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى حامد العدوى المالكى الأزهرى الخلوتى الشهير بالدردير ، ولد أحمد الدردير ببنى عدى سنة ١١٢٧هـ . وبنى عدى كما جاءت فى القاموس الجغرافى : بلدة كبيرة تابعة لمركز منفلوط بمحافظة أسيوط بحافة بساط الجبل غربى منفلوط . وهى ثلاث قرى القبلية والوسطى والبحرية . ويضيف على مبارك فيقول : « وأبنيتها بالآجر واللبن وبها جوامع كثيرة كلها عامرة وفى بعضها تقرأ دروس العلم . ومما يدل على شهرتها فى العصر العثمانى أن بنى (لاظ أو غلى) قصرا لإقامته هناك ما تزال آثاره باقية حتى الآن . ويتجر أهلها فى حاصلات الواحات مثل التمر والارز والنيلة وذلك لانها تقع على طريق الواحات ، كما يوجد بها كثير من مصانع النسيج وخاصة صناعة الأحزمة (الكليم) الصوف السوداء واكثر من يقوم بهذه الصناعة النساء ، أما الخياطة فكانت للرجال . ويقال إن أهل بنى عدى من قبيلة بنى عدى القرشية المشهورة ، وربما كان هذا سببا فى شهرة اهلها باجادة علوم اللغة والدين ونزوح الكثير منهم الى الازهر ، فقد كان الازهر منذ العصر الفاطمى لا يخلو منهم . ويضيف على مبارك فيقول : « ولا ينقص للمجاورين منهم به (بالأزهر) عن نحو الثلاثين . ومنهم شيخ رواق الصعايدة غالبا ، ومنهم المدرسون والمؤلفون قديما وحديثا » .

ويقول الجبرتى إن من علماء بنى عدى القطب الكبير والامام الشهير العالم العلامة شيخ الإسلام أحمد الدردير . وأن السبب فى تلقيبه بالدردير هو أن قبيلة من العرب نزلت ببلدهم كان كبيرهم يلقب بالدردير ، وكان مولد جده عند نزول هذه القبيلة فلقب بذلك ، فهو لقبه ولقب جده من قبله من بنى عدى .

وقد أمضى أحمد الدردير طفولته الأولى ببنى عدى فلما شب عن الطوق وحفظ القرآن وجوده وفد على الازهر فأخذ عن كثير من شيوخه وخاصة عن الشيخين على الصعيدى والحفنى ، وتأثر بثانيهما روحيا فتصوف على يديه وتلقى منه الذكر وطريق الخلوتية حتى صار من أكبر خلفائه . ومما يدل على تفوقه على أقرانه ان أساتذته قد سمحوا له بالافتاء فى حياتهم وفى حضرتهم . وكان يضرب به المثل فى العفة والزهد والتقشف . كما كان مهذب النفس كريم الأخلاق ، ومن طريف ما يرويه الجبرتى عنه فى هذا المقام أن مولاى محمد سلطان المغرب كان يرسل كل عام بعض الصلات الى علماء الأزهر . وكان ابن هذا السلطان قد وفد على القاهرة فى طريقه الى مكة لتأدية فريضة الحج ، فتخلف بها فترة ونفذ ما معه من المال ، وتصادف فى ذلك الوقت أن حضر رسول والده السلطان يحمل معه ما تعود ارساله من الصلات الى العلماء ، فرفض الشيخ الدردير ان يتسلم نصيبه منها ، وقال : والله هذا لا يجوز ، وكيف اننا نتفكه فى مال الرجل ونحن اجانب وولده يتلظى من العدم ، هو أولى منى وأحق فأعطوه قسمى .

ولما توفى الشيخ على الصعيدى عين تلميذه الدردير شيخا على المالكية ومفتشا وناظرا على وقف الصعايدة ورواق الصعايدة بل وشيخا على أهل مصر بأسرها . وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا شيئا عن أروقة الأزهر عامة ورواق شيخنا المعروف برواق الصعايدة خاصة . أن تاريخ أروقة الأزهر يكون جزءا هاما من تاريخه ، وقد نشأت كلمة الأروقة بسبب شغل الطلبة لأروقة المسجد المحيطة بالصحن وتوطنهم بها . وعلى كثرة ما كتب عن الجامع الأزهر قديما وحديثا فان أحدا لم يعن بتجديد تاريخ نشأة ما يعرف بأروقة الأزهر ، اى اقامة الطلبة فيه اقامة دائمة فى مجموعات متجانسة بالنسبة للأقطار الخارجية كرواق الجبرت (بلد بالحبشة) والمغاربة والشوام او بالنسبة للجنس كالاكراد والبرابرة . أو بالنسبة الى البلاد الداخلية كرواق الشراقوة والفيومية والفشنية وما اليها . ولعل أقدم ما ذكر فى هذا الموضوع يرجع الى عهد الجبرتى فى القرن التاسع الهجرى عندما تكلم عن فقراء الملازمين للجامع الأزهر الذين بلغوا فى عهده (٧٥٠) رجلا ، ما بين عجم وزيالعه ، ومن اهل ريف مصر ولكل طائفة منهم رواق يعرف بهم . وصار أرباب الأموال واهل البر والصدقات يقصدون الجامع الأزهر بما يجودون به من الذهب والفضة إعانة للمجاورين على التفرغ لعبادة الله تعالى » . ومما يقطع بان هؤلاء المجاورين كانوا يقيمون فى الأروقة اقامة دائمة ، النص الذى أورده المقريزى فى سياق كلامه على نظارة الجامع الازهر ،

اذ يقول : عندما ولى نظر الجامع الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب سنة ٨١٨هـ ، أمر فى هذه السنة باخراج المجاورين من الأزهر ومنعهم من الإقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف ، ويضيف المقريزى ، فعانى الفقراء من ذلك بلاء كبيرا « وهكذا نستطيع أن نؤكد أن نظام الأروقة قد نشأ فى الازهر على أقل تقدير فى العصر المملوكى .

أما رواق الصعايدة فهو أحدث نسبيا فهو يرجع الى القرن الثانى عشر الهجرى فقد أنشأه عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧هـ عندما زاد فى مساحة الجامع خلف حائط القبلة ، كما بنى له مدفنا فى النهاية الجنوبية لايوان القبلة ، وأمام المدفن أنشأ رواقا خاصا بمجاورى اهل الصعيد المنقطعين للعلم بالأزهر وجعل بهذا الرواق مرافق ومنافع ومطبخا وخزائن للكتب ومخادع ، وبرغم حداثة هذا الرواق الا أنه كان من أشهر أروقة الازهر ، فقد كان له شيخ خاص وقد استقرت مشيخته لعدة قرون فى المشايخ العدوية (نسبة الى بنى عدى) كما أوقفت عليه كثير من الأوقاف .

وكان شيخنا رحمه الله شجاعا جريئا لا تأخذه فى الله لومة لائم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومما يروى عن شجاعته تلك القصة التى أوردها الجبرتى والتى تدل على مبلغ ما وصلت اليه البلاد فى العصر العثمانى من فوضى وانحلال ، فهو يقول : حدث سنة ١٢٠٠هـ أن اعتدى أحد صناجق مراد بك على منزل أحمد سالم الجزار بالحسينية ونهب هو ورجاله كل ما به من متاع وأخذ على النساء فثار أهل الحى وذهبوا الى الجامع الأزهر مسلحين بالنبابيت وصعد منهم جماعة الى اعلى المسجد يدقون الطبول (كما كانت العادة فى ذلك الوقت) واستجاروا بالشيخ الدردير فقال لهم : « فى غد نجمع جميع أهالى الحى والحارات المجاورة وحتى بولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » فلما كان بعد غد حضر سليم اغا ومحمد كتخدا الجلفى وغيرهم من أمراء المماليك وجلسوا فى الغورية ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال ، وقالوا للشيخ : اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ، ونأتى بها من محل ما تكون ، واتفقوا على ذلك وقرأوا الفاتحة .

وقد بلغ من شهرة الشيخ الدردير وذيوع صيته ، وما عرف عنه من الزهد والتقوى أن بنى له محرابا خاصا كان يصلى فيه بجوار المحراب الذى أنشأه عبد الرحمن كتخدا فى الزيادة التى تقع خلف حائط القبلة القديم . وعرف المحراب باسم (محراب الدردير) .

وقد ترك لنا الشيخ الدردير مؤلفات عدة أهمها (أقرب المسالك لمذهب مالك) ، رسالة فى المعانى والبيان ورسالة فى طريقة حفص فى القراءات ورسالة فى متشابهات القرآن .

وكان الشيخ الدردير يختلى فى زاوية له أنشأها فى حى الكعكيين (بالقرب من الغورية) بعد عودته من تأدية فريضة الحج سنة ١١٩١هـ وظل مقيما بها حتى توفى فى شهر ربيع الاول سنة ١٢٠١هـ فدفن بها . وقد زيد فى مساحة هذه الزاوية بعد وفاته كما أعيد بناؤها وأصبحت مسجدا يؤدى فيه الجمعة والجماعة . ويتكون المسجد الأن من تخطيط مستطيل يشمل جزء منه على ايوان الصلاة ، وهو مربع الشكل به صفان من الأعمدة الرخامية تعلوها عقود مدببة . وتقسم هذه الأعمدة الايوان الى ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة وفى وسط الايوان أقيمت فتحة مثمنة سقف المسجد مقامة على أربعة عقود ترتكز على اربعة من عمد الايوان ، والقصد من هذه الفتحة انارة وتهوية المسجد اذ توجد بها مجموعة من النوافذ وتعرف باسم (شخشيخة) والجزء الأخر من المسجد يشغل جزء منه ضريح الشيخ الدردير وهو عبارة عن غرفة مربعة تعلوها قبة مقامة على مقرنصات فى الأركان . أما مدخل المسجد فيوجد فى الواجهة الشرقية له وهو يؤدى الى درقاعة توصل إلى إيوان القبلة كما توصل الى الضريح .

الجـــامع الصيـــنى

بـجـــرجـــا

(١٢٠٢هـ/١٧٨٨م)

جرجا مدينة مصرية قديمة على الضفة الغربية للنيل ، كانت تتبع كورة القوصية فى العصر الفاطمى ولما ألغيت أعمال القوصية فى العصر العثمانى أنشىء بدلها ولاية جديدة باسم جرجا ، وفى سنة ١٨٩٠ أصبح اسمها مديرية جرجا ، وقاعدتها جرجا وفى القرن العشرين أصبحت سوهاج قاعدة مديرية جرجا وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت جرجا مركزا فى محافظة سوهاج .

كانت مدينة جرجا فى العصرين الفاطمى والمملوكى من أكبر مدن الصعيد الأوسط وأشهرها[١] ، وكانت رقعتها متسعة وأسواقها غاصة بالبضائع المحلية وخاصة صناعة الجلود وصناعة الأثاث من الأخشاب ، وبالبضائع المستوردة من السودان . وكانت منازلها تتكون من طابقين وأحيانا من ثلاثة ، وهى مبنية من الآجر كما استعمل الزجاج للنوافذ والفتحات ، وبها عشرون مسجدا وقد عرف أحدها باسم الجامع الصينى وذلك لتغشية جدرانه الداخلية ببلاطات القاشانى الملون[٢] كما كان يوجد بها مساجد معلقة (لوحة ١٨)

كانت ولاية جرجا طوال العصور الوسطى مقرا لإقامة الولاة والحكام والصناجق كما أنها كانت ملجأ وملاذا للعاصين من الأمراء الخارجين على سلطة الملك أو السلطان ، وكان حاكمها يقع تحت نفوذه هوارة ، وكذا أهل الواحات الجنوبية والوادى الكبير الذى يؤدى الى طريق القوافل السودانية . ويقول المقريزى[٣] ان الظاهر برقوق فى سنة ٧٨٥هـ أنزل عرب هوارة ببلاد الصعيد بعد أن نزحوا من طرابلس الغرب وأقطعهم ناحية جرجا فأقاموا بها وعمروا واستقروا بها . وجاء فى الجبرتى[٤] أن عرب هوارة كانت لهم مواقف مشرفة فى محاربة الحملة الفرنسية حين زحفت على الصعيد .

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣١٣.

(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٥٣.

(٣) البيان والاعراب ص ٣٧.

(٤) الجبرتى جـ ١ ص ٥١.

الوصف المعماري

الجامع الصيني بجرجا :

أطلقت هذه التسمية على مسجد كان يقع على شاطىء النيل ، أنشأه الأمير الكبير محمد بك الفقارى مملوك ألأمير الفقارى ولما طغى النيل عليه كغيره من الأماكن المجاورة ، أمكن الاحتفاظ ببعض أنقاضه ، وقام ببنائه من جديد الشيخ عبد المنعم المعروف بأبى بكرى ، وكان ذلك فى سنة ١٢٠٢هـ والفراغ من منارته وبياضه سنة ١٢١٩هـ .

ويقول الشيخ عبد الرحمن المصرى فى كتابه (تعطير النواحى) وسمى المسجد باسم الصينى نسبة الى أن جدرانه الداخلية كانت ولا تزال مغطاة ببلاطات من القاشانى ومن هنا جاءت التسمية . وقد كانت عادة تغشية المساجد بالقاشانى موجودة منذ العصر المملوكى ولكنها انتشرت على نطاق واسع فى العصر العثمانى .

جامع الشيخ العروسى أو "العريان"

مسجل برقم (٦٠٠) بباب الشعرية

(١٢٠٨هـ/١٧٩٣م)

هو الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسى الشافعى الأزهرى وقد عرف الشيخ أحمد بالعروسى نسبة الى بلدة منية عروس[١] التى ولد بها سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف هجرية ، وظل بها حتى شب عن الطوق ، وتعلم القراءة والكتابة فى كتاتيبها المتعددة ، ثم رحل الى القاهرة ليلتحق بالجامع الأزهر .

وقد جاء فى القاموس الجغرافى[٢] أن منية عروس ، اسمها الصحيح منيل عروس وهى من القرى القديمة التابعة لمركز أشمون جريس من أعمال المنوفية . وهى تقع على فرع رشيد فى مقابلة ناحية القطا الواقعة فى جنوب بنى سلامة ، على بعد ساعة من القناطر الخيرية . ويقول على مبارك : إن محمد على لما صمم على بناء القناطر الخيرية وعين لذلك لينان باشا ، أنشئت فى منية عروس مدرسة جمع فيها تلامذة الهندسة ليباشروا العمل فى مدة التعليم تحت رياسة لينان باشا » . وبذلك تعتبر قرية منيل عروس الصغيرة ثانى مدينة فى مصر أنشئت بها مدرسة للهندسة بعد المدرسة التى أنشئت فى القاهرة .

ويصف على مبارك منية عروس فيقول : وبتلك القرية مساجد وأبنية جليلة وفى قبليها بستان ، وسوقها سوق أشمون ، وأكثر زرعها صنف القلقاس ، والقصب الحلو ، واللوبيا وأكثر أهلها مسلمون ، ومنها عائلة مشهورة من أهل الحل والعقد فى هذا القطر ، أجلهم العلامة الفاضل الشيخ أحمد العروسى شيخ الجامع الأزهر .

وقد ترجم الجبرتى للشيخ أحمد فقال : كان رقيق الطباع ، مليح الأوضاع ، لطيفا مهذبا فيه عفة وديانة ، ودقة وأمانة » . ثم تناول بالتفصيل تاريخ حياته منذ حضوره الى

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٦ ص ٧٠

(٢) القاموس الجغرافى لاحمد رمزى جـ ٢ ص ١٩٨

القاهرة ، فتكلم عن أساتذته من العلماء والفقهاء من المصريين والاتراك والمعاهد والمدارس التى تعلم بها والتى ولى التدريس فيها ، فهو يقول : وقدم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوى الصحيح (الحديث) بالمشهد الحسينى وعلى الشيخ الشبراوى الصحيح والبيضاوى والجلالين . كما تتلمذ فى المدرسة الأشرفية على يد الشيخ شمس الحنفى وقد أنشأ المدرسة الاشرفية السلطان الاشرف برسباى فيما بين السيوفية[1] وقيسارية العنبر (تقع الآن بشارع المعز لدين الله وناصية السكة الجديدة) . وقد أقيمت بها الجمعة سنة ٨٢٧هـ .

كما تفقه على كل من الشيخ الشبراوى والعزيزى والحنفى والشيخ قايتباى الاطفيحى وغيرهم وتلقى جملة فنون عن الشيخ الصعيدى ولازمه السنين العديدة حتى أنه أصبح معيدا لدروسه فى جامع مرزة ببولاق . وقد أنشأ هذا الجامع الأمير مصطفى جوربجى ميرزة سنة ١١٢٠ ، ويتكون من صحن مفروش بالرخام تحيط به من جهاته الأربعة ، أربعة ايونات لتدريس المذاهب السنية الأربعة ، وكان الشيخ الصعيدى يجلس لتدريس المذهب الشافعى فى ايوان الشافعية بهذا الجامع ، وهو ايوان القبلة فى نفس الوقت .

كما يذكر الجبرتى أنه لازم والده الشيخ حسن الجبرتى وأخذ عنه وقرأ عليه فى الرياضيات كتبا كثيرة فى الجبر والمقابلة ، فقد كان حسن الجبرتى من علماء الفلك المشهورين فى العصر العثمانى وقد صنع كثيرا من المزاول والاسطرلايات .

والى جانب انقطاعه للدرس والتحصيل فى مختلف العلوم والفنون وملازمته لكبار العلماء والفقهاء فى عصره ، فقد دفعه ورعه وتقواه الى التردد على أولياء الله الصالحين من المتصوفين وملازمتهم فى أوقات فراغه ، فقد ذكر على مبارك[2] : واجتمع بعد ذلك على ولى عصره الشيخ أحمد العريان ، فأحبه ولازمه واعتنى به الشيخ وزوجّه احدى بناته وبشره بانه سيسود ويكون شيخا على الجامع الأزهر ، فظهر ذلك بعد وفاة الشيخ العريان بمدة .

وكان لما وصل اليه الشيخ أحمد من علم وفضل وسماحة الخلق أثره فى اختيار رجال الدين والفقهاء له ليكون شيخا للجامع الأزهر . ووظيفة (مشيخة) الأزهر ، نظام استحدث فى اوائل العصر العثمانى[3] ، وان كنا لم نوفق الى العثور على أسماء العلماء الذين تولوا مشيخة الأزهر قبل أواخر القرن الحادى عشر الهجرى لنقص الوقائع

---

(١) المقريزى جـ٤ ص ١٤٠

(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٦ ص ٧٠ ، ٧١

(٣) الازهر أثر وثقافة للمؤلفة ص ٣٣ ، ٣٤

والمراجع . وقد تولى الشيخ أحمد العروسى مشيخة الأزهر سنة ١١٩٢هـ بعد وفاة شيخها السابق الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى . ويصف لنا الجبرتى كيفية اختيار الشيخ أحمد العروسى لمشيخة الازهر فيقول : لما توفى الشيخ أحمد الدمنهورى شيخ الجامع واختلفوا فى تولية الشيخ ، فوقعت الاشارة عليه (اى الشيخ احمد العروسى) واجتمعوا بمقام الامام الشافعى رضى الله عنه ، واختاروا احمد العروسى للمشيخة ، فصار شيخ الازهر على الاطلاق ، ورئيسه بالاتفاق يدرس ويعيد ويملى ويفيد » . وقد قام وهو فى مشيخة الازهر بتأليف مجموعة من الكتب الدينية لعل أهمها (شرح على نظم التنوير فى اسقاط التدبير) و(حاشية على الملوى على السمرقندية) .

وكان الشيخ أحمد جريئا مقداما ، شارك فى كثير من أحداث البلاد التى عاصرته بقصد تخفيف الوطأة على مواطنيه ، فقد كان له فضل لا ينسى فى وضع حد للفتن والفوضى التى حدثت بين المماليك بزعامة ابراهيم بك ومراد بك فى الصعيد ، وأمراء العثمانيين فى وجه بحرى ، رشيد ، والبحيرة ، والقاهرة ، لاغتصاب السلطة ، حتى كادت الحياة أن تتعطل فى مدينة القاهرة ، ويصف لنا الجبرتى هذه الحالة فيقول : « وأفسدوا فى الارض فتعطل السير برا وبحرا ولو بالخفارة حتى أن الانسان أصبح يخاف أن ينهب من المدينة الى بولاق أو خارج باب النصر . ومن كل ذلك حصل وقف الحال وضيق المعاش سيما فى مدينة مصر وانقطعت الطرق وامتنعت السبل ، وعدم الأمن ، وانقطعت الأرزاق المجلوبة الى المدينة ، فاقتضى رأى الشيخ أحمد العروسى أن يجتمع مع المشايخ ويركبوا الى الباشا ويتكلموا معه فى شأن هذا الحال » .

ويسترسل الجبرتى فى سرد تفاصيل هذه الأحداث المؤسفة التى وقعت للبلاد حتى ينتهى الى رأى الشيخ أحمد العروسى الحاسم فى كيفية معالجة هذه الفتن فيقول : وجاء فرمان من السلطان ومضمونه الحث والتشديد على محاربة الأمراء القبلية (أى المماليك) وطردهم وأبعدهم ، فلما فرغوا من قراءته تكلم الشيخ أحمد وقال : « وما المانع لكم من الخروج . وقد ضاق الحال بالناس ولا يقدر أحد أن يصل الى بحر النيل ، وقربة الماء باثنى عشر نصف فضة ، وحضره اسماعيل بيك عبدى مشتغل ببناء المتاريس ، وهذه ليست طريقة المصريين فى الحروب بل طريقتهم المصادمة وانفصال الحرب فى ساعة اما غالبين أو مغلوبين وأما هذا الحال فانه يستدعى طولا وذلك يقتضى الخراب » .

وقد أخذ الباشا برأى الشيخ احمد وقضى على الفتن والاضطرابات ونجت القاهرة من كارثة محققة كادت تودى بأهلها لولا تدخل شيخ أزهرها الشيخ العروسى .

وكأنما كانت مشيخة الأزهر وراثية في أسرة العروسي ، فقد تولى اثنان من أولاده الأربعة الذكور الذين أنجبهم الشيخ أحمد مشيخة الازهر بعده ، فقد ورد في الخطط[1] التوفيقية «وقد خلف الشيخ احمد العروسي أربعة أولاد ذكور ، كلهم فضلاء نجباء أحدهم الذي تعين للتدريس في محله في الازهر ، وصار شيخا على الجامع بعد أبيه وهو العلامة اللوذعي والفهامة الألمعي شمس الدين السيد محمد ، أما الثلاثة الأخر فهم السيد أحمد والسيد عبد الرحمن والسيد مصطفى الذي تولى شيخا على الجامع الازهر سنة ١٢٨١هـ .

ويعتبر الشيخ مصطفى العروسي من الشخصيات اللامعة من بين شيوخ الأزهر ، فهو كما قال علي مبارك ، كان عالما فاضلا أخذ عن أكابر عصره حتى برع ودرس وأفاد وألف وأجاد . ثم يصف شكله وخلقه فيقول : كان نحيف الجسم أسمر اللون متوسط القامة فصيحا متكلما سامرا لا يهاب يجالس الأمراء وفيه عفة وقناعة» .

ومن الاعمال التي تذكر للشيخ مصطفى بالفضل بالنسبة للأزهر خاصة والدين عامة ابطاله كثيرا من البدع كالاستجداء بالقرآن ، كما أنه عزم على إدخال الامتحانات بالأزهر فكان هذا سببا في عزله ، ولكن الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي ، الذي تولى مشيخة الأزهر بعده نفذها .

وقد توفي الشيخ أحمد العروسي سنة ١٢٠٨هـ وصلى عليه بالأزهر ودفن بمدفن صهره الشيخ العريان ، كما دفن معه بقية أولاده من شيوخ الأزهر الكرام .

(١) علي مبارك جـ ١٦ ص ٧١

الوصف المعمارى

كان جامع العروسى يعرف فى أوائل القرن التاسع عشر باسم جامع العريان ، فقد جاء فى الخطط التوفيقية : هذا الجامع بشارع سوق الزلط (شارع العروسى الآن) تجاه جامع الزاهد بالقرب من منزل الشيخ العروسى ، أنشأه الشيخ أحمد الشهير بالعريان المتوفى سنة ١١٨٤هـ . وجاء فى الجبرتى أن الشيخ العريان هو الولى العارف بالله تعالى الاستاذ الشيخ أحمد بن حسن النشرتى الشهير بالعريان ، كان من أرباب الكرامات والأحوال ولد فى أوائل القرن الثانى عشر للهجرة ، يحج كل سنة ، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولكن اذا قرأ قارىء بين يديه وأخطأ يقول له قف فإنك غلطت » . ويصف الجبرتى ملبسه وأحواله فيقول : « وكان يلبس الملابس الخشنة وهى جبة صوف ، وعمامة صوف حمراء ، يتعمم بها على لبدة من صوف ويركب بغلة سريعة العدو ، وملبسه دائما على هذه الصفة . وكان شهيرا بالذكر يعتقده الخاص والعام . ويأتى الأمراء والاعيان لزيارته والتبرك به فيأخذ منهم دراهم كثيرة ينفقها على الفقراء المجتمعين عليه » .

ويتحدث عن المسجد فيقول : « وأنشأ مسجده تجاه جامع الزاهد ، بجوار داره وبنى بجواره صهريجا ، وعمل لنفسه مدفنا وكذا لأهله وأقاربه وأتباعه واتحد به الشيخ أحمد العروسى واختص به اختصاصا زائدا فكان لا يفارقه سفرا ولا حضرا . وعلى كل من ضريح الشيخ العريان والشيخ أحمد العروسى مقصورة عملها ذرية الشيخ العروسى وله مولد يعمل كل سنة »

ويصف على مبارك المسجد فيقول : « يشتمل الجامع على ستة عشر عمودا من الرخام غير عمودى المحراب ، وكان قد حصل فيه خلل فعمره ناظره الشيخ مصطفى العروسى ، وقام بشعائره جميعها وبأعلاه مكتب وله أوقاف جارية عليه » .

ويتكون المسجد الحالى من مستطيل يصعد اليه بقالبتين من الدرج من داخل مدخله الرئيسى الذى يقع فى الطرف الشمالى الغربى لواجهة الجامع ، وفى الطرف الشمالى الشرقى يوجد سبيل يعلوه كتاب . ويتكون مكان الصلاة من مستطيل يقسمه ثلاث بوائك الى أربعة

أروقة موازية لحائط القبلة . وتتكون كل بائكة من خمسة أعمدة رخامية تحمل ستة عقود مدببة ممتدة . ويتوسط حائط القبلة محراب كبير زخرفت خواصر عقده ببلاطات من القاشانى التركى ، كما يوجد مثل هذه البلاطات فى واجهة المدخل الرئيسى للجامع ، وفى الجانب الشمالى وبجانب السبيل والكتاب يوجد ضريح الشيخ العريان وهو عبارة عن حجرة مربعة مرتفعه يبلغ ارتفاعها ارتفاع السبيل والكتاب معا . وبأركان الضريح الأربعة يوجد ثلاث مقرنصات تقوم فوقها القبة مباشرة وبين المقرنصات فى الجهات الأربع توجد نوافذ قنديلية ، المستطيل منها مملوء بالخشب الخرط والدائرة مملوءة بالجص المعشق بالزجاج الملون ، ومثل هذه النوافذ توجد فى أعلى جدار القبلة .

وفى الجانب الجنوبى للجامع يوجد ضريح آخر به الشيخ أحمد العروسى وأولاده الذكور الأربعة .

وتقع مئذنة الجامع أعلى الواجهة الشمالية وتتكون من دورتين وهى مملوكية الطراز .

مسجد حسن باشا طاهر

ببركة الفيل بالقاهرة
(١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)

يجدر بنا قبل أن نتناول ترجمة حسن باشا طاهر منشىء هذا المسجد بالبحث والدراسه، أن نبدأ بتاريخ مؤسسن هذه الأسرة بمصر.

لقد تولى محمد باشا طاهر الأرنؤدى وظيفة محافظ[١] على مصر من قبل الدولة العثمانية، وكان قبل ذلك قائدا للجنود الالبانية أثناء ولاية خسرو باشا على مصر[٢]. وقد استطاع محمد طاهر باشابناء عن مشورة محمد على باشا، أن يؤلب الجنود الألبانية على خسرو باشا، ثم تولى ولاية مصر بعده، واستمر مدة ستة وعشرين يوما، حتى أوعز محمد على باشا الى جنده بمطالبته برواتبهم فلما عجز عن تلبية مطلبهم قتلوه[٣] (١٢١٨ / ١٨٠٣) ودفنوه فى قبة فى بركة الفيل.

ويحدثنا الجبرتى عن محمد طاهر باشا أثناء ولايته على مصر، دون ان تعترف الدولة العثمانية بذلك، فيقول: كان محافظا على الديار المصرية من طرف الدولة، ثم تغلب عليها وصار واليا، وكان كثير المصادرات ويحب سفك الدماء. وكانت له دار بالحبانية وهى التى قتل فيها. ويبين لنا الجبرتى سبب قتله فيقول: وسبب قتله أن طائفة الانكشارية كانت كلما تطلب منه شيئا من جماكيهم (اى رواتبهم) يقول لهم ليس عندى شىء فاذهبوا وخذوه من محمد على باشا، فضاق خناقهم وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والى المدينة. فلما كانت سنة ثمان عشرة ومائتين والف ركبوا من جامع الظاهر، وهم نحو المائتين وخمسين نفرا بعددهم وأسلحتهم كما هى العادة وخلفهم كبراؤهم وذهبوا الى طاهر

---

(١) الجبرتى جـ ٣ صفحة ٢٤٧

(٢) اسماعيل سرهنك: حقائق الاخبار فى دول البحار جـ ٢ صفحة ٢٢١

(٣) عبد الرحمن الرافعى بك: الحركة القومية جـ ٢ صفحة ٣٣٩

باشا وسألوه فى جماكيهم فقال ليس لكم عندى الا من يوم ولايتى اى (١٦ يوما) وان كان لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد على . وعندما الحوا عليه نتر فيهم فعالجوه بالحسام وضربه أحدهم فطير رأسه ورماه من الشباك الى الحوش .

أما عن أحمد باشا الذى اتفق مع العسكر على قتل طاهر باشا ، فهو الصدر المعظم والدستور المكرم الوزير أحمد طاهر باشا ويقال انه ابن[1] أخت محمد على باشا . وقد كان ناظرا على ديوان الجمارك ببولاق وعلى (الخمامير) ومصارفه من ذلك يتضح لنا ان محمد على قد اوعز الى ابن أخته من التخلص من محمد طاهر باشا وذلك بقتله على يد جنوده .

وقد استطاعت فرقه الأرنؤدية من أخذ رأس محمد طاهر باشا ودفنها مع باقى الجثة فى قبة ببركة الفيل

---

(١) الجبرتى جـ ٣ صفحة ٢٥١

الوصف المعمارى

يروى على مبارك[1] تاريخ جامع حسن باشا طاهر فيقول : هذا المسجد بشارع بركة الفيل على يمين الذاهب من الصليبة (حتى طولون الآن) الى البركة . وقد كتب على بابه البرانى (الخارجى) النص التالى :ـ

أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله سبحانه وتعالى أفندينا حسن باشا طاهر والأمير عبدين بيك غفر الله لهما سنةَ أربع وعشرين ومائتين وألف من الهجرة الشريفةَ النبوية .

ويضيف فى وصف شكله فيقول : وهو مبنى من الحجر وأعمدته من الرخام وسقفه خشب بصنعة بلدية . وفيه منبر عظيم ودكة وله صحن مسقوف بعضه وعليه درابزين من خشب . وأرضه مفروشة بالحجر ، وفى وسطه حنفية عليها قبة .

ويحدثنا عن القبة المدفون بها محمد طاهر باشا فيقول ، وعن شمال الداخل من الباب البرانى توجد قبةٌ بها ضريح مكتوب عليه فى لوح رخام ، هذا مقام الأربعين (لعل المقصود أن الضريح يحوى جثة اربعين وليا) والنازل بجوارهم أفندينا محمد طاهر باشا والامير يوسف بيك رحمة الله تعالى عليهم أجمعين » .

ويجوار باب المسجد وفوق السلالم باب يوصل الى المنارة والمكتب والسبيل . وهناك حنينةٌ لطيفة تسقى من ساقية المطهرة . وللجامع عقارات بجواره موقوفة عليه . وشعائره مقامة من ايرادها بنظام تام . وبالجامع بسط مفروشة وهو تحت نظر سليم بيك فوزى ابن اسماعيل بيك فوزى

ويتكون الجامع من مبنى مستطيل بجوار القبة ، يتقدمه من الجهة الغربية المدخل الرئيسى يحيط به رواق يرتفع الى نهاية جدران المسجد ، ويتكون من ثلاثة فصوص (عقد مدائنى مخوص) ملئت بالمقرنصات والدلايات . ويصعد الى باب المسجد الذى يتوسط المدخل الرئيسى ببضع درجات ، على يمينه باب يؤدى الى السبيل الملحق به .

وقد فرشت أرضية المسجد بالرخام الملون البديع الزخارف ، ويتوسط المسجد حوض رخامى مستدير من قطعة واحدة يستعمل مطهرة (للوضوء) . ويشتمل الجامع على ثلاثة

(١) الخطط التوفيقية جـ ٤ صفحة ٨٧

اروقة موازية لحائط القبلة يقسمها بائكتين تحتوى كل منهما على أربعة عقود مدببة ترتكز على ثلاثة أعمدة من الرخام . ويغطى المسجد سقف خشبى يتوسطه منور ، ويضيء المسجد مجموعة من النوافذ المعقودة توجد بأعلى جدرانه وقد ملئت بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

ويتوسط حائط القبلة محراب زين تجويفه وكذا طاقيته بالزخارف الزيتية المتعددة الألوان ، كما يعلو المحراب قبة صغيرة مزخرفة برسوم متعددة الألوان فتحت فيها نوافذ جصية صغيرة لاضاءة رواق المحراب . وبجوار المحراب يوجد منبر خشبى مصنوع بطريقة الخرط والحشوات المجمعة وبابه مستدير . وفى الرواق الغربى توجد دكة المبلغ محمولة على الجدار وعلى عمود رخامى .

وبالجهة الشمالية للجامع توجد مصلى سقفها قائم على عمود رخامى لها محراب فى وضع منحرف . كما يوجد غربى المدفن حديقة صغيرة .

وفى الطرف الشرقى للجامع توجد المئذنة وهى من المآذن الرشيقة ذات الطابع المملوكى ، فهى تتكون من ثلاث طوابق الأول والثانى على شكل مثمن أما الثالث فمستدير الشكل وتنتهى من أعلى بترس أسفل الخوذه . ويفصل بين الدورات الثلاث شرفتان من الحجر المخرم ذى الزخارف البديعة التكوين والمرتكز على ثلاث حطات من المقرنصات الصغيرة والدلايات .

والى يسار الجامع توجد القبة التى دفن فيها محمد طاهر باشا وغيره ، هى أيضا تخالف القباب العثمانية . فهى تتكون من مربع تغطيه قبة كبيرة ، شغل منطقة الانتقال فيها مجموعة من الحطات المقرنصة المجمعة فى تشكيلات غاية فى الابداع . وقد بدت أركان منطقة الانتقال من الخارج على شكل مثلثات مدرجة يفصل بينها نوافذ قنديلية .

وتقوم فوق منطقة الانتقال رقبة مرتفعة فتح فيها ثمان نوافذ معقودة استعمل أربعة منهاوالباقى مسدود . وهذه النوافذ مملوءة من الداخل بالزجاج المعشق المتعدد الألوان . ويفصل بين الرقبة والقبة شريط نقش به كتابات قرآنية بالخط الثلث . أما القبة فهى مدببة حلى بدنها بـ(٩٦) قناة مشطوفة .

أما مربع القبة فقد زخرفت واجهاته بالنقوش المحفورة فى الحجر وكذا القاشانى وقد سجل على عتب بابها النص الآتى :ـ

هذا مقام الأربعين والنازل بجوارهم أفندينا محمد باشا طاهر والأمير يوسف بيك رحمهم الله تعالى أجمعين (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩ م)

ويوسف بك مدفون مع محمد طاهر فى قبر واحد نقشت عليه الكتابة الآتية :-

وزير مصر للاله قد مضى لا اعتراض لحكم مولى قاهر

عليه رضا الرحمن قلت مؤرخا فى حبه الفردوس محمد طاهر ١٢١٨هـ

كما توجد مقبرة ثانية مكتوب عليها :

هذا قبر المرحوم ابراهيم بك ابن أمير اللواء طالب بيك توفى الى رحمة الله تعالى يوم الأحد شهر جماد آخر ١٢٢٩ كما كتب على قبر ثالث : هذا قبر المرحوم يوسف بيك طاهر توفى الى رحمة الله تعالى يوم الخميس - شعبان ١٢٢٣هـ كما يوجد بالقبة تابوت خشبى باسم الأربعين .

وحرصا من حسن باشا طاهر على أن تكون شعائر هذا المسجد مقامة ومستمرة فقد أنشأ تجاهه عمارة وقفها للصرف على المسجد ، وقد سجل تاريخ العمارة على لوحة ما تزال موجودة بالقبة وفيما يلى نصها :-

وكان الفراغ من العمارة الكائنة بخط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر حرر ذلك فى يوم الجمعة المبارك ٢٩ حلت من شهر رجب الفرد ١٢٣٨هـ

كما توجد لوحة أخرى بمتحف الفن الاسلامى برقم (٥٣) فيما يلى نصها :-

وكان الفراغ من تجديد هذا المكان المبارك تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر يوم الجمعة المبارك فى ٢٩ خلت من شهر رجب ١٢٣٨ من هجرة من له العز والشرف[١]

(١) حسن عبد الوهاب ، المساجد الأثرية صفحة ٣٥٩

ضريح الشيخ حسن العطار

رائد البعث العلمى فى مصر الحديثة

(١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

هو العلامة شيخ الاسلام الشيخ حسن بن محمد العطار المصرى المولد والنشأة المغربى الأصل . ولد بمدينة القاهرة[١] سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) ونشأ فى رعاية والده الشيخ محمد كتن ، الذى كان يشتغل بمهنة العطارة . وكان الشيخ محمد يستصحب ولده حسن فى أول أمره الى دكان عطارته ويستخدمه فى بعض صغار الشئون ، ومن هنا جاءه لقب العطار . ولشدة ذكائه وفطنته كان يميل الى العلم وتأخذه الغيرة عند رؤية أترابه يترددون على المكاتب والمدارس . ولقرب حانوت والده من حى الأزهر ، كان يتردد خفية الى الجامع الأزهر حتى حفظ القرآن فى مدة يسيرة ، ولما علم أبوه بذلك بارك اتجاهه وشجعه فأقبل على طلب العلم وجد فى التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الأمير والشيخ الصبان وغيرهما حتى بلغ من العلم والمعرفة فى زمن قليل ما هيأه للتدريس ، ولكنه مال الى استكمال ثقافته ومعارفه فعكف على دراسة الكثير من العلوم والفنون حتى أتقنها وانتفع بها . وقد أفاده فى سرعة التحصيل والاستفادة قوة حافظته وحدة بصره ونهمه للقراءة وفى ذلك يقول معاصره الشيخ محمد شهاب الشاعر : « كان العطار آية فى حدة النظر وشدة الذكاء ، فكان يزورنا ليلا فى بعض الأحيان فيتناول الكتاب الدقيق الخط الذى تعسر قراءته فى وضح النهار فيقرأ فيه على ضوء السراج . وربما استعار الكتاب فى مجلدين فلا يلبث عنده الا أسبوعا أو أسبوعين ويعيده الى وقد استوفى قراءته وكتب فى طرزه على كثير من مواضعه » .

ويقول أحمد تيمور نقلا عن الجبرتى ، ولما دخل الفرنسيون مصر غادر حسن العطار مع جماعة من العلماء القاهرة الى الصعيد ، فلما هدأت الأحوال قليلا عاد اليها ، فقرّبوه

---

(١) أحمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ص ١٩

منهم واتصل بعلمائهم فأفادهم واستفاد منهم . لقد رحل الشيخ حسن الى أسيوط فرارا من وجه الفرنسيين ، وظل هناك حتى اطمأنت النفوس ، فعاد مع العائدين . وبدأت صلة العطار بالفرنسيين منذ ذلك التاريخ وتوثقت هذه الصلة حتى أصبح يفهم عنهم ويتحمس لحضارتهم وعلمهم ويبشر بضرورة الانتفاع بكل ذلك . ثم رحل العطار الى سوريا وتركيا ولم يعد الا فى عهد محمد على ، والراجح ، كما يقول ، سامى[1] بدراوى ، أنه خرج مكرها بسبب العسف الفرنسى ، أو احتجاجا على إساءة الفرنسيين معاملة المصريين ، وقد ذكر هذه الرحلات فى بعض رسائله الخاصة . فبالنسبة الى رحلته الى الشام جاء فى رسالة[2] له : اتفق لى اننى بعد قضاء صحتى توجهت مع الركب الى الشام فوصلت الى (معان) ثم الى بلدة (الخليل) فأقمت بها نحو عشرة أيام ، ثم توجهت الى القدس الشريف ، فنزلت بدار نقيبها السيد عمر أفندى الذى كان من عادته الاحتفال بالموسم الموسمى وإطعام الفقراء ، ثم سافر الى دمشق وأقام بالمدرسة البدرية زمنا غير قصير وأعجب بها وبعلمائها ومدحها فى بعض قصائده . ولما سافر الى استنبول أقام هناك مدة طويلة ، تأهل بها وأعقب ولم يبق عقبه ، ولم يزل مشتغلا هناك بالافادة والاستفادة حتى عاد الى مصر بعلوم كثيرة ولما حضر الى القاهرة أقر له علماء عصره بالانفراد وعقد مجلسا لقراء تفسير البيضاوى ، وكانت قد مضت على هذا التفسير مدة طويلة لا يقرأه أحد ، فحضره كبار الشيوخ والفقهاء والتفوا حول دروسه .

وكان مؤرخ مصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى من معاصرى الشيخ العطار ومن المعجبين بغزارة علمه وبأسلوبه المتميز الرائق وشعره الفائق ولا عجب فهو مصرى أولا وقاهرى تربى بالقاهرة فرق خياله ونعم بجمال طبيعتها ومنشآتها ومبانيها فتغنى بها . وفى ذلك يقول الجبرتى[3] عندما وصف النكبة التى حلت بالأزبكية ودورها المحروقة بالبركة عند احتلال الفرنسيين وقال : « وصارت كلها تلالا وخرائب كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا موطن أنس ونزهات » . واستشهد بقول العطار فى وصفها ابان ازدهارها فقال : « وفيها يقول صديقنا العلامة والنحرير الفهامة حسن العطار ، حفظه الله : « وأما

---

(١) سامى بدراوى : فى مجلة (المجلة)

(٢) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٣٩

(٣) تاريخ الجبرتى جـ ٣ ص ٣٧

بركة الازبكية فهى مسكن الأمراء وموطن الرؤساء وقد أحدقت بهـا البسـاتين الوارفة الظلال، العديمة المثال، فترى الخضرة خلال تلك القصور المبيضة، كثياب سندس خضر على أثواب من فضة، يوقد بها كثير من السروج (أى المسارج) والشموع فالانس بها غير مقطوع ولا ممنوع، وجمالها يدخل على القلوب السرور، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور. ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليالى، هن سمط الايام من يتم اللآلى. وأنا أنظر الى انطباع صورة البدر فى وجناتها، وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها والنسيم بأذياب ثوب مائها الفضى لعـاب، وقد سل على حافاتها من تلاعب الأمواج كل قرضاب، وقام على منابر أدواحها فى ساحة أفراحهـا مفردات الطيور وجالبات السرور، فلذيذ العيش بها موصول ».

وظل الشيخ حسن مصدر اشعاع لمختلف العلوم، كما يقول أحمد تيمور(١)، الى أن ولى المشيخة عقب وفاة الشيخ محمد الشنوانى سنة ١٢٤٦هـ فزانها وشرفها، وظل شيخا للأزهر الى أن توفى سنة ١٢٥٠هـ وقد ترك العديد من المؤلفات دون معظمها يوسف سركيس فى معجم المطبوعات العربية نذكر منها، انشاء العطار فى المراسلات والمخاطبات وكتابة الصكوك وكل ما يحتاج اليه الخاص والعام. وله حواش متعددة على أمهات كتب الشريعة والفقه الاسلامى مثل حاشية العطار على التذهيب للخبيصى، وعلى جامع الجوامع، وعلى متن السمرقندية (بلاغة) وعلى شرح الأزهرية وفى الشعر له منظومة العطار فى علم النحو وكذا فيما يختص بمختلف العلوم والفنون.

وقد جاء فى الخطط التوفيقية أن للشيخ حسن العطار رسالة فى كيفية العمل بالاسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط، ورسائل فى الرمل والزابرجة والطب والتشريح وغير ذلك، ويضيف على مبارك على ما تقدم فيقول: « وكان يرسم بيده المزاول النهارية والليلية ».

وليس من شك فى أن الشيخ حسن قد استفاد الكثير من أسفاره ورحلاته فاكتملت شخصيته فلما عاد الى مصر فى عصر محمد على، عاد موسوعيا فى ثقافته وعلمه يطاول علماء الازهر الافذاذ ويمتلىء حماسة لتطوير البلاد واصلاح احوالها وقد فلسف الاستاذ سامى بدراوى جهود العطار الاصلاحية وأجملها فى ميدانين هما التعليم والثقافة، والثانى

---

(١) احمد تيمور ص ٢١

فى النواحى السياسية . أما فى مجال التعليم والثقافة فهو بحق رائد البعث العلمى فى مصر الحديثة . فقد بدأ ينبه الأزهريين فى عصره الى واقعهم القيادى فى العالم الاسلامى ، ويبين لهم ضرورة ادخالهم المواد الممنوعة كالفلسفة والأدب والجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية كالطب والكيمياء والفلك وما إليها . كما حث على ضرورة الاقلاع عن أساليبهم فى التدريس ووجوب الرجوع الى الكتب الأصول وبعث التراث العربى القديم . فقد جاء فى بعض رسائله ضمن تأمل ما سطرناه وما ذكر من التصدى لتراجم الائمة الاعلام ، علم أنهم كانوا مع رسوخ قدمهم فى العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم ، واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى فى كتب المخالفين فى العقائد والفروع . ثم هم مع ذلك ما خلوا فى تثقيف ألسنتهم وترقيق طباعهم من رقائق الأشعار ولطائف المحاضرات » .

ولم يكتف العطار بالقول والموعظة بل أتبعه بالعمل والتنفيذ ، فقد خرج على الجمود العلمى الأزهرى بتدريسه للمواد الممنوعة ، فدرس الجغرافيا والتاريخ فى الأزهر وخارج نطاق الازهر . كما درس تلميذه محمد عياد الطنطاوى الادب فى الازهر بايحاء العطار وتحت اشرافه فى (مقامات الحريرى) . كما درس تلميذه رفاعة الطهطاوى الحديث والسنة بطريق المحاضرة وبلا نص مما كان مثار إعجاب العلماء . وإلى جانب العلوم الدينية والأدبية فقد كتب الشيخ العطار فى العلوم والفنون الأخرى فى المنطق والفلك والطب والطبيعة والكيمياء والهندسة كما يتضح من قائمة مطبوعاته ومن اشاراته الى اعجابه بالفرنسيين من تحويل علومهم الى عمل وكذا تردده على الموصد الذى أنشأه الفرنسيون ، ورسم بيده المزاول النهارية والليلية .

أما عن الجانب السياسى من نشاطه ، فان الفكرة الشائعة عنه أنه كان مسالما بطبعه يلتزم بأسلوب العلماء فى الآراء التى يبشر بها ، أو كما يقول العقاد : انه كان حصيفا كيسا فلم يقحم نفسه فى مجال السياسة . أما البدراوى فله رأى معارض ، اذ يقول : « ان تلك الفكرة الشائعة بينه من دروس الرجل وأعماله من أنه كان مسالما وحصيفا كيسا فهى نظرة من الخارج او هى نظرة على السطح » ويستشهد على صحة رأيه هذا برحيل العطار الى خارج مصر احتجاجا على اساءة الفرنسيين معاملة المصريين . كما يرد على من قال إن العطار كان رجل محمد على وصنيعته ، فيقول : « إن هناك اشارات متفرقة يمكن جمعها وتعميقها للاستدلال على موقف العطار السياسى ، وأولى هذه الاشارات ، أن الرجل كان

صديقا حميما للجبرتى المؤرخ ، وأنه أسهم معه فى تأليف كتابه (مظهر التقديس) . والمعروف عن الجبرتى انه كان ينقم على محمد على على افتياته على الكيان المصرى والشخصية المصرية ، وإن أعجب بنشاطه وحزمه . ثم يعقّب البدراوى على رأى الجبرتى فيقول ، وليس ببعيد أن يكون رأى العطار مماثلا لرأى الجبرتى فى محمد على ، لاسيما أن الرجل كان شديد الغيرة على المصلحة العامة ، شديد الحرص على تشخيص الواقع المحيط به وتغييره .

نخلص من كل ما تقدم أن الشيخ حسن العطار لم يلجأ الى النقد المباشر أو المجابهة العلنية ولكننا نؤكد فى ثقة واطمئنان أنه قام بدور ايجابى فعّال فى مشكلات المجتمع المصرى الثقافية والتعليمية والسياسية .

وقد رغب الشيخ حسن فى أواخر أيامه أن يرحل الى البلاد الحجازية ، وفى ذلك يحدثنا تلميذه السقا فيقول : إن بعض سكان مكة المكرمة المارين بمصر ، أعجبهم علم الشيخ العطار فأحبوا أن يقيم بينهم ليخلف فيهم (ابن حجر الهيثمى) وينتفعوا به وبعلمه فاجتمعوا به ، وما زالوا يحسنون له الرحلة حتى أجاب ، وأخذ فى تجهيز نفسه ، وسمع تلاميذه بذلك فاشتد أسفهم . ولم يكن فيهم من يجرؤ على منعه « وهنا يضيف الشيخ السقا فيقول : « فاحتلت بأن أخرجته بعد الدرس من صحن الأزهر ، ونحن فى حمأة القيظ ، وأخذت أسأله بعض المسائل وأخرج من واحدة لاخرى ، وهو يرفع رجله ويضعها من شدة حر البلاط ، حتى تبين لى الضجر فى وجهه وانتهرنى ، فقلت : يا سيدى أنت لا تطيق حر الشمس وانت بمصر ، فكيف لك بالحر فى مكة وهو هناك اضعاف ما هنا . ففكر ثم جزانى خيرا ، وفترت همته عن السفر واستقر بالقاهرة شيخا للجامع الازهر حتى توفى سنة ١٢٥٠هـ ودفن بضريحه بقرافة المجاورين ويتكون ضريحه من حجرة مربعة تعلوها قبة صغيرة تقوم على مقرنصات فى الأركان وفى الجدار الجنوبى الشرقى لها يوجد محراب صغير كذلك

مسجد سليمان أغا السلحدار

بشارع أمير الجيوش المعز لدين الله حاليا

(١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)

يوجد هذا المسجد عند بدايه حارة برجوان بشارع أمير الجيوش (المعز لدين الله) حاليا . .

أما منشىء هذا المسجد فهو الأمير سليمان أغا السلحدار ، أحد أمراء محمد على باشا ، جاء الى مصر صغيرا وأخذ يترقى فى الوظائف حتى أصبح أمير لواء السلاح فى عهد محمد على .

وقد ترجم له الجبرتى[1] ، فقال إنه كانت له سطوة كبيرة ، وكان متعسفا فى معاملة موظفيه ، كما كان جشعا استولى على الكثير من انقاض المساجد المتهدمة والمتخربة فى صحراء المماليك بالقاهرة ، واستعملها فى عمائره ومنشآته الكثيرة المتعددة . ولم يكتف سليمان أغا بذلك فحسب بل تعسف كذلك أشد التعسف فى نزع ملكيات المبانى والعقارات التى يريد ان يقيم مكانها وكالاته ومساجده والعمائر والمنشآت العقارية المتعددة .

وما يزال الكثير من منشآته وعمائره التى أقامها باقية حتى الآن ، وهى متمركزة فى القاهرة القديمة . فهناك وكالة فى خان الخليلى ، وثانية توجد بجوار خانقاه بيبرس جاشنكير بالجمالية ، وغيرهما من الحمامات والأسبلة . كما انشأ مسجدا آخر غير المسجد موضوع البحث ، هو المسجد الأحمر الذى يقع بشارع الجامع الأحمر[2] .

---

(١) الجبرتى جـ ٤ صفحة ٣١٤

(٢) على مبارك جـ ٥ ص ١٥ .

الوصف المعمارى

يجمع جامع السلحدار بين الطرازين المعماريين العثمانى والمملوكى جنبا الى جنب . فالمسجد يتكون من مستطيل ينقسم الى مربعين ، المربع الغربى يشتمل على حرم المسجد ، أى صحنه . وهو عبارة عن صحن تحيط به الأروقة من جهاته الاربع تغطيها قباب صغيرة ضحلة تقوم على عمد رخامية . وقد زخرفت قطب كل قبة بنقوش زيتية متعددة الألوان قوامها رسوم نباتية وهندسية وكتابات قرآنية . ويغطى الصحن ، سقف خشبى فتح فى وسطه فتحة (شخشيخة) للتهوية والاضاءة وحماية المسجد من الأمطار اذا سقطت .

أما المربع الشرقى فيحتوى على مكان الصلاة ويتكون من بائكتين يشتمل كل منهما على عمودين من الرخام تقوم عليهما عقود مستديرة . ويقسم البائكتين مكان الصلاة الى ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة . ويغطى مكان الصلاة سقف خشبى زخرف بنقوش زيتية متعددة الألوان .

ويتوسط جدار القبلة فى مكان الصلاة محراب من الرخام ، وهو كما يقول حسن عبد الوهاب[1] ، فريد فى نوعه ، فقد اتخذ الجزء المجوف منه من قطعة واحدة ، وكذا طاقيته ، التى كتب عليها قوله تعالى « فلنولينك قبلة ترضها » ويكتنف المحراب أفاريز رخامية زخرفت برسوم نباتية وهندسية حفرت حفرا بارزا ثم ذهبت . كما يعلو عقد المحراب نصف دائرة رخامية قسمت الى اشعاعات ، زخرفت برسوم ونقوش مفرغة ذهبت كذلك فبدت وكأنها مروحة .

ويوجد بجوار المحراب منبر خشبى تقوم على بابه قبة صغيرة لطيفة ، وان كانت خالية من الزخرف . وفى مواجهة حائط القبلة توجد دكة المبلغ وهى من الخشب الخرط وهى عبارة عن شرفة تشغل الضلع الغربى كله لمكان الصلاة ، يصعد اليها من باب فى الركن الشمالى الشرقى للصحن ، يوصل الى درج بنى فى سمك جدار المسجد .

ويحيط بالمسجد صفان من النوافذ والفتحات ، السفلى منها مستطيلة يعلوها عتب ويقوم فوقها عقد عاتق وملئت بمصبعات حديدية . اما الفتحات العليا فهى صغيرة ومعقودة وقد ملئت . بزجاج معشق متعدد الألوان .

(١) المساجد الاثرية صفحة ٣٦١

ويعتبر مسجد السلحدار من المساجد المعلقة، فقد جرت العادة فى العصر العثمانى، ان يستغل الطابق السفلى للجامع اذا كان فى حى تجارى، فيبنى به حوانيت يصرف من ريعها على المسجد. ومن ثم انتهز المعمار وجود المسجد فى حى تجارى هام وهو حى الجمالية وسوق الليمون وقربه من باب الفتوح، فبنى فى الطابق السفلى حوانيت ومدرسة وسبيل[١] والميضأة.

وتقع واجهة المسجد فى الجانب الغربى له، حيث يوجد المدخل الرئيسى الذى يوصل الى حرمه (الصحن) الذى يصعد اليه بمجموعة من الدرجات. ويوجد فى هذه الواجهة معظم مداخل المسجد والمبانى الملحقة به.

وقد كسى باب المسجد بالرخام وحليت تواشيح عقد المداين بزخارف نباتية وكتابية مذهبة جاء فيها قوله تعالى « ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » ١٢٥٥. ويعلو ذلك شرفة رخامية صغيرة.

وقد سجلت لنا الواجهة الغربية للمسجد وملحقاته تاريخا مفصلا للمسجد، فقد نقشت واجهة السبيل بزخارف مذهبة، وكتب عليها « إن هذا لهو الفوز العظيم ». وتعلو ذلك لوحات أخرى مكتوبة باللغة التركية بحروف مذهبة على أرضية زرقاء، تضمنت مدح المنشىء ووظيفته وتاريخ البدء فى بناء المسجد وهو ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م) وتاريخ الفراغ (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)

وفى الجدار الجنوبى يوجد باب بصدره منزل شيخ المسجد كما يوجد به سلم يؤدى الى دورة المياه

وتوجد مئذنة المسجد فى الواجهة كذلك، وهى اسطوانية الشكل تتكون من طابقين يفصل بينهما شرفة. ويعلو الطابق الثانى شكل مخروطى على غرار المآذن العثمانية.

---

(٢) على مبارك جـ ٥ صفحة ١٥

جامع محمد على باشا

بالقلعة

(١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)

محمد على باشا هو مؤسس الأسرة التى حكمت مصر قرابة قرن ونصف من الزمان فقد بدأت حكمها ١٨٠٥هـ وانتهت على يد آخر أبنائها فاروق الأول ١٩٥٢م. ولد محمد على بمدينة قولة بمقدونيا (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م) وكان والده ابراهيم أغا فى ذلك الحين يعمل فى وظيفة رئيس المدينة. ولكنه توفى وما يزال محمد على فى حداثة سنه فكفله عمه طوسون أغا. ولكن الحظ لم يترفق به، اذ سرعان ما توفى عمه كذلك فتولى أمره حاكم المدينة واسمه الشوربجى[١]، الذى كان صديقا حميما لوالده.

والتحق محمد على بمدارس المدينة حيث تلقى بعض العلوم الأولية باللغة التركية فلما شب عن الطوق التحق بالجهادية[٢]، حيث ظهرت عليه مدارك الرجولة من شجاعة واقدام مما أهله للترقية الى رتبة بلوك باشى[٣]. ولما انتهت فترة الجهادية، اشتغل بالتجارة (١٢١٥هـ/ ١٨٠١م)، بعد أن تزوج احدى قريبات متصرف قولة.

الا أن الأقدار كانت تخبىء له عملا عظيما غير الذى اختاره لنفسه فى التجارة، فقد وقع عليه الاختيار ضمن القوة البحرية التى أمر الباب العالى فى ذلك الحين بارسالها الى مصر لاخراج الفرنسيين[٤] منها. فقد اشترك محمد على فى موقعة أبى قير التى انتصر فيها العثمانيون بمساعدة الانجليز، كما اشترك فى الهجوم الذى شنته القوات التركية فى الرحمانية على الفرنسيين[٥]

---

(١) تاريخ العصر الحديث ص ٣١، ٣٢

(٢) الحركة القومية جـ ٣١١

(٣) بلوك باشى أى قومندان فرقة عن البهجة التوفيقية ص ٣، ٤

(٤) تاريخ العصر الحديث ص ٣٢

(٥) الحركة القومية جـ ٢ ص ٣٥٩

ولما خرجت الحملة الفرنسية من مصر رقى محمد على الى رتبة لواء لما أظهره فى الموقعة السابقة من شجاعة وجرأة لفتت إليه إنتباه كبار القواد، فرقوه إلى تلك الرتبة وعينوه قائدا على أربعة آلاف جندى ألبانى. ثم وقع اختيار الوالى العثمانى خسرو باشا عليه للذهاب الى الصعيد لمحاربة المماليك. ولكنه سرعان ما أوجس منه خيفة لما تأخر محمد على فى الوصول الى الصعيد، فقرر خسرو باشا الغدر بمحمد على. فلما علم الأخير بذلك تحالف مع عثمان البرديسى زعيم المماليك ضد خسرو باشا وتمكن من عزله ١٨٠٣م.

وكما نجح محمد على فى الايقاع بين المماليك وبين الوالى العثمانى، كذلك وطد العزم على الايقاع بين المماليك فقد انتهز فرصة ذهاب محمد الألفى الزعيم الثانى للمماليك الى انجلترا للاتفاق مع الانجليز فى تبادل الخدمات، وذلك بأن تستولى انجلترا على سواحل مصر الشمالية فى مقابل ان تعضد الانجليز للمماليك وتوطيد حكمهم فى مصر، فأوعز محمد على الى البرديسى بأن محمد الألفى انما ذهب الى انجلترا لكى يجعلوه الزعيم الأوحد على المماليك. وقامت الفتنة بين المماليك وانتهت بقتل محمد الألفى، وفرار البرديسى عندما طالبته القوات الألبانية، التى كان محمد على يعضدها سرا، بمتأخر روابتهم مما اضطره الى فرض ضرائب فادحة على سكان القاهرة فثاروا عليه واضطروه الى الهرب.

وهكذا تخلص محمد على من خصم قوى عنيد، ألا وهو المماليك، ومن ثم بدأ يفكر فى انجاز بقية الخطة التى ستوصله الى مأربه الذى أضمره فى نفسه ولم يبح به لأحد غيره. فقد أشار على العلماء ومشايخ البلد بتولية خورشيد باشا محافظ الاسكندرية واليا على مصر، وتعيين محمد على قائمقام.

ولكن الوالى الجديد خورشيد باشا خشى على نفسه من أطماع محمد على ومن جند محمد على من الالبانيين، ولذلك عمل على أن يحيط نفسه بجند استقدمهم من (الدلاة[1]) الذين أساءوا معاملة الأهالى، فقاموا بالكثير من أعمال السلب والنهب والقتل مما أثار الأهالى ضد الوالى.

---

(١) البهجة التوفيقية ص ٨

على أن خورشيد باشا لم يكتف باحضار جند من (الدلاة) للوقوف أمام جنود محمد على من الألبانية فحسب ، بل سعى لدى الباب لتعيين محمد على واليا على جدة حتى يبعده عن مصر نهائيا . عند ذلك لم يجد محمد على بدا من أن يعلن الحرب على خورشيد باشا وذلك بتأليب الجند وتحريضهم على المطالبة برواتبهم ، كما تحالف مع نقباء الصناع ، فذهبوا جميعا الى القلعة حيث حاصروا خورشيد باشا ، ونادوا بمحمد على واليا على مصر ، كما ألح العلماء وكبار رجال الدولة من المصريين على الباب العالى بتوليته على مصر . وهكذا صدر الفرمان بتوليته ١٨٠٥م .

أما عن تاريخ مسجد محمد على فيحدثنا عنه على مبارك(١) فيقول : بعد أن أتم محمد اصلاح القلعة وفرغ من بناء قصوره ودواوين المالية والجهادية بجوار القلعة ، كما أقام عموم المدارس ودار الضرب بها ، رأى أن الحاجة ماسة الى انشاء مسجد لأداء الفرائض وليكون مدفنا له بعد وفاته .

عهد محمد على باشا الى أحد المهندسين الأتراك يدعى يوسف بشناق ليقوم بتصميم مخطط للمسجد المزمع انشاؤه ، فوقع اختياره على تصميم مسجد السلطان أحمد باشا بالقسطنطينية ، فوافقه محمد على باشا على هذا الاختيار ، وهكذا نستطيع القول بأن جامع محمد على يشبه جامع السلطان أحمد مع بعض التغيرات فى التفاصيل .

وقد استطاع حسن عبد الوهاب(٢) العثور على الهيئة الفنية التى قامت بتنفيذ بناء المسجد وذلك من الوثائق والسجلات الرسمية . وبرغم أنه لم يهتد الى اسم المهندس الأول ، الا انه عثر على اسم مساعد له اسمه على حسين (التلميذ المهندس) الذى التحق بعملية العمارة (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م) بوظيفة منظم أحجار . أما رسامو المسجد فهم على أفندى موسى والسيد أفندى حمد والمعلم ابرام وحكاكيان أفندى ، وبعض المهندسين المصريين . أما رسم ما ملئت به النوافذ من نحاس مفرغ فقد قام برسمه أسطى (استاذ) رومى .

ويضيف حسن عبد الوهاب فيقول : اما النحاتون والحجارون فكانوا من المصريين نذكر منهم :

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ١١٠

(٢) المساجد الأثرية ص ٣٧٨

حسن محرم وابراهيم حسن كما كان مقررا على شيوخ النحاتين المصريين أن يورد كل منهم ثمانية نحاتين من مهرة الصناع . ونذكر من النحاتين الأسطى حسين والحاج ابراهيم الأتبغاوى .

وقام بأعمال الرخام كذلك عمال مصريون ، بمقاولة الخواجة سيمون وتحت مباشرة كل من يوسف ضيا افندى وشاكر افندى والقبطان هدايت والمعلم يوسف .

أما الأهلة النحاسية التى تعلو القباب الكبيرة وكذا القباب الضحلة ، والمطلية بالذهب فقد عهد بها الى الخواجة بيرون وكرابيت النحاسيين بالموسكى .

كذلك أحضر عمال من الأستانة لأعمال تكسية قباب المسجد وكذا مسلات مآذنه بالرصاص .

وقد كان الشروع فى بناء المسجد (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م) واستمر العمل فيه حتى توفى محمد على (١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م) ودفن فى المقبرة التى بداخل المسجد . فلما تولى عباس الأول أمر باتمامه ، فعملت فى عهده أعمال النقش والتذهيب وبعض أعمال الرخام . كما أمر بعمل تركيبة للمقبرة من الرخام واحاطها بسياج من النحاس ووضع فى أركان المقصورة شمعدانات فضية ومصاحف مذهبة . ولما تولى سعيد باشا ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م) أمر بطلاء المقصورة النحاسية وأحدث بعض التغيرات فى كتاباتها[١] وفى عهدا اسماعيل عمل للمسجد (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م) أبواب جديدة ذات (سماعات) نحاسية ، كما أعد بجانب المنبر مقصورة كى يصلى فيها السلطان عبد العزيز عندما حضر الى مصر وصلى بالمسجد . كما انشئت دورة للمياه وأحيط المسجد بسور ضخم[٢] .

ويكمل حسن عبد الوهاب تاريخ جامع محمد على فى عهد أسرته ، فيقول : ومن أهم الأعمال التى أجريت للمسجد كانت فى عهد الملك فؤاد الاول ١٩٣٥ م ، عندما تقرر ضرورة إزالة القبة الكبيرة وما حولها من أنصاف القباب والقباب الصغيرة . وقد تكلفت أعمال الترميم واعادة بناء القباب (٦٠,٠٠٠) جنيه ونفقات الزخرفة والتذهيب (٤٠,٠٠٠)[٣] جنيه .

(١) على مبارك جـ٥ ص ٨٤

(٢) على مبارك ، جـ٥ ص ٨٥

(٣) تاريخ المساجد الأثرية ص ٣٨١

الوصف المعمارى

يتكون مسجد محمد على من مستطيل ينقسم الى مربعين متساويين تقريبا ، اذ يبلغ طول ضلع المربع من الداخل (٤١) مترا ، ويمتد المستطيل من الشرق الى الغرب . أما المربع الغربى فيكون حرم المسجد ، وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات . ويتوسط الصحن نافورة الوضوء وهى مثمنة الشكل تعلوها مظلة ترتكز على ثمان أعمدة رخامية ويعلو المظلة قبة خشبية مغطاة بالرصاص ويعلوها هلال مذهب وتحتوى هذه النافورة على ستة عشر صنبور ماء بواقع صنبورين فى كل ضلع من أضلاع المثمن الداخلى .

ويتكون كل رواق من الأروقة الأربعة التى تحيط بالصحن الذى تبلغ مساحته ٥٣ × ٥٤ مترا من بائكة تحتوى على اثنى عشر عمودا من الرخام يحمل عقودا نصف دائرية . وقد قسم كل رواق الى اثنى عشر مربعا تقوم فوقها قباب ضحلة يغطيها الرصاص من الخارج ويعلوها أهلة مذهبة . أما من الداخل فقد زخرفت برسوم من طراز الباروك والركوكو بألوان زيتية متعددة وكذا رسوم مذهبة .

ولهذا الصحن ثلاثة مداخل أحدهما فى الطرف الشمالى الشرقى للضلع الشمالى . والثانى فى مقابلته فى الطرف الجنوبى الشرقى للضلع الجنوبى . أما الباب الثالث فهو يقع فى منتصف الضلع الذى يصل الحرم بمكان الصلاة

ويعلو الرواق الغربى من الصحن وفى منتصفه مبنى مثمن الشكل على شكل برج خصص لوضع الساعة التى أهداها لويس فليب ملك فرنسا لمحمد على ١٨٤٥م

ويتكون مكان الصلاة من مربع تقريبا تحيط به من الجانبين الشمالى والجنوبى وخارج جدران مكان الصلاة ، رواقان يحتوى كل منهما على أحد عشر عمودا من الرخام تحمل أحد عشر عقدا نصف دائرى . كما قسم الرواق الى عشر مربعات يغطى كل منها قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية مكسية بالرصاص ويعلوها هلال مذهب . ويتوسط هذين الرواقين تقريبا مدخل يؤدى الى مكان الصلاة .

وصف الجامع

جامع الحلبى :

يرجع تاريخ هذا المسجد الى العصر العثمانى ، الذى امتازت عمائره وخاصة الدينية منها ، ببناء سقوفها على شكل قباب صغيرة ضحلة وقد كان سقف مسجد الحلبى عبارة عن أنصاف قباب ثم استبدلت بالقباب عقود . وبجانب المسجد ضريح تعلوه قبة ، زخرف بابه بالطوب المنجور بالأسلوب الذى وجد بكثرة فى مدينة رشيد ، وكتب عليه اسم صانعه : عمل المعلم عطية الرشيدى المعروف بابن يوسف البنا . كما زخرف محراب الضريح ببلاطات من القاشانى صناعة كوتاهية ، وكتب عليه : عمل المعلم سليمان البنه الأدفينى سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) .

وقد عثرت مصلحه الآثار فى هذا المسجد على ربعة من القرآن الكريم موقوفة من الشيخ نور الدين القرماني على الجامع العتيق المعروف باسم أولاد شجاع بناحية ادفينه بالمزاحمتين ، مؤرخه سنة ٩٩١هـ .

ويوجد بداخل المسجد مئذنة وضريح آخر تعلوه قبة صغيرة تعرف باسم قبة الأنصارى ، ومن هذه المجموعة تتكون الواجهة القبلية للمسجد . ويلاصق مسجد الحلبى من الجهة البحرية قبة تاج الدين وترجع الى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى . كما يوجد على شاطىء النيل مباشرة قبة سيدى محمد أبو العون .

جامـــع العـــــدوى

بميـدان سـيدنا الحسين

(١٢٨٣هـ)

أنشأ هذا الجامع فى أول الأمر الشيخ حسـن العـدوى الحمزاوى أحـد علماء المالكية بالجامع الازهر . ولد الشيخ حسن بقرية عدوة من قرى مغاغة بمحافظة المنيا سـنة ١٢٢١هـ فنسب اليها . وقرية عدوة هذه تقع فى غربى بحـر يوسـف والى الجنوب الغـربى من ناحية (سلقوس) . ويصـف أحمد رمزى[1] عدوة فيقـول : يشـتهر أهلهـا بزراعة الكتان الدون (أى الجيد) وتكثر بها قاعات الغزل والنسيج ولها سوق تفد اليه القرى المجاورة كل يوم أحد للحصـول على الغزل والنسيج وعلى تفريخ معامل الدجاج . كما يوجد بعدوة جامع كبير وله مئذنة مرتفعة لعل منشئه هو الشيخ حسـن كما جـاء فى الخـطط التوفيقية[2] . ويضـيف على مبارك فى وصف قرية عدوة فيقول : وفيهـا عائلة مشـهورة بالكرم والثروة ولهـم أبنية مشيدة ومضايف متسعة ، ومن هذه العائلة العالم الفاضل الشيخ حسـن العـدوى الحمزاوى المالكى .

أمضى شيخنا طفولته فى عدوة وبعد أن شـب عن الطوق وحفـظ القـرآن رحـل الى القـاهرة للالتحـاق بالأزهر الشريف على عادة النابهـين والموسرين من أهل الريف . وفى الأزهر تلقى الفقه والتفسير والحـديث عن العـلامة الشيخ محمد الأمير الصـغير وبعض الأدب والمنطـق عن البرهان القويسنى شيخ الجامع الأزهر (والسـعد والمطول وجمع الجـوامع) عن الشيخ مصطفى البولاقى .

وقد جلس الشيخ حسن للتدريس بالازهر فى سن مبكرة اذ لم يبلغ الحادية والعشرين من عمره حتى طلب منه أن يقوم بالتدريس للطلبة ، وفى ذلك يقـول على مبارك[3] : وجلس

(١) القاموس الجغرافى جـ ٣ ص ٨٦

(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ٣٧

(٣) على مبارك جـ ١٤ ص ٣٧

للتدريس فى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف ، فقرأ جميع الفنون المتداولة بالأزهر وانتفع به الطلبة واشتهر بحفظ السنة وسير الصالحين وأخذ عنه كثير من مدرسى الازهر ؛ وقد عدد على مبارك الكثير من مؤلفاته نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : تقرير على صحيح البخارى سماه النور السارى ، وحاشية على شرح الزرقانى فى فقه الامام مالك ، وشرح ارشاد المريد فى علم التوحيد ، والنفحات النبوية ، ومشارق الأنوار وتبصرة القضاة فى المذاهب الأربعة وشرح البردة البوصيرية .

ويحدثنا على مبارك عن صفات الشيخ حسن العدوى فيقول : وله حب شديد للطلبة فتراه دائما يسعى فى مصالحهم والشفاعة لهم ، وتنفيس الكربات عنهم . كما أنه موضع اجلال وتقدير واكبار أمراء مصر ، ولذلك فان شفاعته كانت دائما مقبولة مجابة .

ولم تكن شهرة الشيخ حسن العدوى مقصورة على حياته العلمية والدينية فحسب ، بل ان تاريخ مصر الحديث ليفخر بالدور السياسى الذى قام به فى عهد الخديو اسماعيل وتوفيق ، فقد كانت له مواقف مع سلطان الدولة العثمانية وكذا مع الخديو يحجم ويهيب من الاقدام عليها أكثر الرجال شجاعة وجرأة ، حتى أن العقاد عدّ سيرته من أعجب القصص فى عالم الواقع بغير حاجة الى عالم الخيال .

أما عن قصته مع السلطان ، فقد حدث أن زار السلطان عبد العزيز مصر سنة ١٨٦٣م وبالغ الخديو اسماعيل فى الحفاوة به حتى خرجت عن حدود المعقول والمقبول ، فقد أخذ عنان الخيل التى تجر العربة السلطانية ولم يصعد اليها حين دعاه السلطان الى الركوب بجانبه وكان اسماعيل يبغى بطبيعة الحال من وراء هذه الحفاوة آمالا كبارا ، فقد كان يرجو تعديل نظام الوراثة وتعزيز السيادة بامتيازات جديدة . وسارت الأمور على أحسن ما كان يرجو ويأمل اسماعيل حتى جاء دور التشريفة الكبرى بالقلعة ، والتى يجب أن يكون من بينها أئمة علماء الأزهر وكانوا فى ذلك الوقت الشيخ العروسى والشيخ السقا والشيخ عليش والشيخ حسن العدوى .

وحرصا على أن تؤدى التشريفة الكبرى حسب التقاليد والعادات المرعية فقد كلف قاضى مصر العثمانى بمهمة تدريب هؤلاء العلماء على التقدم والتأخر والتمنى والانحناء ورفع اليد بين الجبهة والصدر مرات متواليات . وجاء يوم التشريفة ودخل الشيخان الأولان ، وجاء دور الشيخ العدوى ودخل على السلطان معتدلا حتى دنا من كرسيه وصعد الدرج الذى كان السلطان واقفا فوقه وفاتحه بالتحية قائلا : « السلام عليكم يا أمير

المؤمنين ورحمة الله » الى هذا الحد وكاد يغمى على الخديو اسماعيل واستعاض الله خيرا فى الآمال والأحلام التى كان يرجوها من وراء هذه الزيارة ، وأخذ يرقب وهو معلق الأنفاس ، رد فعل هذه التحية التى لم يتعودها السلطان من قبل ، ولكن لدهشة اسماعيل أجاب عليه السلطان : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

والى هذا الحد من القصة وتصرف الشيخ العدوى مقبول ، ولكنه زاد الطين بلة عندما مضى يبسط لأمير المؤمنين أمانته التى فى عنقه لرعاياه ، ويحذره من هول هذه الأمانة حتى أيقن جميع الحاضرين بأن العاقبة ستكون وخيمة على اسماعيل ومصر . ولكن السلطان لم يغضب كما توقع الحاضرون ، بل أخذ يسأل عن الرجل ويستفسر ، فراح الخديو يعتذر للسلطان على تصرفاته الشاذة قائلا ، انه عالم فاضل ، لولا أنه مجذوب ، فاغفر له هذه الزلة يا مولاى « وكانت دهشة اسماعيل كبيرة عندما رد عليه عبد العزيز : ان الرجل لم يأت منكرا ، بل على العكس فما انشرح صدرى لمقابلة أحد كما انشرح لمقابلته » . وأمر له بخلعة ومبلغ من المال .

وكان الشيخ حسن رحمه الله لا يخشى فى الله لومة لائم ، فقد كانت له مساجلات ومناظرات مع الأمراء والحكام بل ومع خديو مصر نفسه ينتقدهم فيها ويسفه رأيهم ويردهم الى طريق الصواب وذلك بالاستشهاد بقول الله عز وجل وبالموعظة الحسنة ، ولعل من أطرف المواقف التى تذكر فى هذا المجال قصة وقوفه أمام الخديو اسماعيل فى حرب الحبشة : من المعروف أن الخديو اسماعيل أرسل جيشا لمحاربة الحبشة التى شقت عصا الطاعة عليه ، واستمرت تلك الحرب مدة عشر سنين لتوالى الهزائم نتيجة لخيانة قواده الذين باعوا الجيش والوطن . وكما يقول المثل المأثور : وبطلت الحيلة كما بطل الحول ، فأصغى الخديو الى كل نصيحة حتى أشاروا عليه بندب العلماء لتلاوة البخارى ، للترغيب فى الجهاد وسؤال الله النصر ببركته للمقاتلين . واستمرت التلاوة واستمرت معها الهزيمة ، فغضب اسماعيل من العلماء وقال لهم : اما انكم لا تقرأون البخارى ، واما انكم لستم بعلماء والا فما هذه الهزائم ، وقد قيل : إن تلاوة البخارى لا تخيب وأن الله سميع مجيب . . وهنا انبرى الشيخ العدوى ليواجه الخديو المطلق السلطان ، غير هياب أو متردد ، وأخذ يذكره بالحديث النبوى الشريف (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم) . ولكن الخديو تقبل منه هذه الجرأة ولم يفعل به شيئا .

وقد كان الشيخ حسن العدوى من أبطال الحركة العرابية ، فقد ناضل فيها نضال الأبطال فقد كانت مهمته حث المسلمين على الجهاد فى سبيل الله لتخليص الوطن والحفاظ على العقيدة الاسلامية ضد أعداء الله والوطن فى الداخل والخارج . ولذلك فقد اعتبر الشيخ العدوى بعد فشل ثورة عرابى ، مجرم حرب ، وسيق الى المحكمة العسكرية بتهمة أنه أفتى بخلع الخديو توفيق . ويحدثنا محامى العرابيين (السيد برودلى) عما حدث بالنسبة لموكله الشيخ حسن العدوى فيقول : واجه اسماعيل أيوب الشيخ حسن بالتهمة التى اقترفها فقال : ألم تجترىء على توقيع منشور تعلن فيه أن الخديو توفيق مستحق للعزل ؟ فهب الشيخ الهرم الهزيل واقفا وأجاب بصوت كالرعد ، وكأنما عاد الى عنفوان الشباب ، عندما سمع هذا السؤال : اسمع يا باشا ، بغير حاجة الى مراجعة المنشور لأرى هل وقعته أو لم أوقعه أعلنك الساعة انك اذا جئتنى بمنشور فى هذا المعنى ، وقعته الآن بغير تردد ، وما فى وسعكم ان كنتم مسلمين أن تنكروا أن الخديو الذى أسلم وطنه واستسلم لأعدائه مستحق للعزل بلا مراء .

واضطربت المحكمة ، ولكن الشيخ حسن العدوى وقف صامدا كالطود لم تتحرك فيه خلجة وهو المهدد بحكم الاعدام ، ولكن ازاء هذا الجبروت وهو الشيخ الهزيل الهرم وإزاء قوة العقيدة والايمان لم تجد المحكمة بدا من أن تتركه يمضى الى قريته عدوة موصى عليه ألا يفارقها مدى الحياة » .

ويكمل السيد برودلى قصة هذه القضية فيقول : ولم يستطع الشيخ حسن لفقره أن يدفع لى أجر دفاعى عنه نقدا ، ولكنه أرسل لى لوحتين كتب عليهما بالخط الجميل بعض آيات القرآن الكريم ، كانا أعز وأثمن هدية تلقيتها فى حياتى » .

الوصف المعمارى

يقول على مبارك[1] : « يقع جامع العدوى بعطفة الشنوانى المتفرعة من شارع السكة الجديدة بجوار المشهد الحسينى . ويحدثنا عن تاريخ البقعة التى أنشأ عليها الشيخ حسن العدوى مسجده فيقول : وكان يشغل هذه البقعة دار الست زينب بنت السلطان قلاوون التى آلت بعد ذلك الى وقف سيدنا الحسين رضى الله عنه فلما تخربت اشتراها الشيخ حسن العدوى من ديوان الأوقاف وبنى هذا الجامع فى جزء منها .

وكان يوجد بجوار هذه الدار ضريح للشيخ الشنوانى وعدة أضرحة أخرى فأدخلها الشيخ حسن جميعها فى حدود جامعه بعد أن جددها وأقام عليها مقصورة من الخشب كما بنى لنفسه بجوارها مدفنين باذن الخديو اسماعيل لمنع الدفن داخل العمران حفظا للصحة الا باذن من الحاكم » .

ويصف على مبارك بناء الجامع فيقول : ومكث الشيخ العدوى فى بنائه أقل من سنة وصدر له الاذن باقامة الجمعة فى سنة تسع وثمانين ومائتين وألف . أما الجزء الأخير من دار بنت السلطان قلاوون فقد أنشأ فيه حماما حسنه برسم الرجال والنساء ووقفه على الجامع وبنى ربعا على باب الميضأة ووقفه عليه أيضا . كما أقام بقرب الحمام دارا لسكناه بقرب الباب الأخضر للمشهد الحسينى .

وكان الجامع يحتوى على مئذنة جميلة مرتفعة . كما كانت تقام به الجمعة والجماعة ويدرس فيه العلم على الدوام لتوسطه بين الأزهر والمشهد الحسينى . ولما توفى الشيخ حسن العدوى فى رمضان سنة ١٣٠٢هـ دفن فى الضريح الذى أعده لنفسه بجوار ضريح الشيخ الشنوانى فى مسجده هذا .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٣ ص ٨٣

ضريح الشيخ على الليثى

بجوار جامع الإمام الليثى

(١٣١٣هـ)

ولد الشيخ على بمدينة القاهرة سنة ١٢٣٦هـ، ولم يعرف له مكان اقامة غير مسجد الامام الليثى، ومن هنا عرف بالليثى. ولما شب عن الطوق وانتهى من الدراسة فى الكتاتيب كان ينزل الى الأزهر لطلب العلم ويعود للمبيت بمسجد الليثى. وقد حدث أن وفد على مصر الشيخ السنوسى الكبير قاصدا الحج وأتيحت للشيخ على فرصة الالتقاء به والاتصال به حتى صار لا يفارقه وأصبح من أحب تلاميذه اليه وأخلص مريديه فأخذ عنه طريق السنوسية وحج معه. ولما عاد الى مصر لم يفارقه حتى سافر معه الى واحة (جغبوب) وأقام هناك مدة غير قصيرة لم يفتأ فيها يطلب العلم.

ولما عاد الشيخ على الى مصر كان الحاكم عليها هو الخديو عباس الأول، وكانت والدة الخديو كثيرة التردد على مسجد الامام الليثى فكان يستقبلها بالبشر والترحاب والدعاء فكانت تتفاءل بلقائه فقربته منها وجعلته شيخا على مجلس « دلائل الخيرات » وبهذه الطريقة أصبح الشيخ على شخصية معروفة لدى أفراد الأسرة الحاكمة، فاتصل به الأمير أحمد بن ابراهيم باشا الكبير فاعتقد فيه وأطلعه على خزانة كتبه فأكب على قراءة معظم ما تحتويه واستفاد منها فائدة جليلة. ولعل السبب فى اعتقاد أفراد هذه الأسرة وغيرهم فيه يرجع ـ كما يقول أحمد تيمور ـ الى اعتقادهم بأن سفره الى طائفة السنوسية وأخذه عنهم علم الزايرجة والأوفاق عن علمائه المشهورين.

ولما تولى سعيد حكم مصر أمر عبده باشا محافظ القاهرة بجمع أولئك الدهماء الذين يبتزون أموال العامة والسذج بالباطل بادعاء معرفة الغيب وقراءة الكف والفنجان وغيرها من الخزعبلات ونفيهم الى السودان، فسيق معهم الشيخ على الليثى لما علق به من الاتهام بذلك لكثرة اعتقاد الأسرة الحاكمة فيه. وبقى الشيخ فى السودان فترة وجيزة اذ تشفع له

عند سعيد معظم أفراد أسرته ،فعفا عنه وعاد الى مصر . ولما تولى الخديو اسماعيل تلألأ نجم الشيخ على وبدأ سعده ، اذ اتصل به وقربه هو والشيخ (على أبو النصر) وجعلهما نديمين له وصار لا يفترق عنهما فى مجالس أنسه ، فكانا اذا حضرا تلك المجالس رفعا الكلفة وتباسطا معه فى القول والفكاهة ، فكانت لهما فى ذلك من النوادر ما يملأ الاسفار . وقد بلغ من شغف الخديو بهما أن خصص لهما قاعة فى ديوانه يجلسان بها كأنهما من المستخدمين . وبسبب تقرب الشيخ على من الخديو ، فقد قصده الناس فى الشفاعات عند الامراء والكبراء ونفع الله به خلقا كثيرا . ولما عزل اسماعيل وجاء بعده ولده توفيق ، شغف به أيضا كوالده وقربه وأحله محل القبول .

وبرغم ما لقى الشيخ على من العائلة المالكة وملوكها من تكريم وتقريب ومحبة وشغف الا أن وطنيته كانت أقوى وأكبر من كل عواطفه وأحاسيسه ، اذ لم تكد تقوم الثورة العرابية ، وسافر الخديو توفيق الى الاسكندرية ، حتى انضم الشيخ على الليثى للعرابيين وصار خطيب تلك الثورة ، فلما انتهت الثورة العرابية وعاد الخديو للقاهرة ، لم يؤاخذه وصفح عنه ، على أن شيخنا لم ينكر وطنيته وانضمامه الى أبناء جلدته ، فقد أجاب الخديو عن سبب تركه له وانضمامه الى أعدائه بقصيدة مطلعها :

كل حال لضده يتحول فالزم الصبر اذ عليه المعول

وقد وصف أحمد تيمور شخصية على الليثى ، هذه الشخصية التى شغف بها كل من التقى بها أو تعرف عليها حتى أصبحت فى نظر كثير مما قرأ ترجمته كالأسطورة ، فيقول : وكان رحمه الله آية فى حسن المجالسة ، محببا الى القلوب ، أديبا شاعرا ، حاضر النكتة والجواب فكه الحديث ، اذا عرفه انسان تعلق به وكره يفارقته مع أنه كان دميم الصورة ليس فى وجهه الاشارب خفيف وشعرات على ذقنه » . وقد وصفه بعض معاصريه من الأصدقاء والأعداء على السواء بأنه ساحر يسحر القلوب والعقول فلا تستطيع معه مجادلة او مقاومة ليس بالنسبة للمصريين فحسب بل لكل الشعوب والأجناس ، فقد تعلق به السنوسى الكبير كما شغف به سلطان زنجبار ، فقد حدث عندما جاء السلطان برغش سلطان زنجبار لزيارة مصر بدعوة من الخديو اسماعيل ، أن ندب الشيخ على الليثى لمرافقته ومجالسته ، فلازمه مدة إقامته بالقاهرة فاعجب به السلطان إعجابا شديدا بل واصطفاه صديقا مخلصا حميما ، صار يتعهده بالرسائل وبالهدايا من العنبر والأبنوس وسن الفيل والتوابل والبخور ونحوه كل سنة فيهدى هو أخصاءه وأصحابه ، واستمرت

هذه العلاقة بين سلطان زنجبار والشيخ على قوية حتى توفى السلطان.

وكان الشيخ على يملك دارا بجهة باب اللوق التى يسكنها الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة. ومنطقة باب اللوق لها تاريخ حافل، قد يكون من المفيد أن نذكر جانبا منها. يقول المقريزى[1]: يقال لاق الشىء يلوقه ولوقه أى لينه. وقال ابن سيدة، ان هذه الارض (باب اللوق) لما انحسر عنها ماء النيل كانت ارضا لينة فلا تحتاج الى الحرث للينها بل تلاق لوقا. وقد ظهرت أرض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر ثم اضيفت اليها طروحات اخرى فى اوائل عهد دولة المماليك البحرية. وكانت ارض اللوق تشمل المنطقة التى يحدها اليوم من الشمال شارع قنطرة الدكة ومن الغرب اول شارع رمسيس حتى مستشفى القصر العينى ومن الشرق شارع بور سعيد (الخليج سابقا) وشارع نوبار حتى شارع الشيخ ريحان.

ويصف المقريزى أرض اللوق فيقول: انه أنشىء بأرض اللوق كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضى الفاضل[2] وبستانه ومنشأة ابن ثعلب وبستانه ومنشأة الكتبة، (ويوجد شارع بهذا الاسم متفرع من شارع الشواربى وسليمان باشا)، وما يزال شارع بستان الفاضل بحى باب اللوق يخلد ذكرى تلك المنشآت والبساتين. وفى سنة ٦٦٠هـ قدم الى مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم السلطان بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر ببنائها لهم فى أرض اللوق، ومنذ ذلك الوقت أصبحت بأرض اللوق عدة احكار عامرة آهلة بالسكان، ولكنها سرعان ما تخربت وتحولت الى أرض زراعية مرة ثانية وبقيت كذلك حتى سنة ١٨٥٨[3]م وحين بدأت تعمر مرة أخرى وذلك فى عهد الخديو اسماعيل حتى اصبحت المنطقة كلها مشغولة بالدور والقصور ويتخللها الشوارع الواسعة والميادين التى غرست بها الزهور والرياحين، حتى أصبح يطلق على الميدان الذى يتوسط منطقة باب اللوق ميدان الأزهار.

ولما تولى عباس لم يكن للشيخ على حظ معه كحظه مع والده وجده، ولذلك جعل أكثر اقامته بضيعة كان يمتلكها بشرق أطفيح (الجيزة)، التى كثيرا ما يتردد عليها الخديو توفيق بطريق النيل لزيارة الشيخ الليثى حيث يتناول الطعام عنده ويقيم يوما فى ضيافته،

---

(١) الخطط والاثار جـ ٢ ص ١٩٢

(٢) على مبارك جـ ٣ ص ٦١

(٣) النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٥٩ (تعليق احمد رمزى)

وهو شيء لا يفعله مع غيره ، وكان الشيخ على يعمل أثناء اقامته بالضيعة على استغلالها بالنهار وينكب على مطالعة الكتب ليلا ، فقد كان يمتلك خزانة كتب نفيسة اجتمعت له بالاهداء والشراء والاستنتساخ ، وكان يبذل الأثمان العالية فى الكتب النادرة . وكان كريما سمحا فكان الادباء والفضلاء يقصدونه فى تلك الضيعة فينزلهم على الرحب والسعة ، ويقيمون عنده الأيام والأشهر ، وهو مقبل عليهم بكرم خلقه ولطيف محاضراته .

وكان اذا حضر الى القاهرة نزل بداره بباب اللوق فيقيم بها أياما ثم يعود ، ولم يزل على ذلك حتى اعتلت صحته وطال مرضه شهرا وتوفى سنة ١٣١٣هـ ودفن بجوار مقبره الاول جامع الامام الليثى .

مسجد الشيخ حسنين الحصافى

بدمنهور
(١٣٢٩هـ)

يقول النجم الغيظى فى معنى الولى : الولاية عامة وخاصة ، فالعامة ولاية الايمان فمن آمن بالله ورسوله وما جاء به فهو ولى ، من قوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » ثم ولاية القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات قال الله تعالى : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » . والولاية الخاصة محبة الله للعبد وحفظه له لقوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل « ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى لأعطينه واذا استعاذ بى لأعيذنه » . وشيخنا السيد حسنين الحصافى نال الولايتين العامة والخاصة فحق له قوله تعالى « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وفد السيد سنجر ، الجد الاكبر للشيخ حسنين الحصافى ، والذى ينتهى نسبه الى الامام زيد الابلج بن الامام الحسن بن الامام على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين ، من الحجاز وحل بقرية منية كنانة وهى من نواحى مركز طوخ محافظة القليوبية القديمة وردت فى كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى منية كنانة من أعمال الشرقية وتنسب الى قبيلة كنانة العربية التى نزلت بها وقد فضل السيد سنجر البقاء بها لانتسابه لتلك القبيلة واستقر به المقام هناك حتى توفى وله مقام يزار حتى اليوم . وظلت أسرة السيد سنجر فى منية كنانة حتى القرن العاشر الهجرى ثم ارتحل أحد أبنائه السيد أيوب الملقب بانيف وحل بكفر الحصافة ، وهى من النواحى التى تكونت سنة ٩٢٣هـ وذلك بعد فصلها من زمام (سنهرة) بولاية قليوب ، فلما أنشىء مركز نوى ، الذى يعرف الآن باسم (شبين القناطر) ألحقت الحصافة به لقربها منه .

وفى الحصافة مركز شبين القناطر ولد شيخنا السيد حسنين وكان ذلك سنة ١٢٦٥ وانتسب اليها كعادة اكثر العلماء ينسبون الى بلادهم . ونشأ الحصافى وتربى فى كنف والده السيد حسين التهامى حتى كبر وترعرع فحفظ القرآن وجوده وأتقنه غاية الاتقان . ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ارتحل إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر الشريف ، فحصل كثيرا من العلوم والفنون وأخذ عن الشيخ حسن المرصفى ومن فى طبقته من الأئمة الأعلام . ومع ما حصل عليه من العلوم الدينية والمدنية من دراسته فى الازهر ، كان يقرأ كل يوم ربع القرآن ويصلى الف مرة على سيد الخلق أجمعين وظل على ذلك مدة وبذل فى العلم والعبادة جهده حتى فتح الله عليه بالعلم والعمل وظهرت عليه آيات النجابة وفاق أصحابه واقرانه ولكنه مال الى طريق الصوفية وسلك فيها باجتهاد وحسن نية حتى تبحر فى فهم علومها وأحاط بمنطوقها ومفهومها . فهجر الأهل والأوطان فى سبيل ارشاد الناس فساح فى البلاد والقرى وكانت له طرق صوفية عديدة ولكنه اشتهر بالطريقة الشاذلية والطريقة المحمدية التيجانية فكان يلقنهما لمن يرغبهما . ووفد إليه جموع المسلمين من كل صوب وحدب من المغرب الأقصى ومن تونس وفاس ليأخذوا عنه طرقه الصوفية الصحيحة النقية من كل ما يشوبها من دجل وخزعبلات مما يدسه فيها أهل الزيغ والبهتان ، فقد كان يقول رحمه الله بأن الذكر الملحون لا يجوز لمن قدر على النطق به صحيحا ، وأما من غلبه لسانه أو كان مغلوبا على عقله كان عذره صريحا . .

وقد أقام الشيخ حسنين الحصافى بالسلطان الحنفى (بالسيدة زينب) مدة يذكر مع مريديه بطريقته الشرعية فتعرض له بعض المعارضين لطريقة اذكاره وأرادوا منعه فرفع قضية عليهم لدى دولة ناظر الجهادية بمنع التعرض فنصره عليهم . وفى نظارة ثابت باشا تعرض له السيد البكرى فترك شيخنا السلطان الحنفى وأقام أذكاره فى المسجد الحسينى باذن من رياض باشا واستمر بقاؤه بالمسجد الحسينى مدة نظارته ، الا أن الخصومة بينه وبين السيد البكرى وطوائفه استمرت بل أخذت فى الازدياد بعد مناصرة رياض باشا لشيخنا ، الأمر الذى جعله يسعى لمقابلة السيد البكرى للتفاهم معه . ويقص علينا شيخنا ما دار بينه وبين السيد البكرى وأتباعه « فما أشعر الا وأحد خدم السيد البكرى أتانا بالأزهر وطلبنا للحضور عند سيده فحضرت عنده فقال : أتى كتاب من الزقازيق مذكور به إنك خالفت قانون الطريقة ، فأريته كلام العلماء وقلت له : أنا أسير الشريعة فأحالنى على وكيله ، فقال الوكيل : اتبع ابن الشيخ وإلا نمنعك من الذكر فقلت له لا أتبع المبتدع ،

فرجعت الى السيد البكرى فوعدنى بتحقيق القضية وترددت اليه مرارا فماطلنى » ولم تنته الخصومة عند هذا الحد ، بل أن السيد البكرى كتب الى وكلائه فى الجهات ان يمنعوا أتباع الحصافى من الذكر الشرعى ، وأهانوا وآذوا من لم يمتنع ، بل ان الخصومة بلغت درجة شديدة بين أتباع الطرفين ويظهر ان أتباع الحصافى كانت لهم الغلبة الأمر الذى اضطر معه السيد البكرى ان يشكو الحصافى الى مديرى المديريات لكى يأخذوا تعهدا من السيد الحصافى بعدم القيام بذكره فى المساجد . وقد لعبت الخصومة بين السيد البكرى والسيد حسنين الحصافى دورا هاما فى تاريخ الصوفية فى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى واوائل القرن الرابع عشر وقد جمع لنا كتاب (المنهل الصافى فى مناقب الحصافى) عددا كبيرا من الرسائل والمساجلات المتبادلة بين الطرفين .

وقد حج السيد حسنين الحصافى خمس عشرة مرة الى بيت الله الحرام ، وتمتع بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل مرة يأتى بأكثر من أربعين عمرة . فكان يبايع الناس فى الحرمين الشريفين فيأخذ عنه كل عام ما ينوف عن ألفين ، كما يقول اتباعه ومرافقوه .

وكان الشيخ الحصافى يكثر التردد على دمنهور لزيارة ضريح الشيخ عطية ابو الريش وضريح السائح تلميذ أبى الحسن الشاذلى ولكنه لم يكن يمكث بها أكثر من ثلاثة او أربعة أيام ثم يسافر منها الى الاسكندرية أو العطف أو كفر الزيات أو دسوق . وقبيل وفاته بعدة سنوات مرض الحصافى بالبواسير والبلغم . وظل المرض يعاوده صيفا وشتاء حتى توفى سنة ١٣٢٩ ، وكان عمره عند وفاته ـ كعمر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثة وستين عاما . وقد صلى عليه صلاة الجنازة فى مسجد التوبة بدمنهور حيث توفى ، ويقال إن مسجد التوبة على سعته ضاق بالمصلين عليه . وكان رحمه الله قد أوصى قبل وفاته أن يدفن فى لحد مبنى من اللبن وقد نفذت وصيته وبنى له لحد من اللبن وأقيم فوقه قبة .

الوصف المعمارى

يتكون ضريح الشيخ حسنين الحصافى من مربع بأركانه مقرنصات كبيرة تقوم فوقها رقبة ممتدة جدا وتستدق إلى أعلى . وقد فتحت فى هذه الرقبة الممتدة الفريدة فى نوعها عدة فتحات على ثلاثة صفوف بعضها مستدير والبعض الآخر على شكل نجمى والقصد من هذه الفتحات المتعددة الأشكال إلى جانب الزخرفة الاضاءة . وتحت القبة مباشرة نرى من الخارج (٢٤) حنية نصفها معقود والنصف الآخر مفصص ، المعقود منها مفتوح كنافذة والمفصص مسدود والقصد منه الزخرفة ، ويعلو هذه الفتحات قبة مدببة .

وقد الحق بالضريح من جهته الجنوبية الشرقية مسجد مستطيل الشكل يتكون من ثلاثة صفوف من البوائك تحتوى كل بائكة على عقدين محمولين على أربعة من الأعمدة الصناعية ، والعقود دائرية الشكل . ويقسم البوائك المسجد الى أربعة أروقة موازية لحائط القبلة ، وفى وسط الرواق الثانى من جهة القبلة توجد (شخشيخة) ذات رقبة ممتدة ويعلوها قبة مخروطية الشكل . ويوجد المدخل الرئيسى للمسجد بالجهة الشمالية الشرقية ويتكون من باب بارز قليلا عن سمت الجدران ويعلوه عقد مفصص زخرف بثلاثة صفوف من الدلايات الجميلة . والى جانب الضريح توجد أضرحة اخرى لباقى أفراد أسرة الشيخ حسنين الحصافى .

أما الضلع الغربى من مكان الصلاة فيحتوى على رواق من الداخل مكون من ثمان أعمدة رخامية تقوم عليها عقود نصف دائرية ويعلوها شرفة بطول الضلع كله خصصت لصلاة النساء ، كما يستعمل كدكة للمبلغ . ويتوصل اليها والى الممر العلوى المحيط بالمسجد من سلمى المنارتين

وفى الركن الجنوبى الغربى من مكان الصلاة توجد المقصورة النحاسية مذهبة التى تحوى مقبرة محمد على باشا .

ويصدر الضلع الشرقى لمكان الصلاة دخول كبير يبلغ عمقه (٢,٥٠) متر ويبلغ سعته (١,٧٥) متر وفى هذا الدخول يوجد محراب المسجد . وعلى جانب المحراب يوجد منبران أحدهما خشبى قديم من عهد محمد على باشا والثانى من عهد الملك فاروق الأول .

ويتوسط مكان الصلاة أربع دعائم رخامية كبيرة وضخمة تحمل أربعة عقود نصف دائرية تقوم فوقها قبة كبيرة قطرها (٢١) مترا وارتفاعها (٥,٢) متر . أما الاجزاء المحصورة بين القبة الوسطى وبين جدران مكان الصلاة فتغطيها أربعة أنصاف قباب قطرها مساو لقطر القبة الوسطى . ويغطى اركان مكان الصلاة أربع قباب صغيرة

وقد كسيت جدران المسجد من الداخل والخارج بالرخام الألبستر المستورد من محاجر بنى سويف . ويعلو الكسوة الرخامية من الداخل طلاء زيتى زخرف بنقوش مذهبة وملونة . أما القبة الكبيرة وأنصاف القباب فقد حليت بزخارف الباروك والركوكو المذهبة والملونة ، وكتب فى أضلاع القبة بالتناوب ، بسم الله ما شاء الله . تبارك الله . ويحيط بالمسجد من الداخل شريط من الكتابة تعلو أعتاب النوافذ ، يحتوى على أبيات من بردة البوصيرى .

ويحيط بالمسجد وصحنه نوافذ نحاسية مفرغة بأشكال هندسية بديعة . وقد كتب على أعتاب النوافذ من الخارج قصيدة من نظم الشيخ شهاب الدين ، تبدأ من يسار الباب الشمالى للصحن وأولها : ـ

عروس كنوز قد تحلت بمسجد مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة المبنى عالى قصورها بأبهج ياقوت وأبهى زمرد
وهل أثر صاح يعرب عن حلى مؤثره دون البناء المشيد
فدع قصر غمدان وأهرام هرمس وإيوان كسرى ان أردت لتهتدى

ودع ارما ذات العماد ونحوها وعرشا لبلقيس كصرح ممرد
ودع أموى الشام وانزل بمصرنا وبادر الى هذا بماء مرشد
فلو عددت فى الكون بدء بدائع لكان به ختم لذاك التعدد
وكم منشآت كالرواسى تخالها حصونا جرت فى البحر ذات تشيد
وكم مسجد مبناه يشهد أنه على وفق معنى انما يعمر إبتدى
وزر حرما مهما تشاهد جماله نظرت بديع الصنع فى كل مشهد

وتنتهى القصيدة على النافذة اليمنى للباب بهذا البيت

مبان اذا أمعنت فيها مؤرخا تريك على قدر العزيز محمد ١٢٦١

وقد تمت الاصلاحات والترميمات التى بدأت فى عهد الملك فؤاد الاول فى عهد الملك فاروق ١٩٣٩ . كما أمر فاروق بعمل منبر رخامى جديد بجانب المنبر الخشبى القديم وذلك لبعده عن المحراب . ويتكون المنبر الجديد من الألبستر المطعم بالرخام الأحمر ، أما بابه فمن النحاس المفرغ برسوم نباتية وهندسية بديعة وكتب أعلاه النص التالى :ـ

أمر بعمل هذا المنبر المبارك حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والف من الهجرة . كما أمر بتجميل المحراب وما عليه من النقوش ، كما كتب على التركيبة الرخامية التى على قبر محمد على الآيات القرآنية الآتية :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ـ إلى قوله تعالى « ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون »

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة »

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » وكتب على شاهد القبر :ـ

« بسم الله الرحمن الرحيم إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » هنا مثوى والى مصر ومنقذها ورأس أسرتها المالكة المغفور له محمد على باشا .

ولد نضر الله وجهه بمدينة قولة ١١٨٢هـ للهجرة النبوية وولى مصر فى ١٧ من صفر ١٢٢٠هـ ، ولحق بربه فى ١٣ رمضان من ١٢٦٥ رحمه الله وطيب ثراه وبارك فى أسرته الزكية وسلالته العلوية » .

كما كسيت باقى واجهات المسجد الجنوبية والبحرية برخام الالبستر

مسجد
على الكاشف جمال الدين
بمنفلوط
(١٢٦٦هـ/١٨٦٢م)

منفلوط مدينة مصرية قديمة كانت تسمى منبالوط وهى كلمة قبطية معناها الحمر الوحشية ، وفى الروك الناصرى سنة ١٣١٥م أنشىء أقليم جديد فصلت قراه من أعمال الأشمونين ومن السيوطية وعرف بالأعمال المنفلوطية . وفى سنة ١٨٣١م ضمت مأمورية منفلوط الى أسيوط وأصبحت من وقتها قسما من أسيوط . ويقول ابن جبير ان منفلوط ذات أسواق فيها سائر ما يحتاج اليه ، وفى نهاية من الطيب وليس فى صعيد مصر مثلها ، ويقول المقريزى ان عرب الجهات القبلية زاد تعديهم وافسادهم وفى سنة ٧٠١هـ فرضوا ضريبة على البياعين وأرباب الحرف والصنائع بمدينة منفلوط وأسيوط واحتقروا الحكام وعطلوهم عن جمع الأموال وجعلوا منهم رئيسين سموا أحدهما بيبرس والآخر سلار وجعلوا من تحت الرئيسين أمراء لبسوا السلاح على هيئة العساكر وأطلقوا المسجونين فاجتمع أولوا الأمر وسيروا اليهم عدة جيوش فقضت عليهم قضاء مبرما ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك التاريخ .

ومن علماء منفلوط المشهورين محمد بن أبى بكر حريز ولد بها سنة ٨٠٤هـ ثم انتقل الى القاهرة لطلب العلم ، ثم عاد الى منفلوط وولى القضاء بها ، ثم تولى القضاء بالديار المصرية .

وصف المسجد

من بين البيوتات العريقة بمنفلوط بيت جمال الدين الذى كان تاجرا مشهورا، اشتهر ابنه الأمير على كاشف جمال الدين وحسنت سيرته وكان خيرا بطبعه تقيا ورعا، فقام ببناء كثير من المساجد، أشهرها مسجد على الكاشف. أنشأه سنة ١٢٦٦هـ (١٨٦٢م) ويقع بشارع الكاشف. والمسجد مربع الشكل، ومدخله الرئيسى مبنى بالطوب (المنجور) أو (المكحل) ويقع فى الجهة الشمالية من المسجد وأمامه سلم دائرى من أربع درجات ويعلوه عتب من خشب مزخرف برسوم زيتية. وتعلو المدخل نافذة من الخشب الخرط الدقيق، كما يحتوى على زخارف كتابية بالخشب الخرط (بالله يا محمد).

كذلك يوجد بواجهات المسجد الثلاثة الأخرى شبابيك متعددة من الخشب الخرط فى أعلى الجدار، وتوجد فتحات ونوافذ أخرى أسفلها.

ويتكون سقف المسجد من (عروق) خشبية محمولة على (كمرات) خشبية تنتهى (بكرادى) ذات مقرنصات جميلة غاية فى الدقة والابداع. كما ترتكز بعض (الكمرات) الخشبية على أكتاف بنائية محمولة على أعمدة من الرخام.

وبالواجهة القبلية باب يوصل الى فناء فسيح به دورة مياه حديثة فضلا عن مظلة محمولة على عمد رخامية وخشبية عليها زخارف زيتية بأسلوب الباروك والركوكو الذى كان سائدا فى العصر العثمانى. وكانت هذه المظلة مستعملة كميضأة قديما.

وبالركن الجنوبى الغربى للمسجد يوجد باب يوصل الى حجرة خارجة عن سمت الواجهة، وبهذه الغرفة ثلاثة دواليب. كما يوجد باب آخر يوصل إلى دكة المبلغ، وإلى حجرة أعلى الغرفة السابقة وإلى مئذنة المسجد وسطحه.

والمئذنة خارجة عن سمت المسجد وتتكون من ثلاث دورات. وفى نهاية الواجهة البحرية من جهة الشرق يوجد باب يوصل الى حوض لسقى الدواب. تصل اليه المياه عن طريق الساقية التى ما تزال موجودة.

وبالمسجد منبر خشبى من الخشب الخرط يمتاز ببابه الدائرى، وهذا النوع من

الأبواب الدائرية نادر فى المنابر الأثرية حيث لا يوجد منها سوى باب منبر خانقاه شيخو ومنبر مسجد بالهياتم . وبالمسجد كرسى للمصحف من الخشب الخرط كذلك . ومحراب المسجد مزخرف بالطوب (المنجور أو المكحل) ويكتنفه عمودان من الرخام ، ويعلوه لوحة رخامية نقش عليها اسم المنشىء وتاريخ الانشاء ونصها كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم وبشر المؤمنين يا محمد لا اله الا الله محمد رسول الله .

أسس هذا المسجد المعمورا عبد فقير مرتجى الأجورا

يسمى على كاشف جمال الدين عرف بلطف ربه الغفورا

وأعطى المأمول فى الدارين وفى الجنان مسكن مسرورا

فى ستة وسبعين من مع مائة والألف جار مشهورا

جامع الشيخ عامر
(١٠١٤هـ)
ومسجد على نور الدين
(١١٧٦هـ)
ومسجد سيد على الخورجى
(١١٢٩هـ)
بديبى مركز رشيد

ديبى : قرية قديمه اسمها Dbأو Dbi ومنها اسمها الحالى ، ذكرها ابن مماتى باسم دبية من أعمال فوة والمزاحمتين . وفى تاريخ سنة ١٢٢٨هـ أصبحت تابعة لمركز رشيد بمحافظة البحيرة . وقد جاء ذكر ناحية ديبى بولاية البحيرة فى وقفية لعبد الرحمن كتخدا مؤرخة ثمانية عشر ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائة وألف ، لانفاق ريعها على المساجد وأعمال البر والاحسان . وبهذه القرية مجموعة لا بأس بها من المساجد الأثرية أهمها :

جامع الشيخ عامر

وصف المسجد

من المرجح أن يكون منشىء هذا الجامع هو السلطان الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون كما يدل على ذلك المرسوم المكتوب على اللوح الرخام المثبت على أحد عقدى باب الواجهة الغربية وهذا نصه : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد سيد السادات من أهل الأرض والسموات ورضى الله عن الصحابة أجمعين . بطل مكس ديبى بجملته ، فمن أحدثه بعد ذلك فعليه اللعنة الى يوم الدين ، بتاريخ شهر رجب سنة احدى وسبعين وسبعمائه الحمد لله . وكلمة المكس التى وردت فى النص هى نوع من الضرائب الهلالية[١] . أما عمارة المسجد الحالية فتشبه فى أسلوبها الطراز المسمى (بطراز الدلتا) ذى الواجهات المزخرفة بالطوب المنجور الذى انتشر فى العصر العثمانى . وليس من المستبعد ان يكون الجامع قد أعيد بناؤه فى العصر

---

(١) المال الهلالى (أنظر جامع الخطباء بمحلة أبو على مركز دسوق محافظة كفر الشيخ

العثماني كما يدل على ذلك النص الكتابى المنقوش على المنبر الخشبى الموجـود بالمقصـورة الخشبية المجاورة للباب القبلى للمسـجد ، والتى بداخلهـا قبر الشـيخ عامر الذى سـمى المسجد المجدد باسـمه ونص الكتابة كما يلى : انشـأ هذا المنبر المبارك من فضـل الله تعـالى الحاج عامر نعمته سنة أربع عشر بعد الألف .

مسجد على نور الدين :

من المرجح ان يكون هذا المسجد من عمائر القرن الثانى عشر الهجرى كما يدل على ذلك النص المنقوش على المنبر الخشبى وهو : (لا اله الا الله محمد رسول الله عمل الحاج عبد الله النجار سـنة ١١٧٦هـ) . ومن الثابت ان المسـجد جـدد فى القـرن الثالث عشر الهجرى كما هو مبين فى الكتابة الموجودة على باب الضريح الموجود داخل المسجد ونصها : عمر هذا المسجد المعلم على بن المرحوم الحاج حسن الجاهل غايته سنة ١٢٣٤هـ .

مسجد سيدى على الخورجى:

يمتاز هذا المسجد باحتوائه على قبة كبيرة مضلعة برقبتها فتحات مملوءة بجص مفرغ بأسلوب زخرفى جميل . وبداخل المسجد مقصورة كتب عليهـا تاريخ انشـاء المسـجد سـنة ١١٢٩هـ (١٧١٦م) .

المسجد الكبير

بديروط بمركز رشيد
(٩٦١هـ)

ديروط :

قرية قديمة كانت تابعة لنواحى الاسكندرية لأن الثغر كان يمتد طوال العصور الوسطى الى تلك الجهة ، ثم جعلت تابعة لمركز رشيد فى تاريخ سنة ١٢٢٨هـ . فلما انشىء مركز المحمودية سنة ١٩٢٨ ألحقت به لقربها منه .

وصف المسجد

أنشأ هذا المسجد عيسى العادلى سنة ٩٦١ هـ كما هو مدون على لوح من الرخام بخط حديث : أنشأ هذا المسجد المرحوم عيسى العادلى سنة ٩٦١ هـ ، وقام بصيانته وترميمه صاحب الحسنات المرحوم الحاج مصطفى محمد المنياوى واقتفى اثره فى ذلك نجله سعادة محمد بك المنياوى غفر الله لهم ، كتب سنة ١٣٢٥هـ . ثم جدد المسجد فى القرن الثانى عشر الهجرى ، فقد كتب على مقصورة الشيخ عبد الرحمن ابو شوشه ما يأتى :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ الجناب العالى الأمير سليمان چوريجى عزبان جلفى .

٢ ـ هذه المقصورة المباركة لولى الله تعالى سيدى عبد الرحمن أبو شوشة .

٣ ـ عمل المعلم عبد الرحمن يوسف النجار الديروطى فى غرة رمضان سنة ١١٤٦هـ (١٧٣٤م) .

وبالمسجد منبر خشبى مزخرف بطريقة الخرط وعلى بابه ما نصه :

١ ـ انشأ هذا المنبرالمبارك الأمير حسن العالى .

٢ ـ عمل الحاج على الديروطى سنة ألف وثمانية ومائة (١٦٩٦م) .

قبة سيدى على عريان :

هى القبة الوحيدة الباقية فى ديروط ، وهى من النوع المضلع ، ومن المرجح انها من أبنية القرن الثانى عشر الهجرى .

مدرسة محمد بن بغداد
(٩٦٧هـ)
والجامع العمرى
القرن (١١) هـ
ومسجد الشيخ علام
القرن (١٣) هـ
بمحلة مرحوم مركز طنطا

طنطا هى قاعدة محافظة الغربية اسمها القديم (Tantant) ويقول محمد رمزى[1] اذا قارنا اسمها القديم بالأسماء التى جاءت فى المعاجم وكتب المؤرخين تبين لنا ان اسم طنطا هو الاسم المصرى القديم لهذه المدينة . وجاءت فى كتاب[2] المسالك باسم طندتا بين فيشة بنى سليم وبين محلة المرحوم . وأضاف وهى ضيعة حسنة عظيمة بها جامع لطيف وحمام ولها ضياع وأسواق . ووردت فى نزهة المشتاق[3] باسم طنطنه ، وهى مدينة متحضرة صغيرة ذات أسواق ورزق داره وأحوال صالحة وأهلها فى رفاهة وخصب . وجاءت فى قوانين[4] ابن مماتى طندتا من أعمال الغربية ، وفى الضوء اللامع[5] الجبرتى طنتداء والنسبة إليها[6] طنتدا ، وفى تاريخ طنتدائى . وفى العصر العثمانى حذفت الدال من طندتا لتسهيل النطق فصارت طنتا ، ثم فخمت التاء لتوافق ذوق العامة فصارت طنطا وهو اسمها الحالى .

ومحلةّ مرحوم قرية قديمة من قرى الغربية مركز طنطا ، وجاءت فى الخطط التوفيقية من مركز ابيار . وتنسب القرية الى ابن المرحوم ومن أحفاده أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن بن المرحوم ، وجاء فى خلاصة الأثر أن منها الشيخ ابراهيم ابن عطاء على بن محمد الشافعى المرحومى امام الجامع الازهر وكان من العلماء الورعين

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٠٢ .

(٢) المسالك لابن حوقل ص ٢٢١ .

(٣) الإدريسى ص ١٩٧ .

(٤) ابن مماتى ص ١٢٧ .

(٥) السخاوى جـ ٧ ص ١٧٣ .

(٦) الجبرتى جـ ٢ ص ٧٧ .

أصحاب الكرامات وفى بعض الأحيان يقال لمحلة مرحوم الجوهرية لمجاورتها لسكن قرية الجوهرية التى نسبت الى ولى الله الجوهرى المدفون فى المسجد المعروف باسمه (لوحة رقم ٥٢) . ويحتوى المسجد على عمود من الرخام يقول على مبارك . ان العامة تعتقد أن المرضى اذا لحست هذا العمود يسيل من ألسنتهم دم فيجدون فى ذلك راحة وشفاء .

ويقول ابن حوقل ان محلة مرحوم مدينة بها حاكم وقاض وفيها شحنة من خيل راجل وبها جامع وأسواق . وما زالت هذه المدينة تحتفظ ببعض آثارها الاسلامية وهى :

الوصف المعمارى

مدرسة محمد بن بغداد :

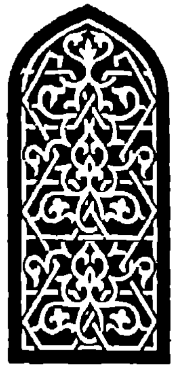
أنشأ هذه المدرسة الشيخ على عبد الفتاح البغدادى فى القرن العاشر الهجرى وأوقف عليها وعلى المسجد أوقافا كثيرة . وتتكون المدرسة ، كما هو الحال فى مدارس القرن التاسع والعاشر الهجرى من صحن مكشوف تحيط به أربعة ايوانات الشرقى والغربى منها كبيران والبحرى والقبلى صغيران . وكانت المذاهب الأربعة تدرس فى هذه الايوانات ، فيختص كل ايوان بمذهب منها . وقد احتفظ منبر المدرسة الجديد بتاريخ انشاء المدرسة والمسجد القديم ، فقد جاء فيه ما نصه : أمر بانشاء هذا المنبر المبارك الأمير عبد الله بن بغداد بتاريخ عام سبع وستين وتسعماية .

الجامع العمرى :

أنشىء هذا المسجد فى القرن (١١) هـ السابع عشر (الميلادى) ، وكان مسجدا جامعا ، له صحن مكشوف تحيط به الأورقة من جهاته الأربع . وقد بنيت واجهة المسجد بالطوب المنجور . ومحلق بالمسجد ثلاث قباب ، اثنتان منها ملتصقتان ببعضهما .

مسجد الشيخ علام :

يرجع تاريخ إنشاء هذا المسجد إلى القرن (١٣) هـ التاسع عشر (الميلادى) ، وهو مبنى بالطوب المنجور . وملحق بالمسجد ثلاث قباب ، اثنتان منها ملتصقتان ببعضهما عن طريق عقد يسمح للمرور بينهما . وقد أعيد بناء المسجد من الداخل فضاعت معالمه القديمة .



الجـــامع الكبـــير
بفارسكـــور القرن(١٢)هـ

وقبــة البـــاز
من القرن(١٣)هـ

والجـــامع الحديـــدى
(١٢٠٠ هـ)

وزاوية الأنصارى ومسجد كفر المياسرة
(١٢٠١ هـ)

فارسكور من القرى القديمة ، وردت فى معجم البلدان باسم الفـارسكر ، وقال اليعقوبى ، انها من قرى مصر قرب دمياط من قرى الدقهلية . وقد انفصل مركز فارسكور فى التقسيم الادارى الحديث عن محافظة الدقهلية ، وأصبحت تابعة لمحافظة دمياط . ومن أهم الآثار التى ما تزال باقية فيها ، المسجد الكبير الذى يطلق عليه أهلها اسم الكوندكى .

وصف الجامع الكبير بفارسكور

وهو من أكبر مساجدها ، ويتكون من صحن كبير تحيط به أربعة ايوانات وله بابان أحدهما شرقى والآخر شمالى . كما يمتاز المسجد بمنارته الرشيقة التى تمثل الطراز المملوكى . ويرجع تاريخ المسجد الى القرن الرابع عشر كما هو ثابت من اللوحة الرخامية المثبتة على المحراب ، فقد نقش عليها مرسوم سلطانى هذا نصه .

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) قال الله جل ذكره « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » رسم

(٣) المقر الأشرف العالى السيفى قطلوبغا البدرى أمير مجلس الملكى المنصورى

(٤) تقبل الله عمله ان يرفع ما على عرضه الغلال بناحية فارسكور الخارجية فى اقطاع المشار اليه

(٥) من المكوس المأخوذة على سائر الحبوب الواصلة اليها

(٦) ويباع بها مما يزرع فيها ويكون ذلك مسطورا فى صحيفة المشار اليه بقوله

(٧) من استن سنة حسنه .. بتاريخ حادى عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة .

وقد جدد المسجد فيما بعد ، وكان ذلك فى العصر العثمانى فى القرن الثامن عشر الميلادى .

قبة الباز :

توجد هذه القبة بكفر الباز من قرى فارسكور ، وهى قبة صغيرة مضلعة الشكل تشبه قبة الجعفرى بالقاهرة . وتقع القبة على شاطىء النيل وترجع الى العصر العثمانى فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وهى محكمة البناء جميلة المنظر تدل على مهارة صانعها .

الجامع الحديدى :

انشىء هذا الجامع سنة ١٢٠٠هـ ، وملحق به قبة ، وبهذه القبة ايوان فى الجهة القبلية منها . وقد أعيد ترميم اجزاء كثيرة من المسجد ما عدا القبة والمئذنة التى تعلو الباب الغربى للمسجد

زاوية الأنصارى :

تمتاز هذه الزاوية باحتوائها على قبة كبيرة بها إيوانان كما تحتوى على مقصورة من الخشب الخرط . وتشبه هذه القبة فى تصميمها مسجد الروبى بالفيوم . وتشبه قبة الانصار من حيث كبر الحجم والتخطيط العام . وفى مدينة فارسكور قبتان ، إحداهما باسم حسن الدياسطى ، والأخرى باسم قبة الحسينى .

مسجد كفر المياسرة :

قرية كانت تابعة لناحية السرو : ثم فصلت عنها فى تاريخ سنة ١٢٣٠هـ ، وقد سميت بكفر المياسرة . نسبة الى بنى ميسر بطن من بطون العرب الذين نزلوا بين دمياط وفارسكور حيث كفر المياسرة ويقع مسجدها على شاطىء النيل الا أنه جدد حديثا فتغيرت معالمه القديمة . أما القبة الملحقة بالمسجد فترجع الى تاريخ سنة ١٢٠١هـ كما هو ثابت من التاريخ المنقوش على مقصورتها . وتمتاز هذه القبة بأن المعمار استعمل أسلوبا خاصا فى تحويل المربع الى دائرة لكى يقيم عليه القبة ، فقد عمل فى أركان المربع أربعة محاريب تبدأ من أرضيته ، وأعلى هذه المحاريب عمل عقودا فاستحال المربع الى دائرة أقيمت فوقها القبة .

قبــة الشيـخ عنــبر

بالمنزلــة بمحافظة الدقهلية

(١٢٢٧هـ)

تكون اقليم الدقهلية باسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان قبل ذلك مقسما الى كور صغيرة كل كورة قائمة بذاتها ثم ضم بعضها الى بعض وسميت الدقهلية نسبة الى قاعدتها دقهلة . وكان يجاور اقليم الدقهلية من الجهة الشمالية كورة الابوانية ، وهى اقليم المنزلة الحالى وسميت بالايوانية نسبة الى قاعدتها إيوان التى خربت بسبب طغيان بحيرة المنزلة عليها ، وكانت منطقة صناعية آهلة بالسكان ، وقد اختفت هذه الكورة من الأقسام الادارية المصرية فى الروك الناصرى سنة ٧١٥هـ وضمت بلادها الى اقليم الدقهلية وكان يجاور اقليم الدقهلية من الجهة الجنوبية كورة المرتاحية وكانت فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى المنصورة وأجا وقاعدتها بلدة نوسا الغيط . وسميت المرتاحية نسبة الى طائفة من الجنود المغاربة الذين دخلوا مع جيش جوهر الصقلى ، قائد الدولة الفاطمية ، ورغبوا فى الاشتغال بالزراعة فأنزلهم ببلاد تلك الكورة فعرفت بهم منذ ذلك الوقت . وقد ضمت هذه الكورة الى اقليم الدقهلية الذى كان يشمل مراكز فارسكور ودكرنس والمنزلة فى الروك الناصرى ، وصار الجميع اقليما واحدا باسم كورة المرتاحية والدقهلية وكانت قاعدته أشمون الرمان الى آخر دولة المماليك . وفى العصر العثمانى أطلق عليها ولاية الدقهلية ونقلت قاعدتها من أشمون الرمان الى المنصورة[١] . وفى سنة ١٨٣٣ عرفت باسم مديرية الدقهلية وفى سنة ١٩٦٠ أصبح اسمها محافظة الدقهلية .

المنزلة :

قرية من القرى المصرية القديمة اسمها القبطى (Mendjuili) ومعناها دار الضيافة ، ويقول محمد رمزى[٢] ، إن كلمة المنزلة العربية تؤدى إلى شىء من هذا المعنى ، وهى بذلك

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٣٦

(٢) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٢٠٣

قرية الشبه لفظا ومعنى من الاسم القبطى وقد ذكرها المقريزى عند الكلام عن تطهير الملك الظاهر بيبرس لبحر أشموم الذى يعرف اليوم بالبحر الصغير ، باسم منزلة ابن حسون ، ووردت فى التحفة السنية باسم منيتى راضى وعصفور وهى المنزلة من أعمال الدقهلية . ولا تزال هذه البلدة الى اليوم تتكون من قريتين متجاورتين واقعتين على الشاطىء الشرقى للبحر الصغير وبينهما فضاء وتقع المنزلة فى نهاية البحر الصغير من جهة بحيرة المنزلة ، وكانت تابعة لمركز دكرنس ، وفى سنه ١٩٢٩ أنشىء مركز سابع بمديرية الدقهلية سمى بمركز المنزلة .

مما يسترعى النظر فى مدينة المنزلة احتفاظها بكثير من منازلها القديمة فى حالة لا بأس بها ، وخاصة تلك التى تقع على البحر الصغير . وبذلك استطعنا ان نعرف تخطيط المنازل فى العصر العثمانى فى تلك المنطقة . ومن أهم هذه المنازل منزل الشيخ عباس زين الدين والشيخ حسن زين الدين ومنزل الحاج شلبى طوبار (لوحة رقم ٦٨) .

وتمتاز هذه المنازل بواجهاتها الجميلة المتناسقة الأجزاء والتى تنتهى بكرانيش مكونة من الخشب والآجر بأسلوب تنفرد به منطقة المنزلة وما حولها عن باقى منازل الوجه البحرى . كما تمتاز الواجهات باحتوائها على نوافذ ذات ضلف خشبية وليست مشربيات أو خشب خرط مما كان شائعا فى العصر المملوكى والعثمانى فى مصر ، والذى ما زالت منازل رشيد القديمة تحتفظ بالكثير منه .

وصف قبة الشيخ عنبر

ومن العمائر الدينية الهامة والجديرة بالذكر بمدينة المنزلة قبة الشيخ عنبر ، وتحتوى القبة على قاعدة مربعة الشكل تعلوه رقبة مثمنة ثم تأتى القبة فوق ذلك . والقبة مبنية من الآجر . وكسيت رقبتها بالجص المزخرف على شكل أحجبة يعلوها غطاء القبة المنقوش بزخارف دالية تنتهى بقطع من القاشانى الأزرق . وهكذا نرى أن هذه القبة تمثل أسلوبا انفردت به مدينة المنزلة دون غيرها من مدن الوجه البحرى . وهناك قبة اخرى مماثلة لقبة الشيخ عنبر ، هى قبة « ابو النصر » بجوار منزل الشيخ شلبى طوبار يقال انه انشأها مع منزله سنة ١٢٢٧هـ .

جامع الحلبى

بأدفينا مركز رشيد بمحافظة البحيرة

(١٢٧٥هـ/١٨٥٨م)

محافظة البحيرة من الأقسام الادارية التى استجدت فى العصر الاسلامى باسم كورة البحيرة . وفى عهد الدولة الفاطمية أضيف اليها كور أخرى مجاورة لها ، فصارت اقليما كبيرا باسم البحيرة . وقاعدة البحيرة دمنهور وهى من المدن المصرية القديمة(١) .

ولعل من الأحداث الهامة التى تعرضت لها عاصمة البحيرة فى العصر الإسلامى تلك الواقعه التى حدثت بين عبيد بن السرى بن الحكم ، والى مصر من قبل الخليفة العباسى المأمون ٢١١هـ ، وبين خالد بن يزيد بن مزيد وذلك لأن العرب بمصر كانوا قد انضموا الى الخليفة المأمون فى الصراع الذى دار بينه وبين أخيه المأمون . فلما انتصر المأمون ، ولم تكن الفتنة قد خمدت فى مصر ، اضطر المأمون الى الحضور الى مصر للقضاء على الثورات .

ومن أهم النتائج التى ترتبت على مجىء الخليفة المأمون الى مصر ، هو قطعه الأموال التى كانت تعطى للعرب من ديوان العطاء على اعتبار أنهم جنود الدولة الاسلامية المرابطون للدفاع عنها . فلما خرجوا عن طاعة الخليفة قطع عنهم العطاء مما اضطرهم الى النزول الى ميادين العمل من زراعة وفلاحة وصناعة وتجارة ليكسبوا قوتهم ومعاش اولادهم .

وقد ترتب على هذا آثار بعيدة المدى بالنسبة للمجتمع الاسلامى فى مصر فقد أدى نزول العرب الى ميادين العمل ، وهم السادة ، الى اندماجهم مع المصريين وتزاوجهم منهم وتصاهرهم معهم ، ومن ثم فقد هضمت مصر العنصر الفاتح ولم يصبح فيها سيد ومسود ، وبالتالى تلاشت العنصرية القبلية وكذا الشعوبيات التى بقيت فى كل البلاد العربية التى خضعت للدولة الاسلامية الأموية أولا والعباسية ثانيا .

---

(١) محمد رمزى القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ٢٨٤

ويقول ابن دقماق[1] ، ان أعمال البحيرة عامرة وبها جوامع ومدارس وحمامات وفنادق وقياسر وغير ذلك .

ويحدثنا على مبارك[2] عن شخصية الشيخ عبد الرحمن الحلبى ، فيقول انه من أجل العلماء تولى القضاء بقاعدة البحيرة زمنا طويلا ، ومن ثم فقد كان يقال له الدمنهورى . وجاء فى ترجمة السخاوى[3] له ، انه ولد بحلب سنه تسعه وخمسين وسبعمائة ، فحفظ القرآن وتفقه بحلب ثم بالقاهرة ، ثم ولى القضاء بدمنهور الوحش زمنا ، وكان فاضلا كيسا . ولما توفى دفن بقرية ادفينا .

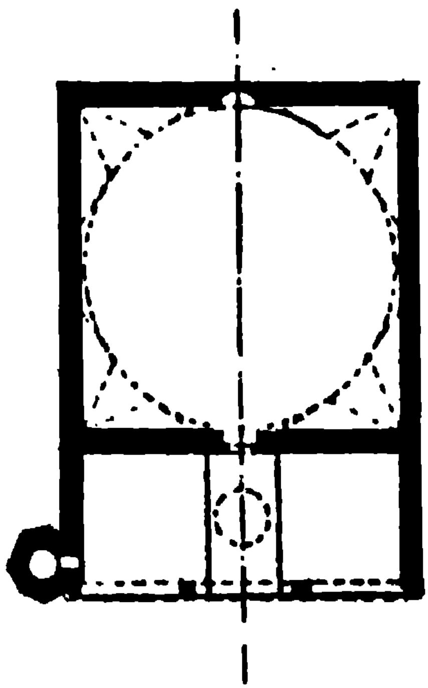
وادفينا قرية قديمة اسمها الأصلى اتقينه ، وينطقها العامة دفينة . كانت تابعة لمركز العطف ، لما انشىء مركز رشيد سنة ١٨٩٦م فصلت ادفينا من مركز العطف وألحقت بمركز رشيد لقربها منه . وقد تخلف بهذه الناحية بعض العمائر الإسلامية ، أهمها :

(١) الانتصار لواسطة عقد الامصار ص ٨٥

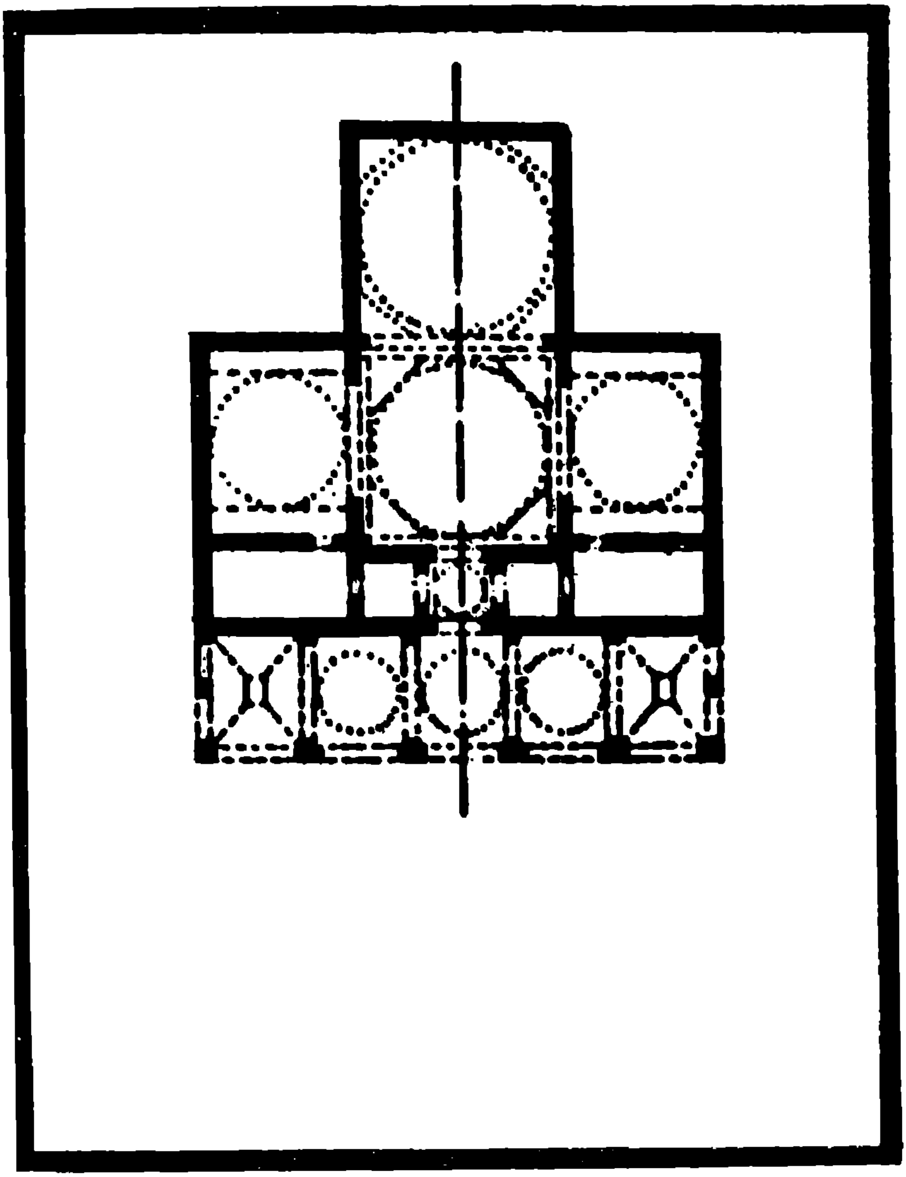
(٢) الخطط التوفيقية جـ ١١ ص ١٩

(٣) الضوء اللامع ص ٤٩

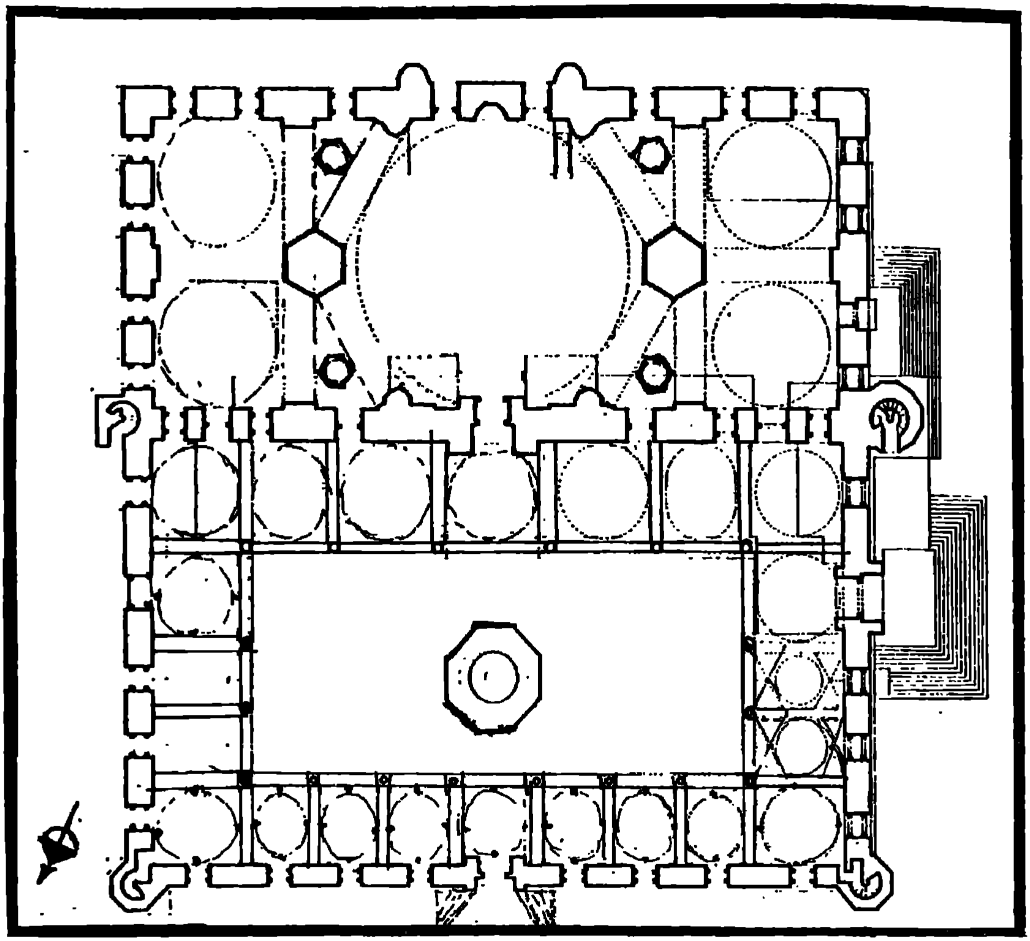
الاشكال



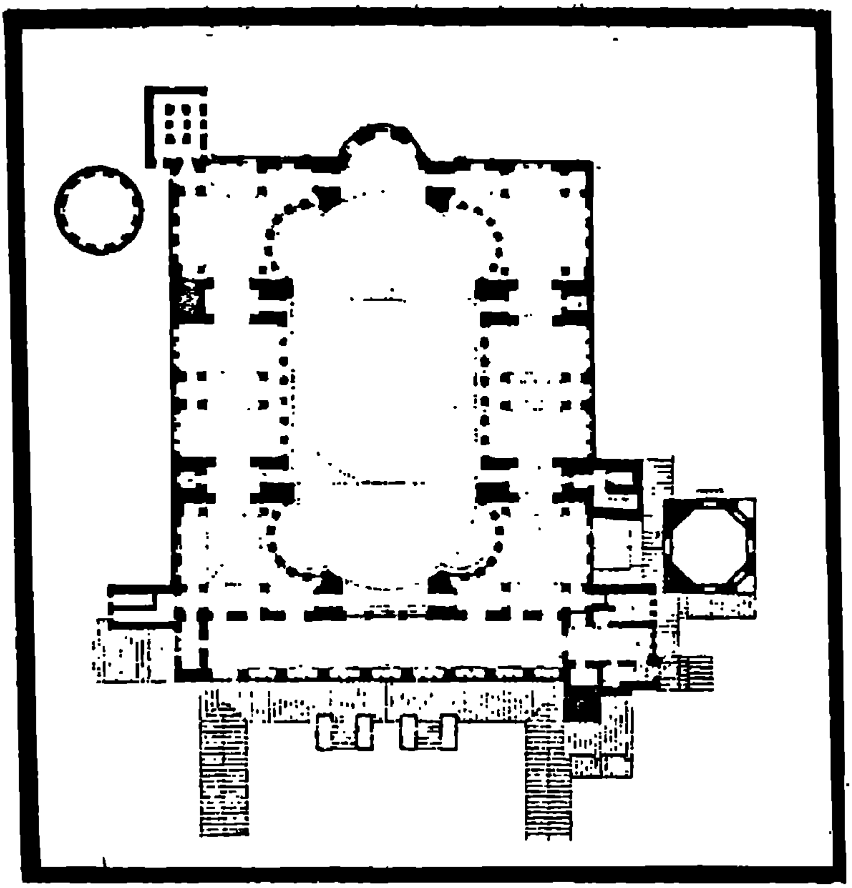
شكل (١) رسم تخطيطى لجامع علاء الدين فى بروسة



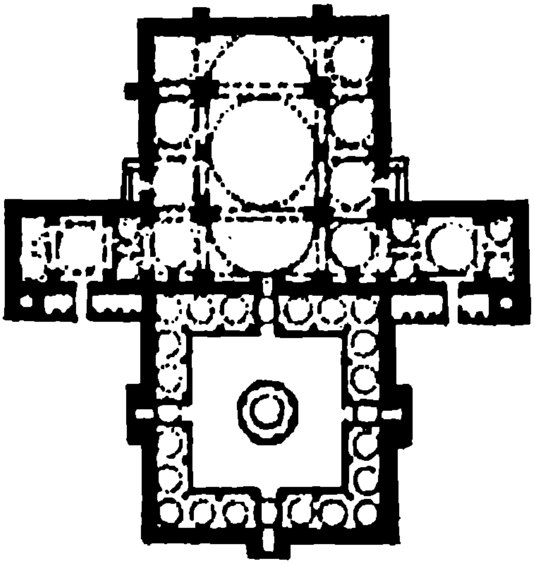
شكل (٢) رسم تخطيطي لجامع أورهان بك في بروسة



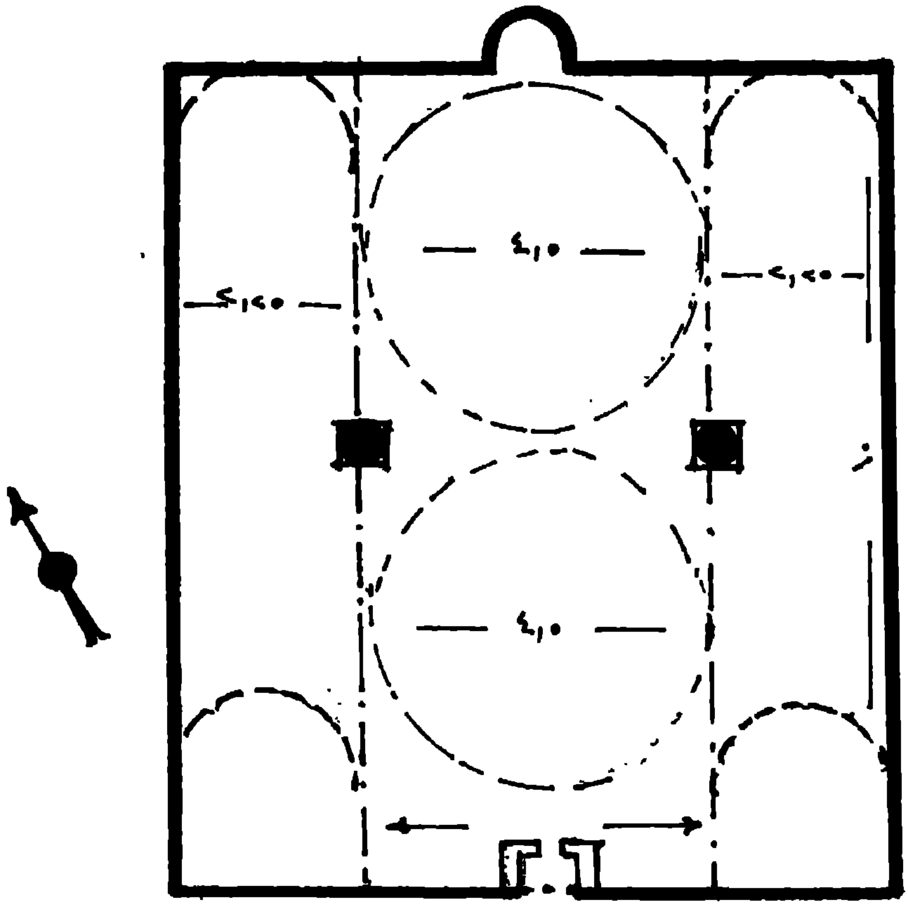
شكل (٣) رسم تخطيطى لجامع أوشى شريفيلى فى أدرنة



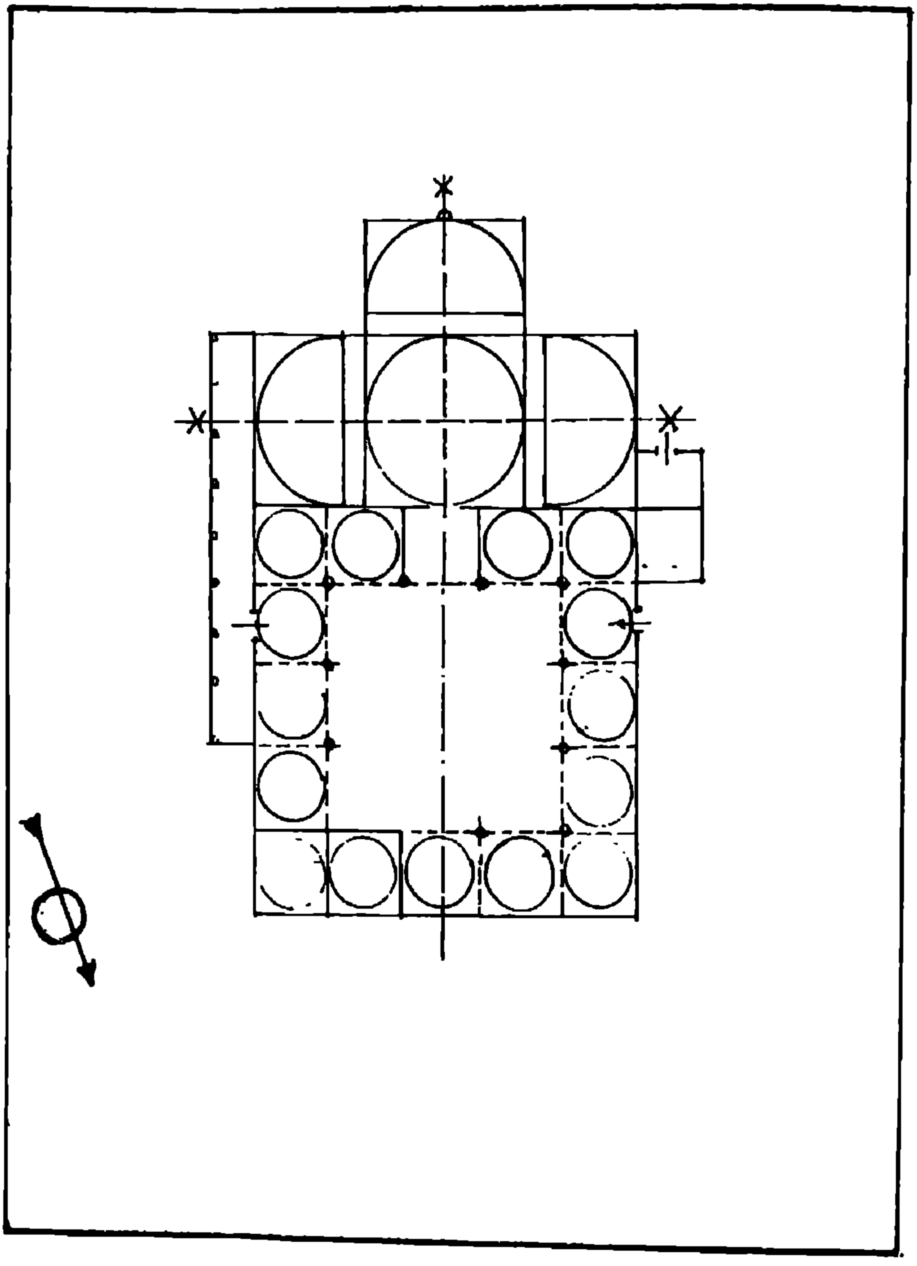
شكل (٤) رسم تخطيطي لآيا صوفيا



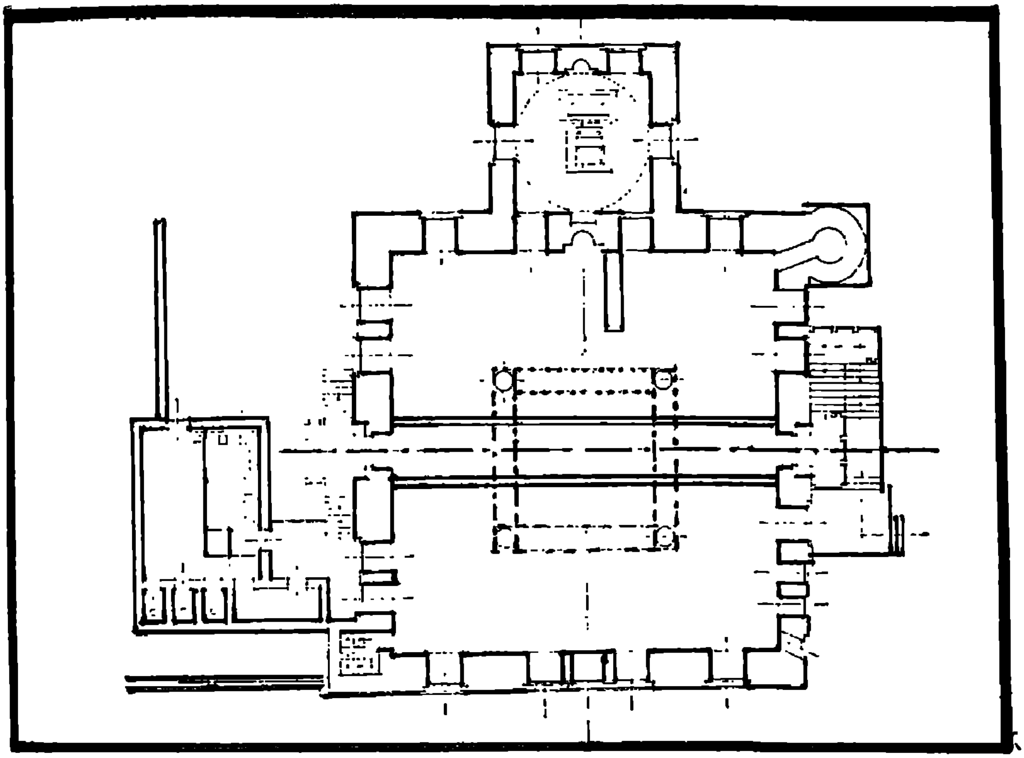
شكل (٥) رسم تخطيطى لجامع بايزيد الثانى فى اسطنبول



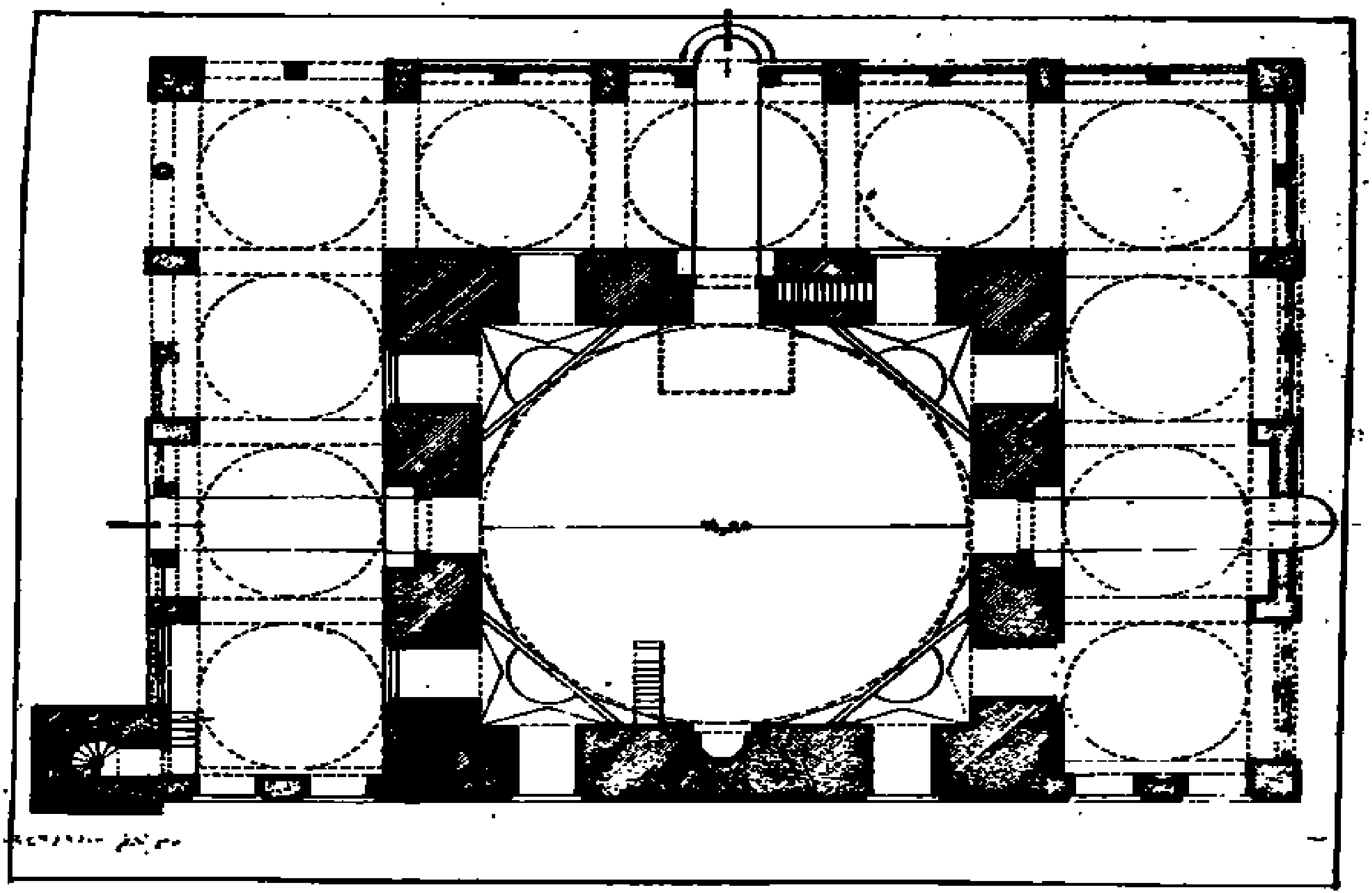
شكل (٦) رسم تخطيطي لزاوية الشيخ حسن الرومي



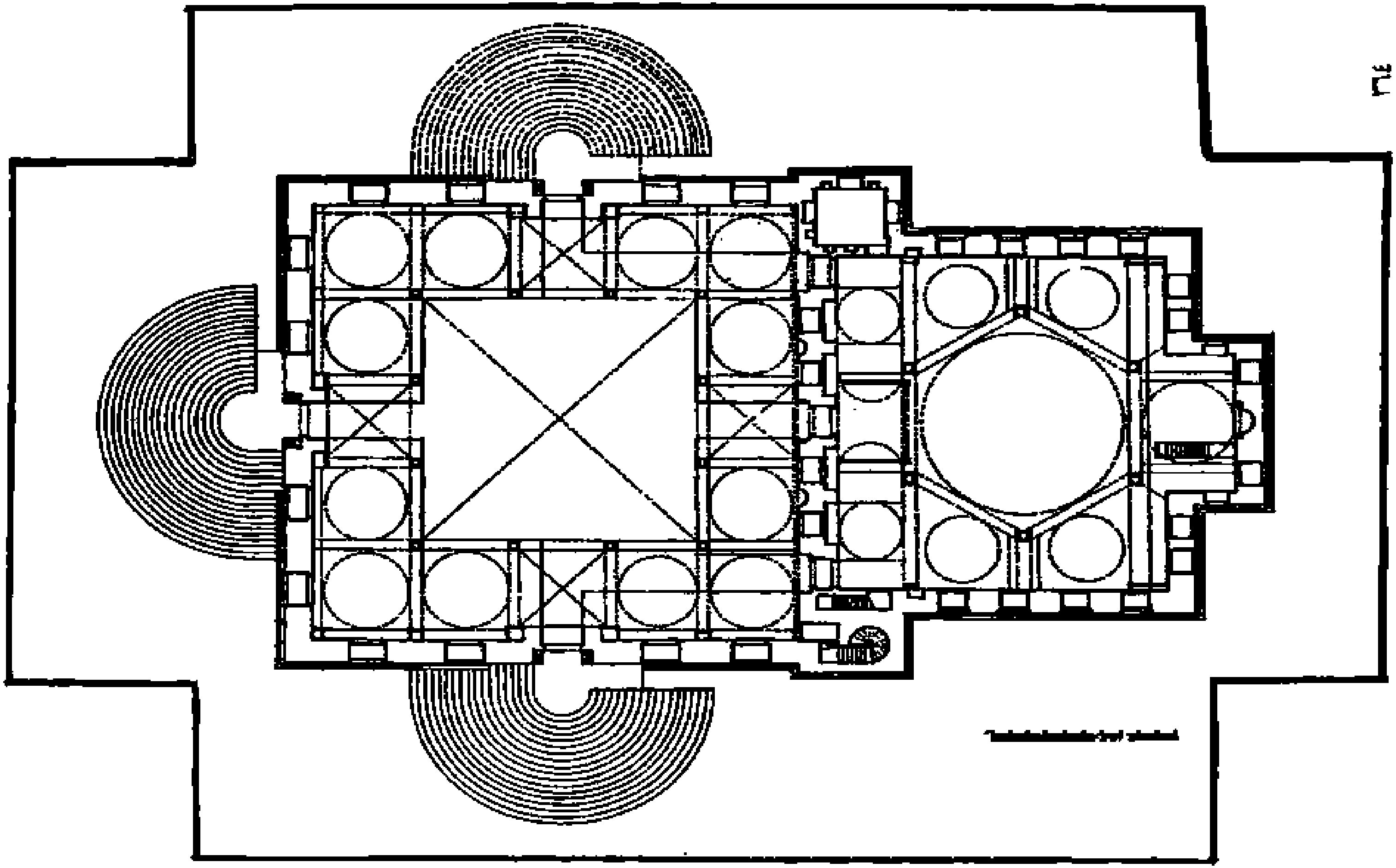
شكل (٧) رسم تخطيطى لجامع سليمان باشا الخادم بالقلعة



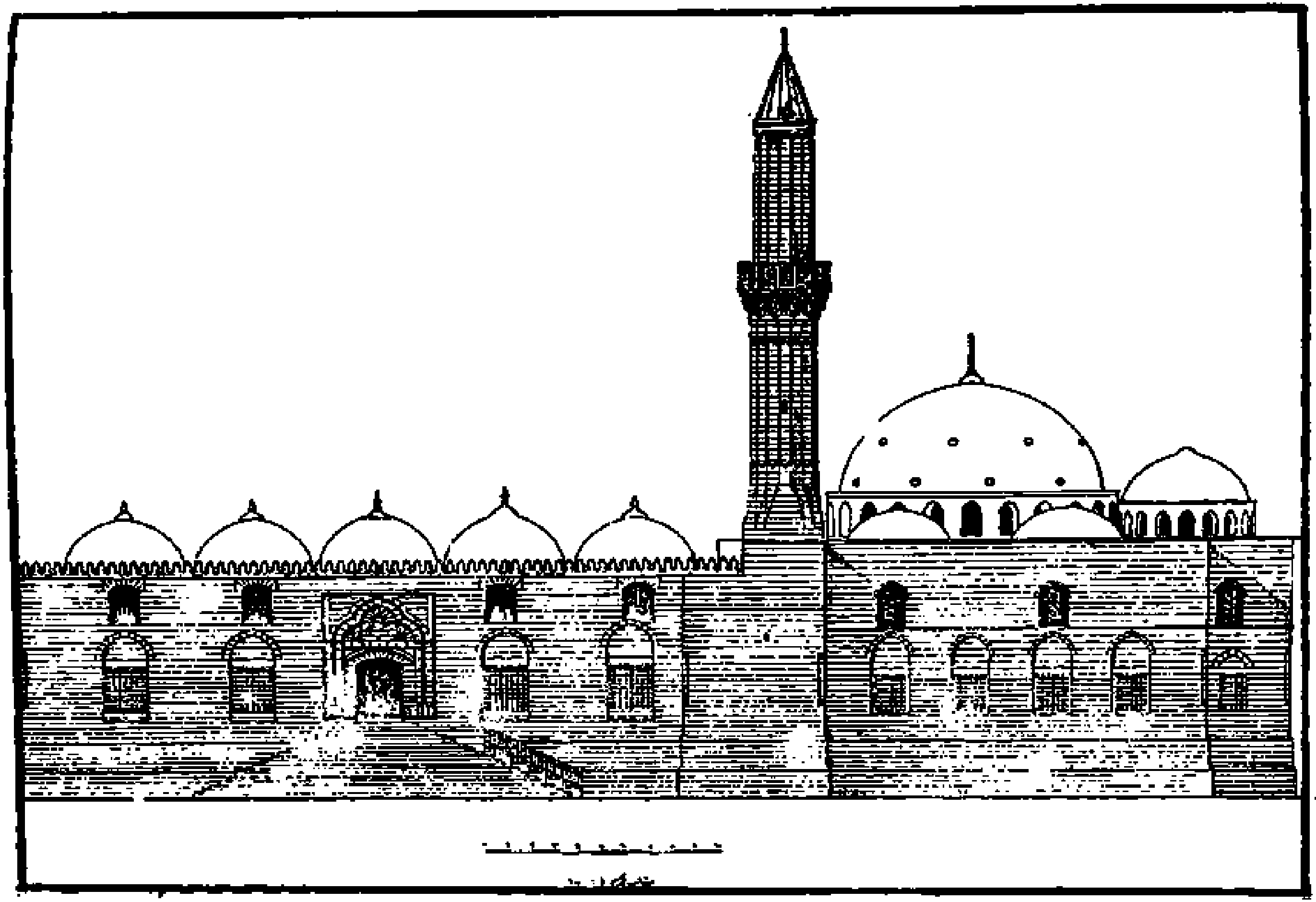
شكل (٨) رسم تخطيطى لمسجد المحمودية



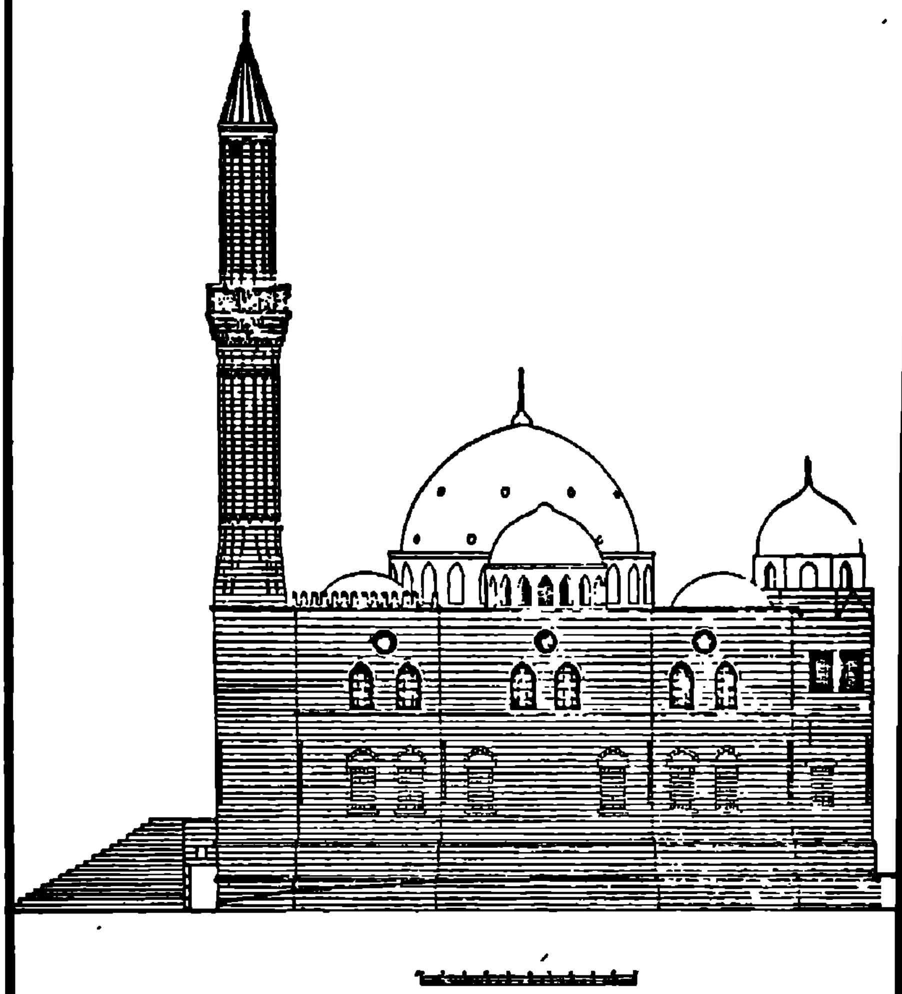
شكل (٩) رسم تخطيطي لجامع سنان باشا ببولاق



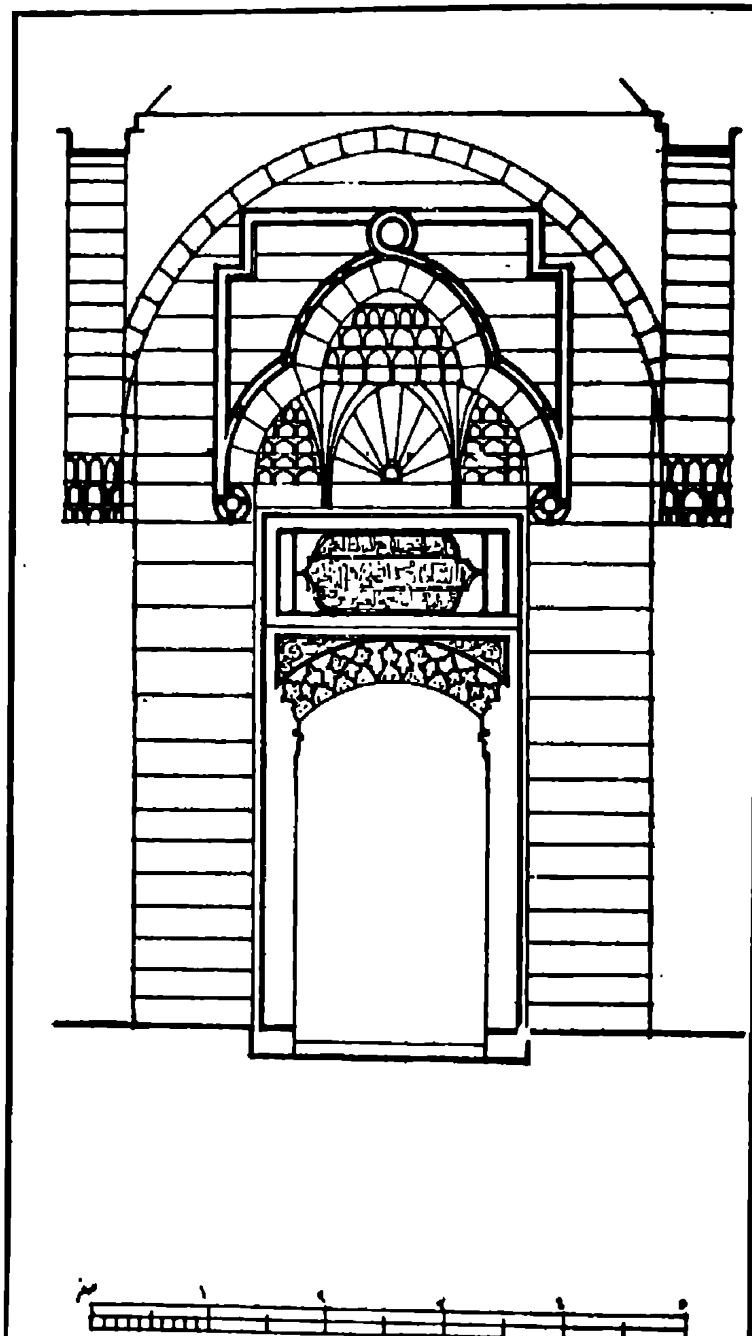
شكل (١٠) رسم تخطيطي لجامع الملكة صفية



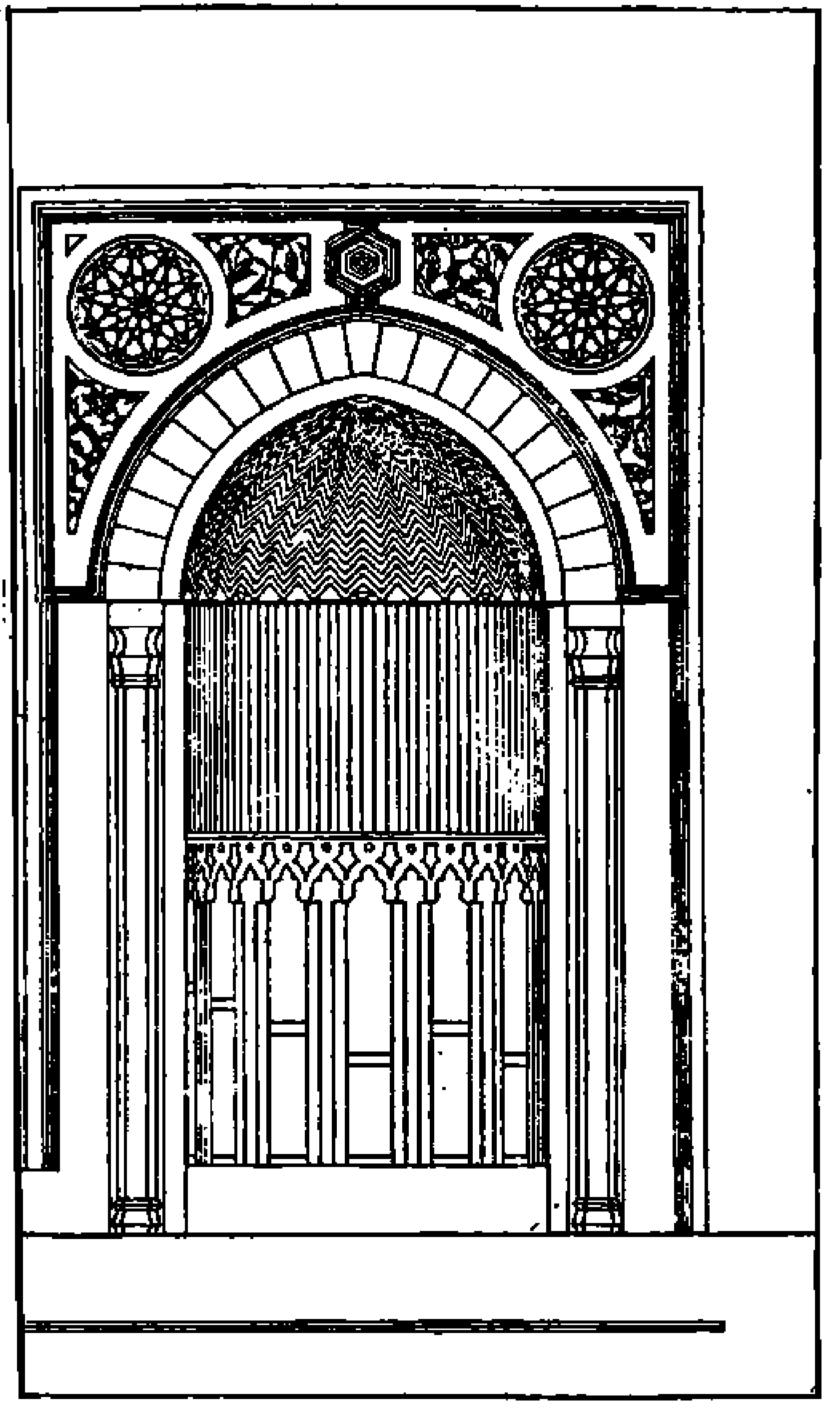
شكل (١١) رسم للواجهة الجنوبية لجامع الملكة صفية



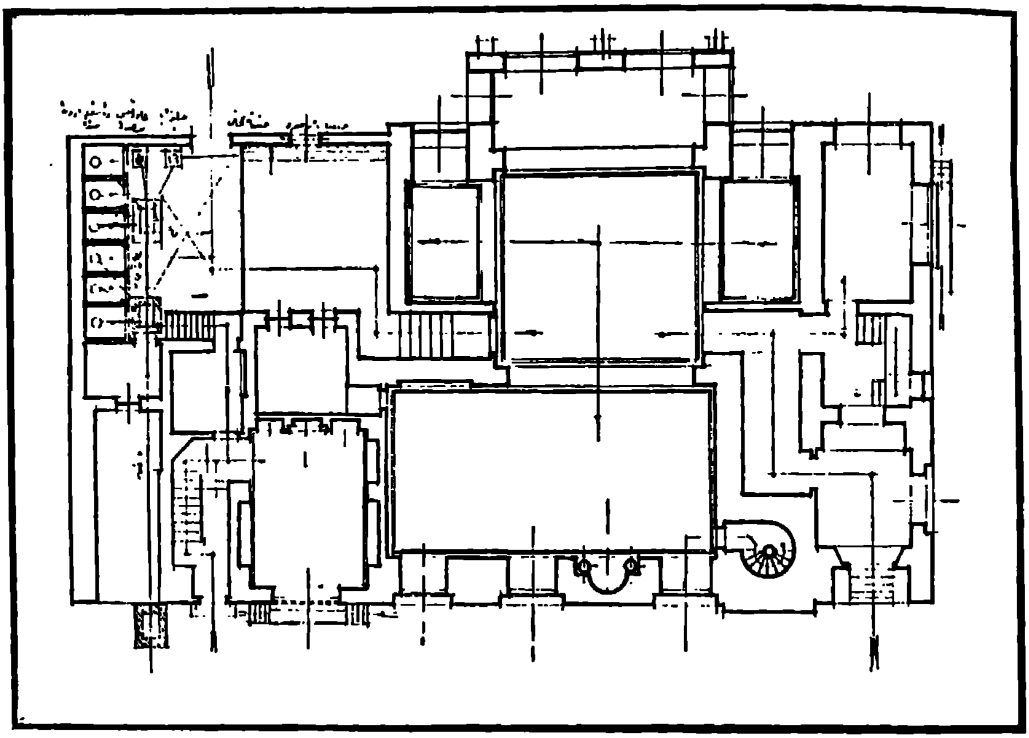
شكل (١٢) رسم للواجهة الشرقية لجامع الملكة صفية



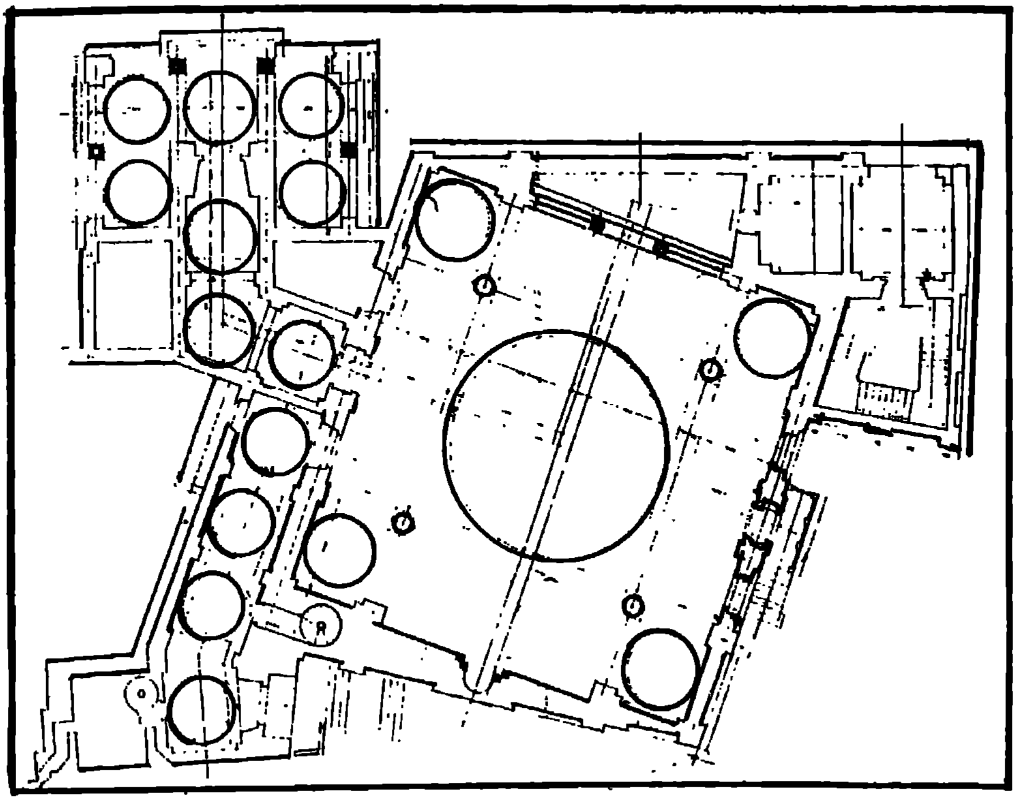
شكل (١٣) رسم للمدخل الرئيسى لمكانِ الصلاة بمسجد الملكة صفية



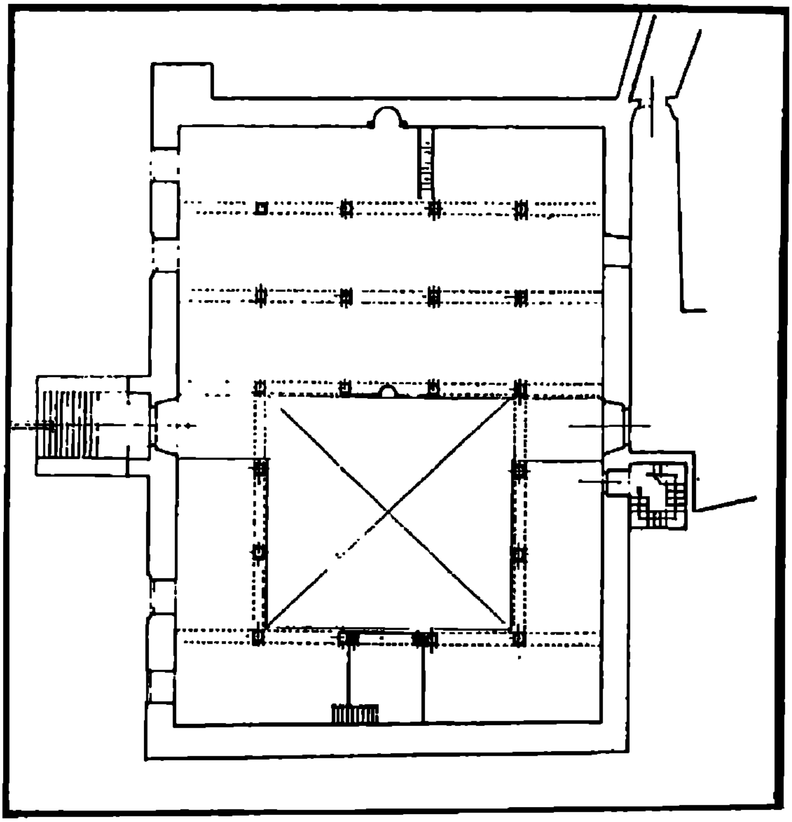
شكل (١٤) رسم لمحراب مسجد الملكة صفية



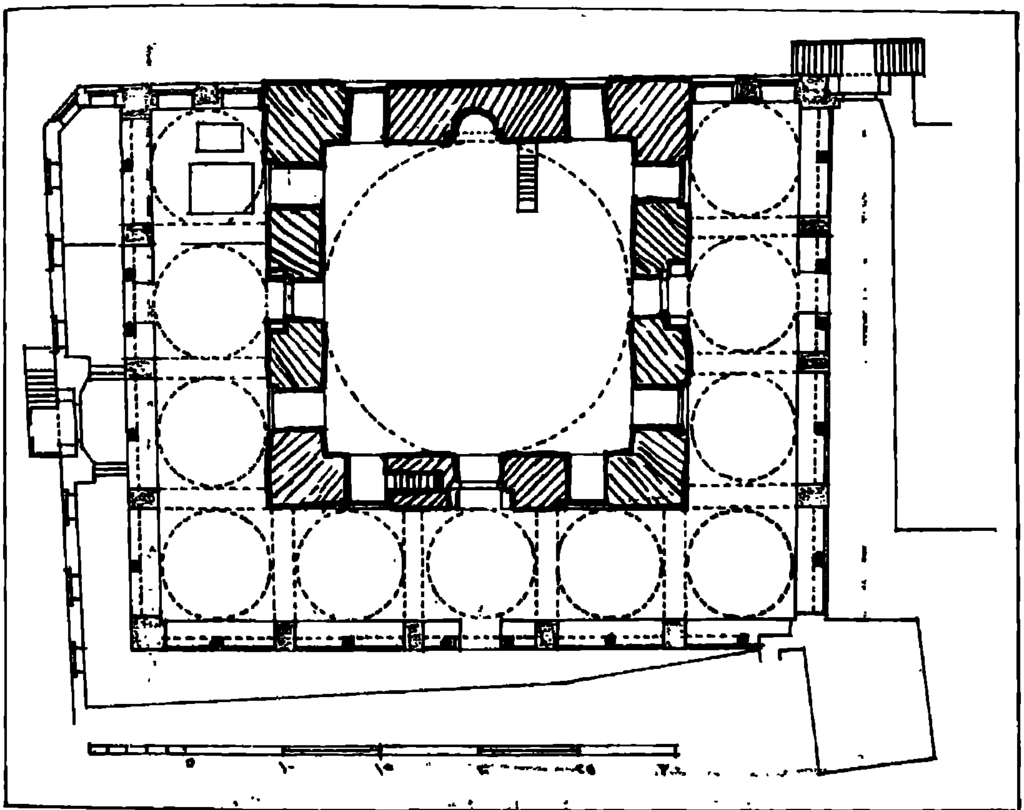
شكل (١٥) رسم تخطيطي لمسجد يوسف الحين



شكل (١٦) رسم تخطيطى لمسجد الفتح

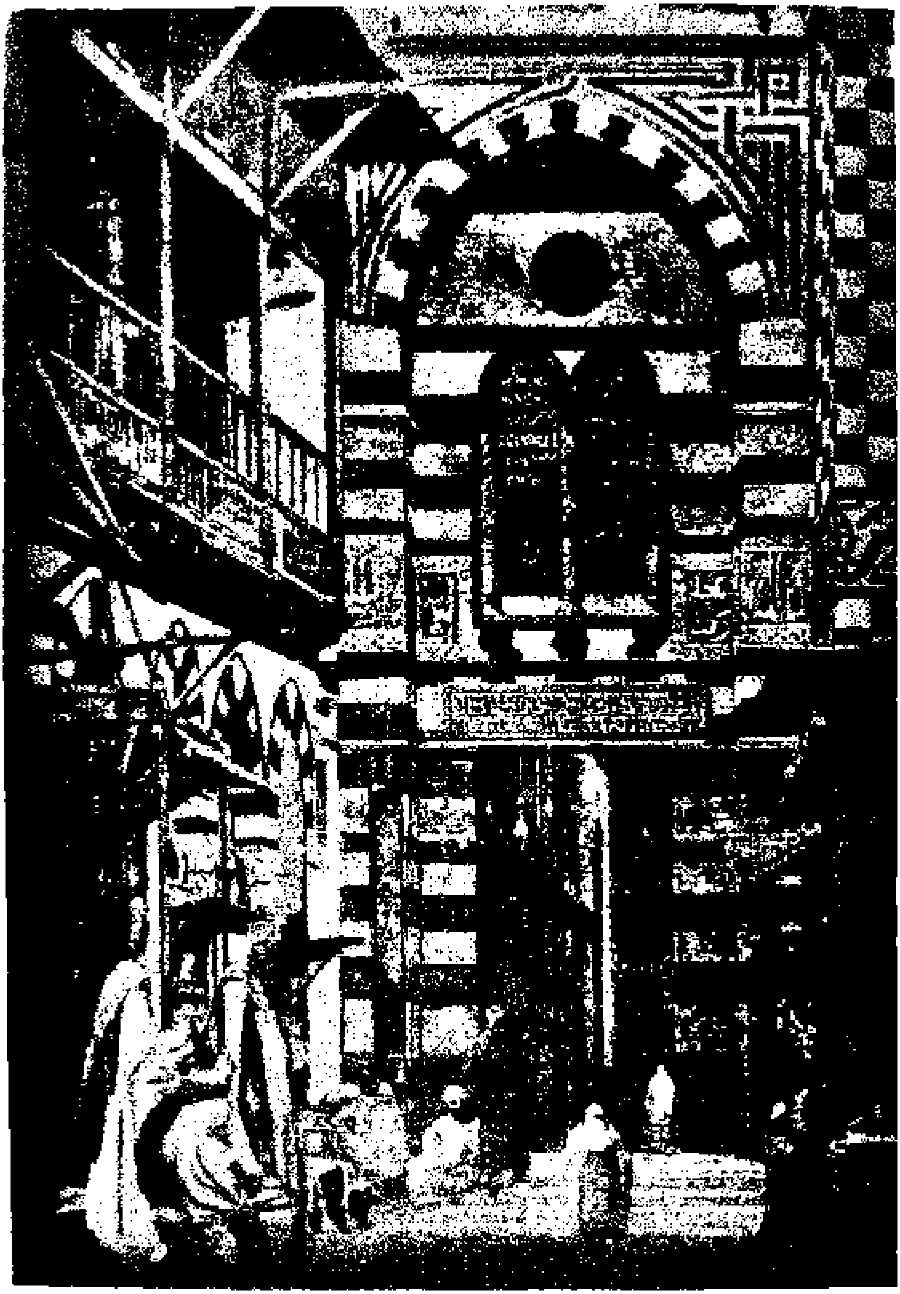


شكل (١٧) رسم تخطيطي لمسجد عثمان كتخدا



شكل (١٨) رسم تخطيطى لمسجد محمد أبو الذهب

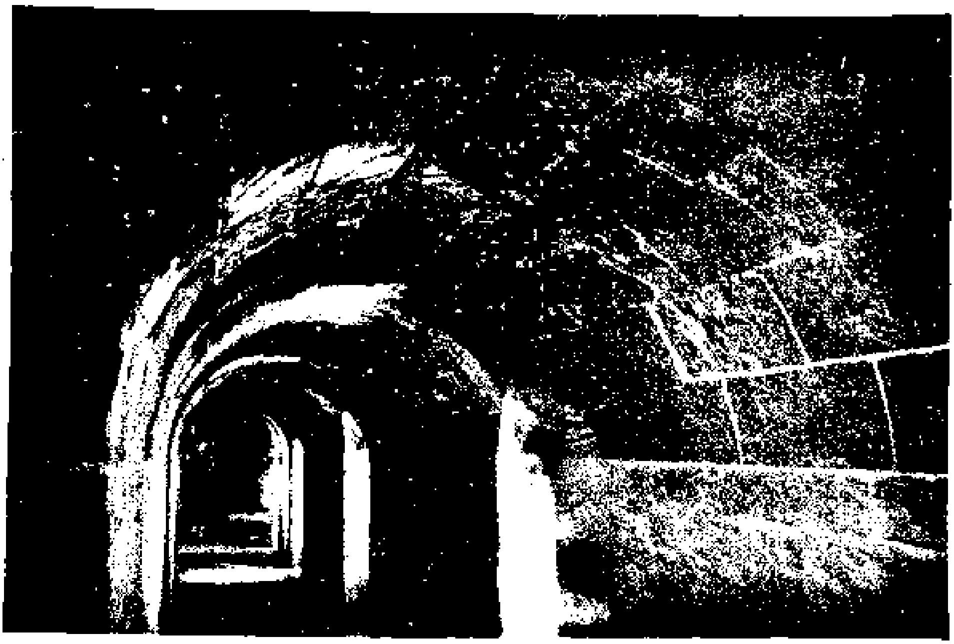
اللوحات



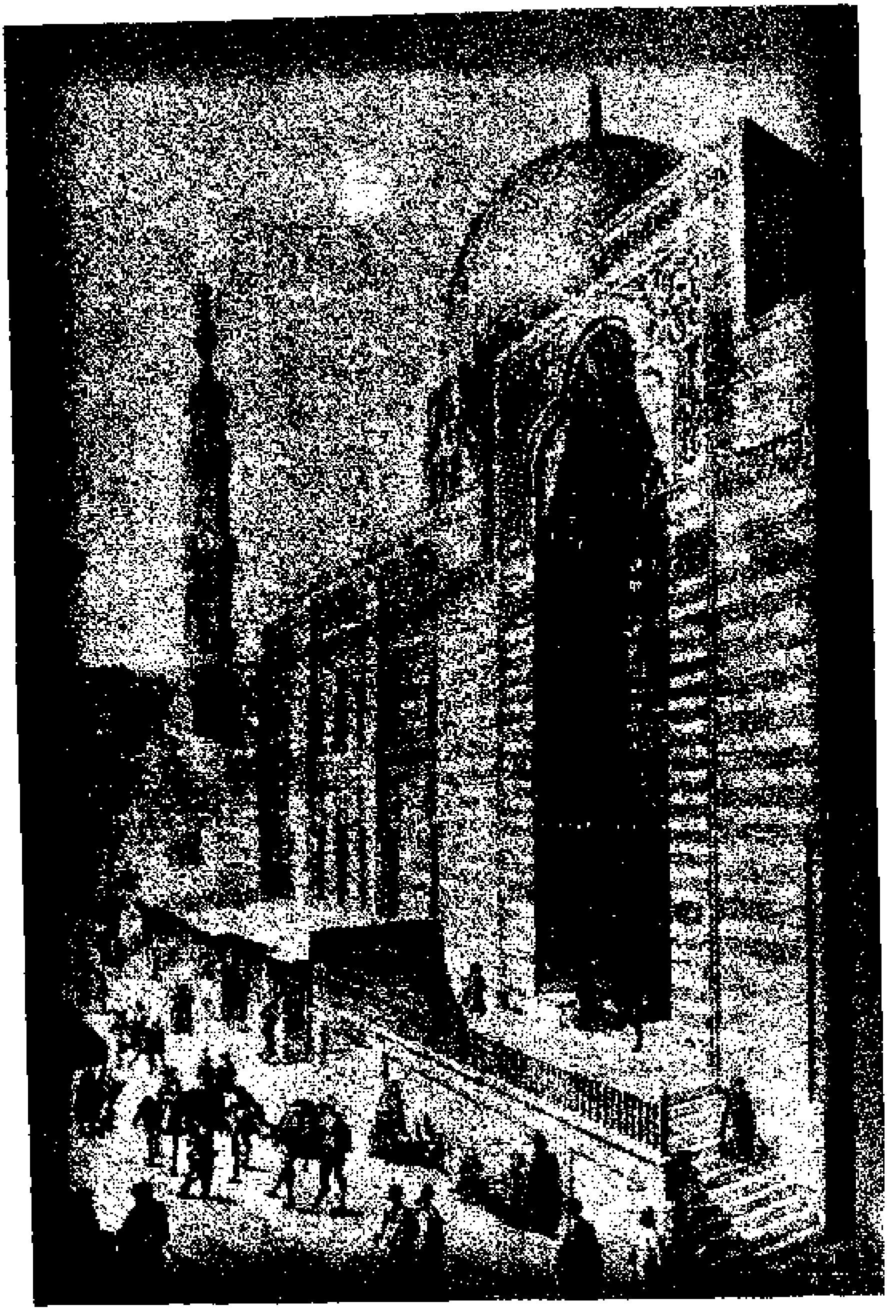
لوحة رقم (١) حي بين القصرين



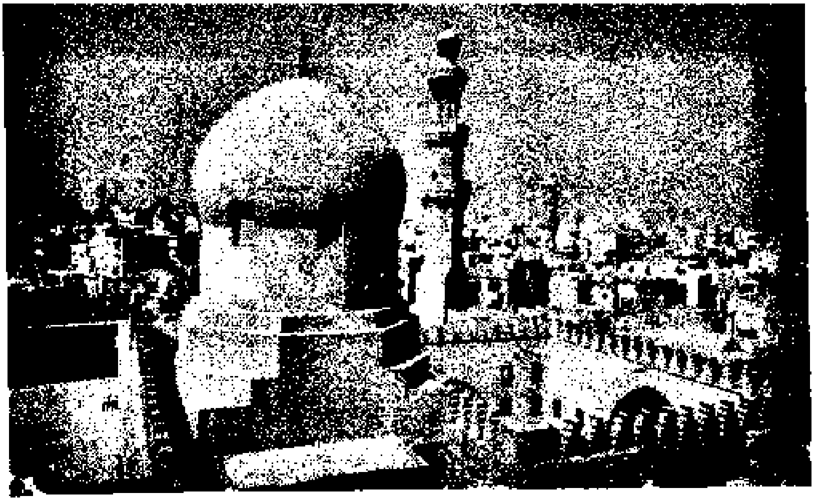
لوحة رقم (٢) حى النحاسين



لوحة رقم (٣) داخل أسوار القاهرة الشمالية



لوحة رقم (٤) حي السكرية بالغورية

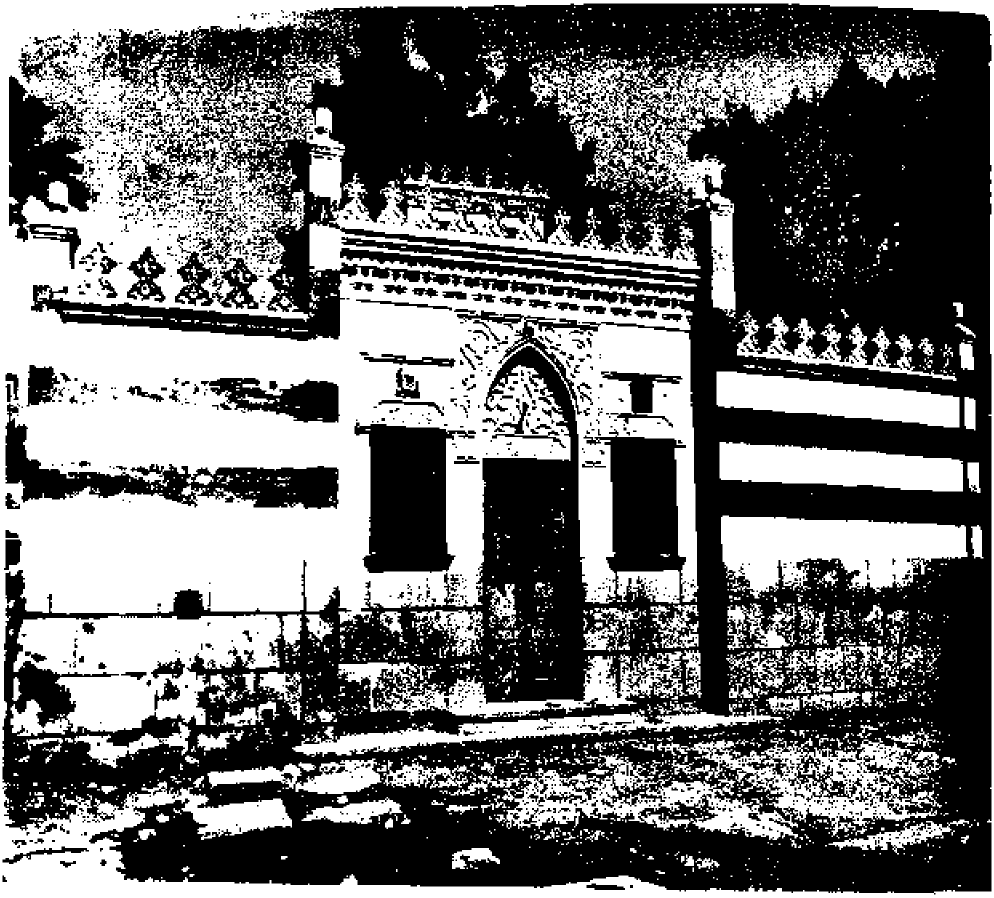


لوحة رقم (٥) العمائر الدينية بحى طولون ▲

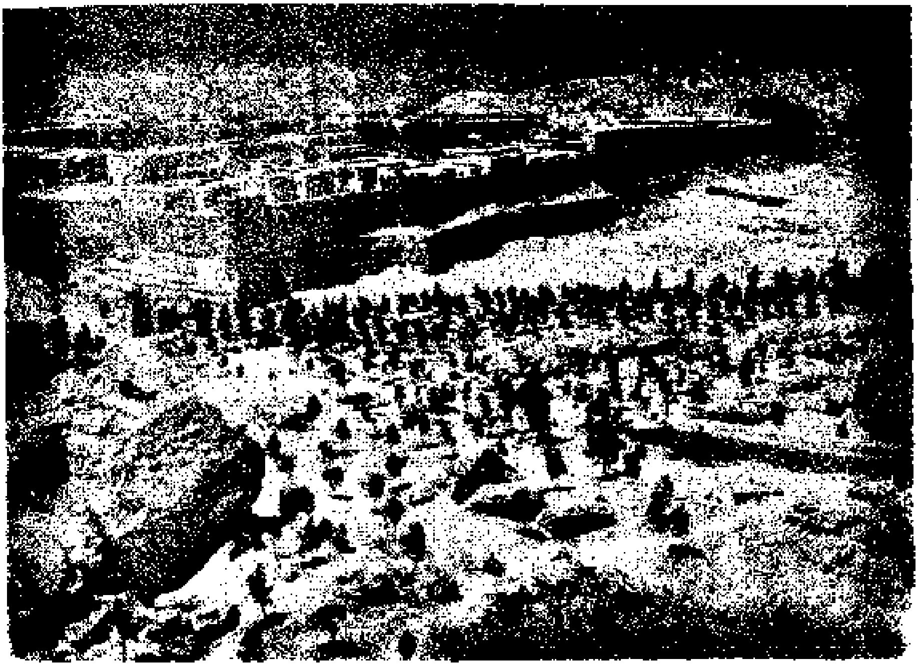


لوحة رقم (٦) حى بين القصرين

وسوق فى خان الخليلى



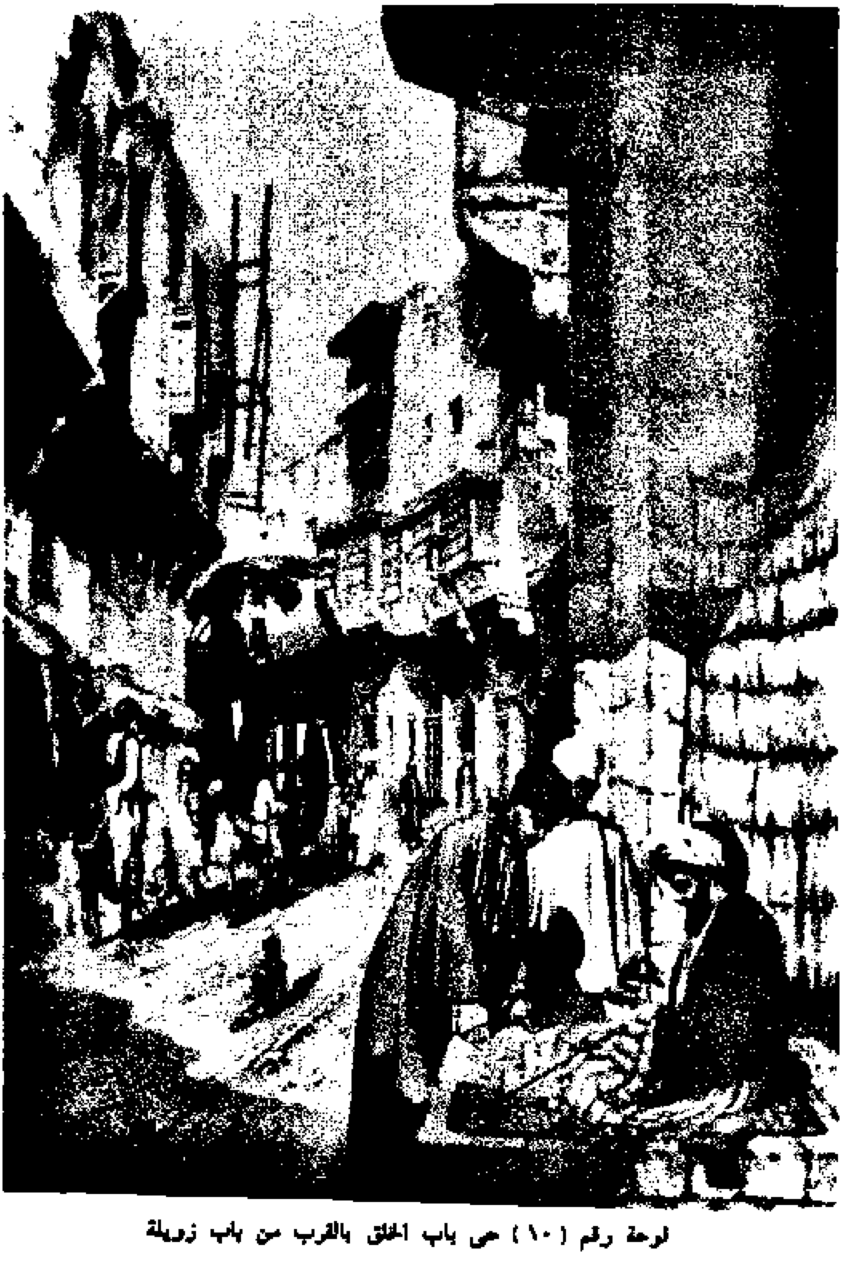
لوحة رقم (٧) جامع مسلمة بن مخلد يتوسط مصر القديمة



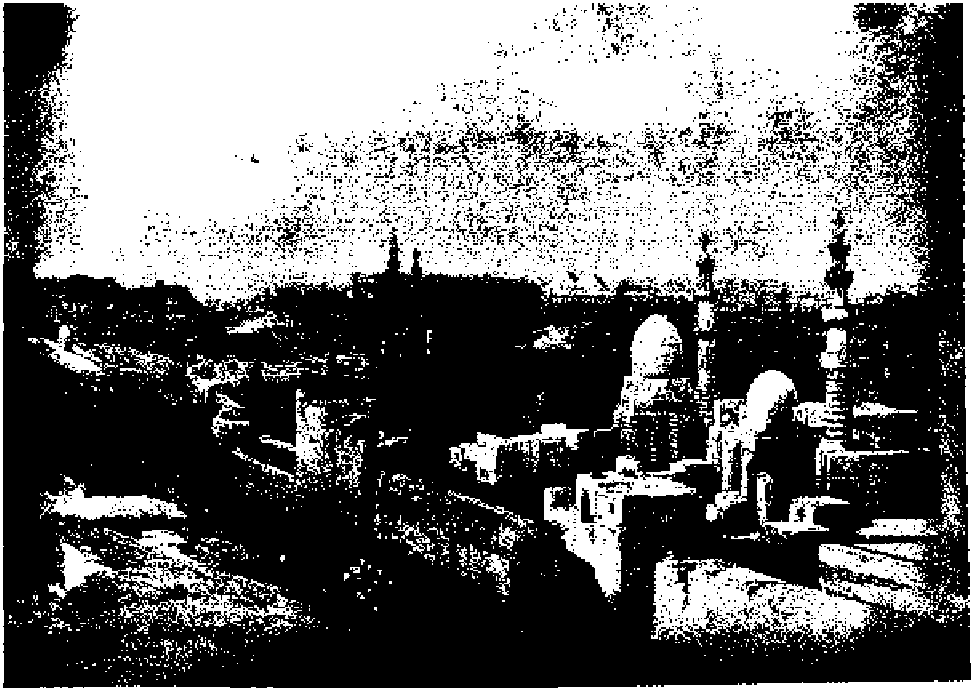
لوحة رقم (٨) حي القلعة



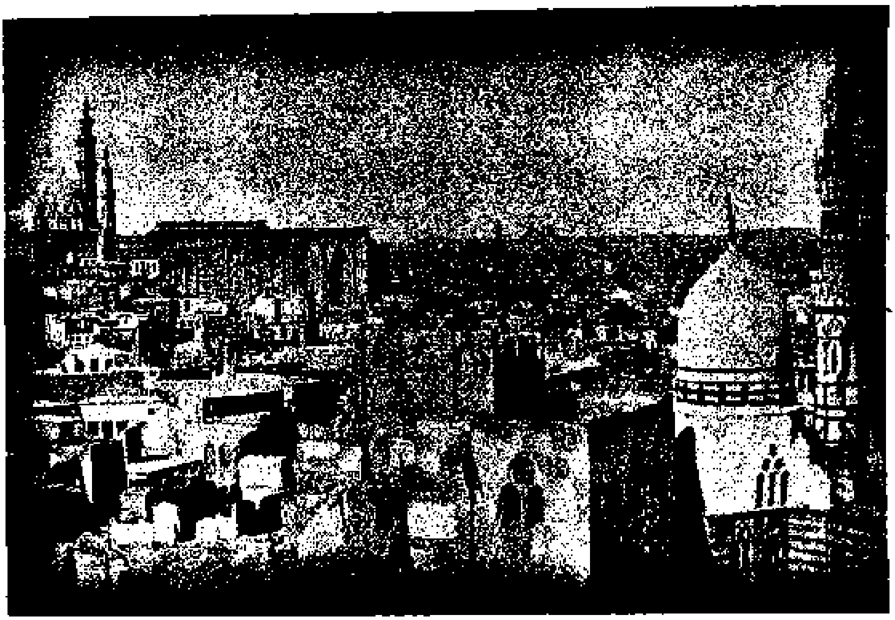
لوحة رقم (٩) قرافة المماليك بالعباسية



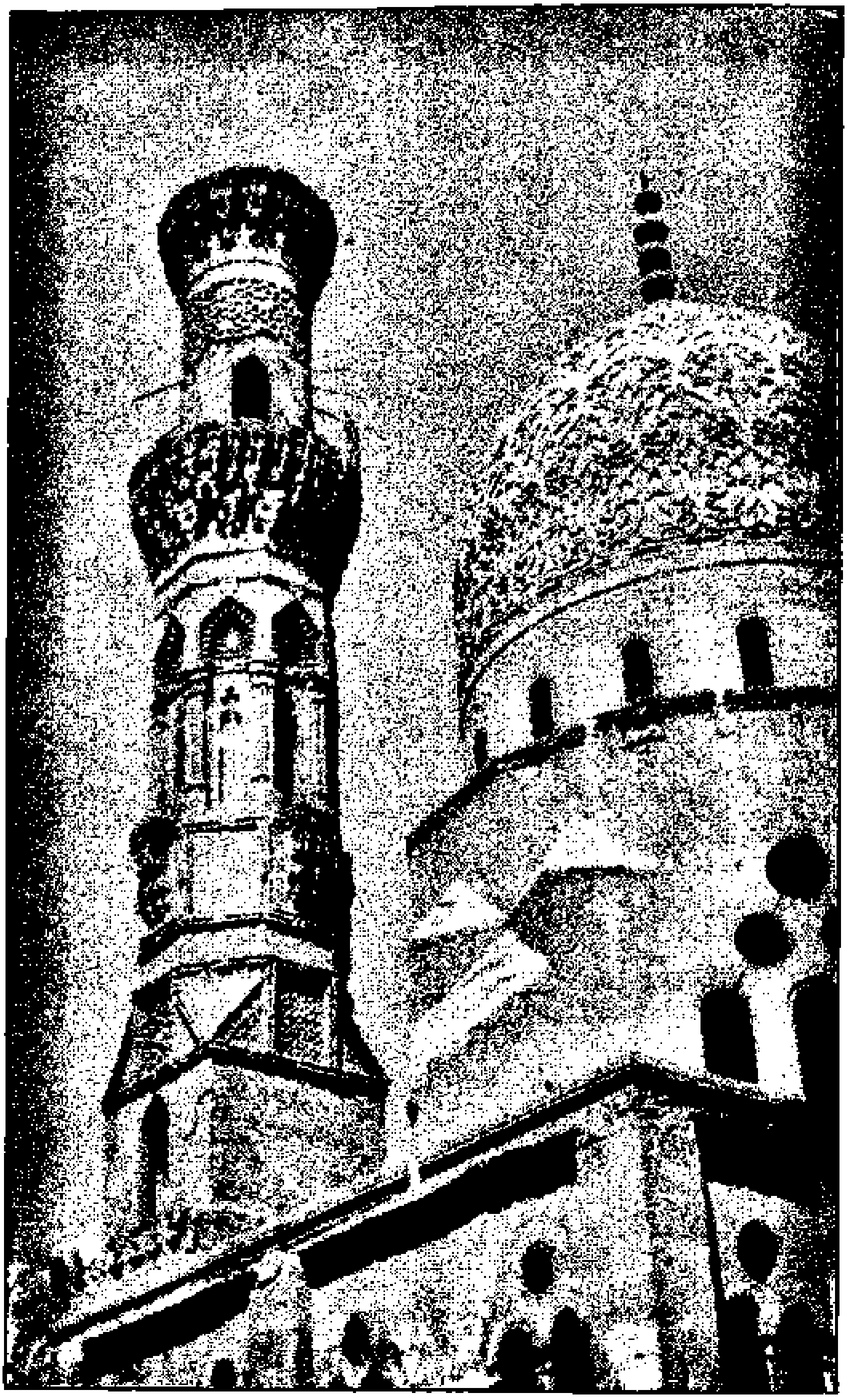
لوحة رقم (١٠) حي باب الخلق بالقرب من باب زويلة



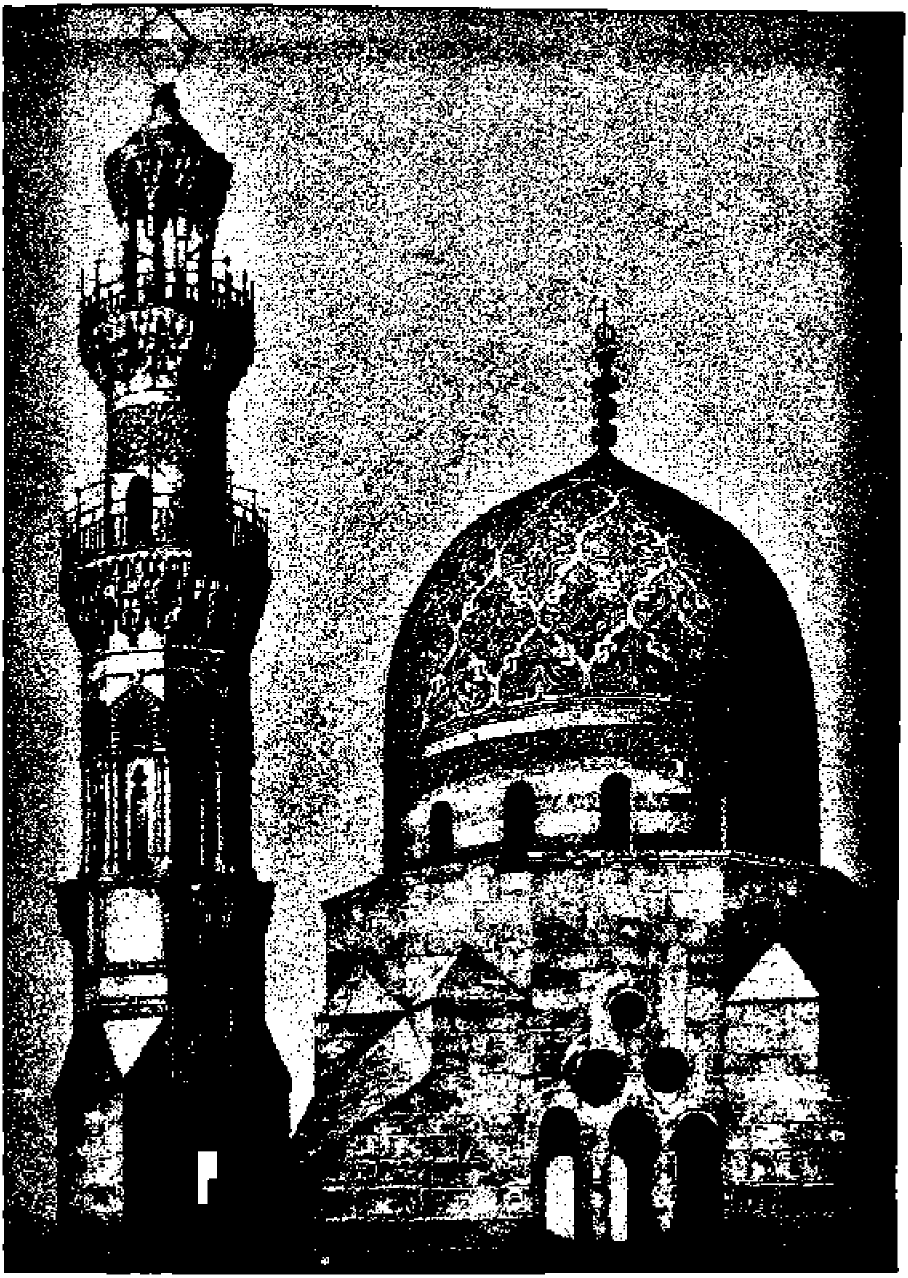
لوحة رقم (١١) حي سور القاهرة الشرقي من الدراسة إلى حي باب الوزير



لوحة رقم (١٢) حي باب الوزير نقلا عن (Rhone) سنة ١٨٧٧ م



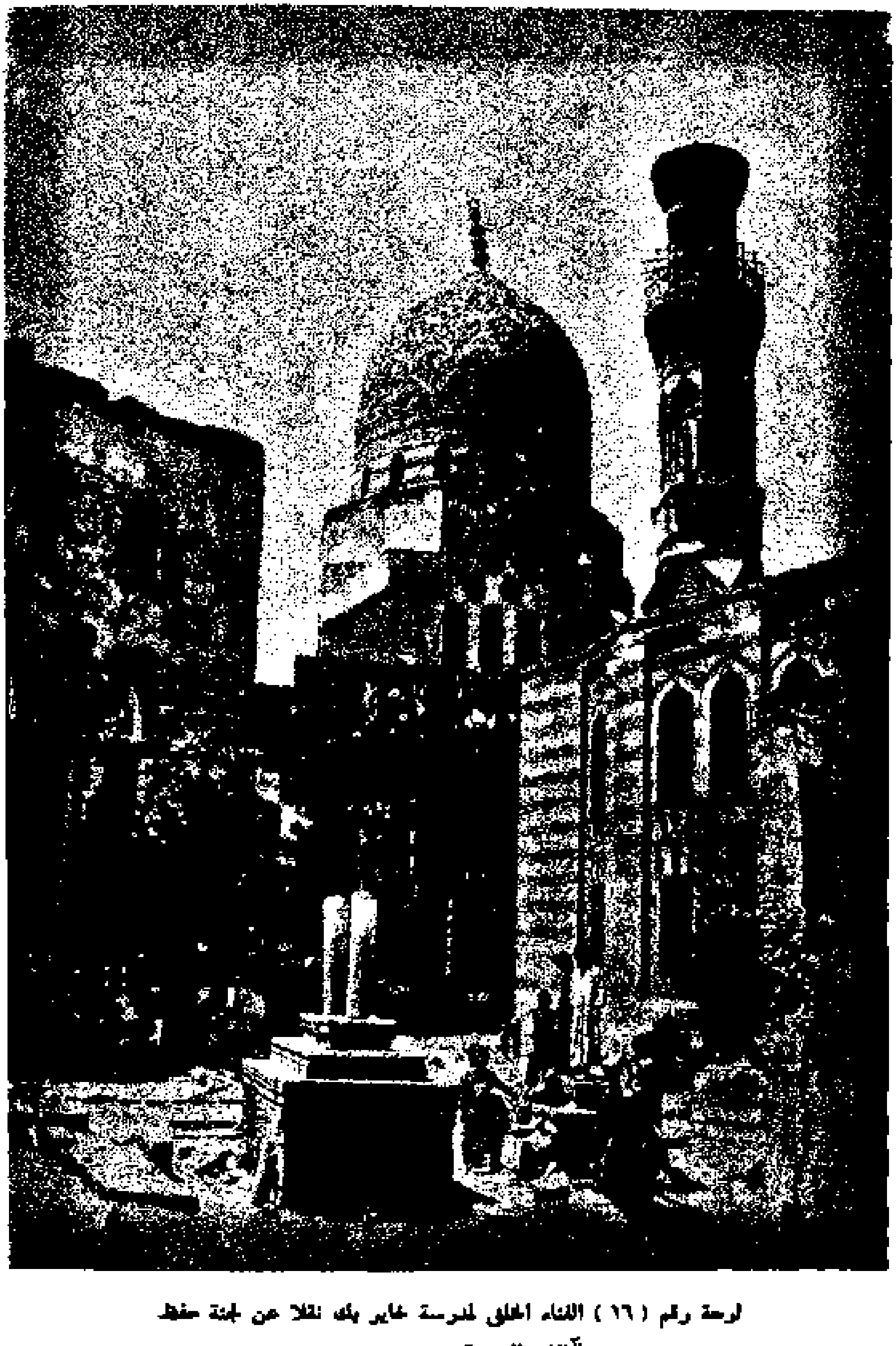
لوحة رقم (١٣) قبة ومئذنة مدرسة خاير بك



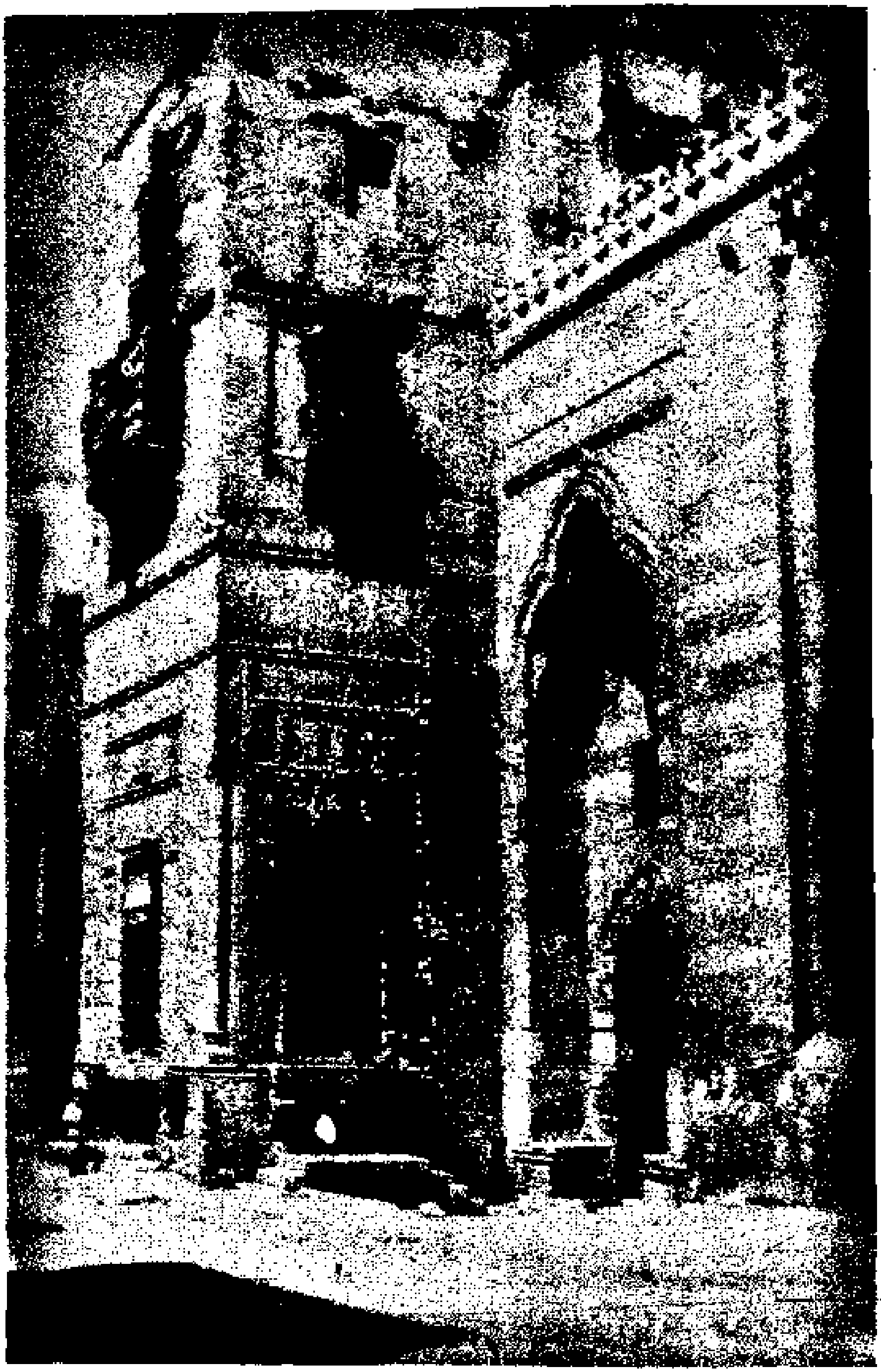
لوحة رقم (١٤) مدرسة خاير بك نقلا عن (Prisse d'auennes سنة ١٨٧٧)



لوحة رقم (١٥) الواجهة الغربية للقبة الكبيرة بمدرسة خاير بك



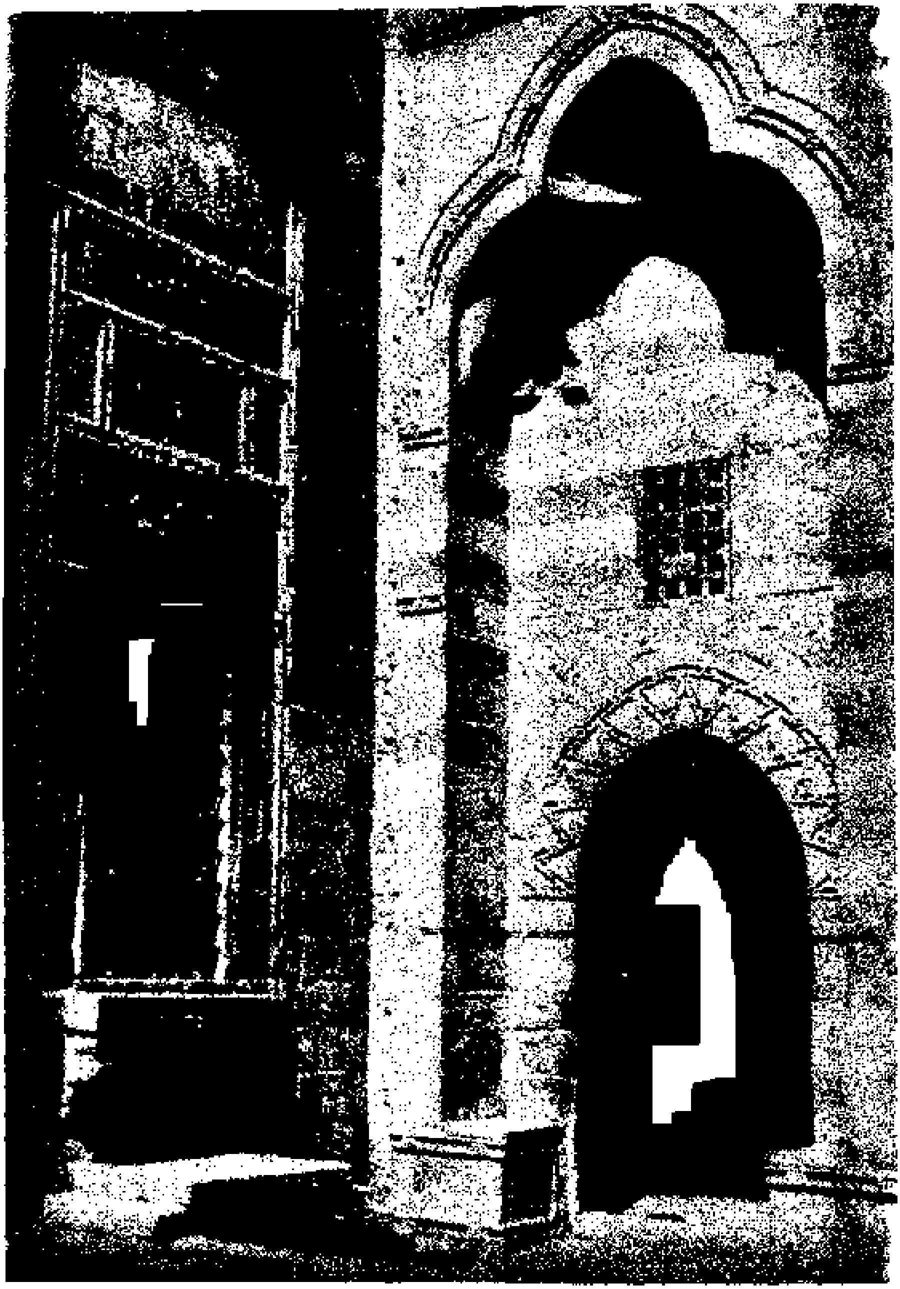
لوحة رقم (١٦) الفناء المغلق لمدرسة خاير بك نقلا عن لجنة حفظ الآثار العربية



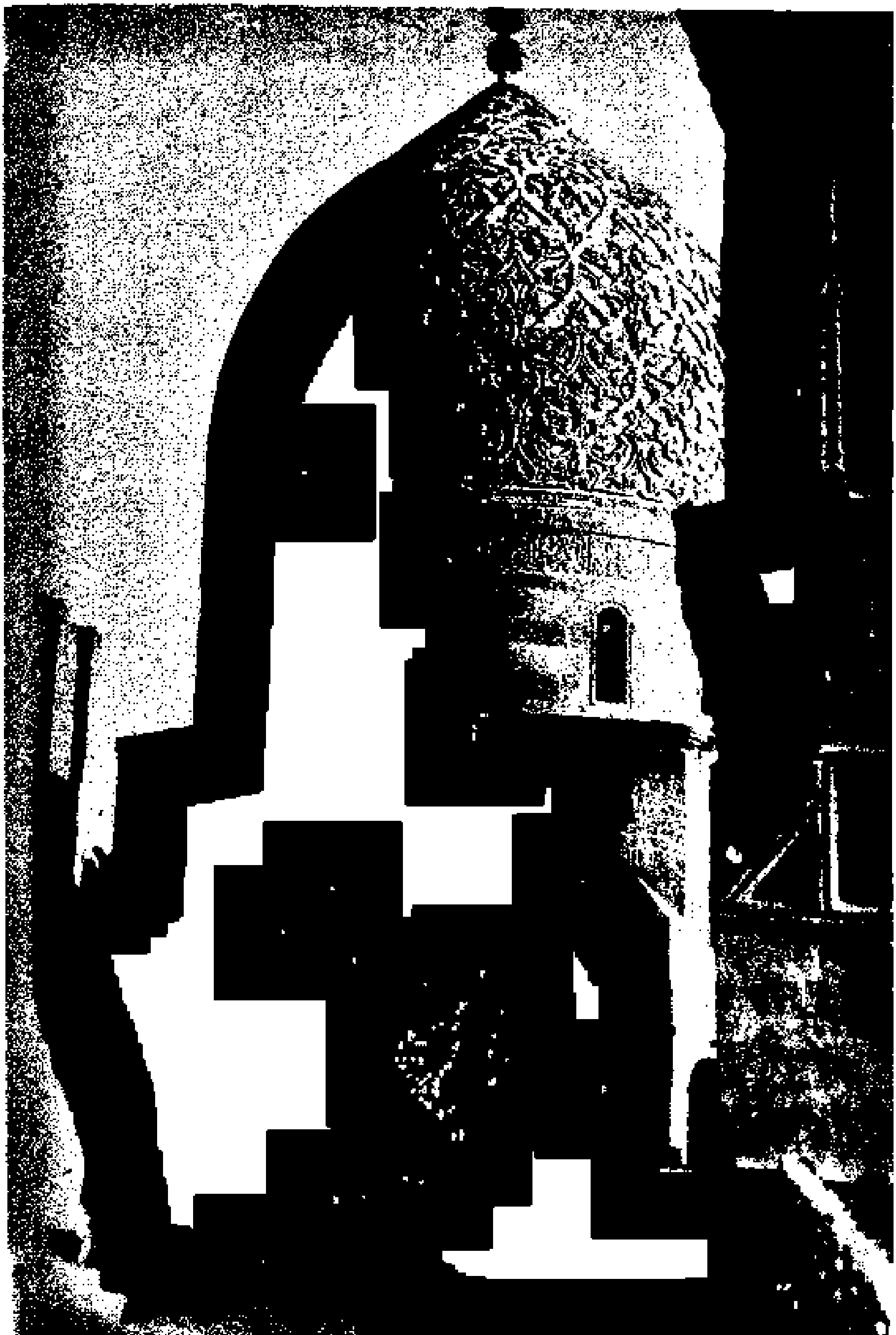
لوحة رقم (-١٧) الواجهة الرئيسية لمدرسة خاير بك



لوحة رقم (١٨) المدخل الرئيسي لمدرسة خاير بك



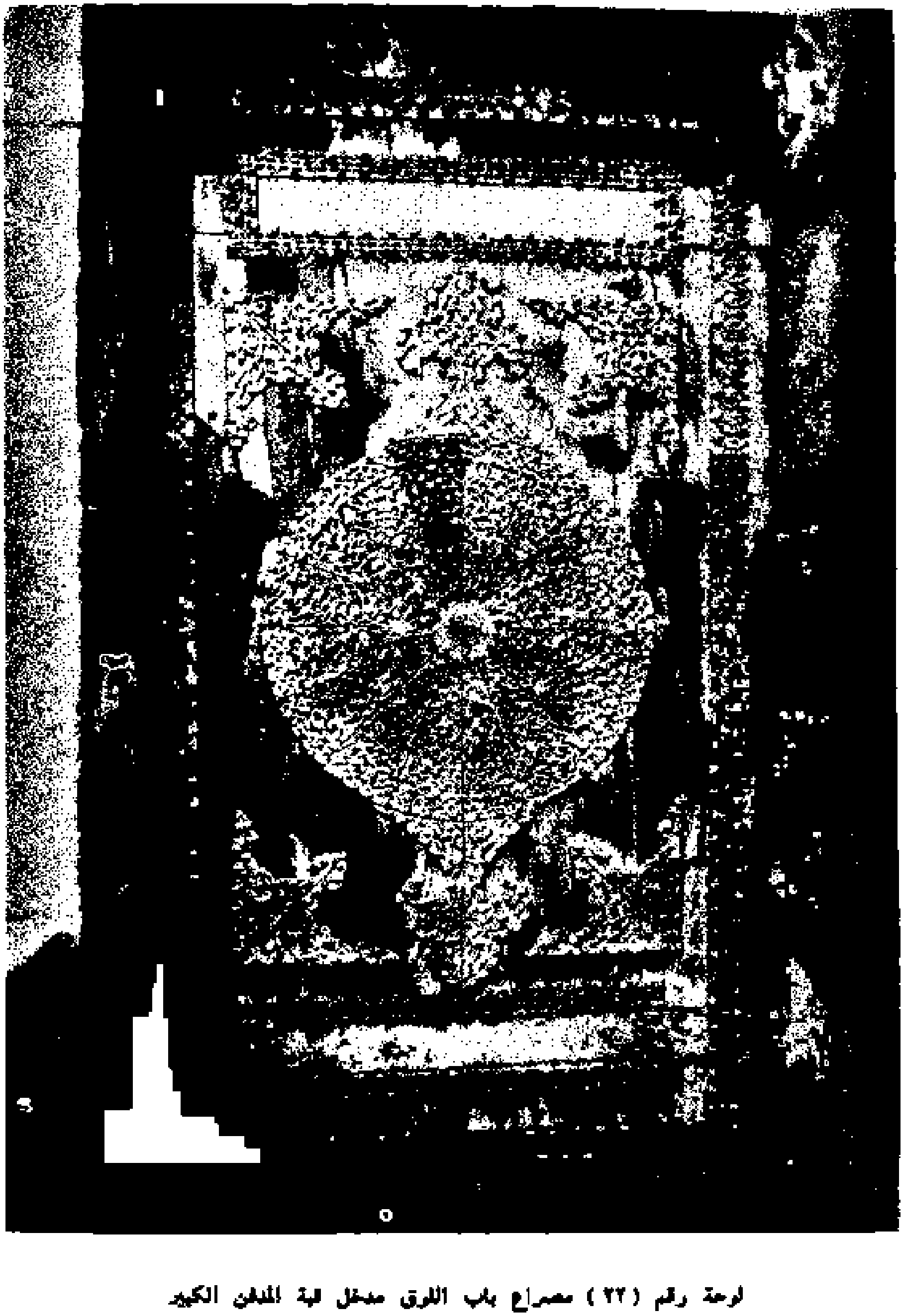
لوحة رقم (١٩) المدخل الرئيسى لمدرسة خاير بك وبجواره نافذة السبيل



لوحة رقم (٢٠) القبة الكبرى التي تعلو المدفن الكبير الملحق بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢١) مدخل القبة الكبيرة الملحقة بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢٢) مصراع باب اللوق مدخل قبة المدفن الكبير
الملحق بمدرسة خاير بك



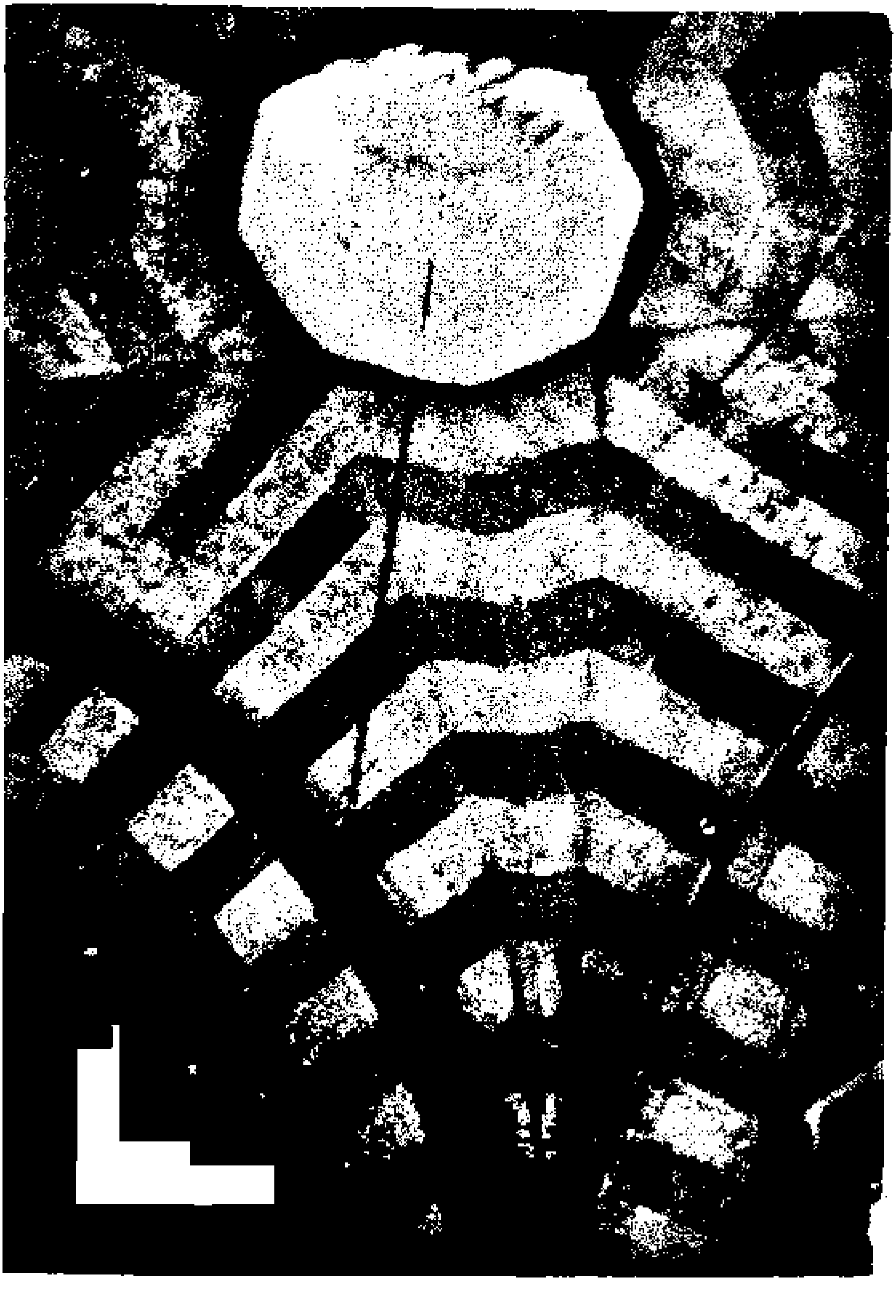
لوحة رقم (٢٣) أيوان القبلة بمدرسة خاير بك



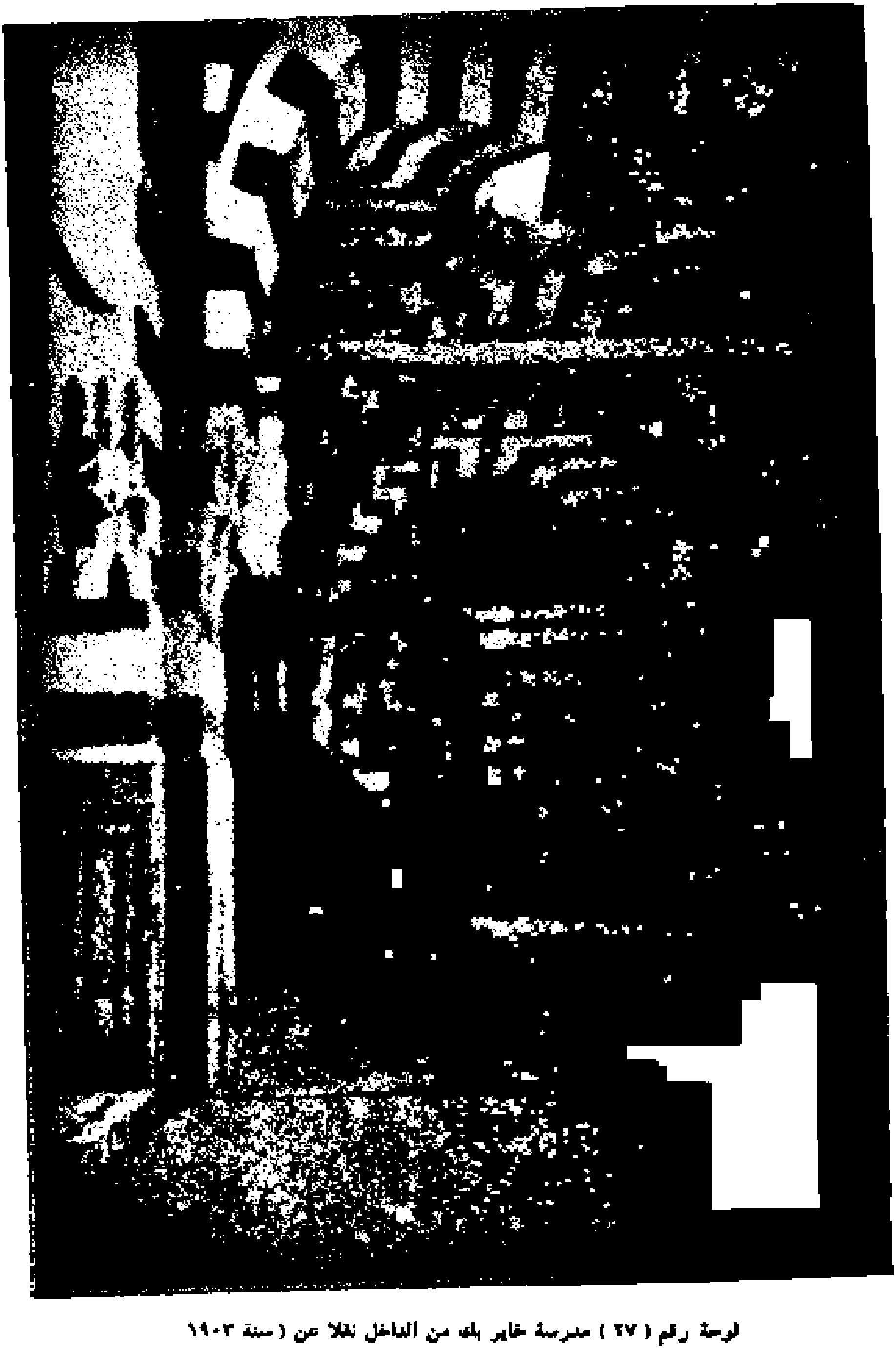
لوحة رقم (٢٤) المحراب والمنبر بإيوان القبلة بمدرسة خاير بك من الداخل



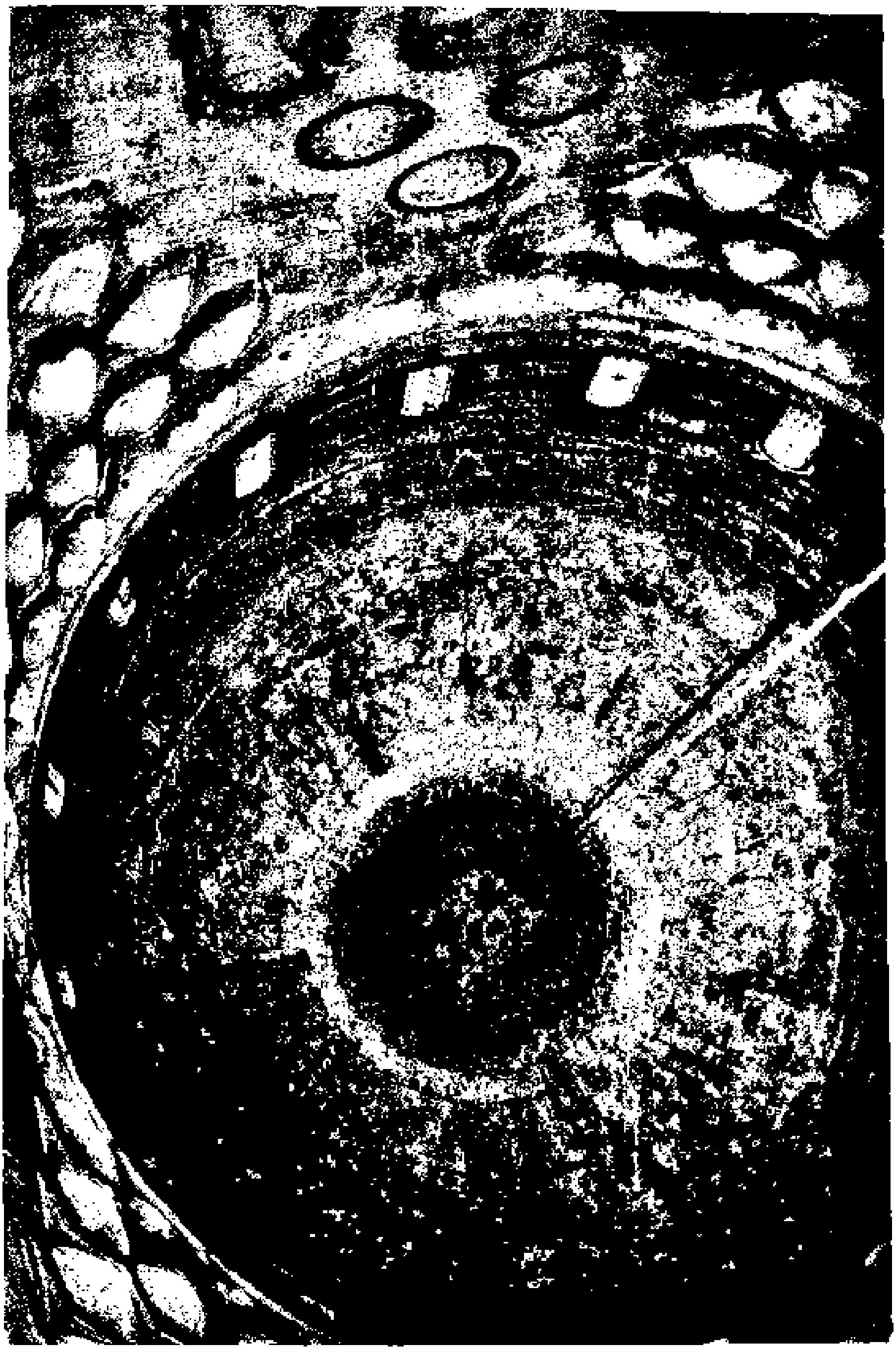
لوحة رقم (٢٥) الايوان الغربي المقابل لايوان القبلة تتصدره دكة المبلغ بمدرسة خاير بك



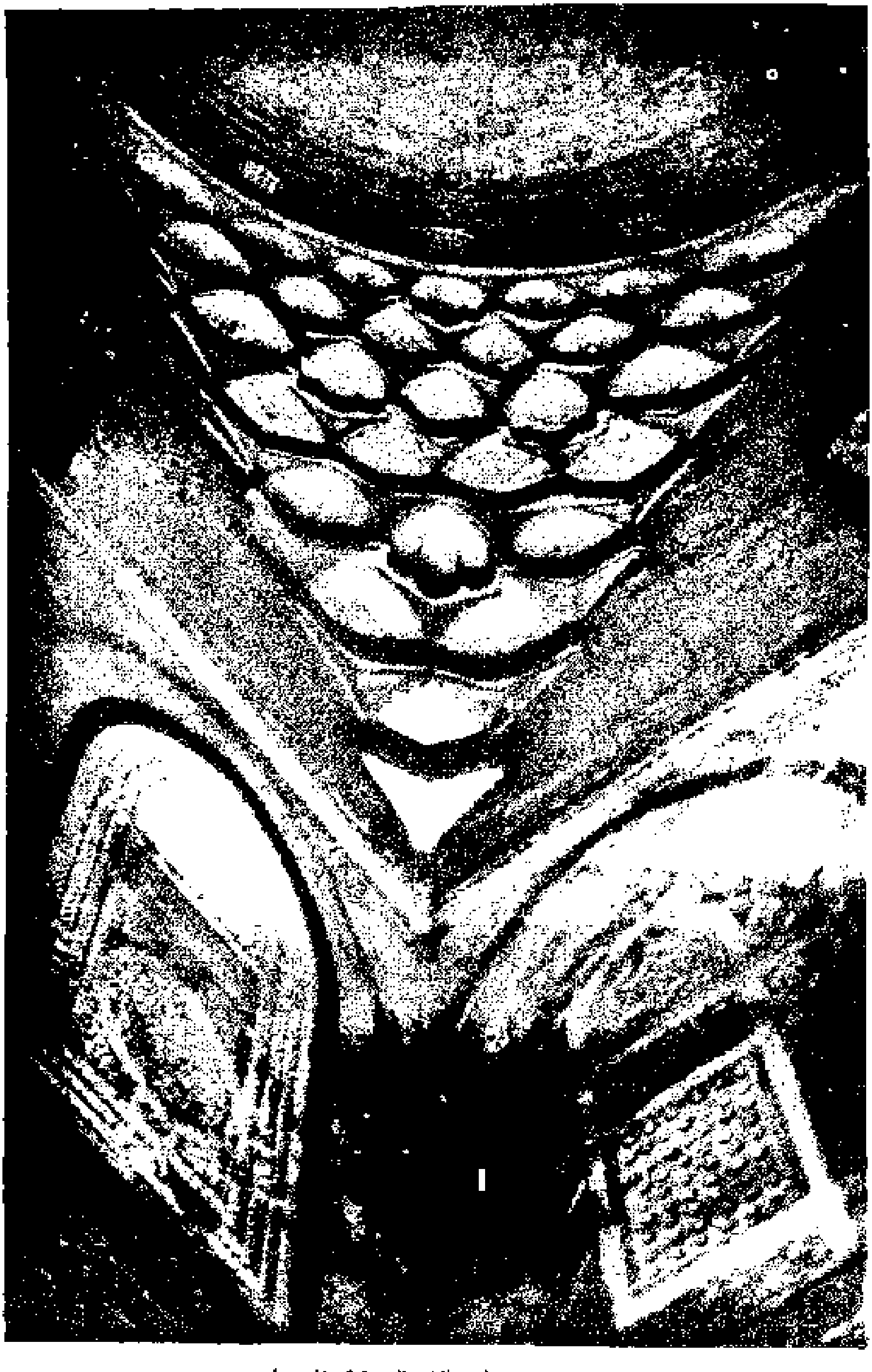
لوحة رقم (٢٦) قبو مروحي يغطي صحن مدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢٧) مدرسة خاير بك من الداخل نقلا عن (سنة ١٩٠٣ Franz) توضيح القبو المروحي الذي يغطي وسط المدرسة



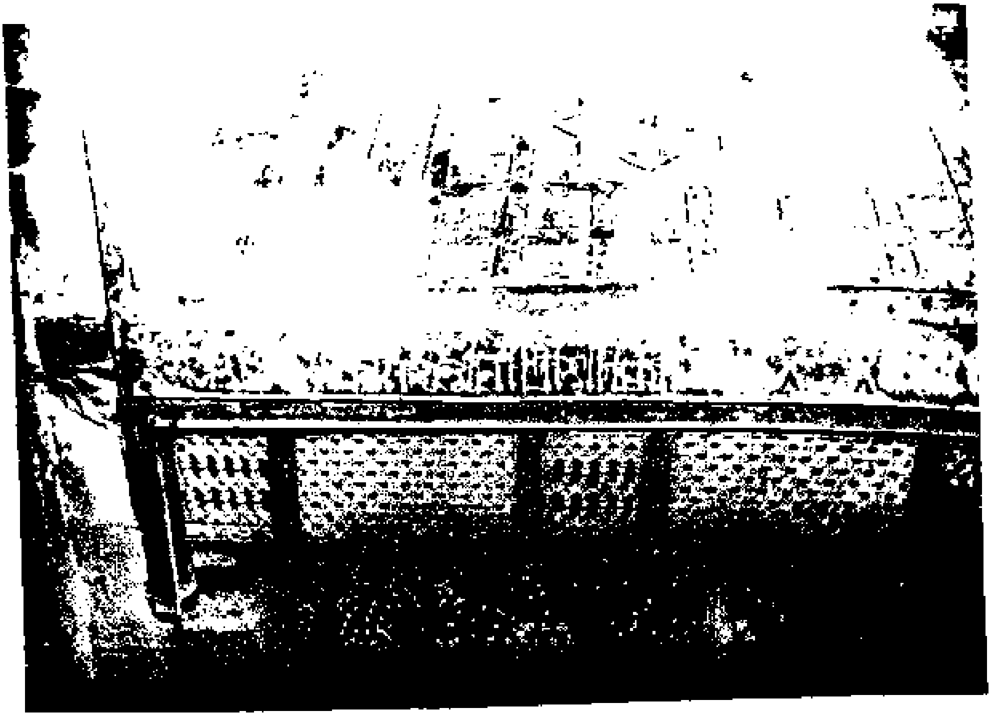
لوحة رقم (٢٨) القبة الكبرى بمدفن مدرسة خاير بك وقد فتحت في قبتها ستة عشرة نافذة وكتب في قطبها نص قرآني



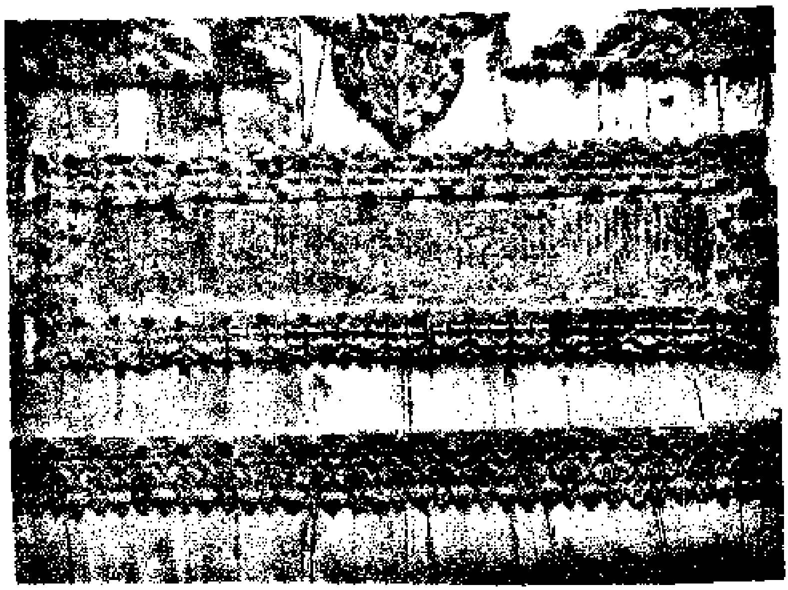
لوحة رقم (٢٩) منطقة الانتقال بقبة خاير بك



لوحة رقم (٣٠) القبة الصغيرة من الداخل الملحقة بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٣١) شريط من الكتابة المحيط بدكة المبلغ وقد سجل
فيه تاريخ إنشاء المدرسة سنة ٩٢٧ هـ بالإيوان
الغربي بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٣٢) النحاس الكفتكارى بمصراع باب مدرسة خاير بك



لوحة رقم (٣٣) زخارف حول رقبة القبة وسط الشريط الكتابي
بمسجد خاير بك



لوحة رقم (٣٤) شريط من الكتابة يعلو الوزرة الرخامية المحيطة بجدران مدرسة خاير بك



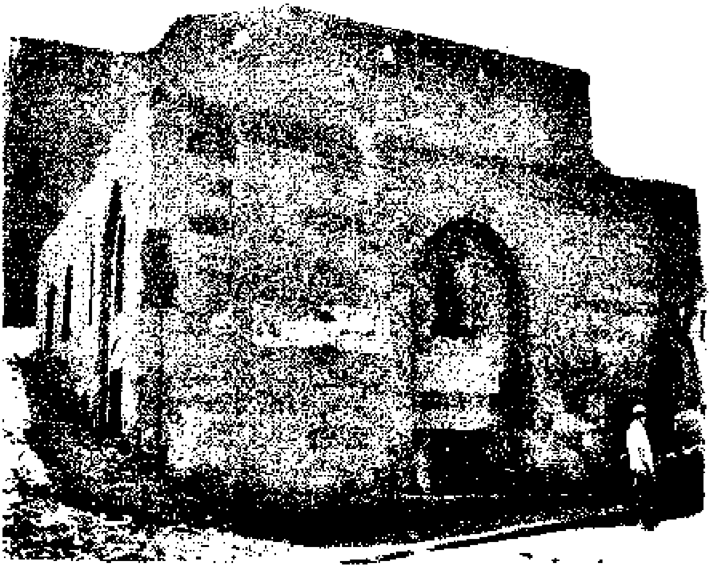
لوحة رقم (٣٥)

شريط كتابي يحتوي على نص قرآني يحيط بأعلى جدران المدفن الصغير بمدرسة خاير بك

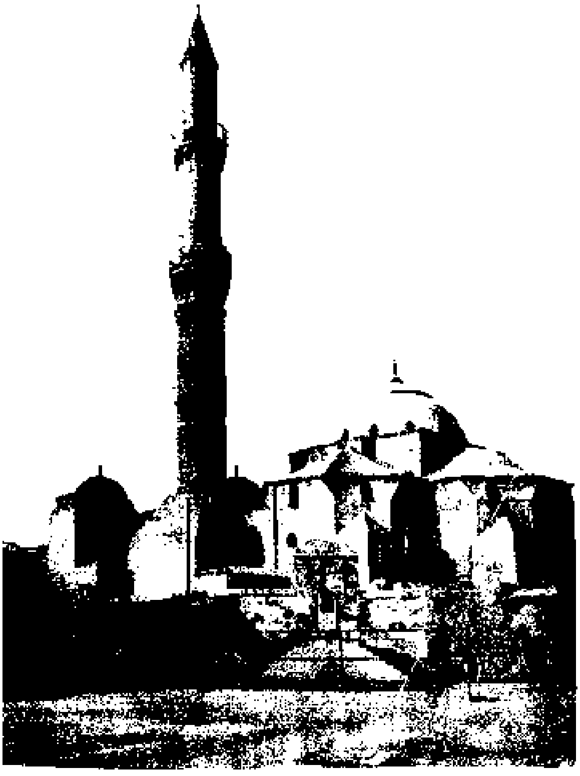


لوحة رقم (٣٦)

مشروع تكملة مئذنة مدرسة خاير بك نقلا عن مصلحة الآثار



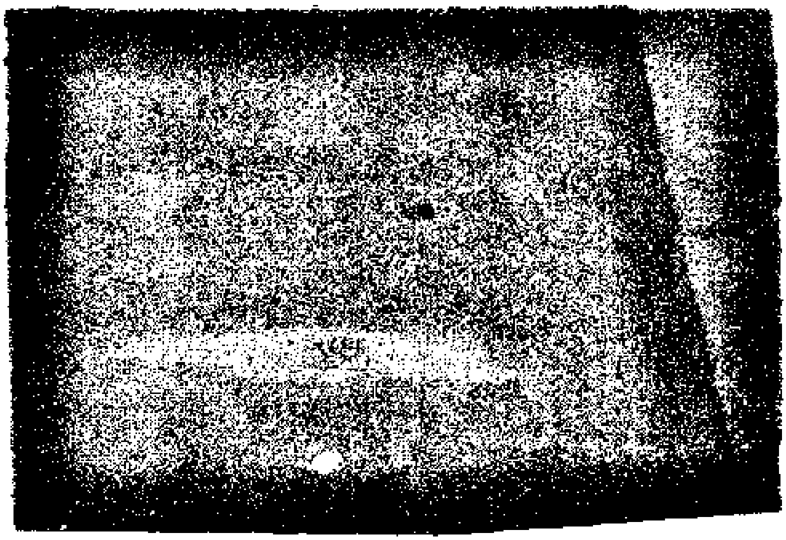
لوحة رقم (٣٧) الواجهة الشمالية الغربية لزاوية حسن الرومي
أو زاوية العصرة الذي تراه يشغل الفتحة التي
تعلو باب المدخل الرئيسي للزاوية



لوحة رقم (٣٨) مئذنة جامع سليمان باشا



لوحة رقم (٣٩) تبين البلاطات الخزفية بقبة الشيخ مسعود

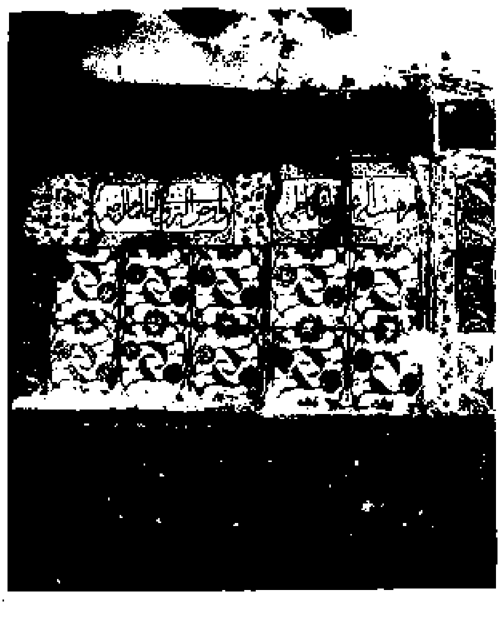


لوحة رقم (٤٠) تبين البلاطات الخزفية التي تكسو (النفيس) أعلى نوافذ بكية الأمير سليان



لوحة رقم (٤١)

تبين البلاطات الخزفية برقبة الأمير سليمان باشا

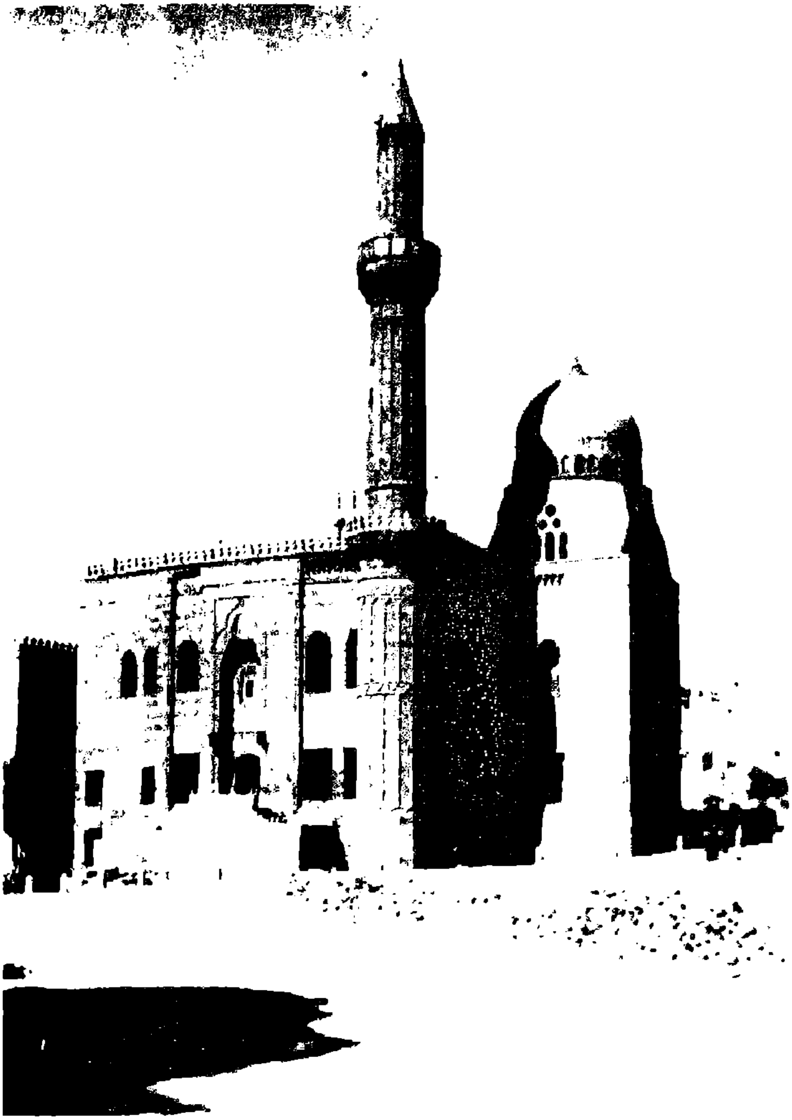


لوحة رقم (٤٢)

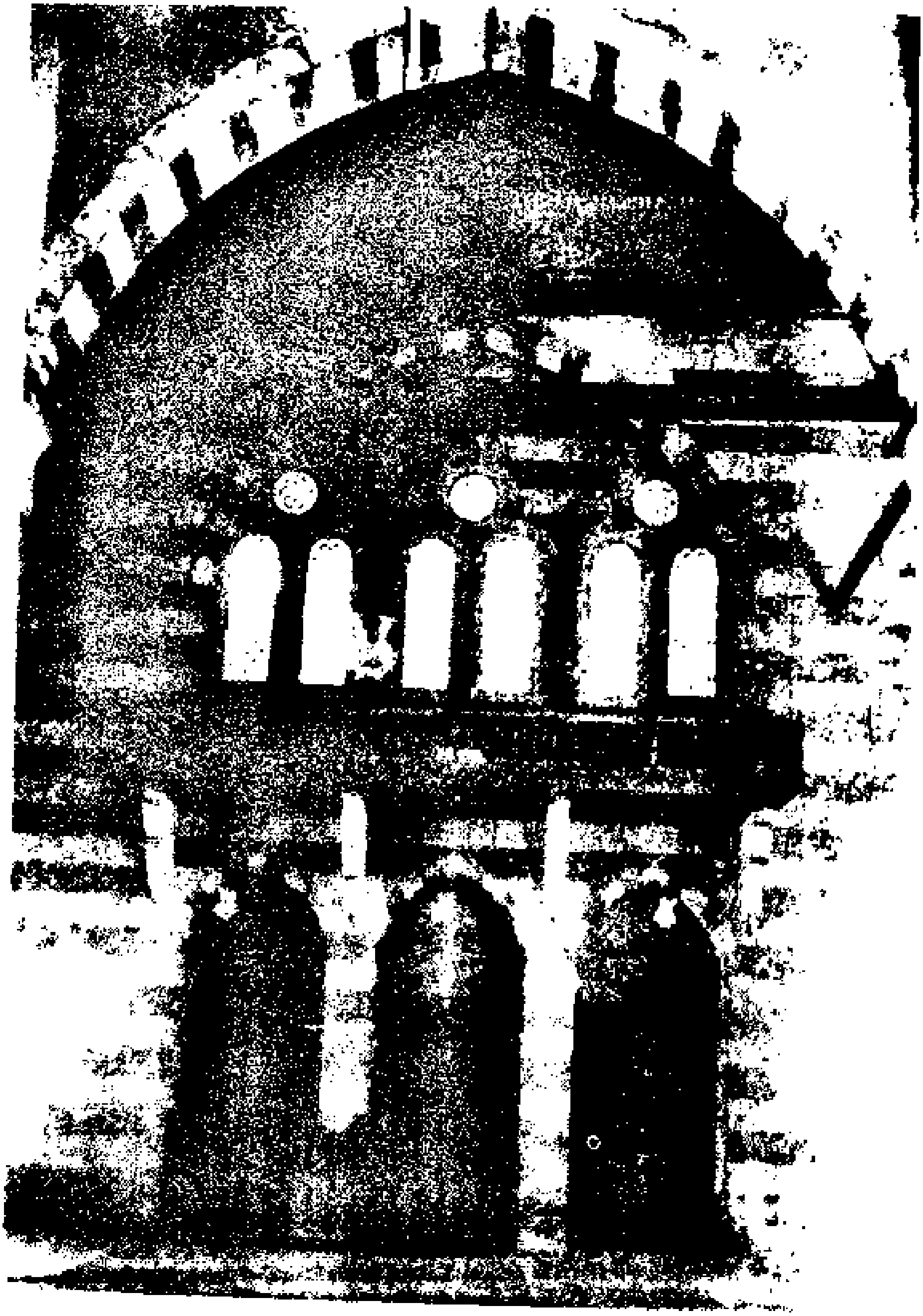
تبين زخارف البلاطات التي كانت تكسو جدران مسجد الخضيري



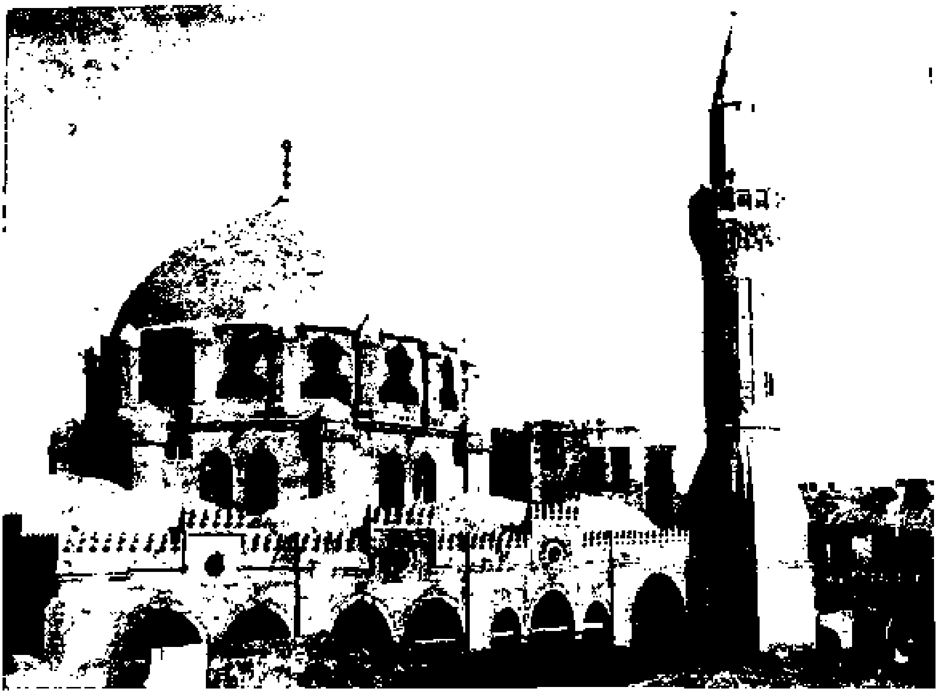
لوحة رقم (٤٣) قبة الشمراوى



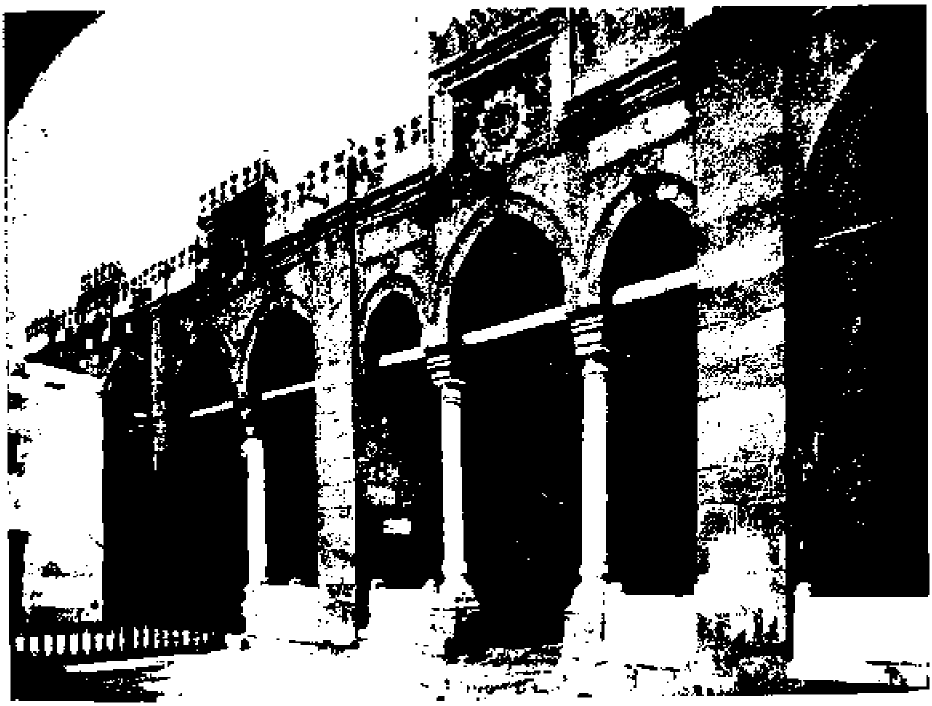
لوحة رقم (٤٤) المحمودية الواجهة الرئيسية



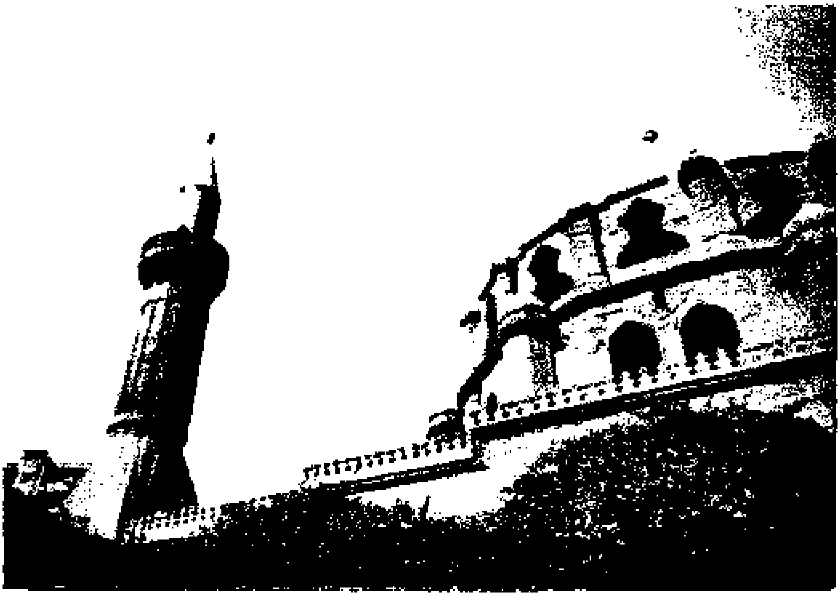
لوحة رقم (٤٥) داخل قبة الصمودية



لوحة رقم (٤٦) الوجهة القبلية (مسجد سنان باشا)



لوحة رقم (٤٧) وجهة الرواق القبلي الخارجي لجامع سنان باشا



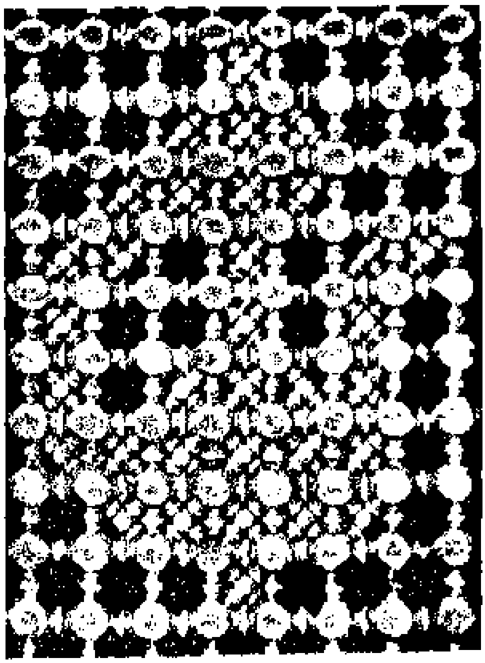
لوحة رقم (٤٨) قبة سنان باشا والدعائم المساندة لها



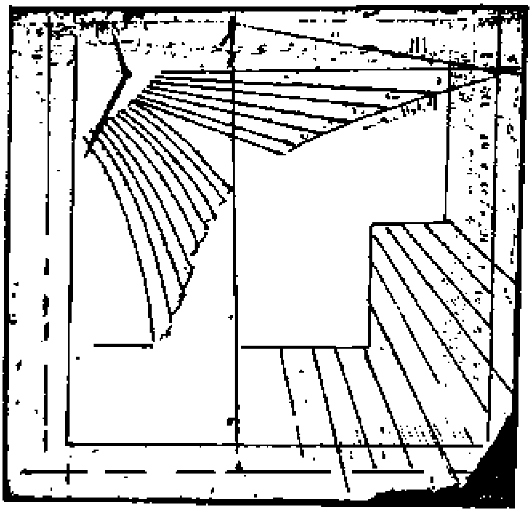
لوحة رقم (٤٩) الرواق الغربي الخارجي لسنان باشا



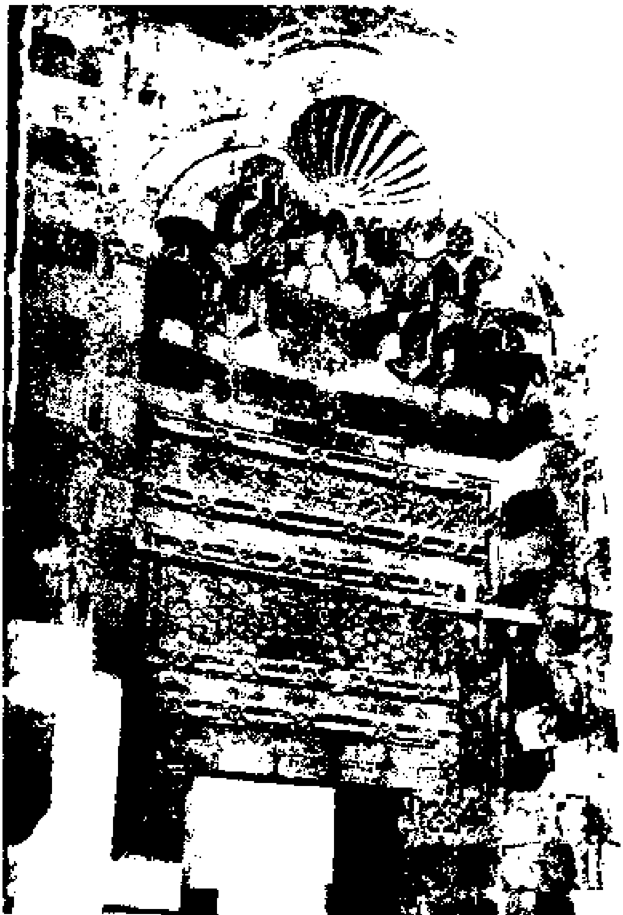
لوحة رقم (٥٠)
لفظ الجلالة في الفص العلوي من
عقد مدخل جامع سنان باشا



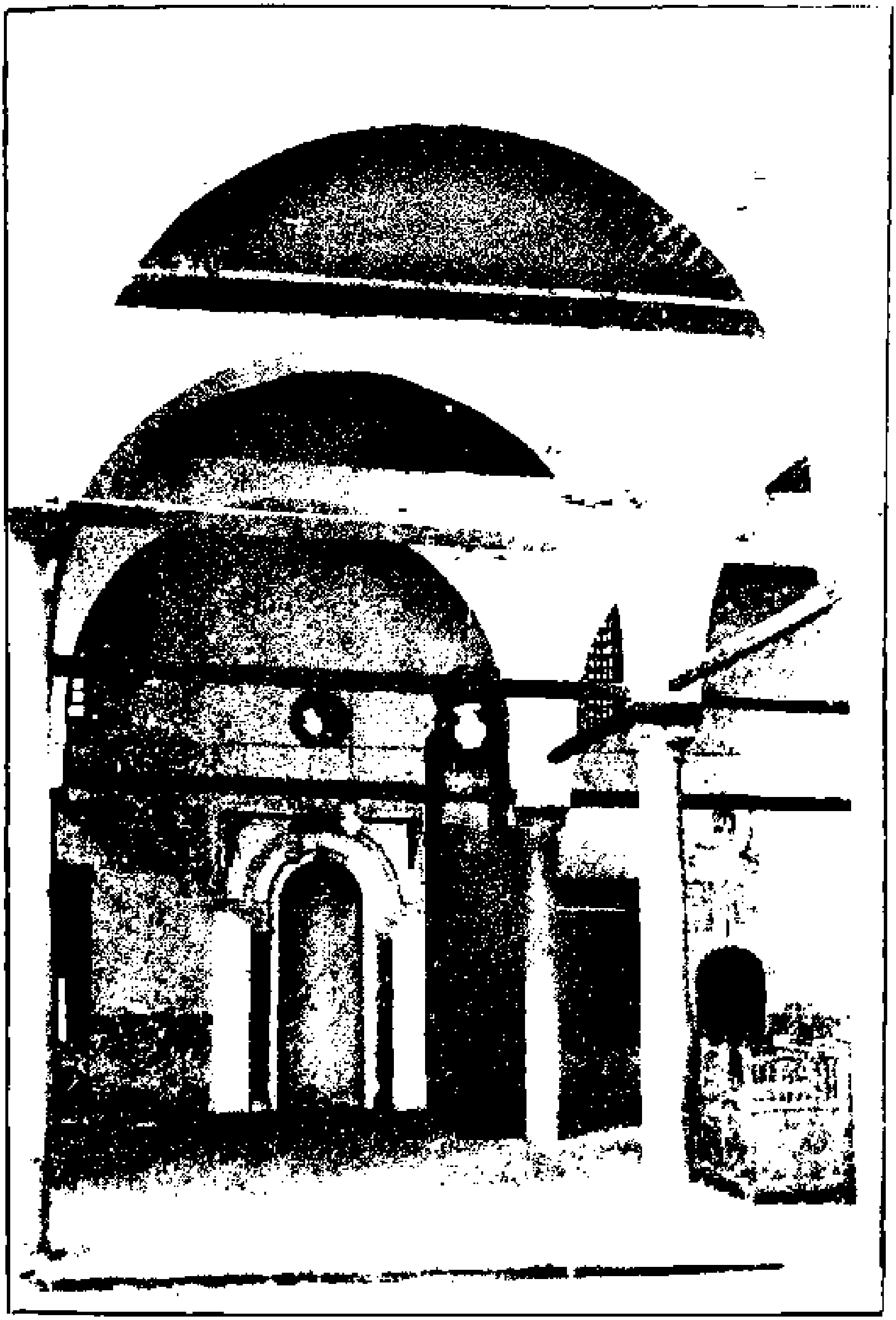
لوحة رقم (٥١) خشب خرط لمسجد سنان باشا



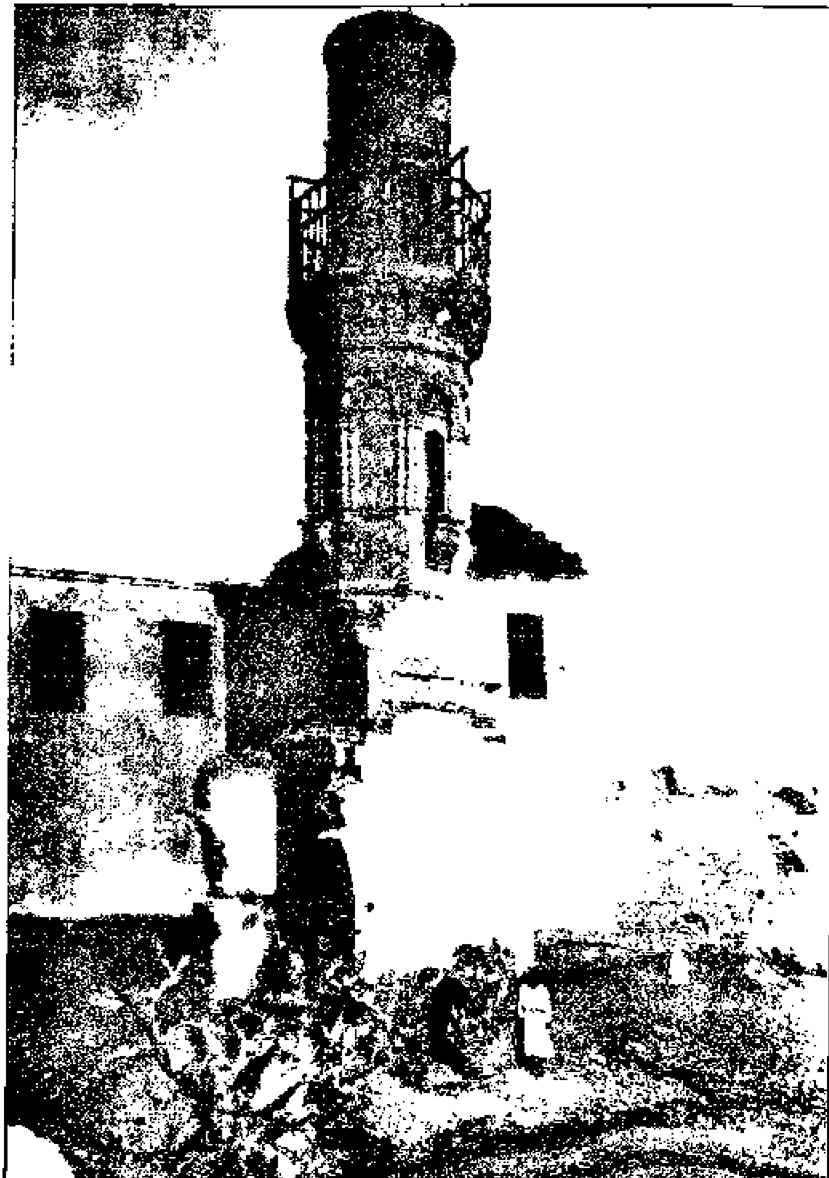
لوحة رقم (٥٢) مزولة مسجد سنان باشا



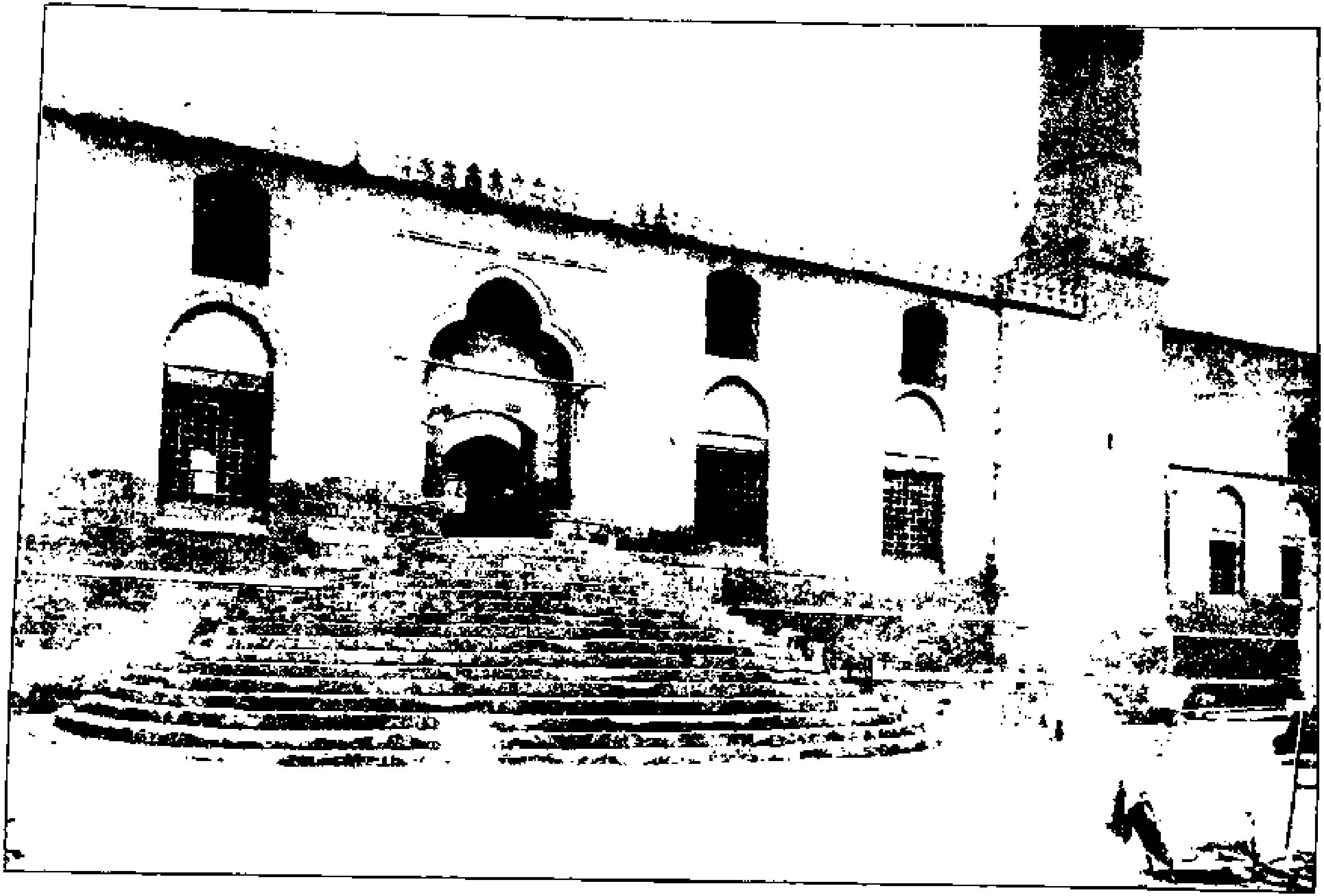
لوحة رقم (٥٣) الباب الداخلي
لمسجد كريم الخلوتي



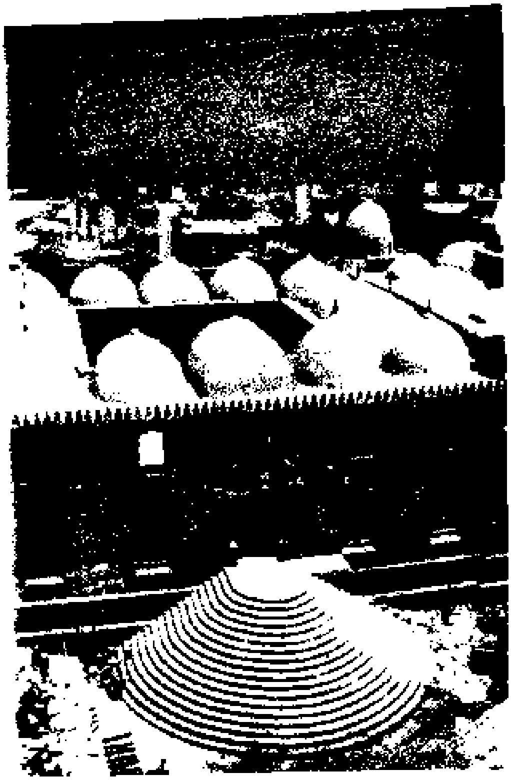
لوحة رقم (٥٤) الأيوان الشرقي لمسجد كريم الدين الخلوتي



لوحة رقم (٥٥) تبين مئذنة مسجد السادات بمدينة بلبيس

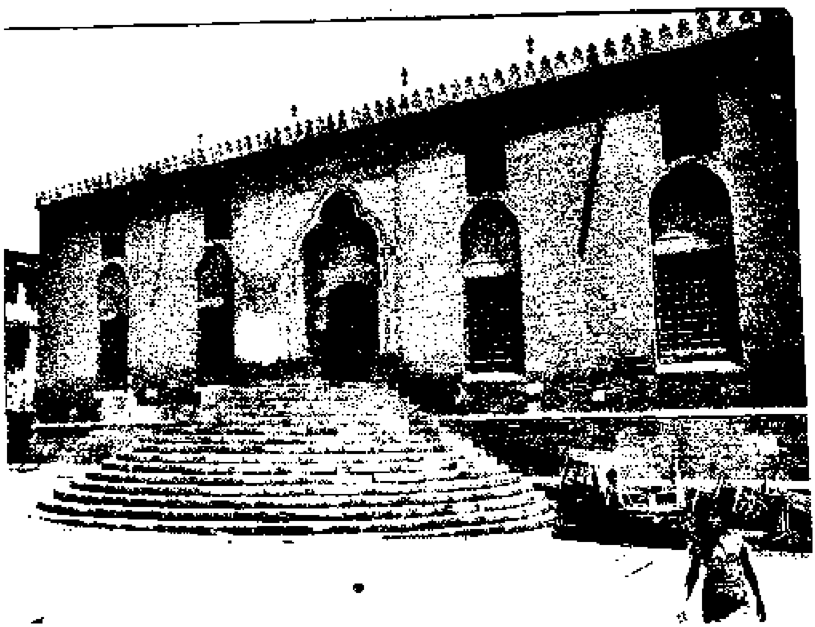


لوحة رقم (٥٦) الوجهة الغربية لمسجد الملكة صفية

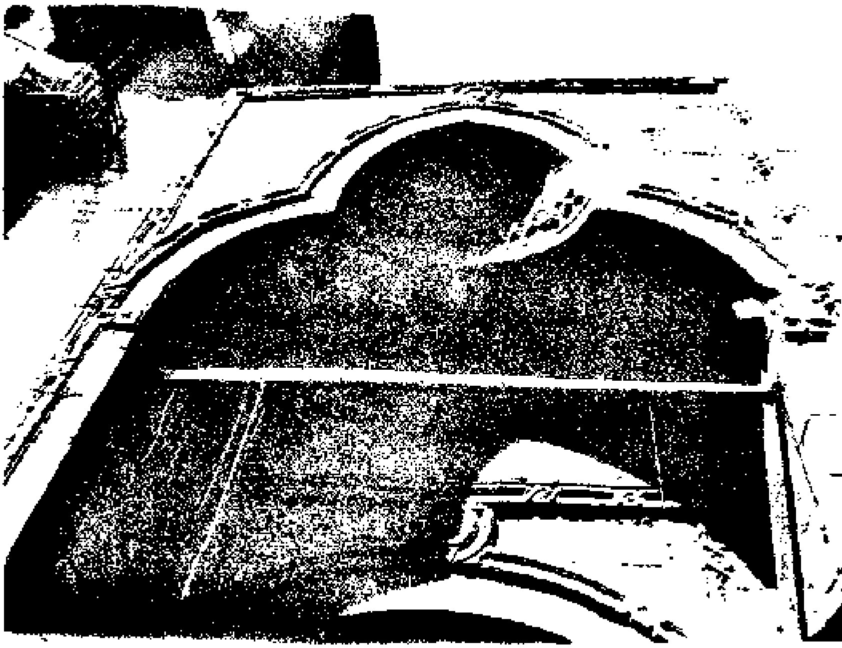


لوحة رقم (٥٧)

منظر علوى لجامع الملكة صفية من الخارج



لوحة رقم (٥٨) المدخل الجنوبي لجامع الملكة صفية



لوحة رقم (٥٩) زخارف عقد المدخل الجنوبي لجامع الملكة صفية

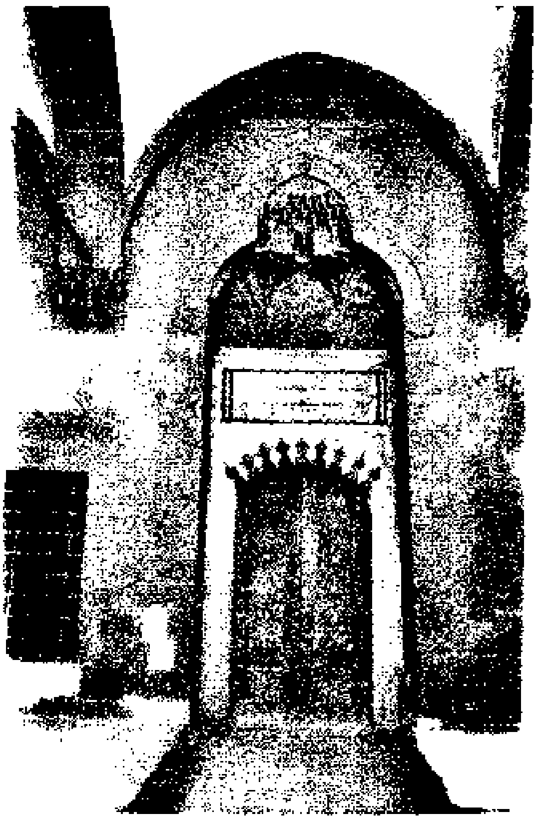


لوحة رقم (٦٠)

مدخل الجهة الشمالية لمسجد الملكة صفية

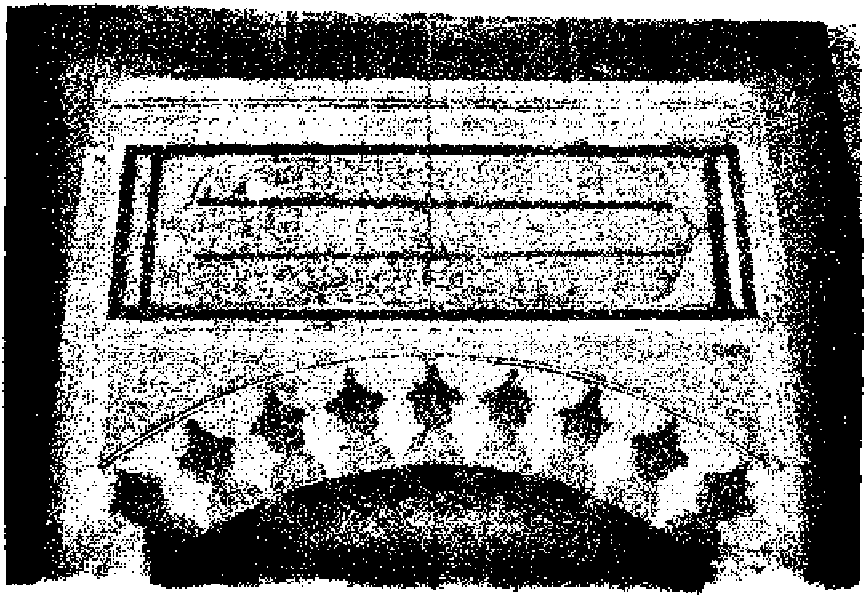


لوحة رقم (٦١) صحن مسجد الملكة صفية والأروقة التي تحيط به



لوحة رقم (٦٢)

المدخل إلى مكان الصلاة في مسجد الملكة صفية



لوحة رقم (٦٣) اللوحة التذكارية التي تعلو مدخل مكان الصلاة بجامع الملكة صفية



لوحة رقم (٦٤)

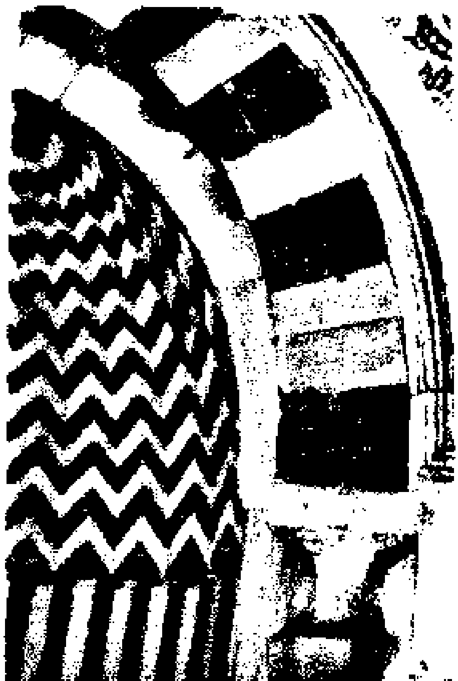
محراب ومنبر قبلة مسجد الملكة صفية

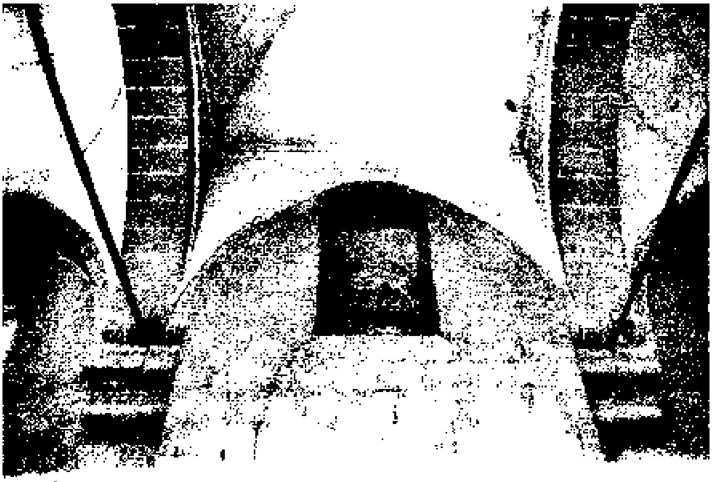


لوحة رقم (٦٥) محراب مسجد الملكة صفية

لوحة رقم (٦٦ ، ٦٧) تبين البلاطات الخزفية بمحراب مسجد الملكة صفية







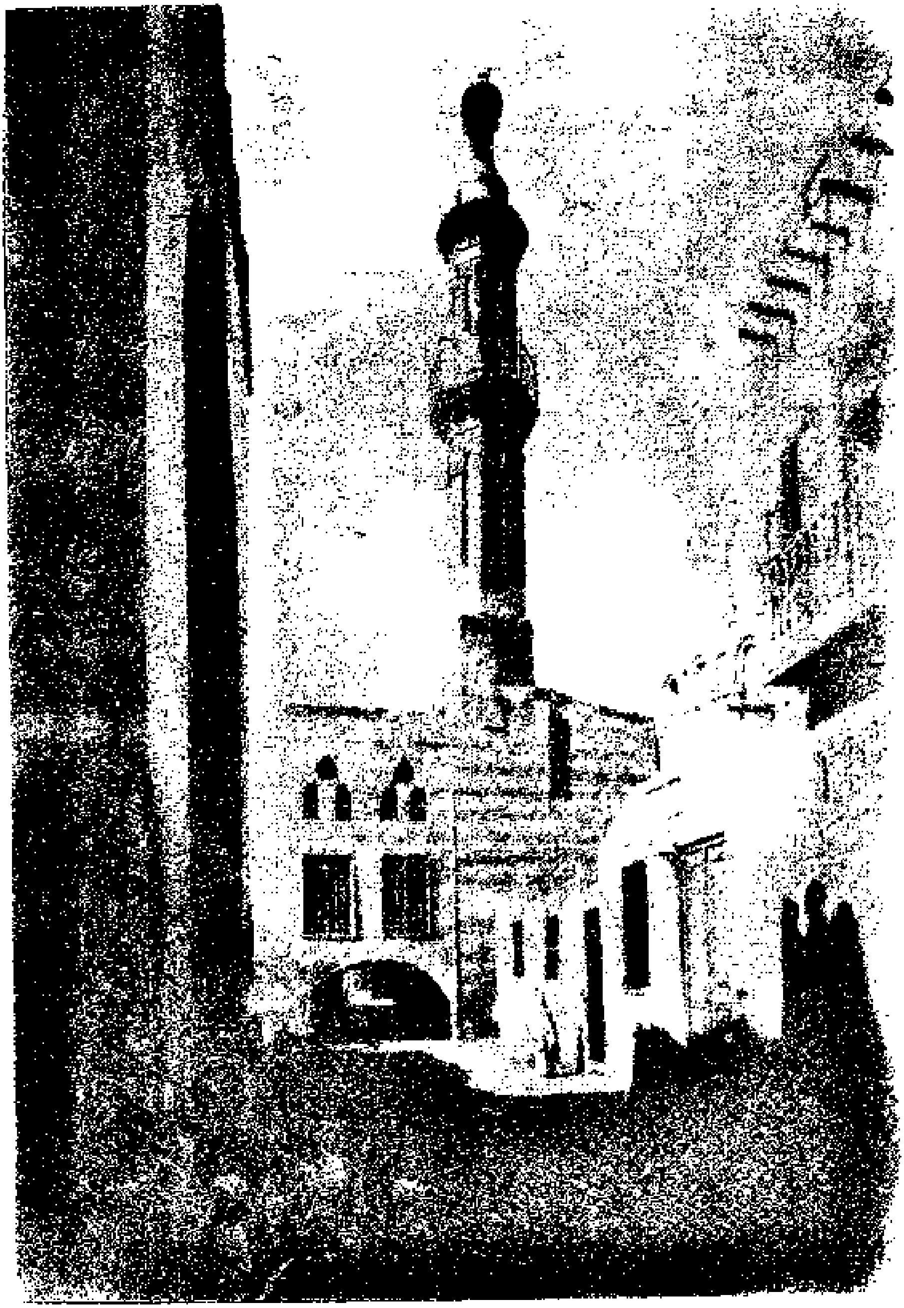
لوحة رقم (٦٨) الكوابيل الساندة
التى تحمل قبة مسجد الملكة صفية



لوحة رقم (٦٩)
مئذنة مسجد الملكة صفية



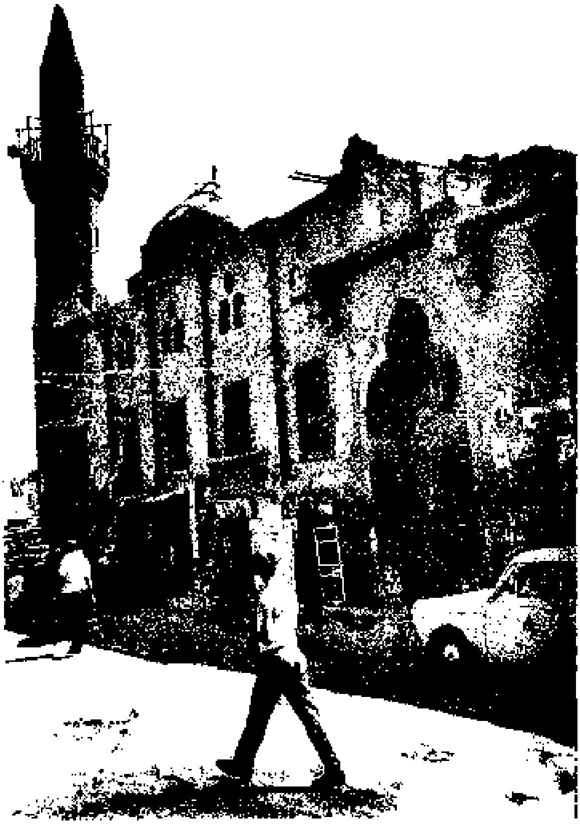
لوحة رقم (٧٠) تبين صحن المسجد اليوسفي بمدينة ملوي ومئذنته
ويرجع إلى العصر العثماني



لوحة رقم (٧١) تبين مئذنة مسجد الأمير حماد بمدينة ميت غمر



لوحة رقم (٧٢) تبين ايوان القبلة بمسجد الأمير حماد بيت شمر
ويرجع إلى القرن السابع عشر



لوحة رقم (٧٣) جامع آلتي برمق



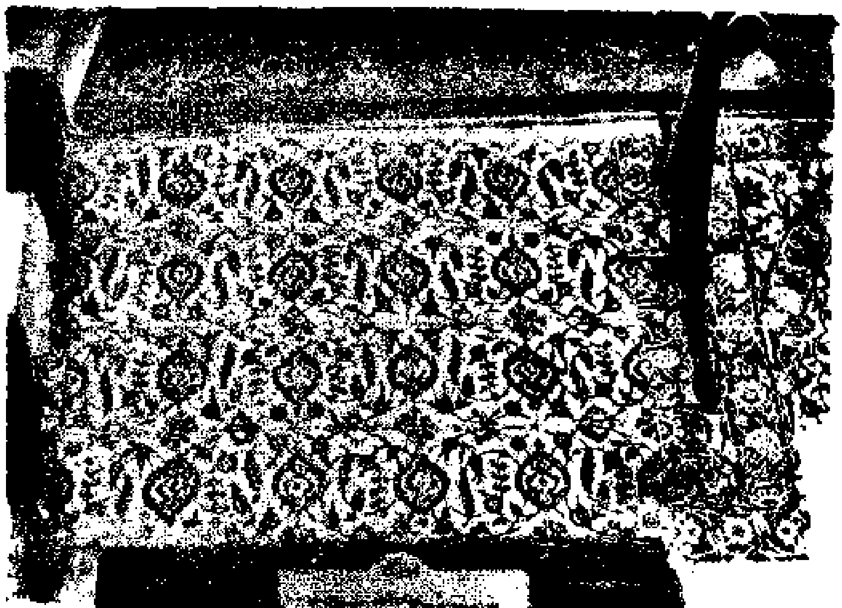
لوحة رقم (٧٤)

تبين البلاطات الخزفية التي تكسو محراب وجدران مسجد آلتي برمق



لوحة رقم (٧٥)

تبين البلاطات الخزفية التي تكسو طاقية محراب آلتي برمق وواجهة عقد ، وعقد الدخلة التي تتقدمه وأطار كوشاته



لوحة رقم (٧٦) تبين تفصيل البلاطات الخزفية على يمين طاقية محراب مسجد آلتي برمق



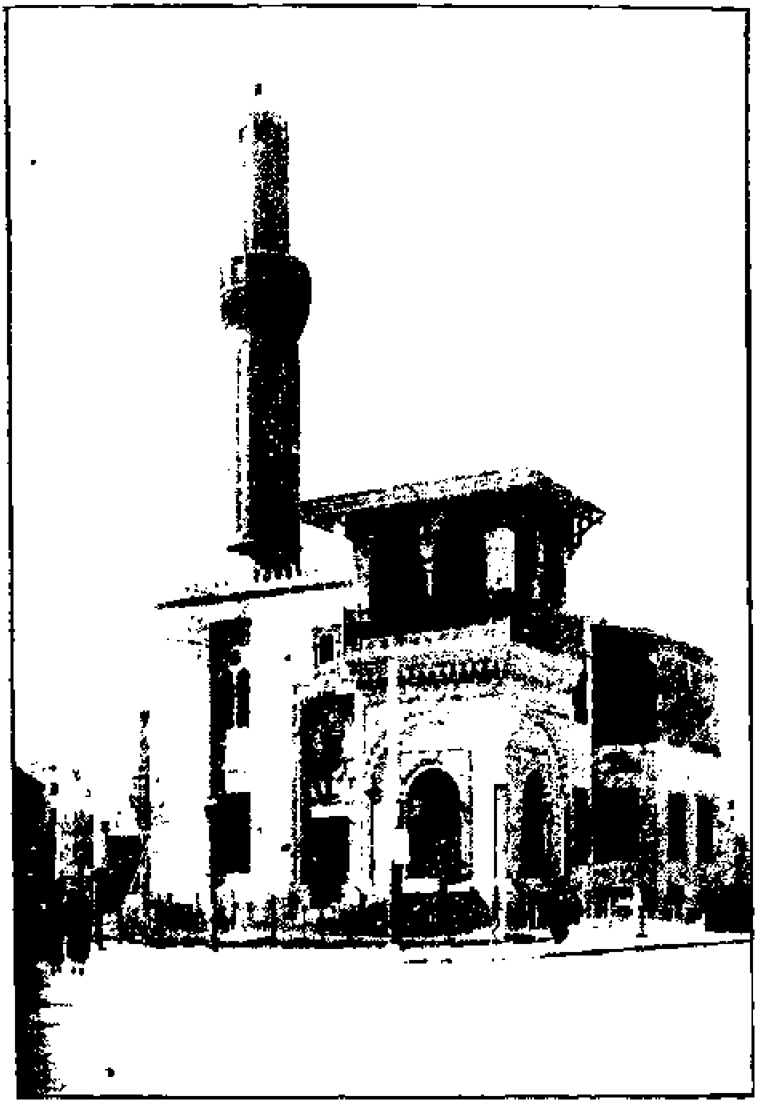
لوحة رقم (٧٧) تبين البلاطات الخزفية على يمين تجويف محراب ألتي برمق



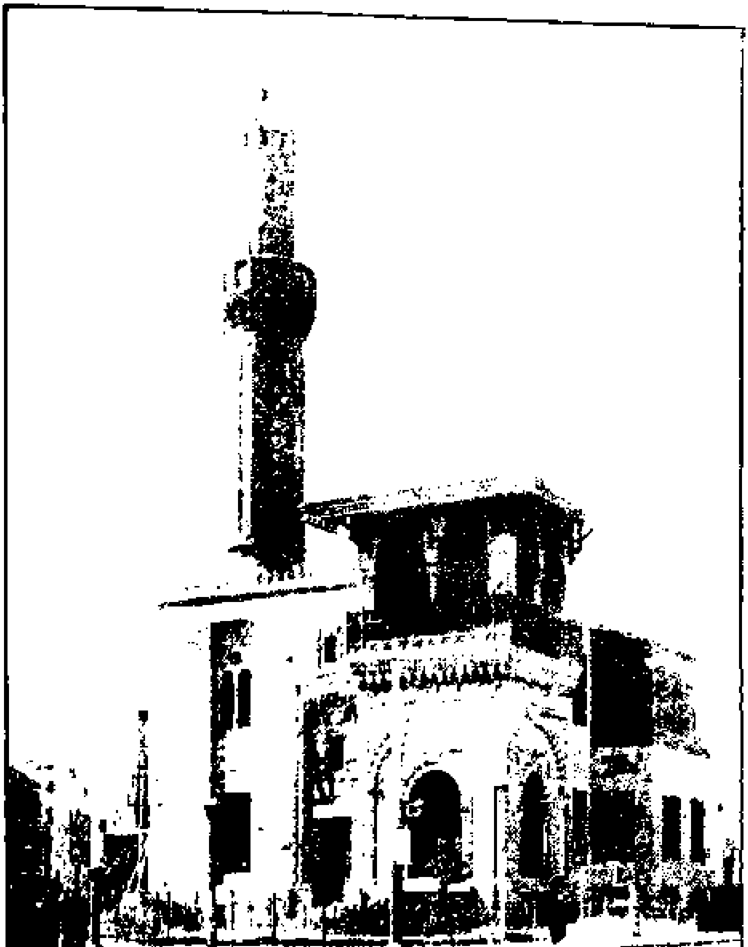
لوحة رقم (٧٨) تبين البلاطات الخزفية على يسار طاقية محراب مسجد ألتي برمق



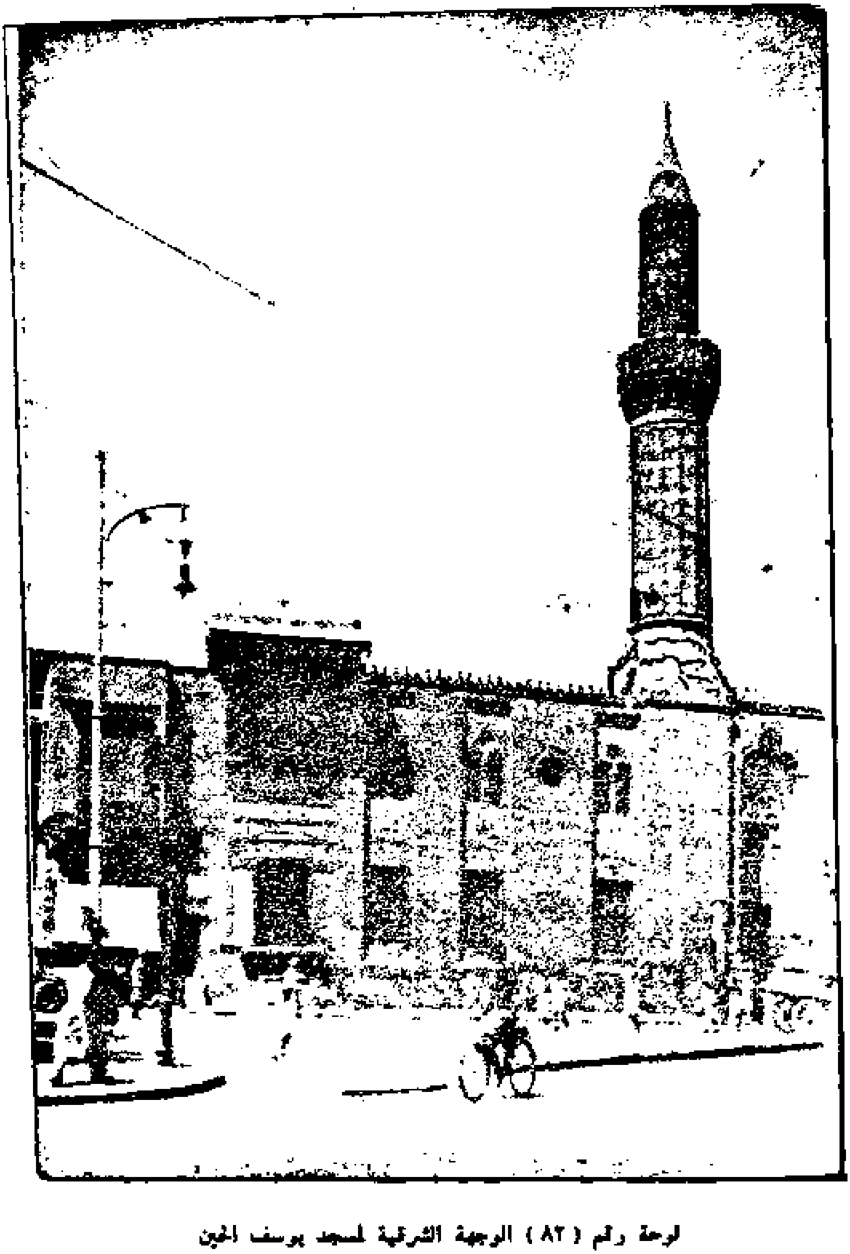
لوحة رقم (٧٩) إطار خشبي يحيط بجدار مكان الصلاة بجامع ألتي برمق



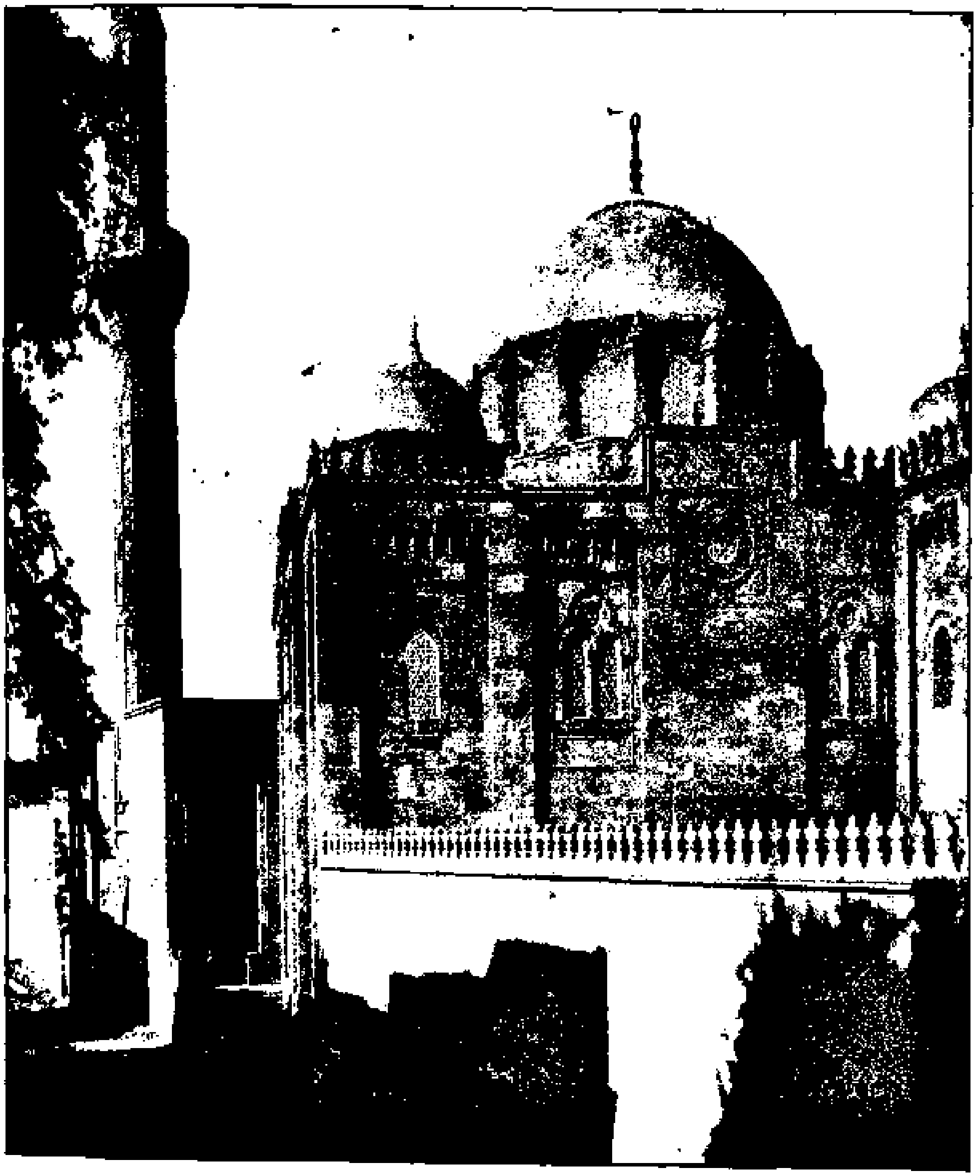
لوحة رقم (٨٠) الوجهة الشمالية وبها السبيل الجديد بمسجد يوسف الحين



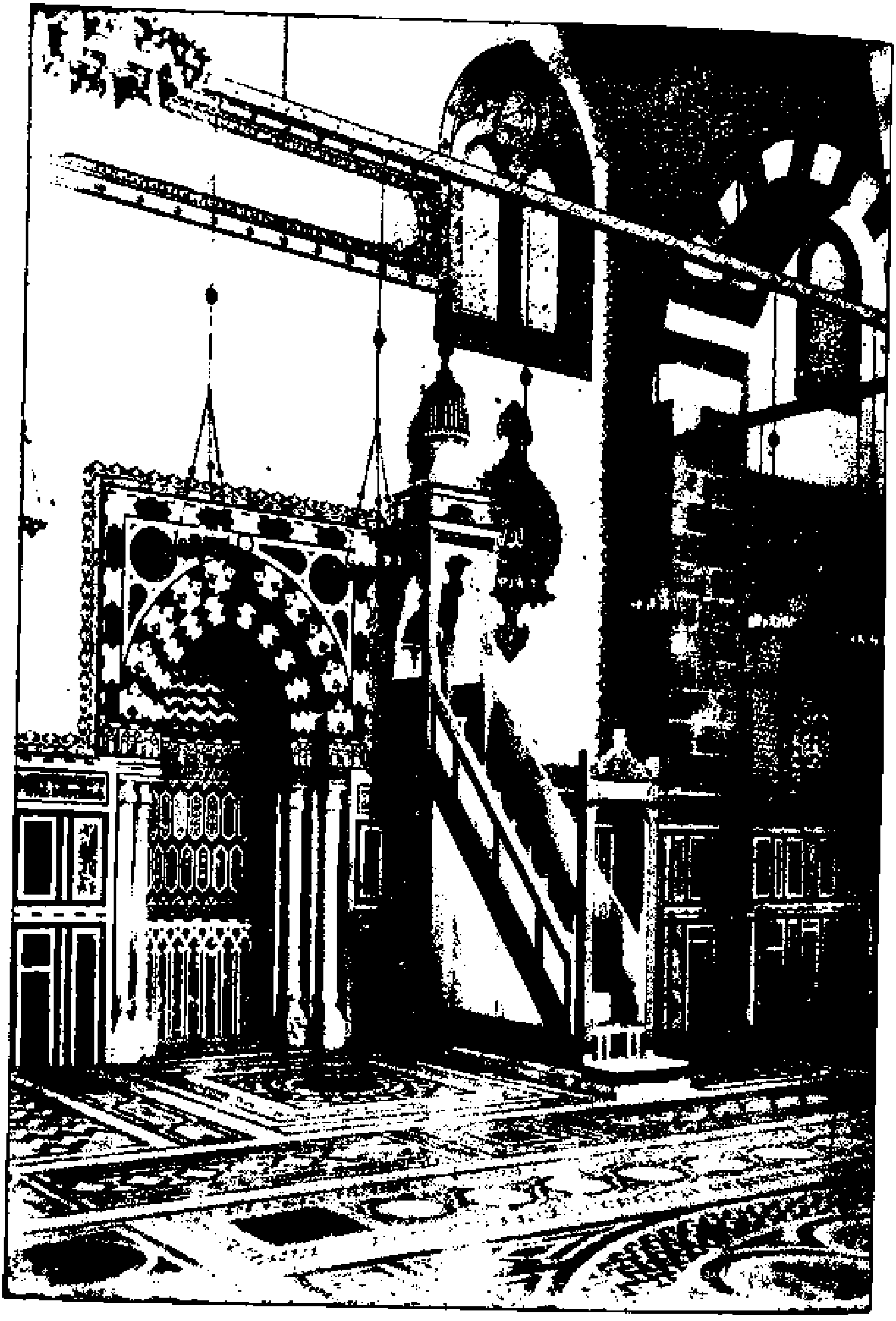
لوحة رقم (٨٦) الوجهة البحرية وبها السبيل الجديد



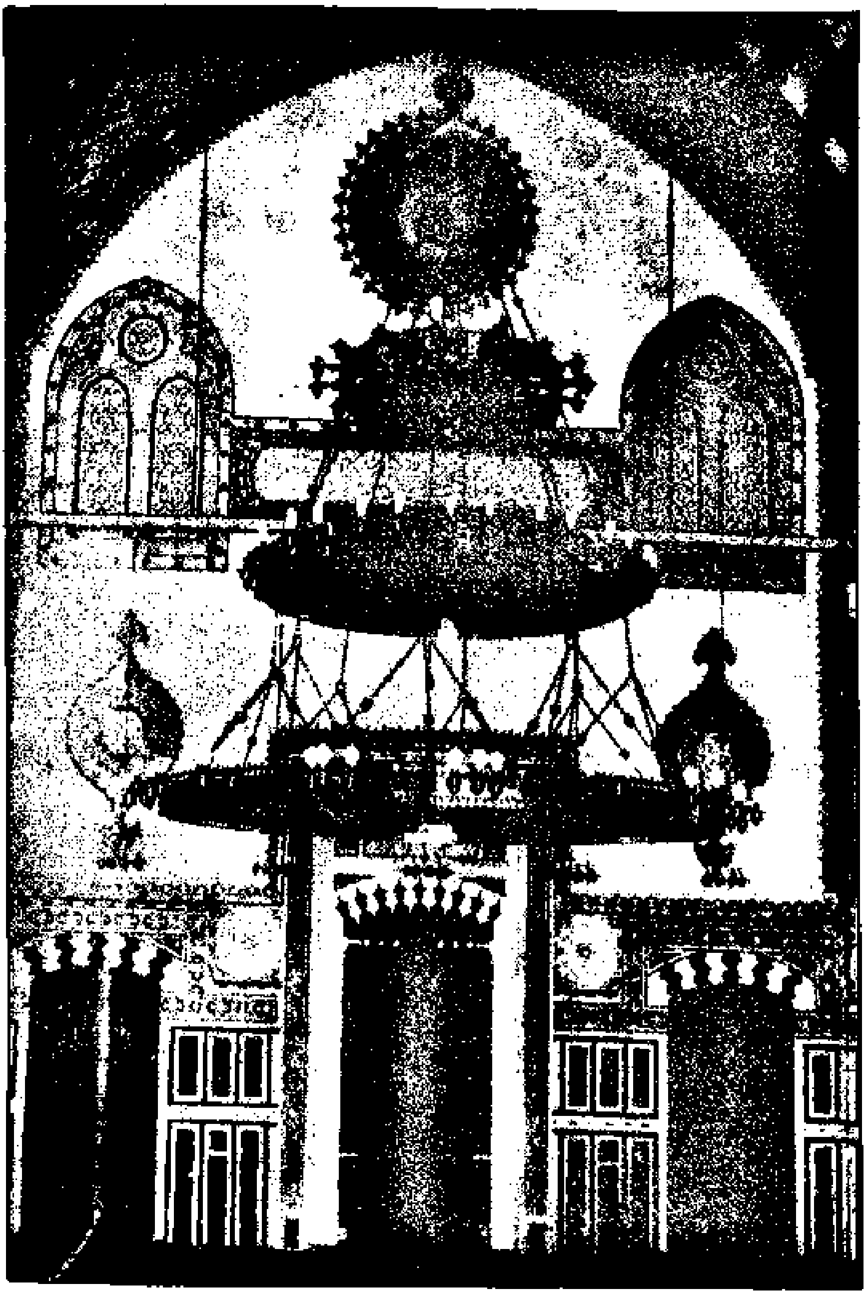
لوحة رقم (٨٢) الواجهة الشرقية لمسجد يوسف الحين



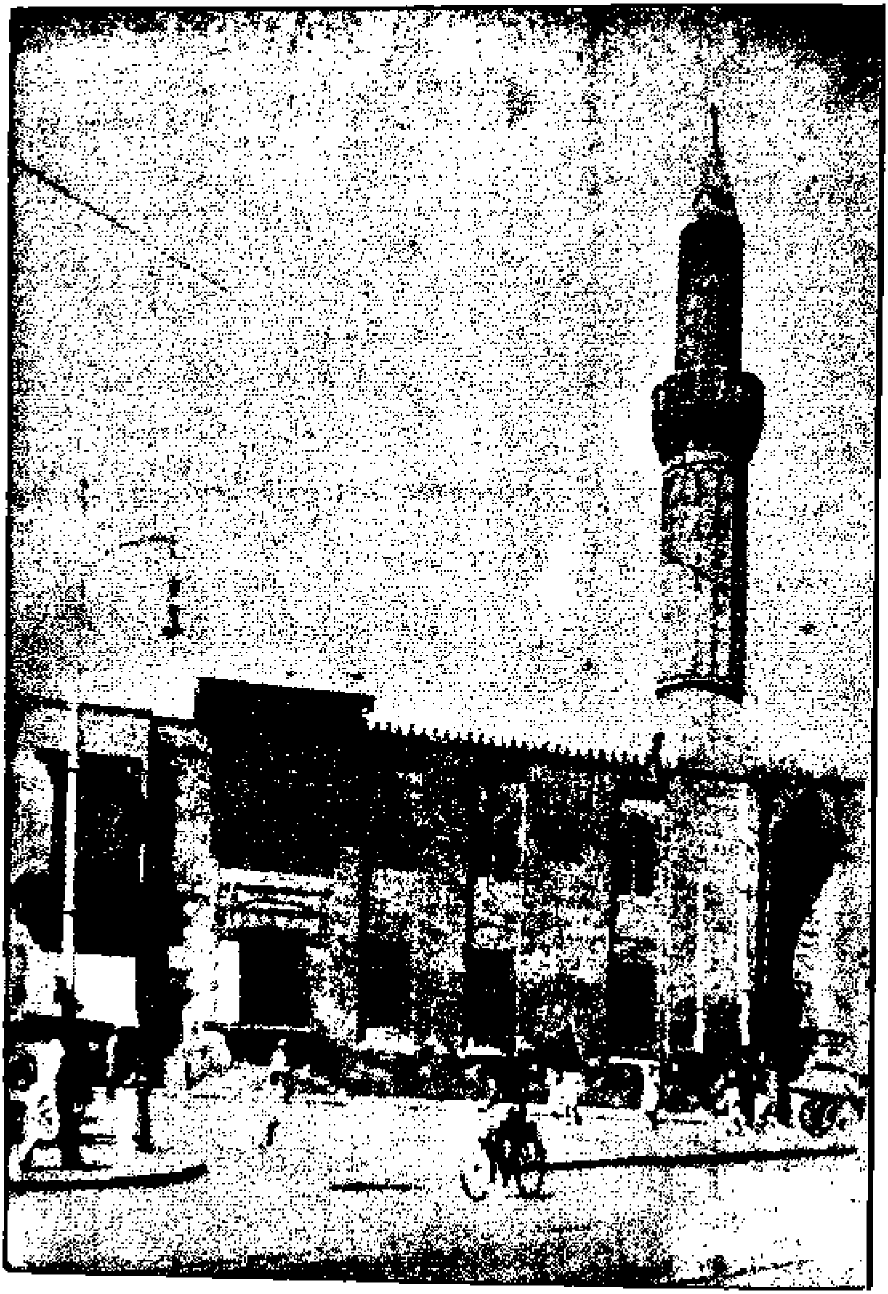
لوحة رقم (٨٣) الوجهة البحرية قبل تعلية السور لمسجد الفتح الملكى (عابدين)



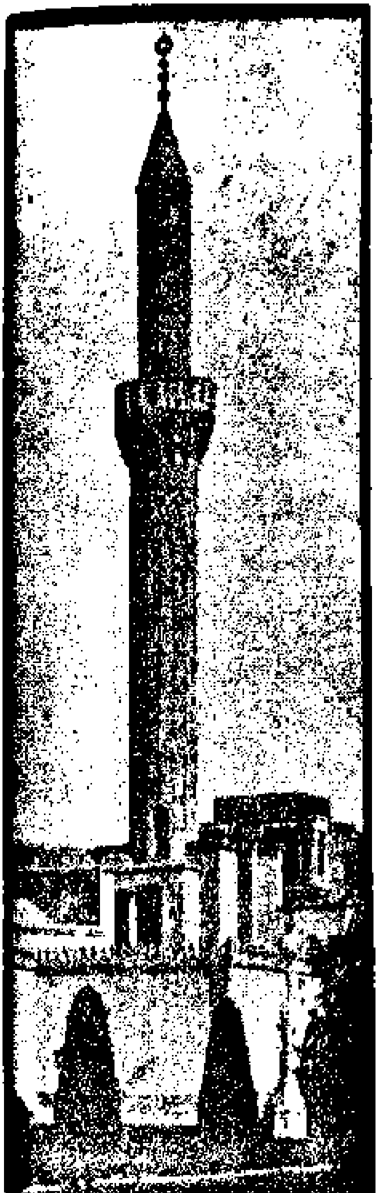
لوحة رقم (٨٤) المحراب والمنبر لمسجد الفتح الملكي



لوحة رقم (٨٥) الأيوان القبلي لمسجد الفتح الملكي

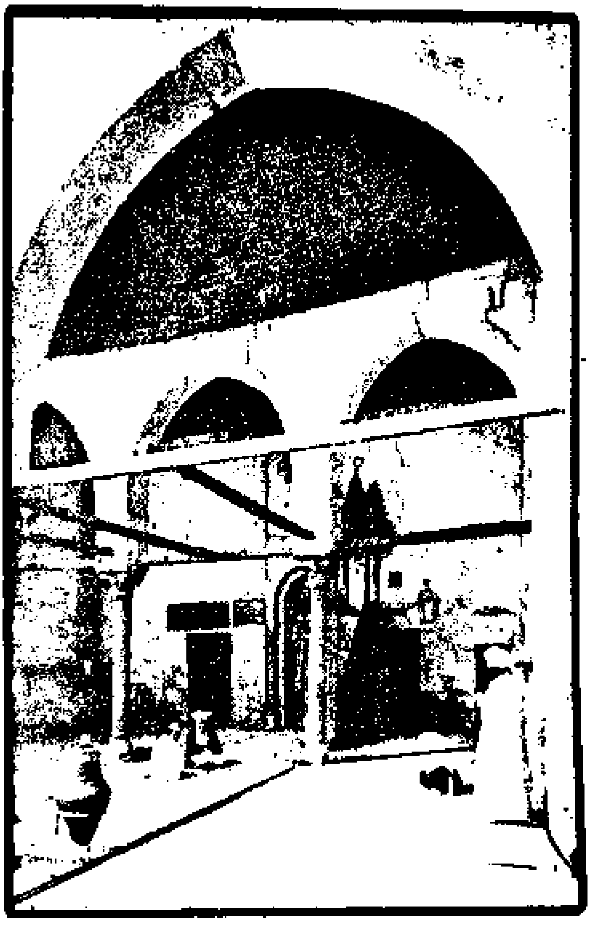


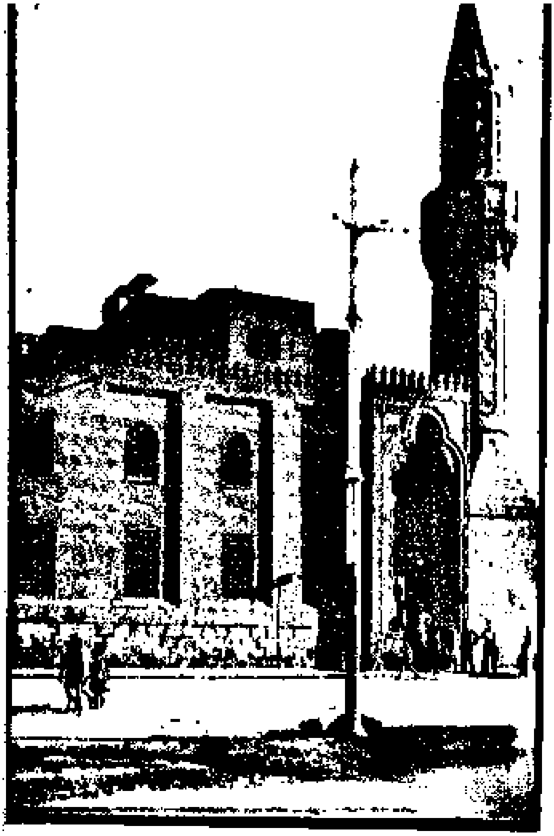
لوحة رقم (٨٦) الوجهة الشرقية لمسجد يوسف الحين



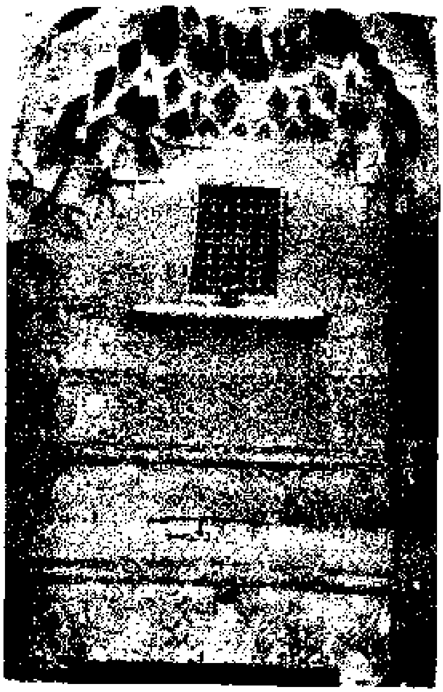
لوحة رقم (٨٧) منارة مسجد الفتح

لوحة رقم (٨٨) داخل مسجد المدرسة القارقانية

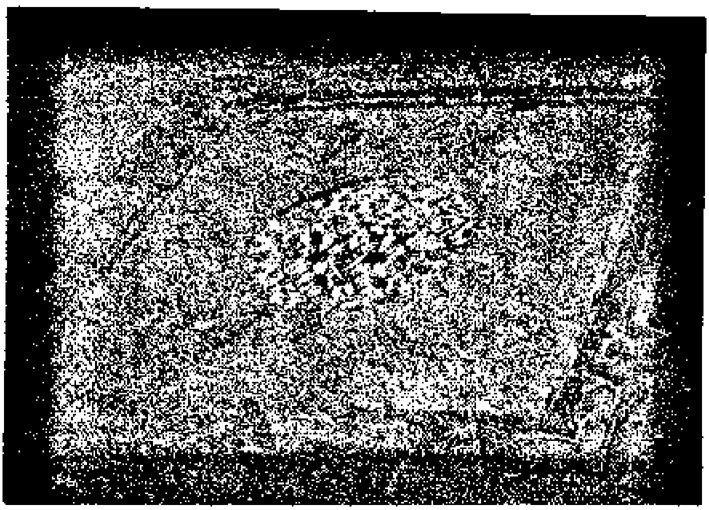




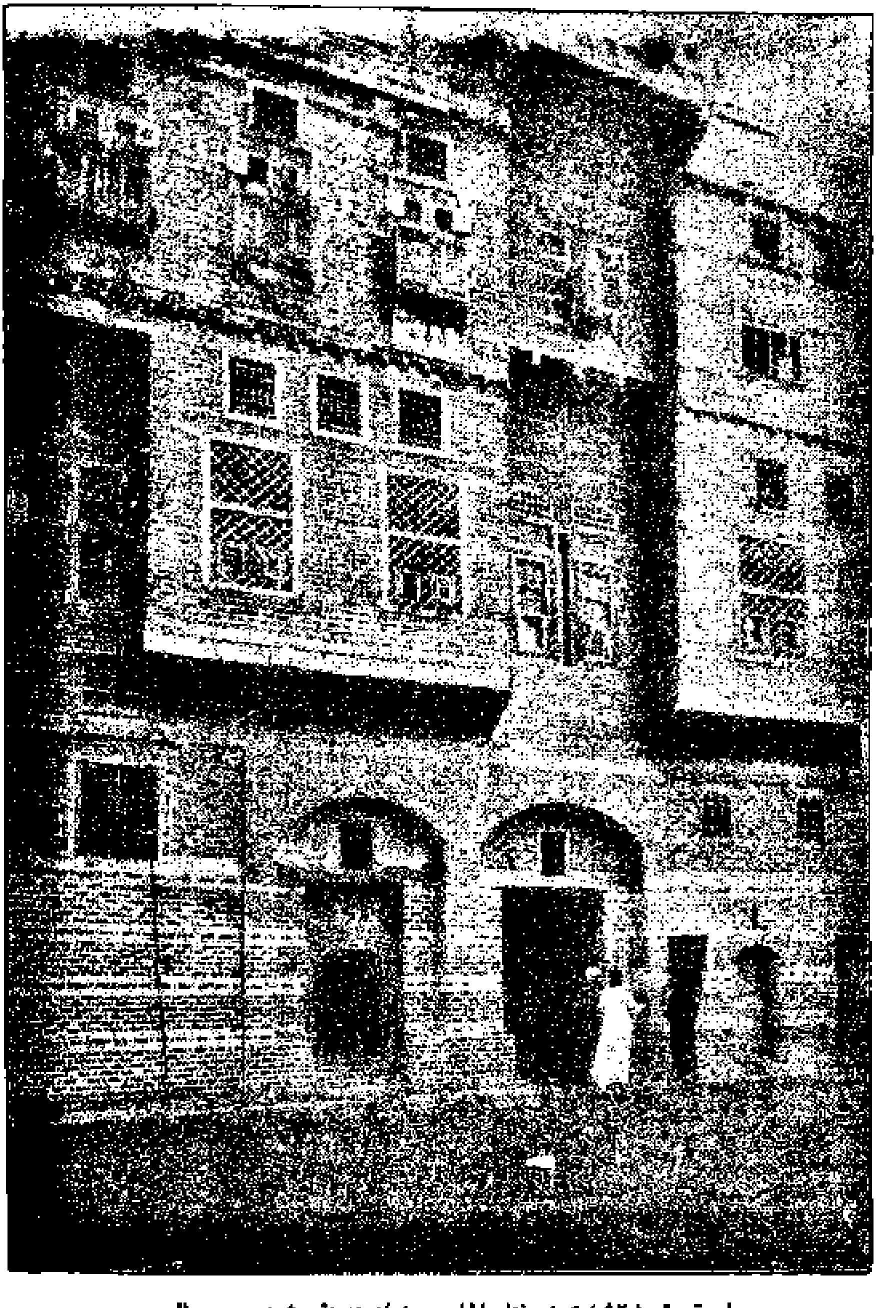
لوحة رقم (٨٩) الوجهة الغربية لمسجد ذو الفقار



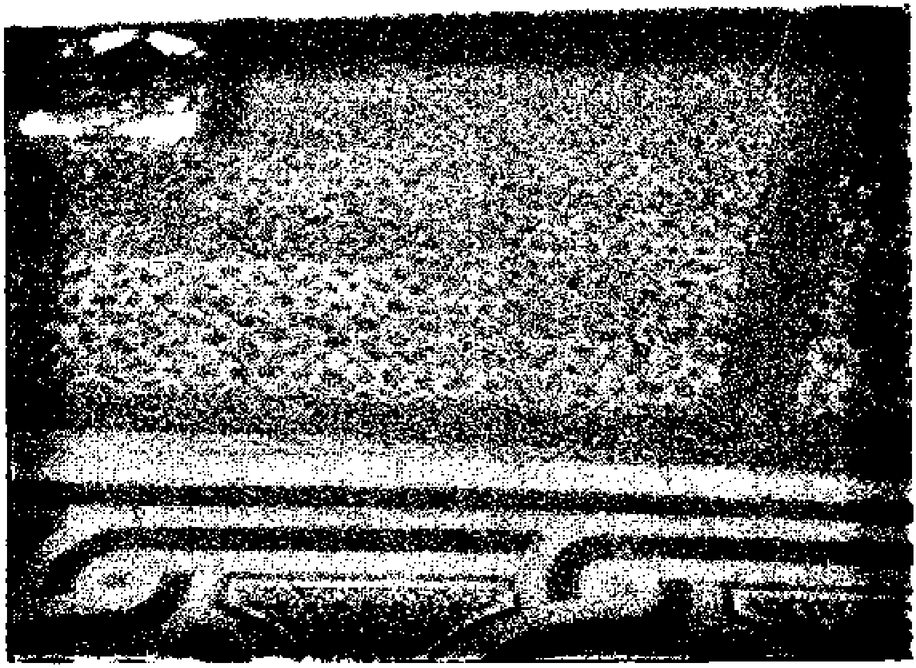
لوحة رقم (٩٠) تبين البلاطات الخزفية التي تزخرف مدخل مسجد ذو الفقار بك



لوحة رقم (٩١)
تبين البلاطات الخزفية التي تعلو محراب مسجد ذو الفقار بك



لوحة رقم (٩٢) تبين منزل الحاج رمضان بمدينة رشيد ويرجع إلى العصر العثماني



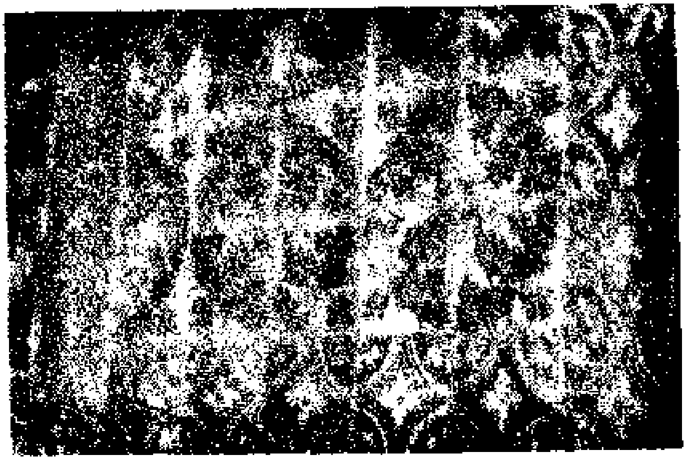
لوحة رقم (٩٣) ▲

تبين التصميم التقليدى للبلاطات التى تكسو جدران أيوان القبلة لمسجد مصطفى جوربجى ميرزا

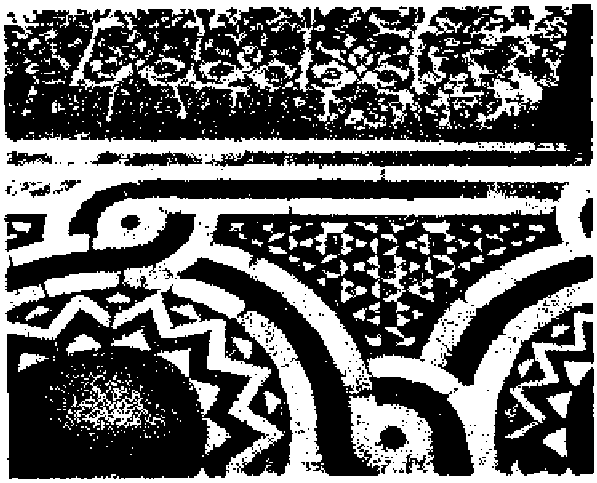


لوحة رقم (٩٤)

تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبى الغربى لأيوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا

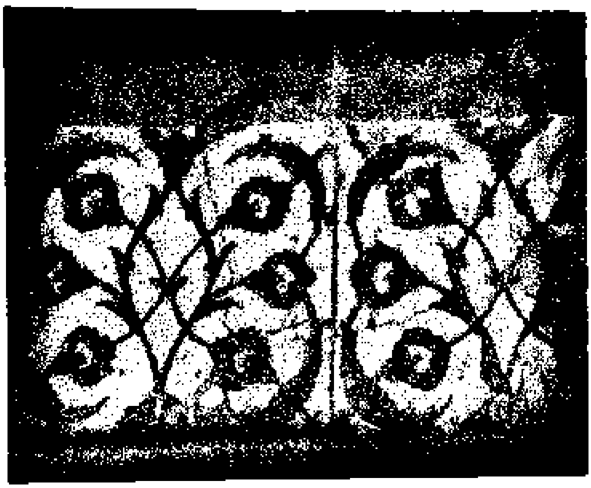


لوحة رقم (٩٥) تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبي الغربي لايوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا



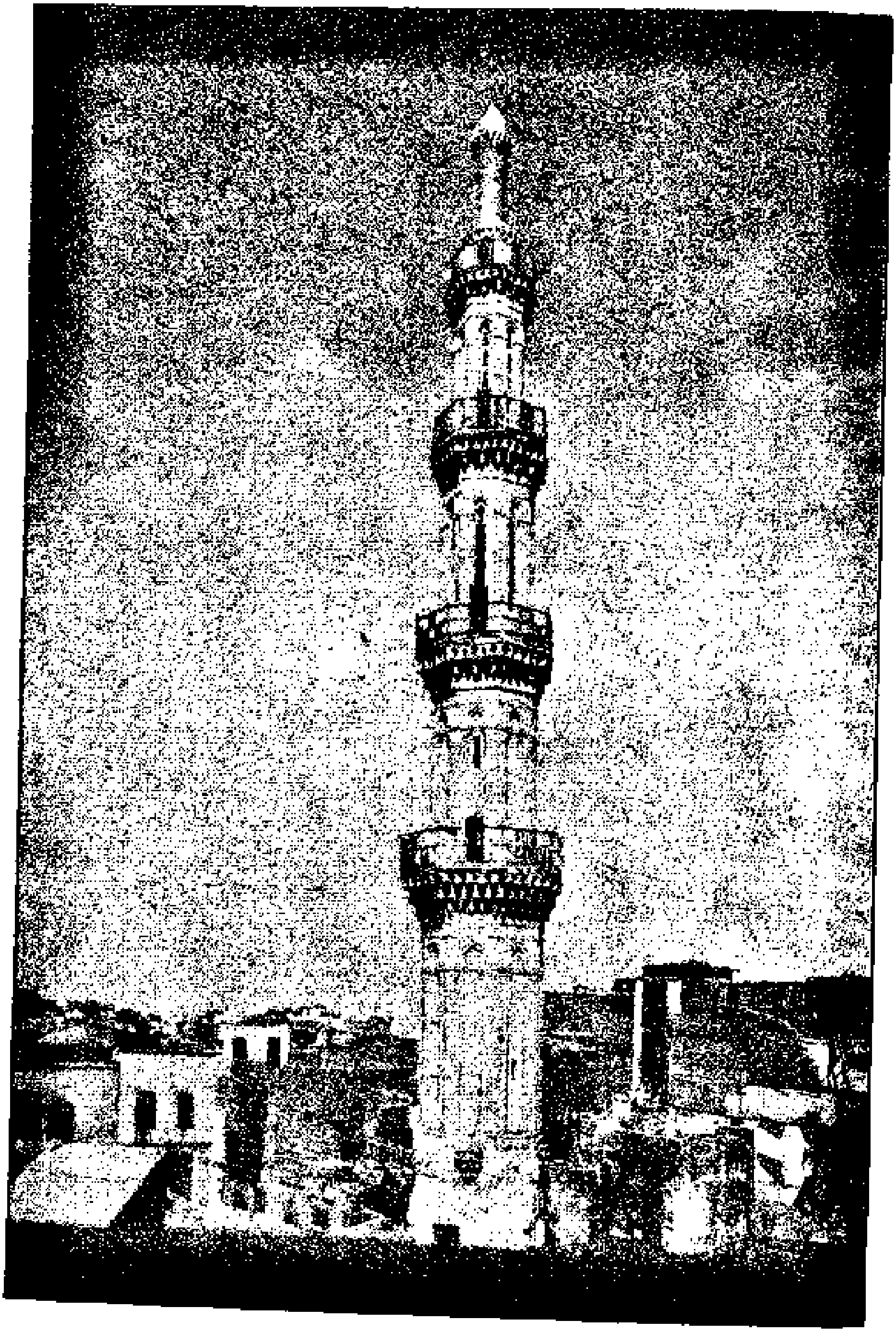
لوحة رقم (٩٦)

تبين التصميات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي تكسو الجدار الشمالي الشرقي بأيوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا



لوحة رقم (٩٧)

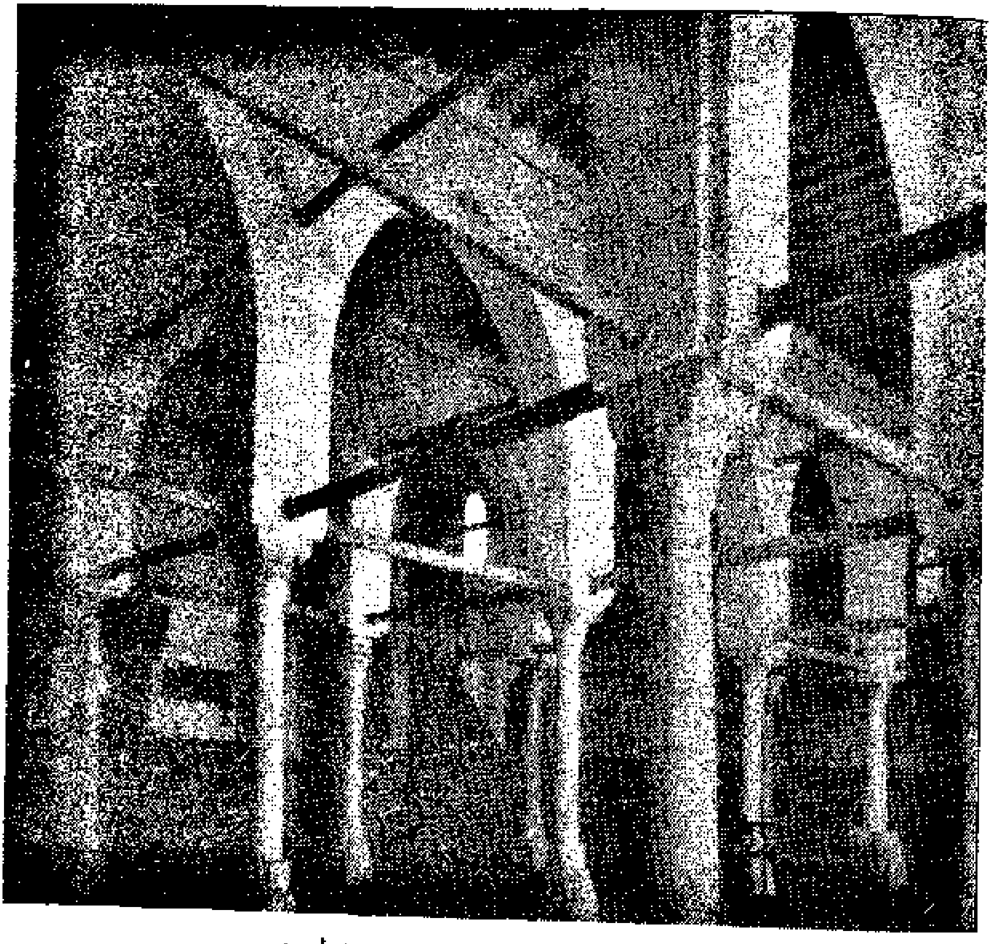
توضح التصميات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي تكسو الجدار الشمالي الشرقي بأيوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا



لوحة رقم (٩٨) تبين مسجد المجاهدين بمدينة أسيوط ويرجع
تأسيسه إلى العصر العثماني



لوحة رقم (٩٩) تبين المدخل الرئيسى لمنزل البحيرى بمدينة أخميم



لوحة رقم (١٠٠) تمثل داخل مسجد الخطباء بمحلة أبو علي



لوحة رقم (١٠١)

تبين البلاطات الزخرفية التي تكسو (قصعة التنفيس) التي تعلو مدخل زاوية عبد الرحمن كتخدا

لوحة رقم (١٠٢)

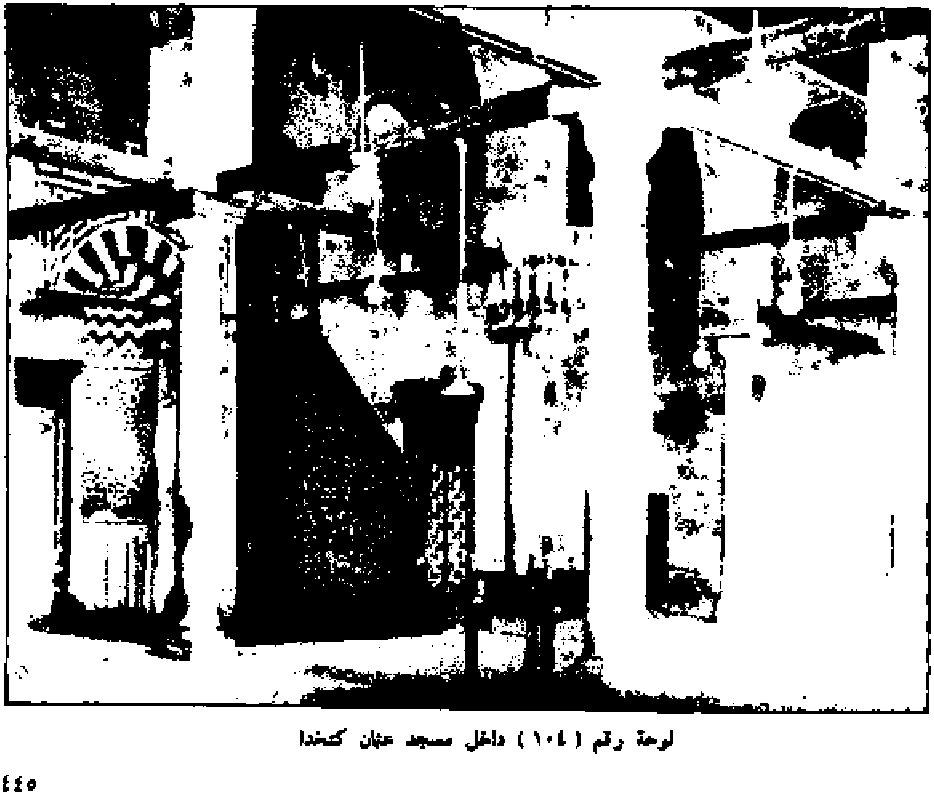
الوجهة البحرية بعد إصلاحها وزيادتها



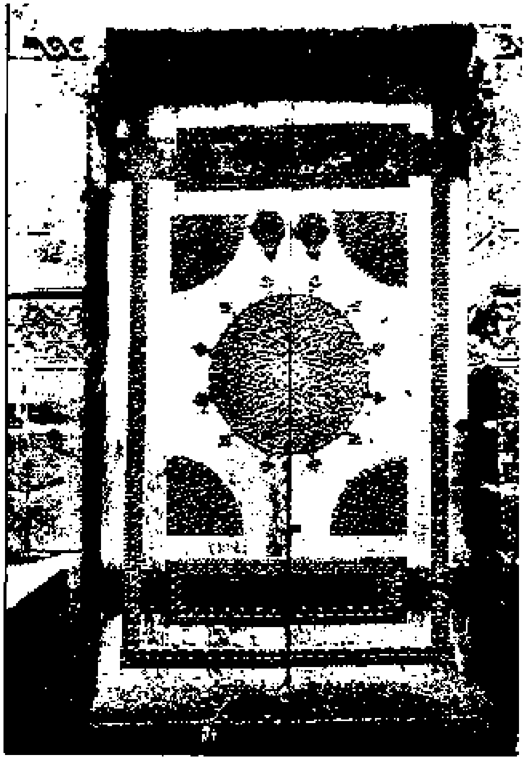


لوحة رقم (١٠٣)

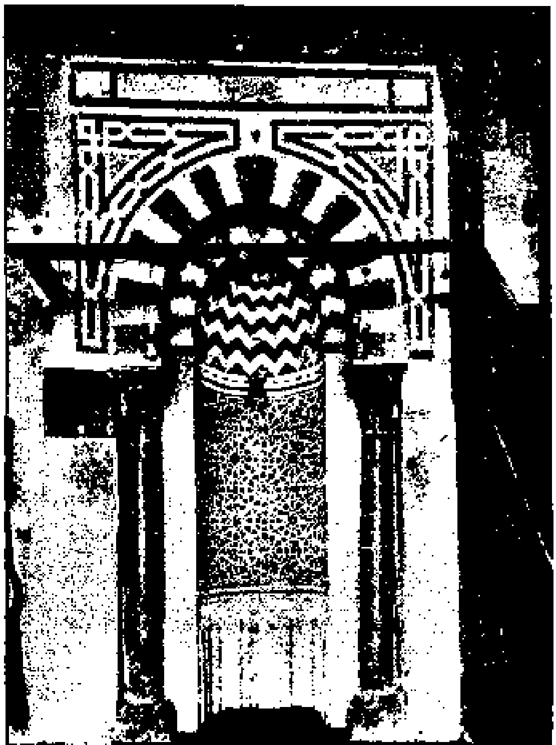
تبين البلاطات الخزفية التي تزخرف مدخل مسجد عثمان كتخدا



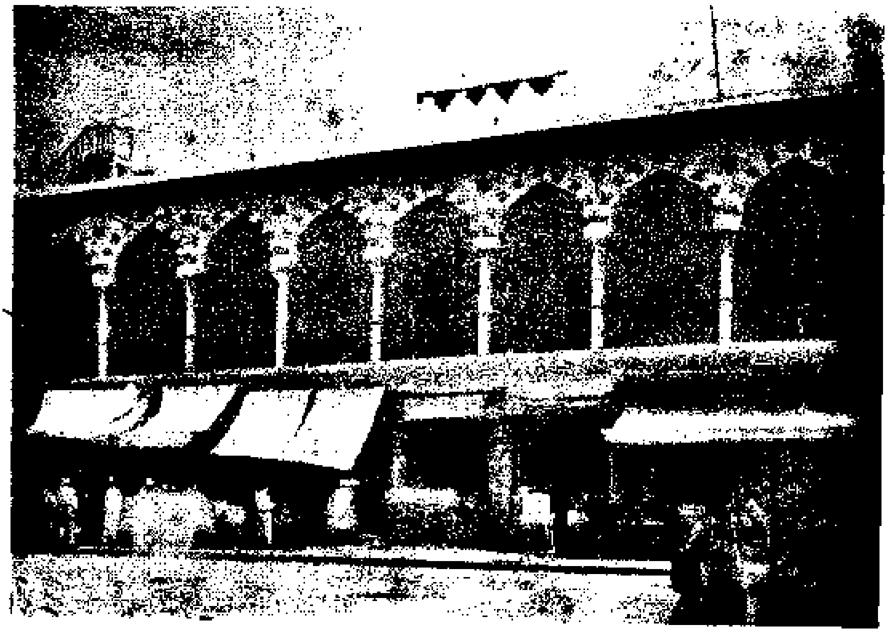
لوحة رقم (١٠٤) داخل مسجد عثمان كتخدا



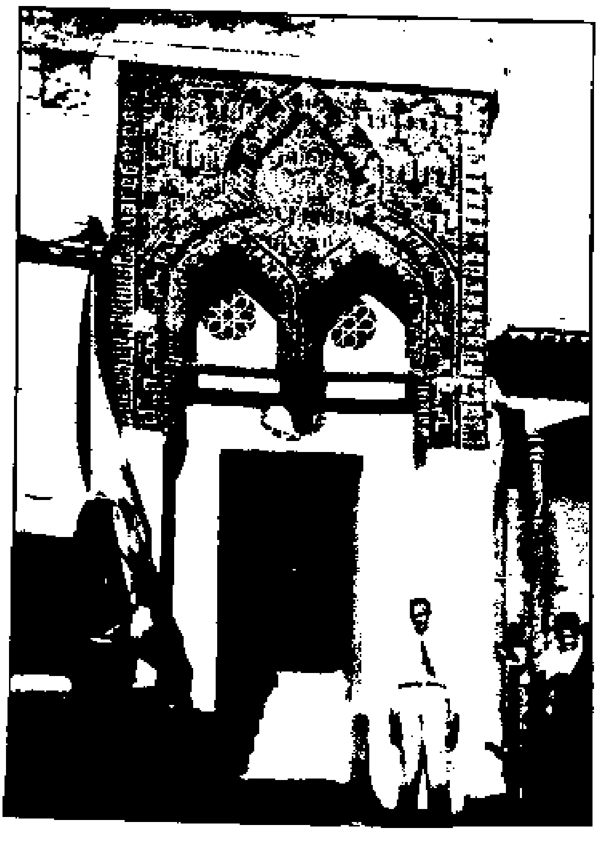
لوحة رقم (١٠٥) باب مسجد عثمان كتخدا



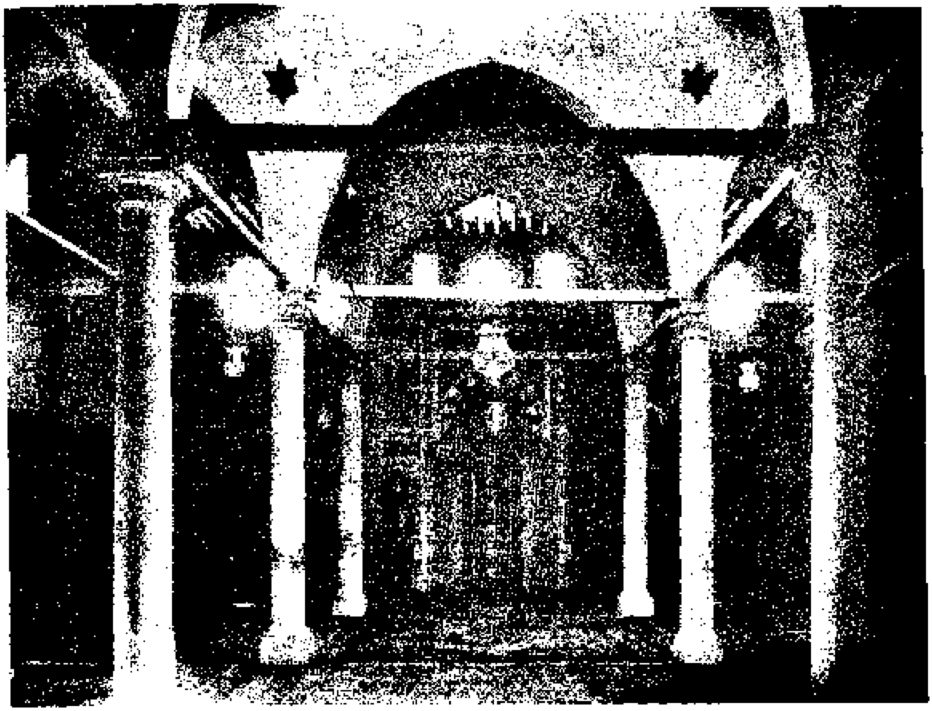
لوحة رقم (١٠٦) تبين محراب مسجد عثمان كتخدا



▲ لوحة رقم (١٠٧) الواجهة الجنوبية لمسجد الشوربجي بالاسكندرية



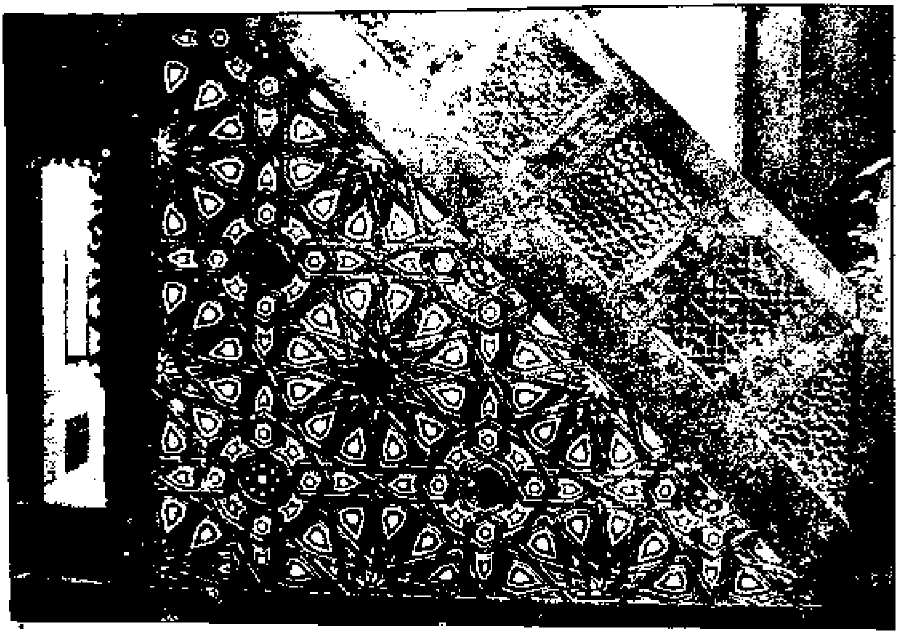
لوحة رقم (١٠٨)
الباب القبلي لمسجد عبد الباقي جوربجي



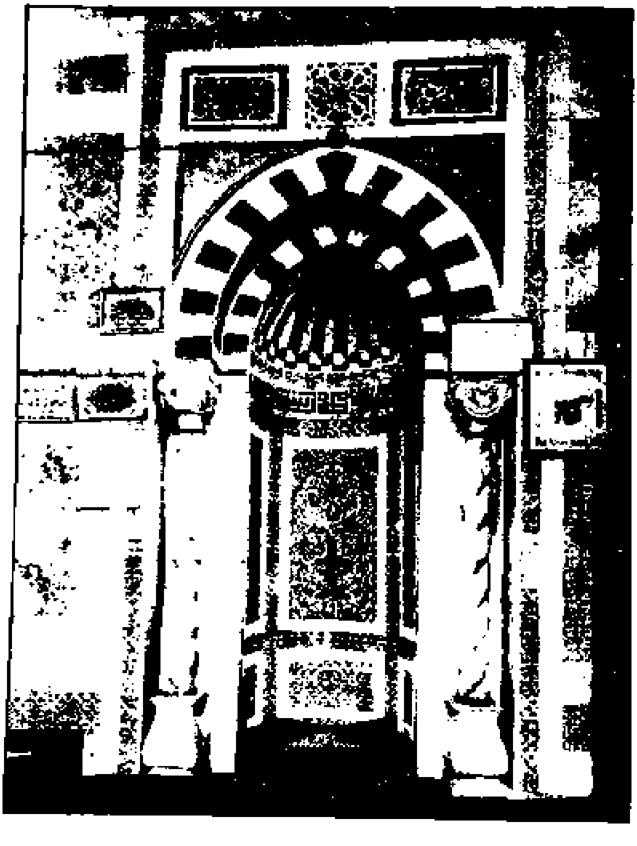
لوحة رقم (١٠٩) تبين رواق القبلة بمسجد الشوربجي بالاسكندرية



لوحة رقم (١١٠) الوجهــة القبلية وبهـا باب مســجد عبد الباقي جوربجي



لوحة رقم (١١١) محراب مسجد عبد الباقي جورجي

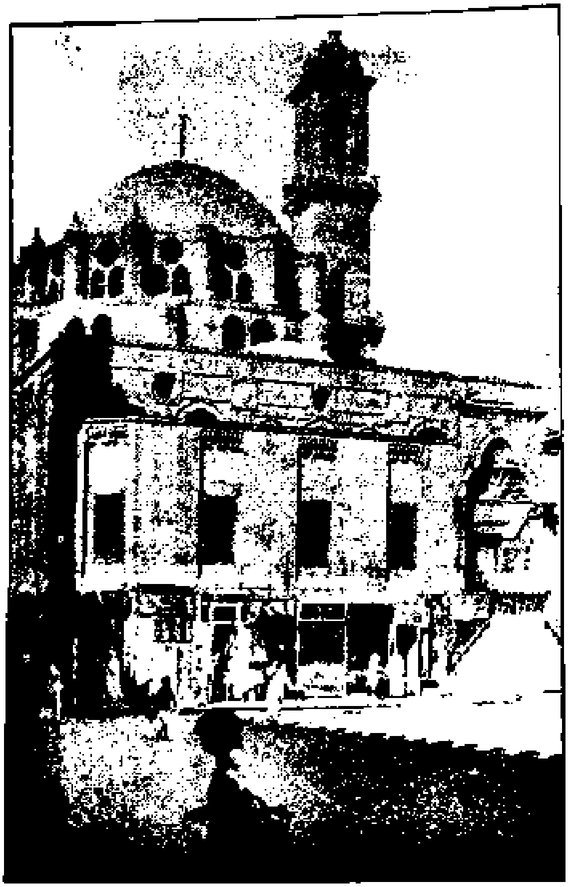


لوحة رقم (١١٢)

تفاصيل من المنبر قاعة الطريبي

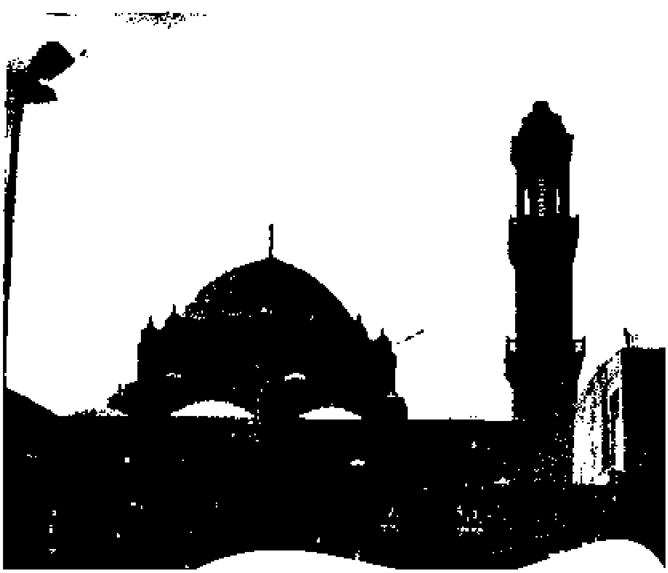


لوحة رقم (١١٣) داخل مسجد جامع بمدينة قرشوط ومنارته



لوحة رقم (١٦٤)

الوجهة البحرية لمسجد محمد بك أبي الذهب

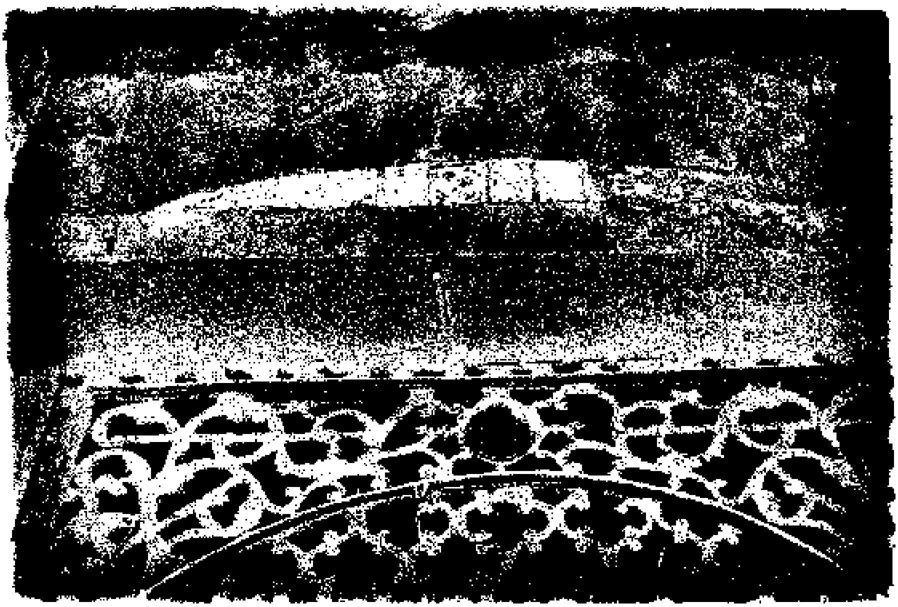


لوحة رقم (١٦٥)

جامع أبي الذهب القبة والدعائم السائدة



لوحة رقم (١١٦) تبين زخارف البلاطات التي تكسو فتحة (التليس) التي تعلو المدخل الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي لمسجد محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١١٧) توضح زخارف البلاطات التي تكسو فتحات (التليس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١١٨) توضح زخارف البلاطات التي تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١١٩) توضح زخارف البلاطات التي تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب



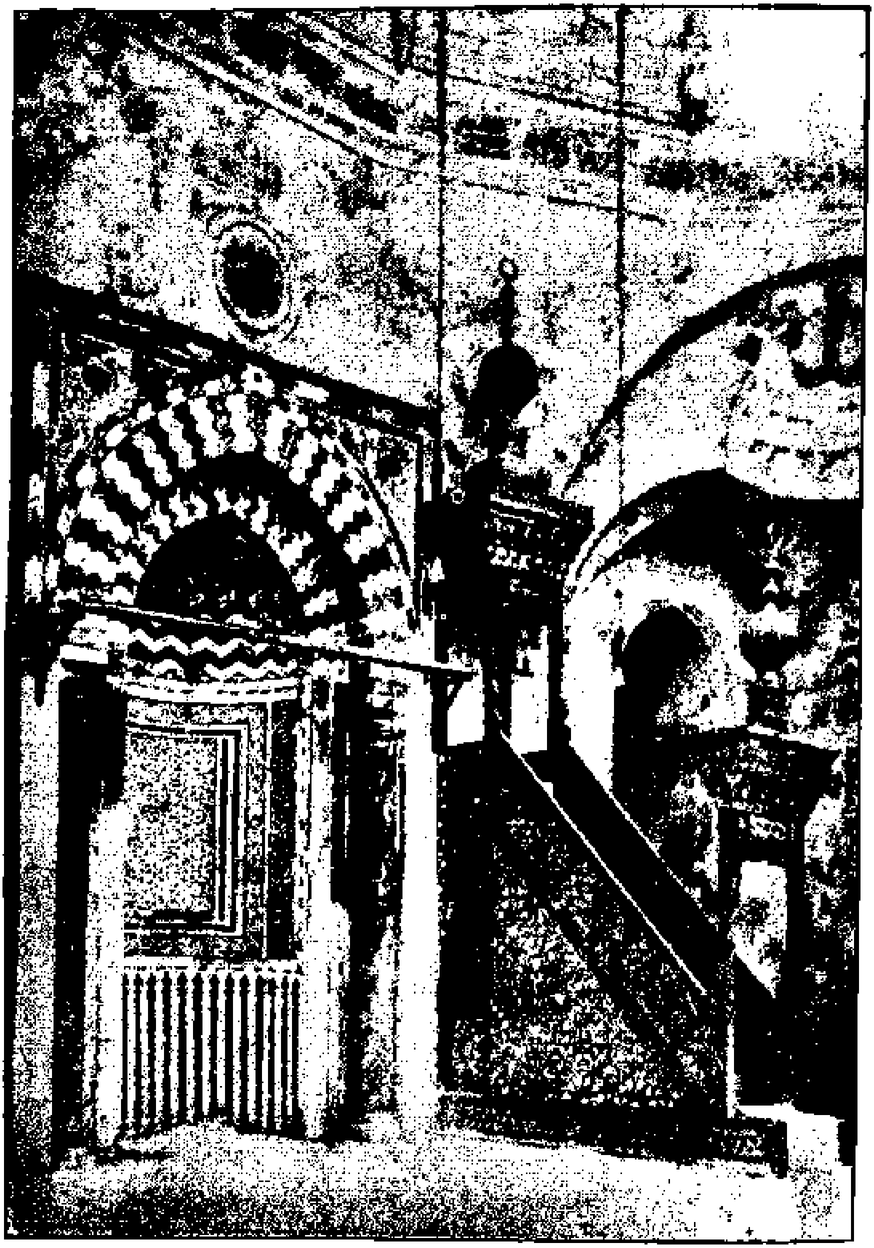
لوحة رقم (١٢٠)

توضح زخارف البلاطات التي تكسو فتحة (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١٢١)

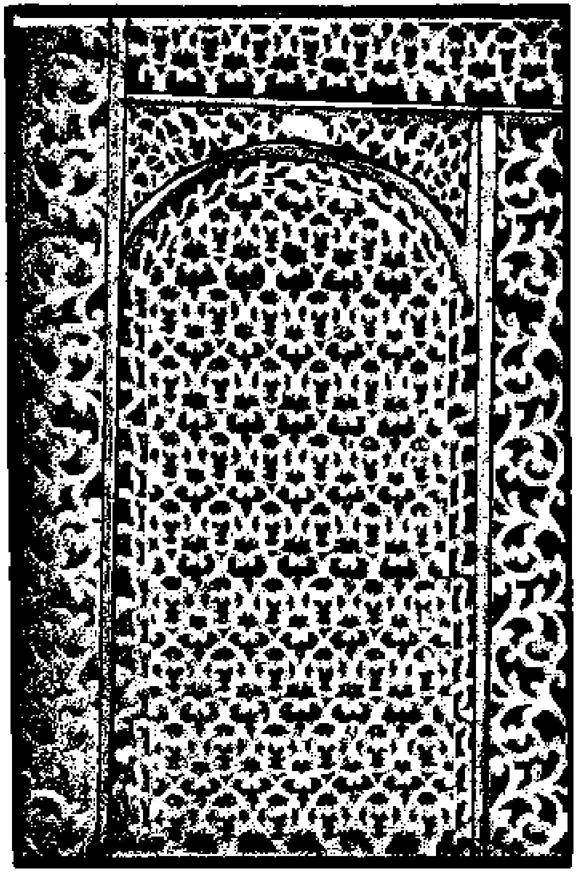
الباب البحري للقبة لمسجد محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١٢٢) المحراب والمنبر لمسجد أبو الذهب

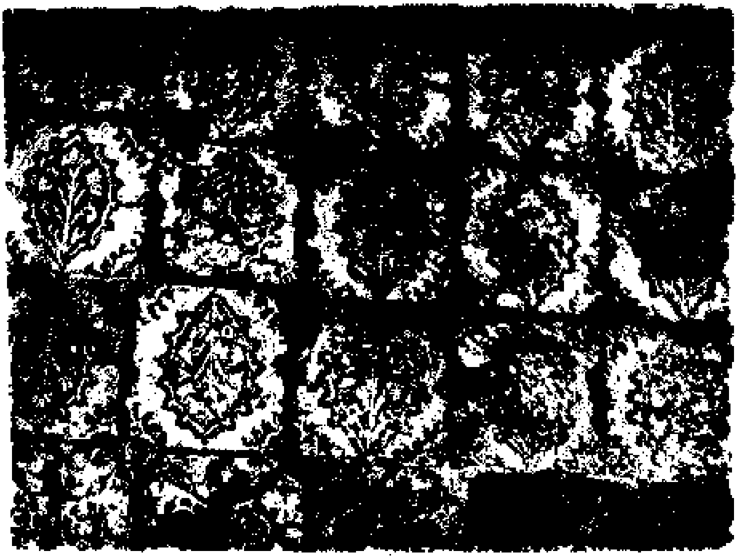
لوحة رقم (١٢٣)

تفاصيل من المقصورة النحاسية



لوحة رقم (١٢٤)

لوحة تبين زخارف البلاطات التي تكسو الجدار الجنوبي بمدفن محمد أبو الذهب





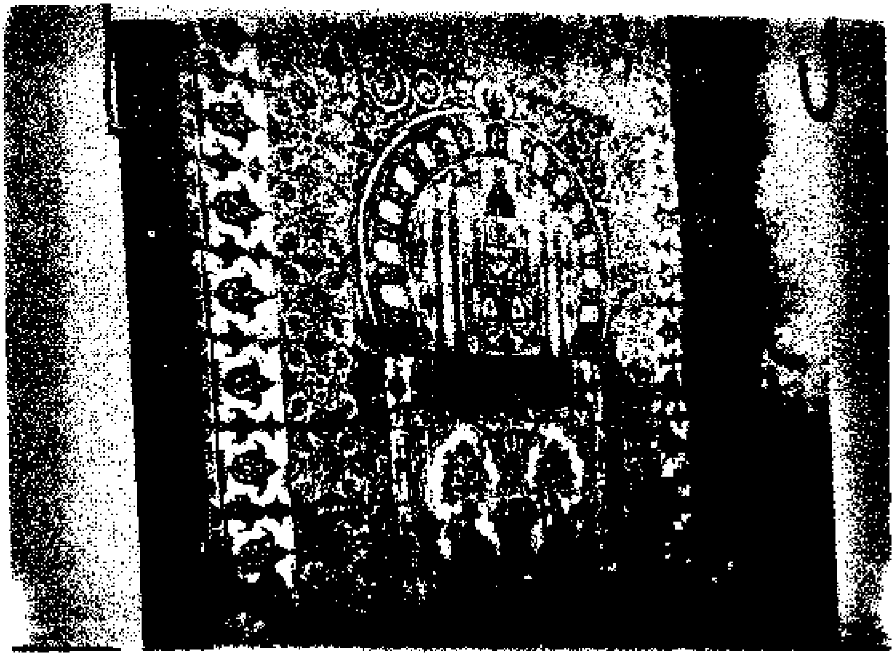


لوحة رقم (١٢٥) ▲

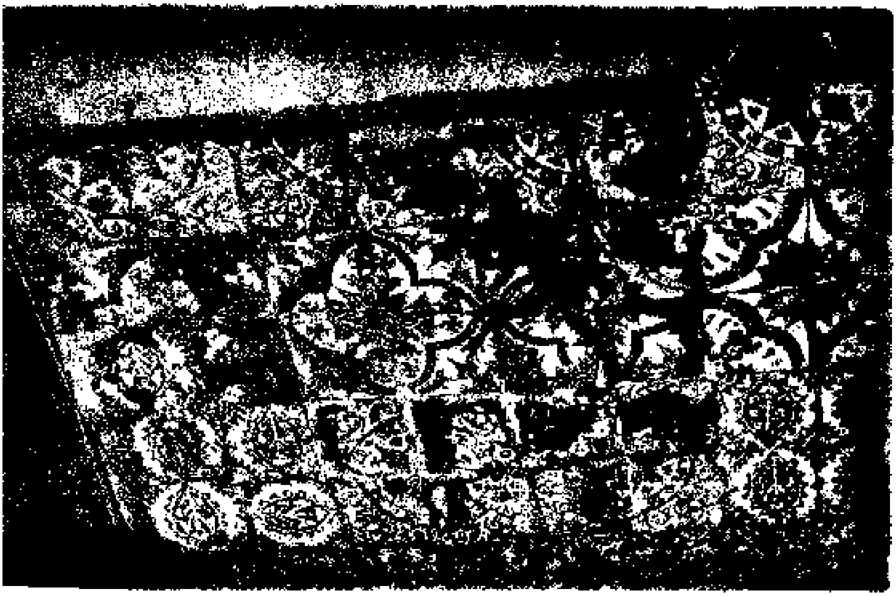
تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي تكسو جدران مدفن محمد أبو الذهب

لوحة رقم (١٢٦) ◄

تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي تكسو جدار مدفن أبو الذهب



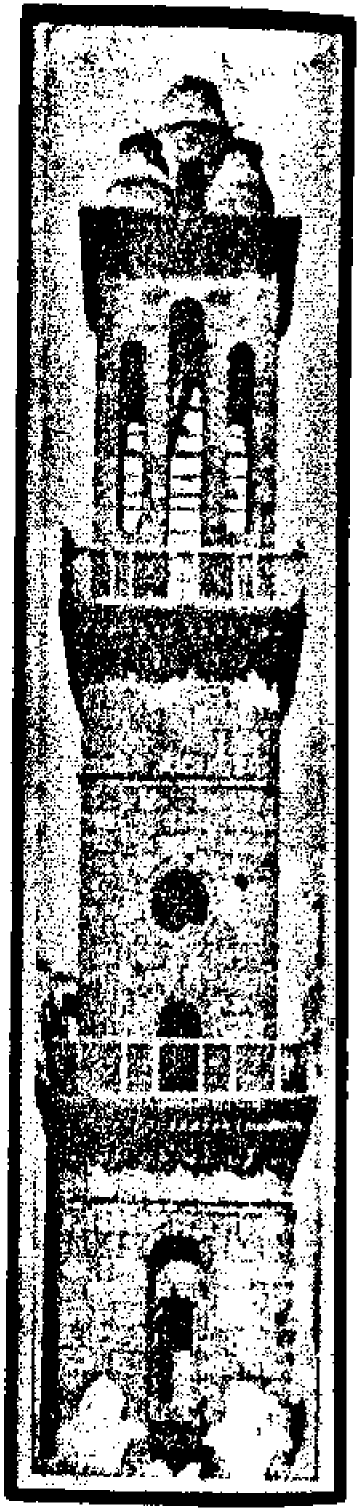
لوحة رقم (١٢٧) تبين زخارف إحدى التجمعات الخزفية بالجدار
الجنوبي الشرقي لمدفن محمد أبو الذهب



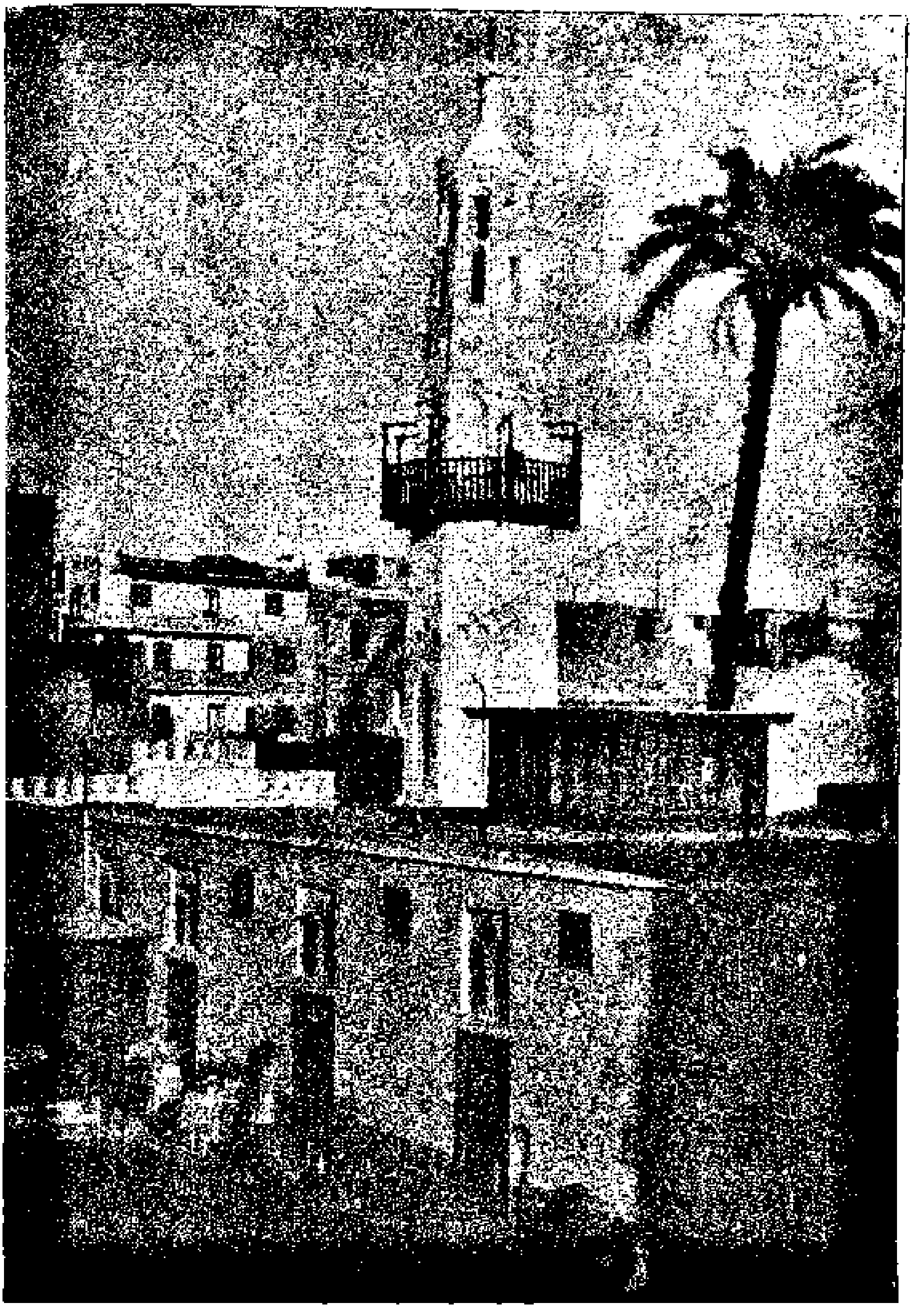
لوحة رقم (١٢٨) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي
تكسو جدران مدفن محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١٢٩) مسجد الشطوطي بباب الشعرية



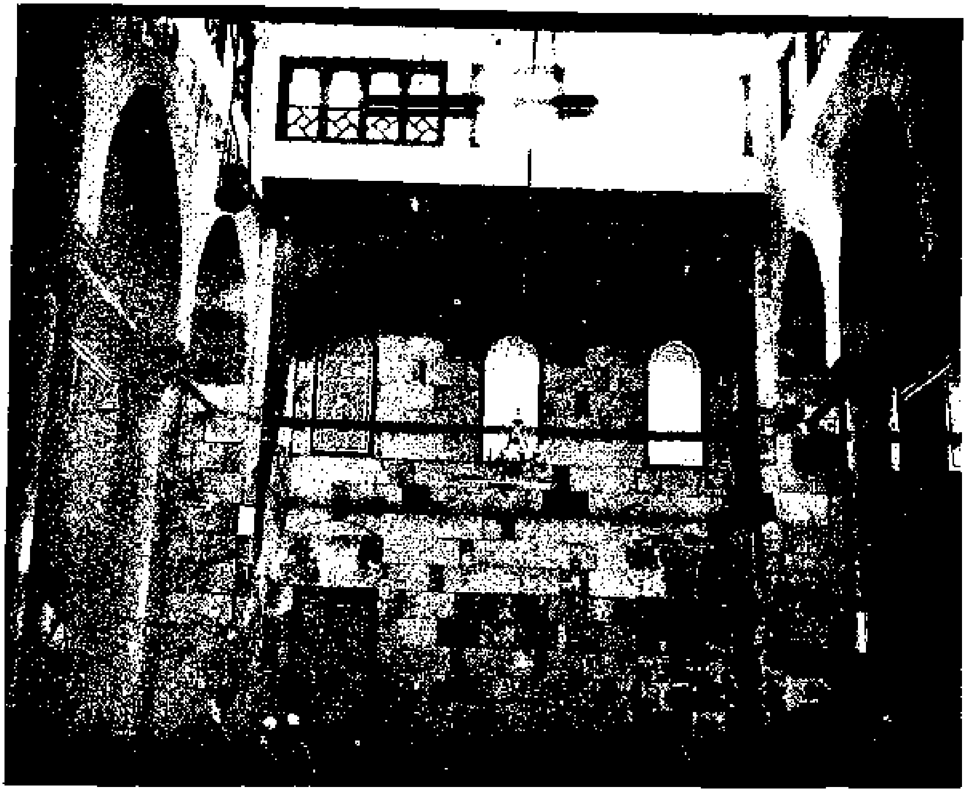
لوحة رقم (١٣٠) منارة أبو الذهب



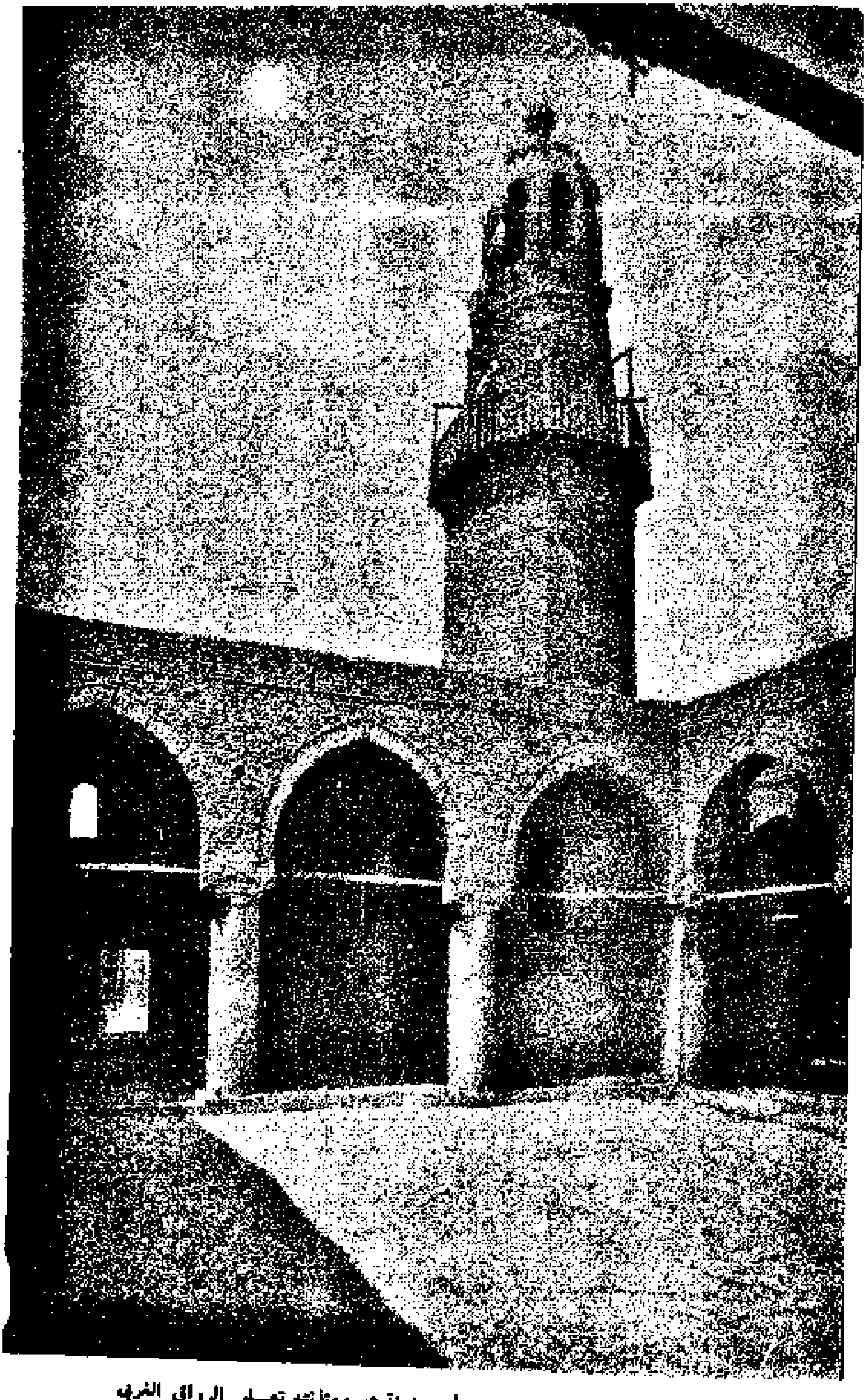
لوحة رقم (١٣١) تبين مسجد العسقلاني بمدينة ملوى ويرجع إلى
القرن الثامن عشر



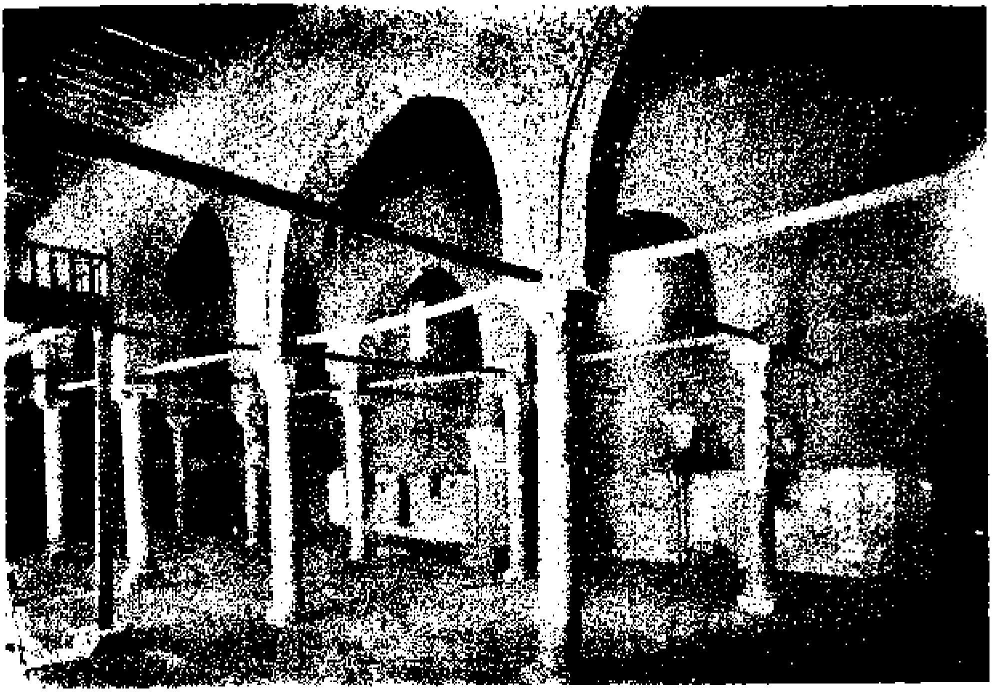
لوحة رقم (١٣٢) المسجد من الخارج (الطرطوشي)



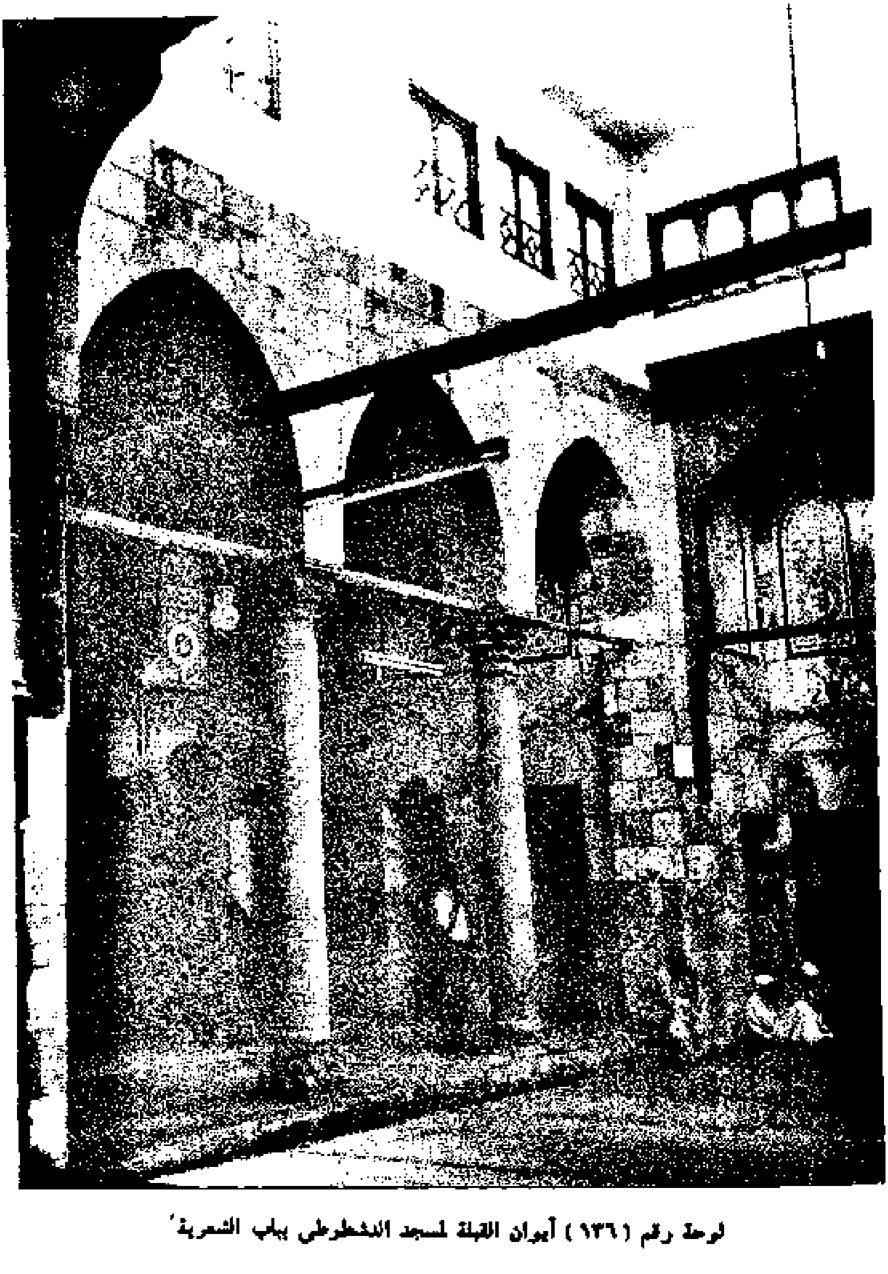
لوحة رقم (١٣٣) صحن مسجد الشطوطي بباب الشعرية



لوحة رقم (١٣٤) تبين صحن جامع مدينة هو ومئذنته تعلو الرواق الغربي



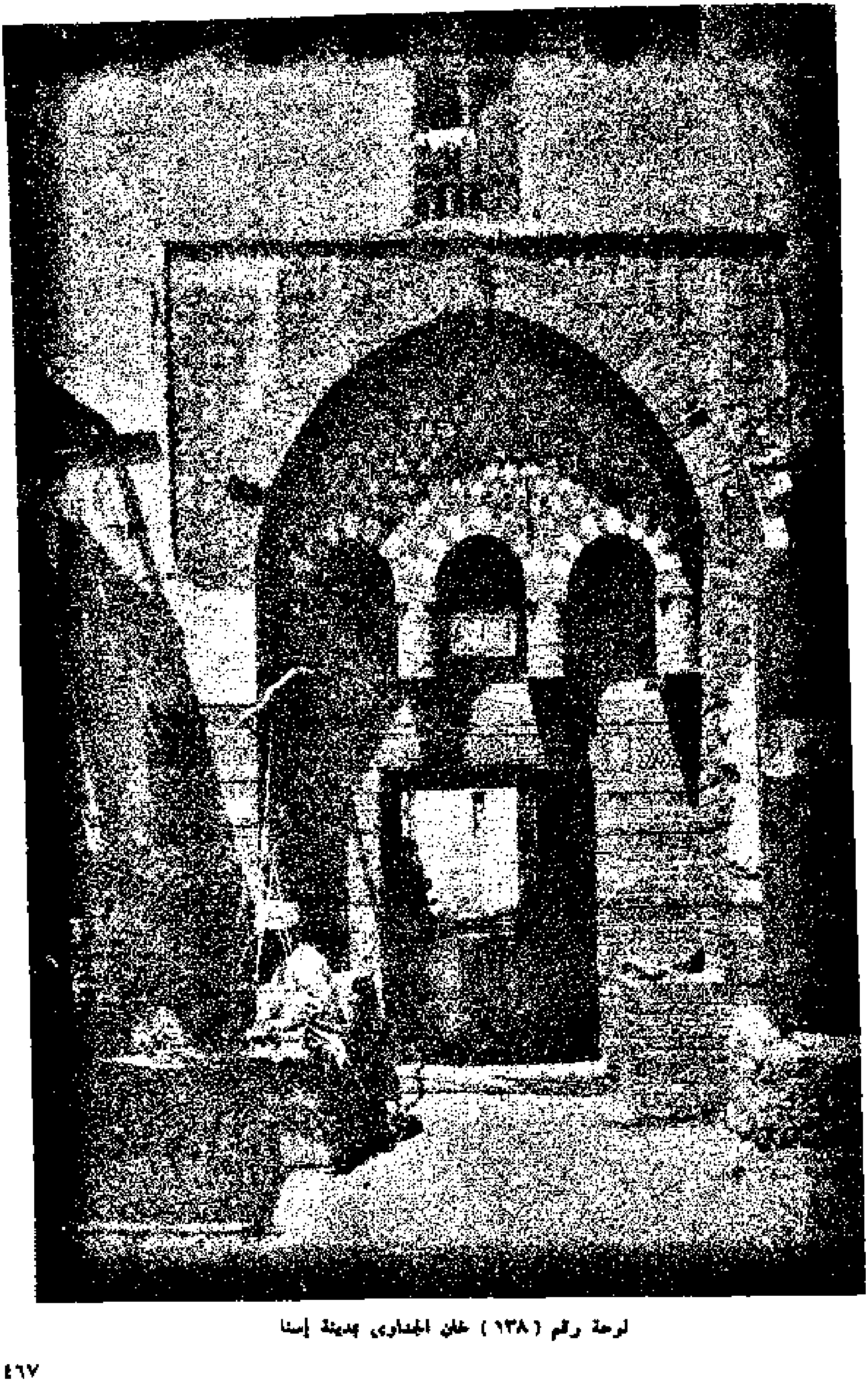
لوحة رقم (١٢٥) تبين رواق القبلة في مسجد مدينة قفط



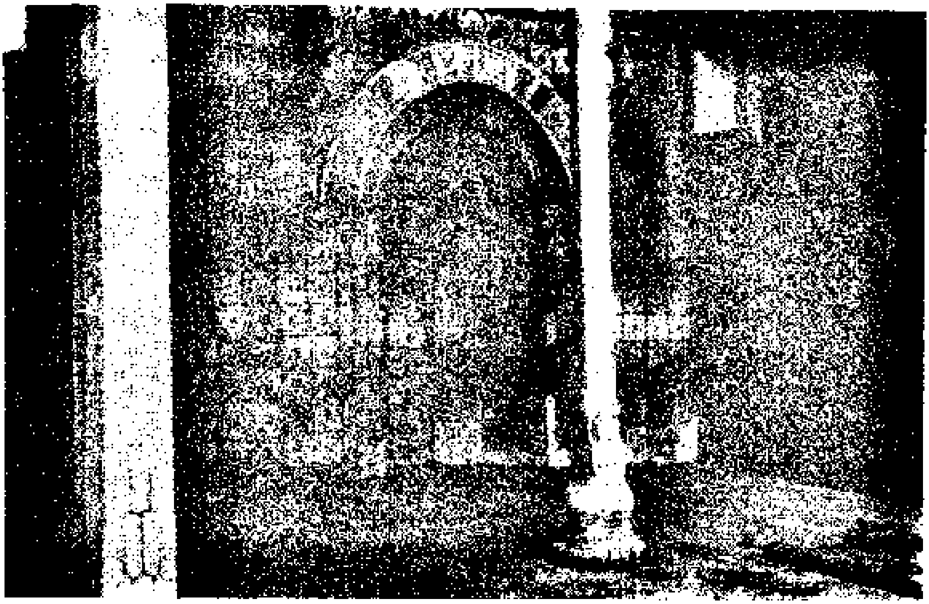
لوحة رقم (١٣٦) أيوان القبلة لمسجد الشطوطي بباب الشعرية



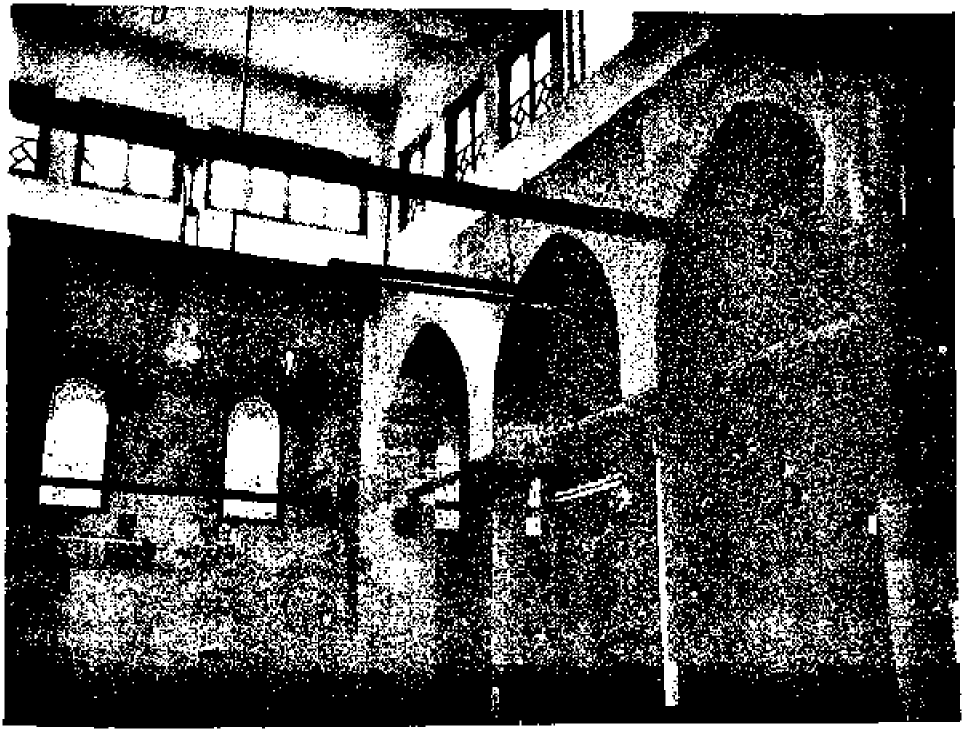
لوحة رقم (١٣٧) الايوان الغربي المقابل للقبلة صحن مسجد
الشطوطي بباب الشعرية



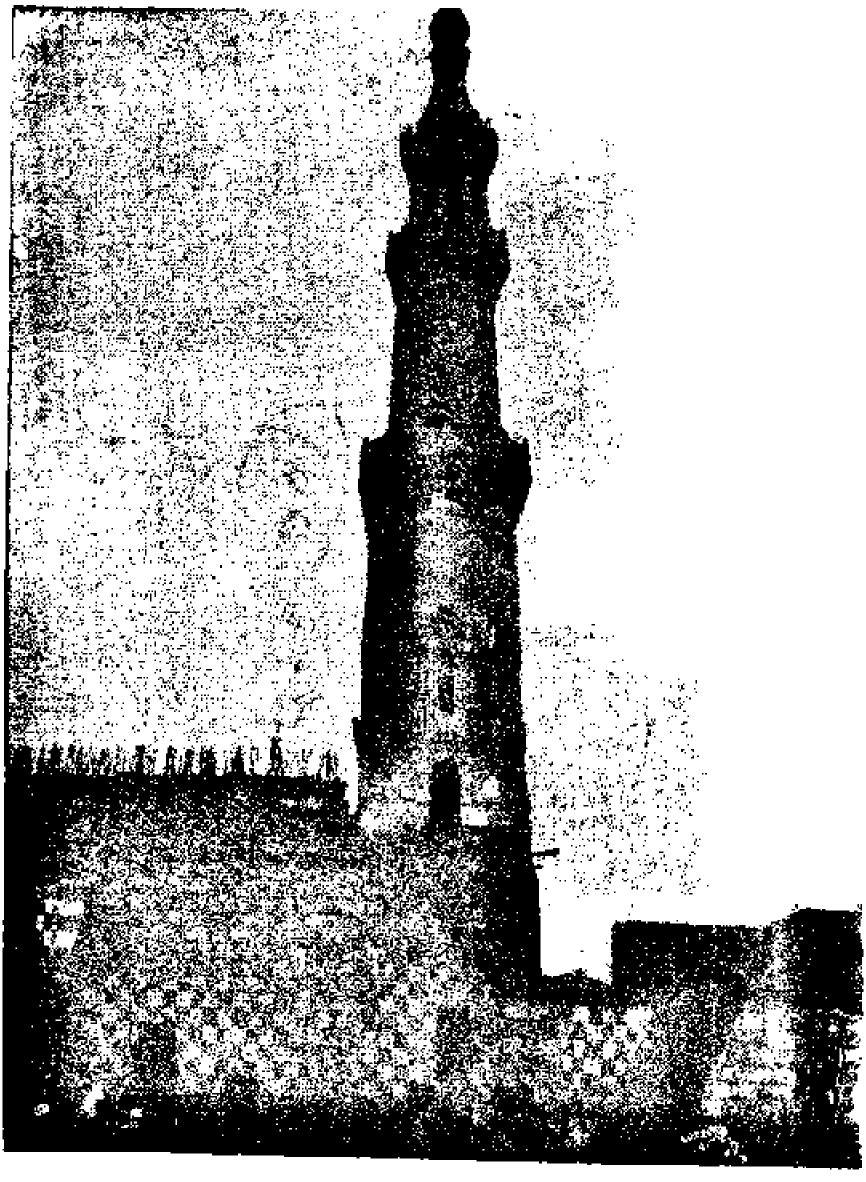
لوحة رقم (١٣٨) خان الجداوي بمدينة إسنا



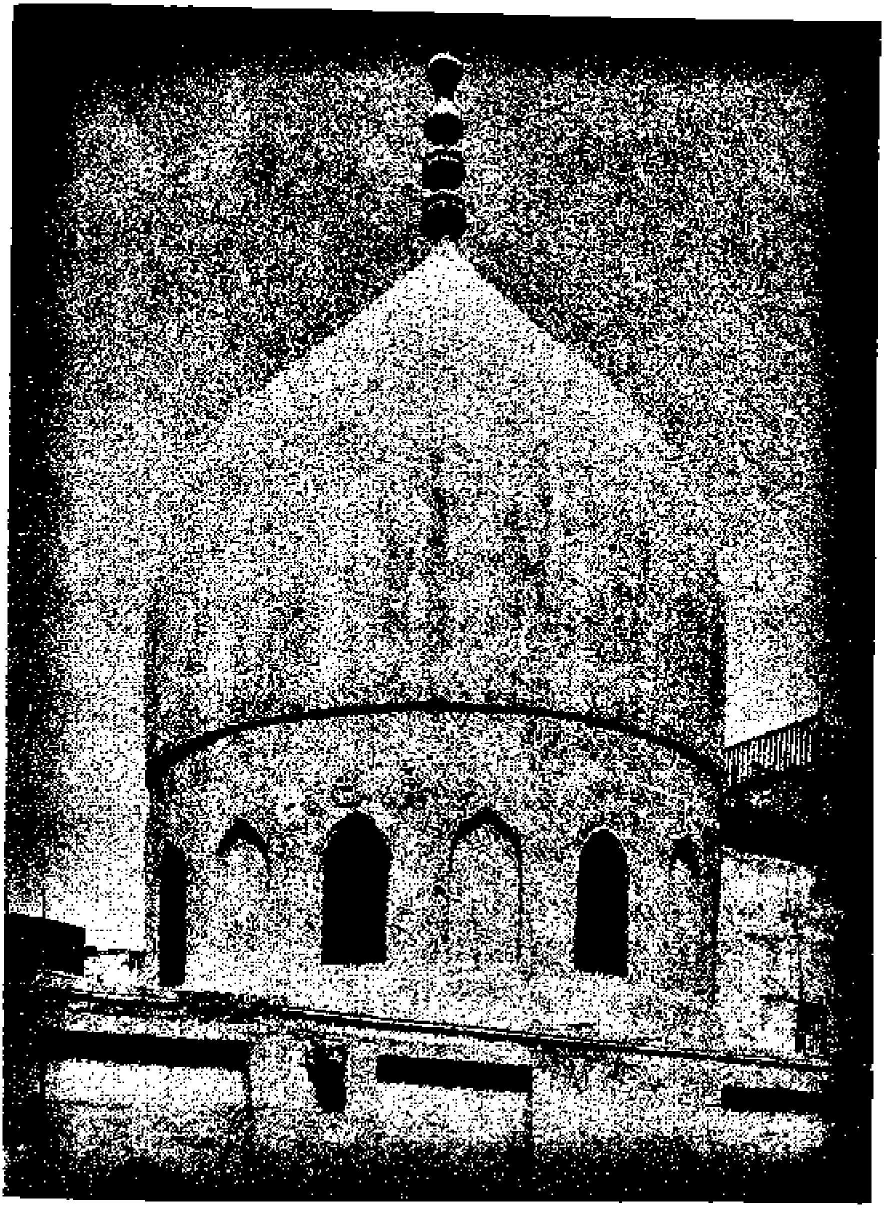
لوحة رقم (١٣٩) تبين رواق القبلة ومحراب الجامع الصيني بمدينة
جرجا وقد عرف بهذا الاسم لأن جدرانه مغشاة
ببلاطات القاشاني



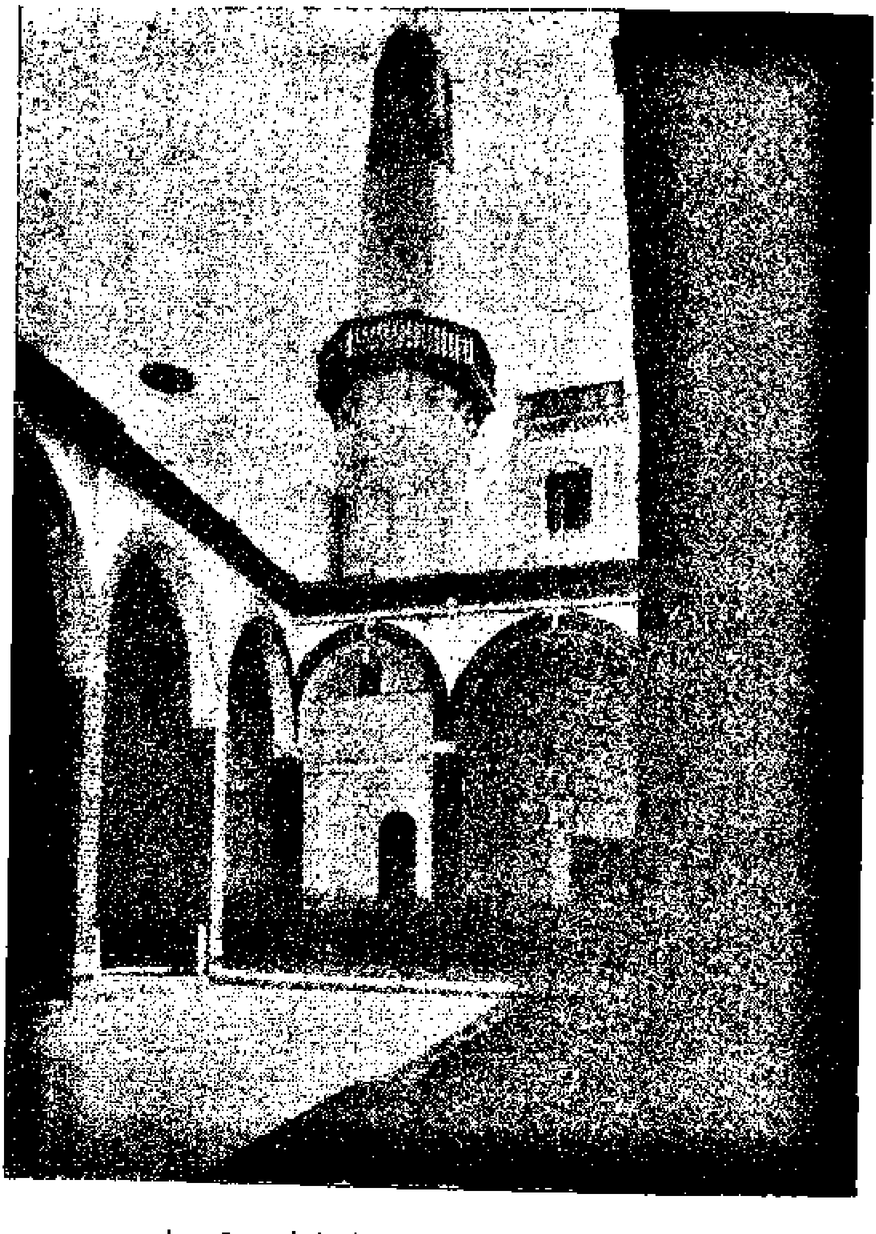
لوحة رقم (١٤٠) الايوان الشمالي لمسجد الدشطوطي بباب الشعرية



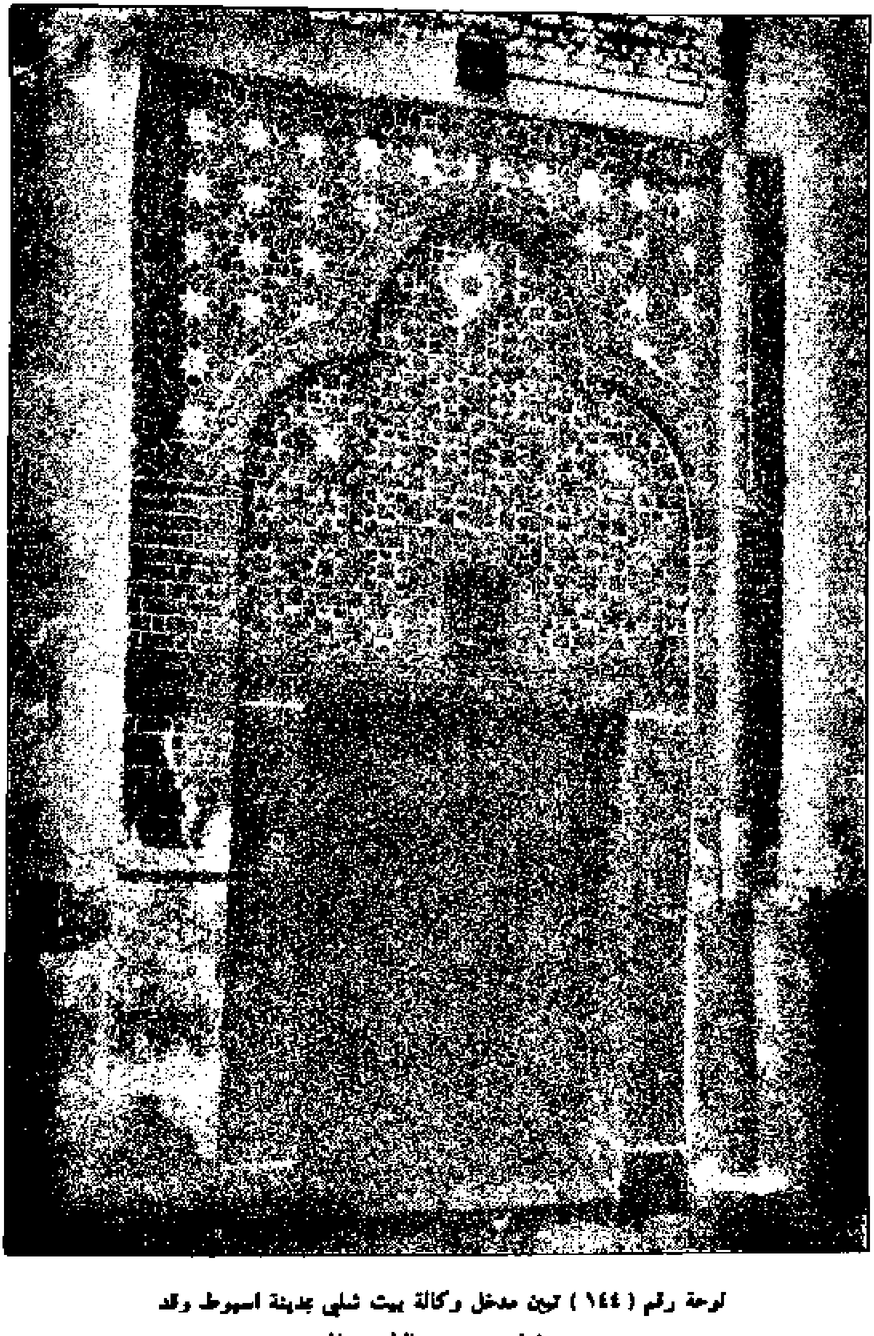
لوحة رقم (١٤١) تبين منارة مسجد المتولى بمدينة جرجا



لوحة رقم(١٤٢) قبة الشطرطي



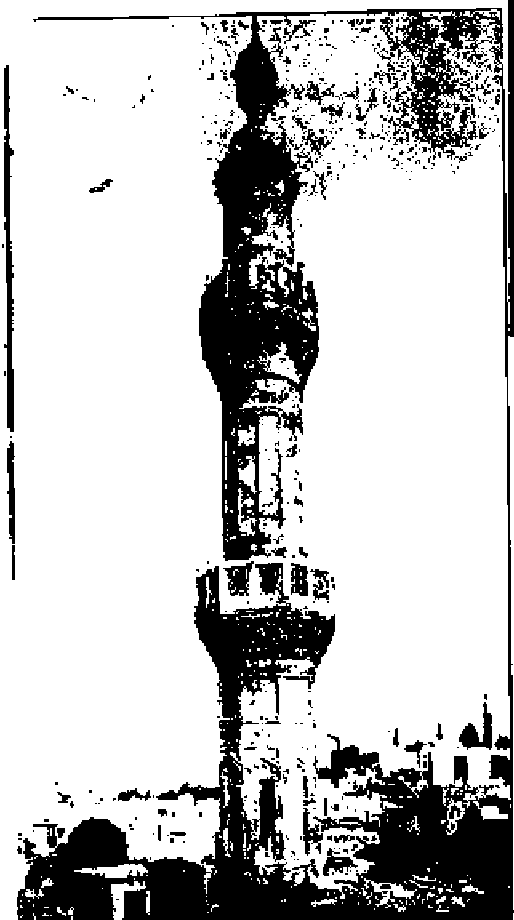
لوحة رقم (١٤٣) تبين صحن جامع الدشطوطى بمدينة سوهاج



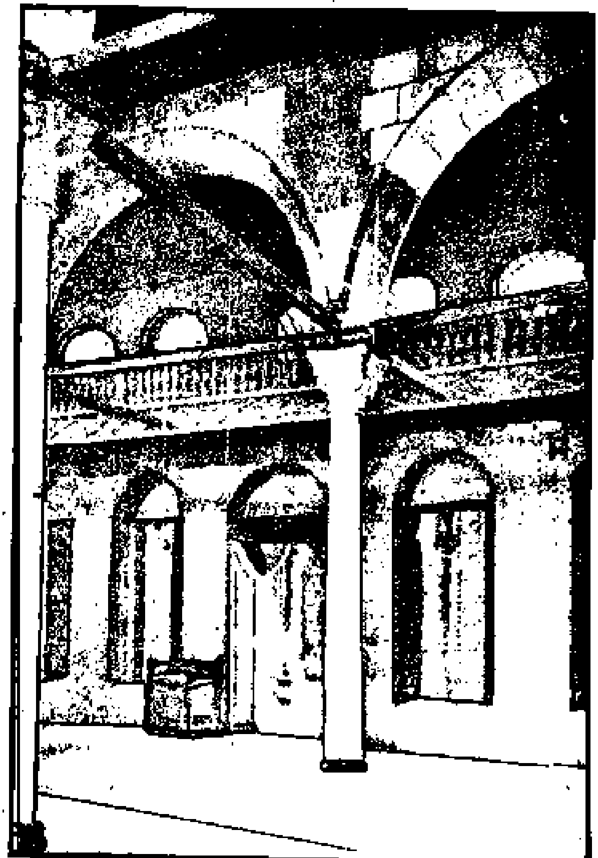
لوحة رقم (١٤٤) تبين مدخل وكالة بيت شلبي بمدينة اسيوط وقد زخرفت وجهته بالطوب المنجور



لوحة رقم (١٤٥) تبين قبة مسجد حسن باشا طاهر

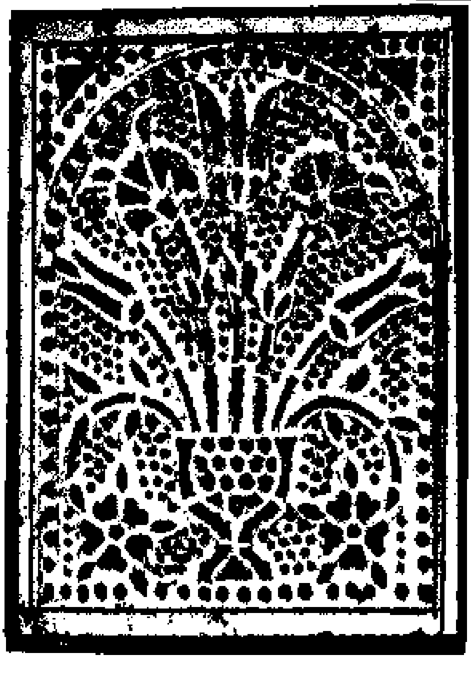


لوحة رقم (١٤٦) تبين المنارة لمسجد حسن باشا طاهر



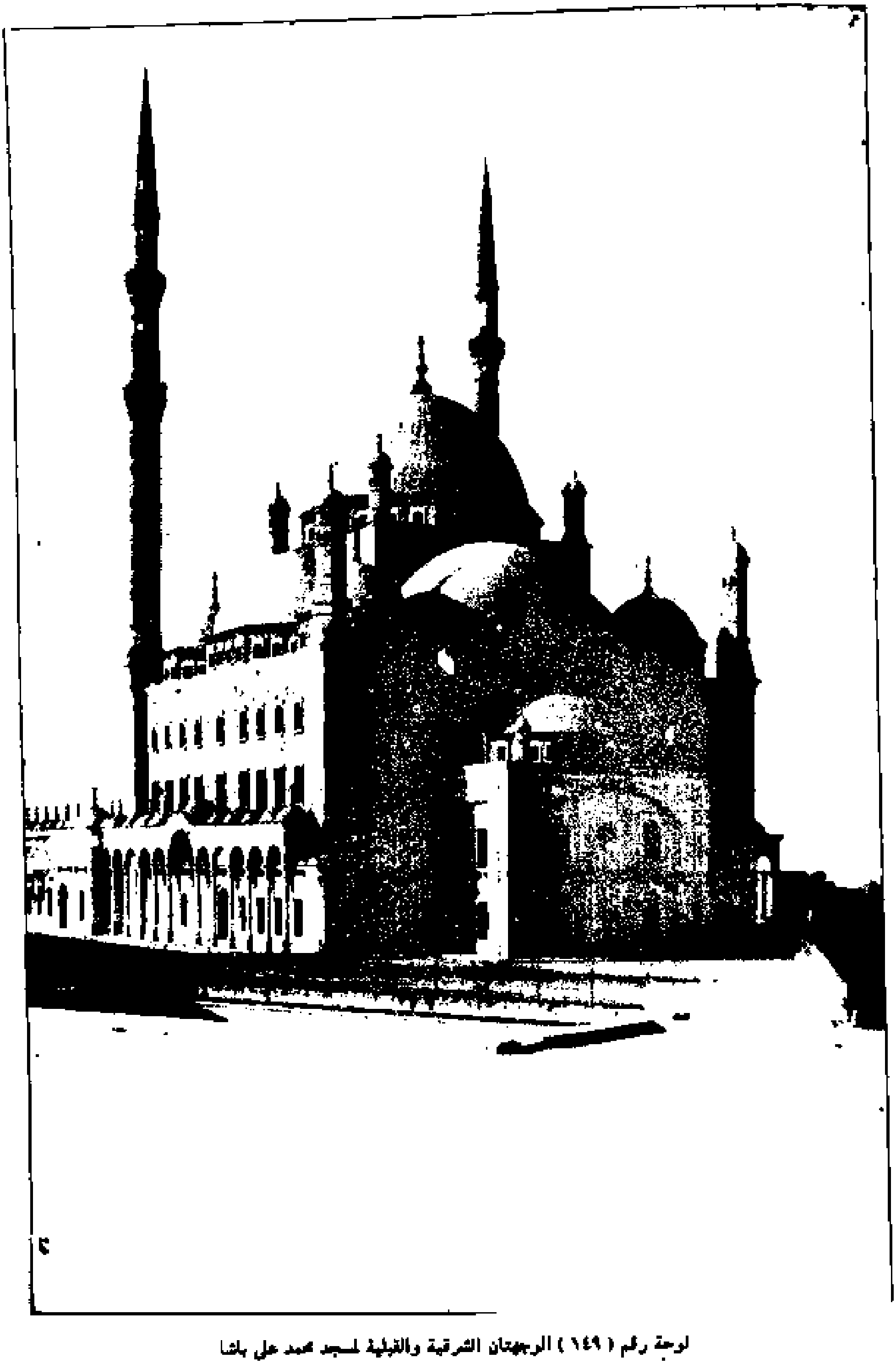
لوحة رقم (١٤٧)

داخل مسجد سليمان آغا السلحدار

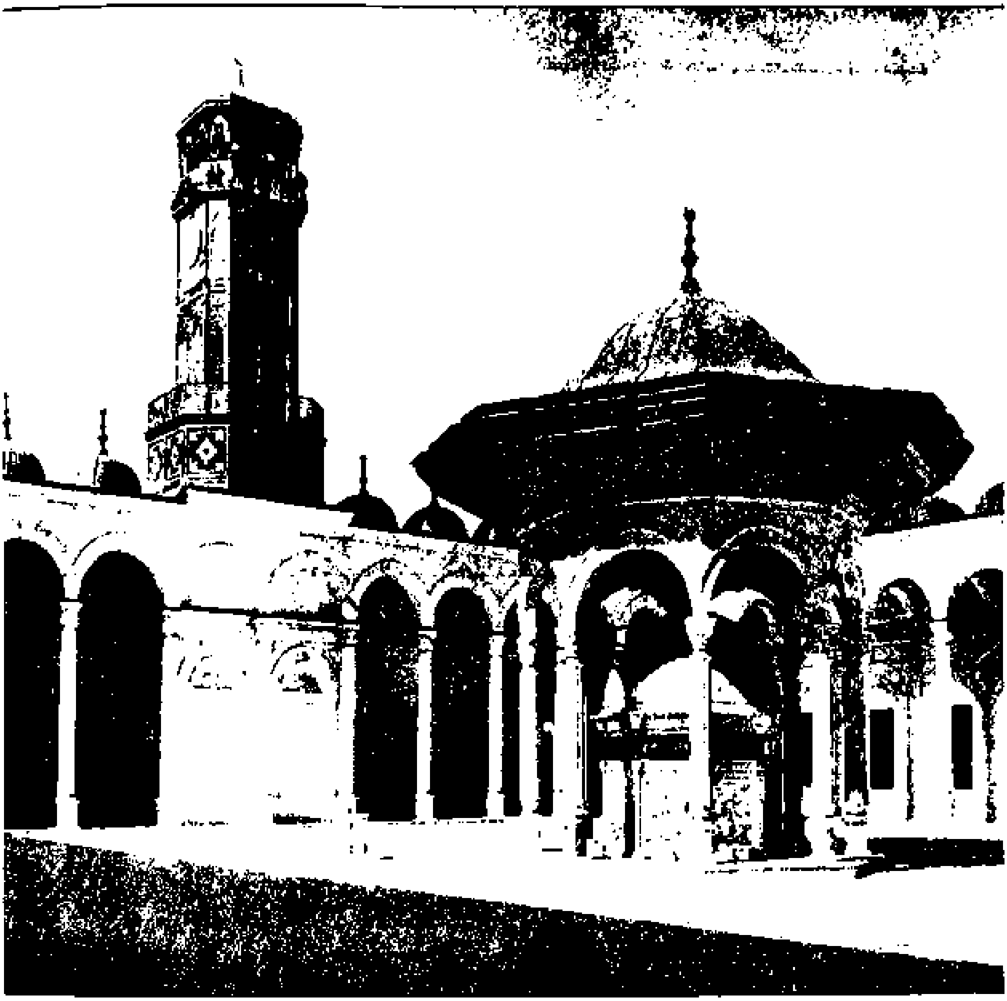


لوحة رقم (١٤٨)

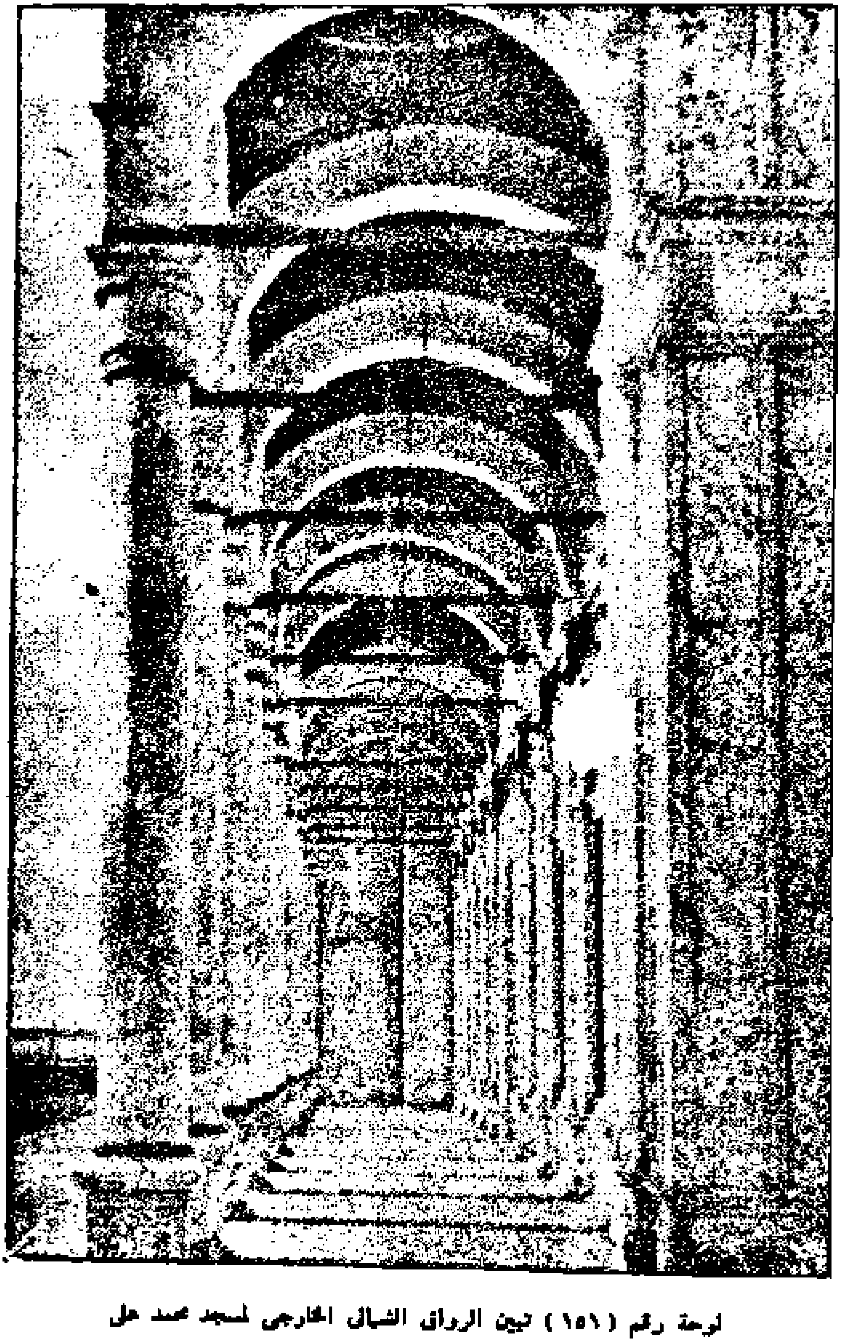
تبين زخرفة ترابلا مسجد سليمان أغا السلحدار



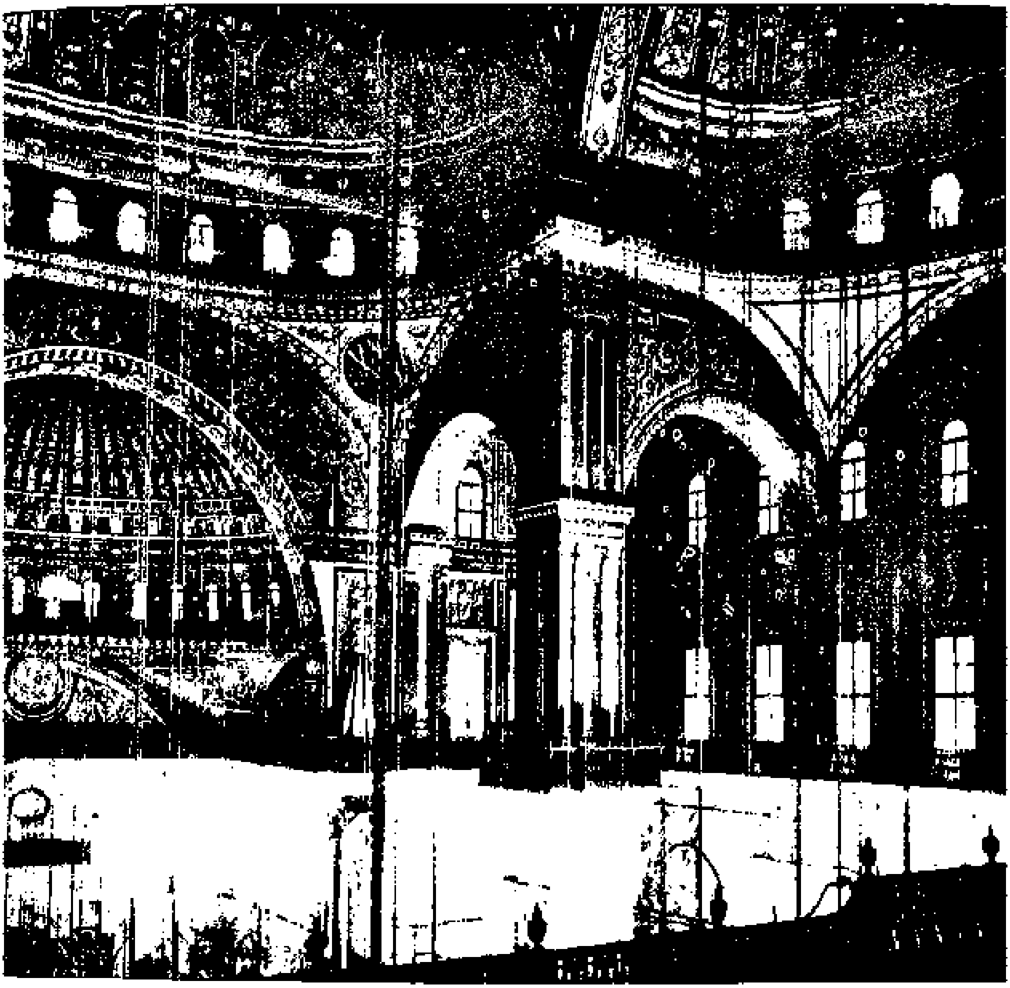
لوحة رقم (١٤٩) الوجهتان الشرقية والقبلية لمسجد محمد علي باشا



لوحة رقم (١٥٠) الوجهة الغربية للصحن وبها برج الساعة لمسجد
محمد على باشا الكبير



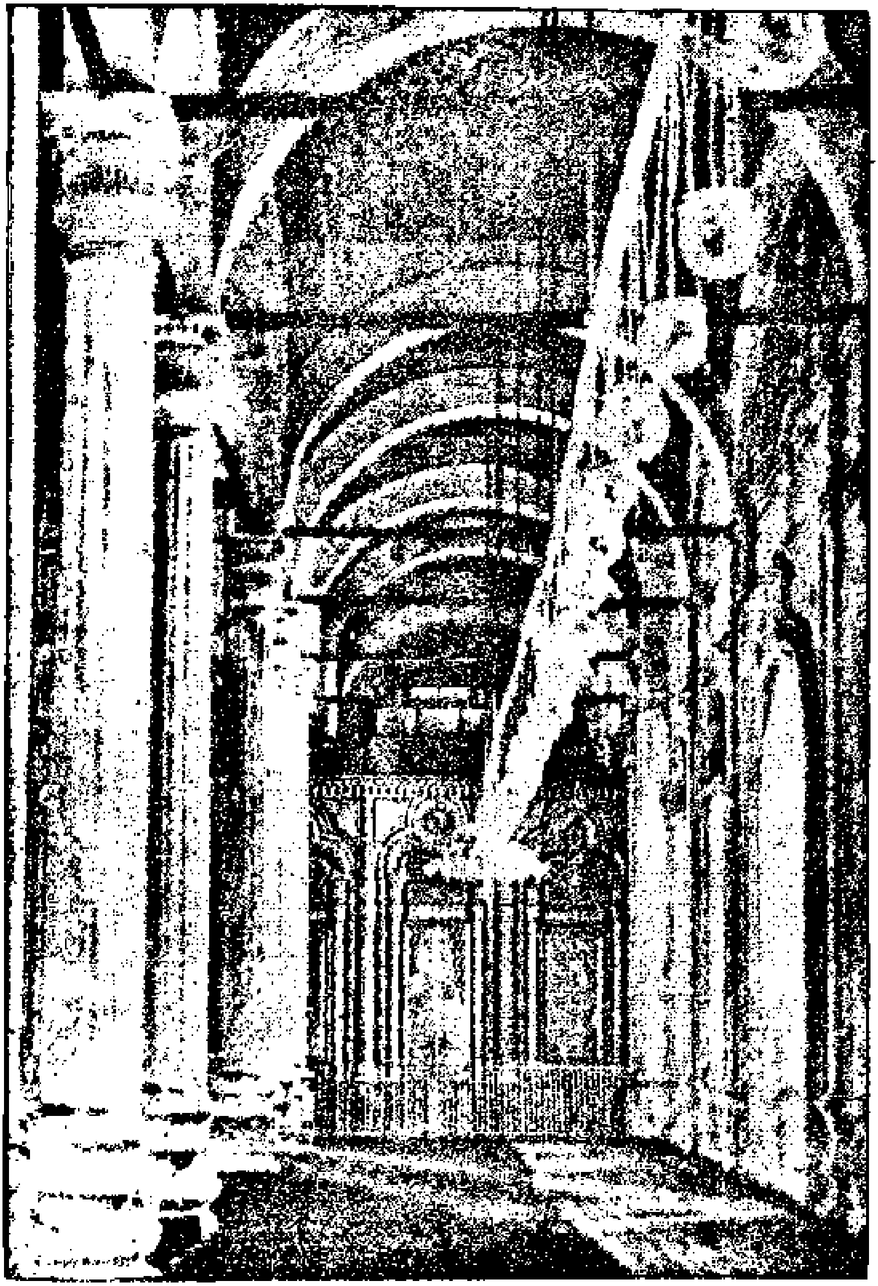
لوحة رقم (١٥١) تبين الرواق الشمالي الخارجي لمسجد محمد علي
باشا الكبير



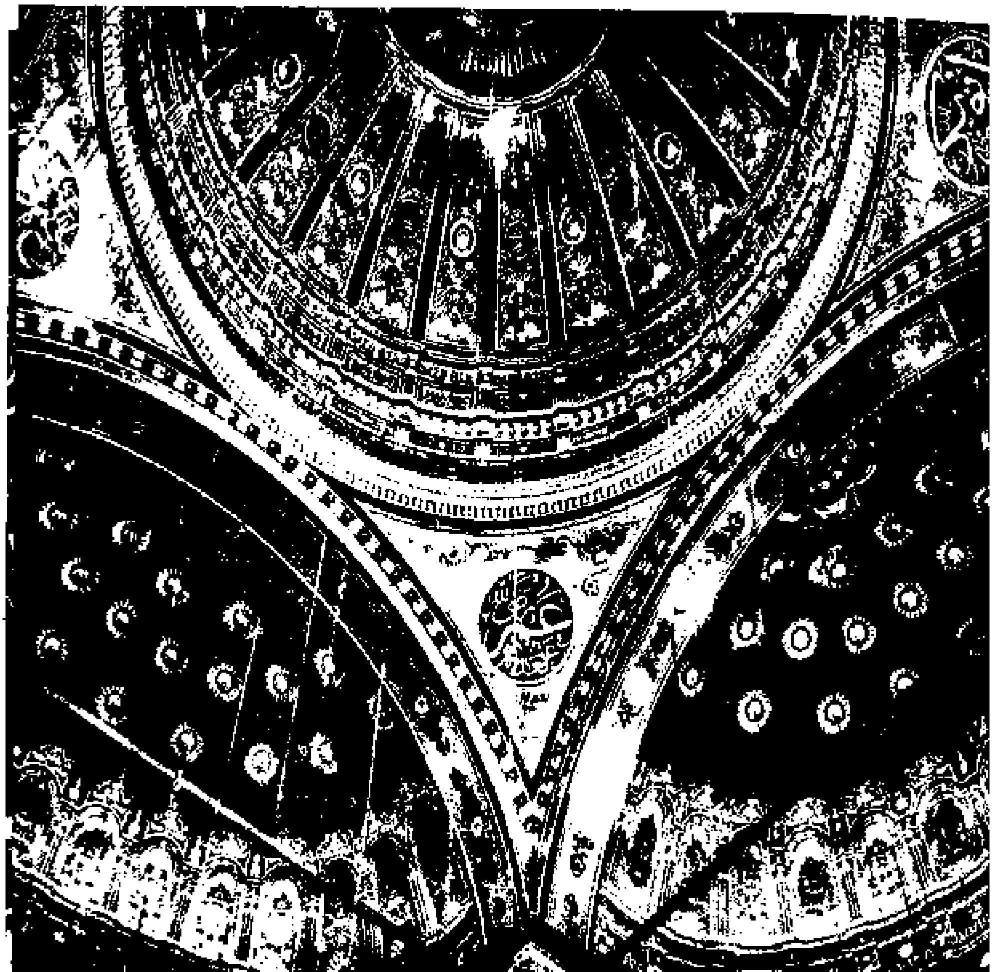
لوحة رقم (١٥٢) داخل المسجد (الجناح الشرقي القبلي) لمسجد محمد
علي باشا الكبير



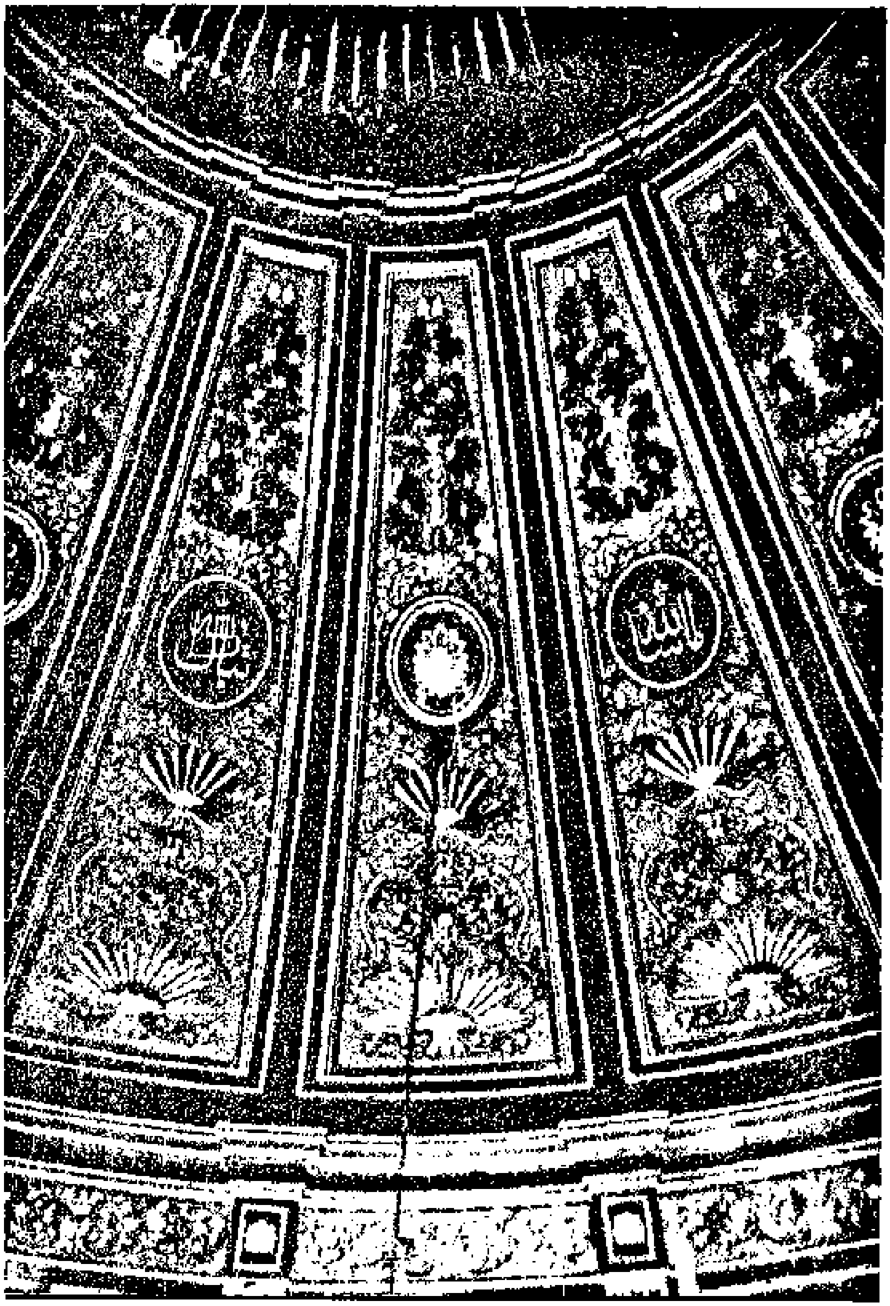
لوحة رقم (١٥٣) منبر الفاروق لمسجد محمد علي باشا الكبير



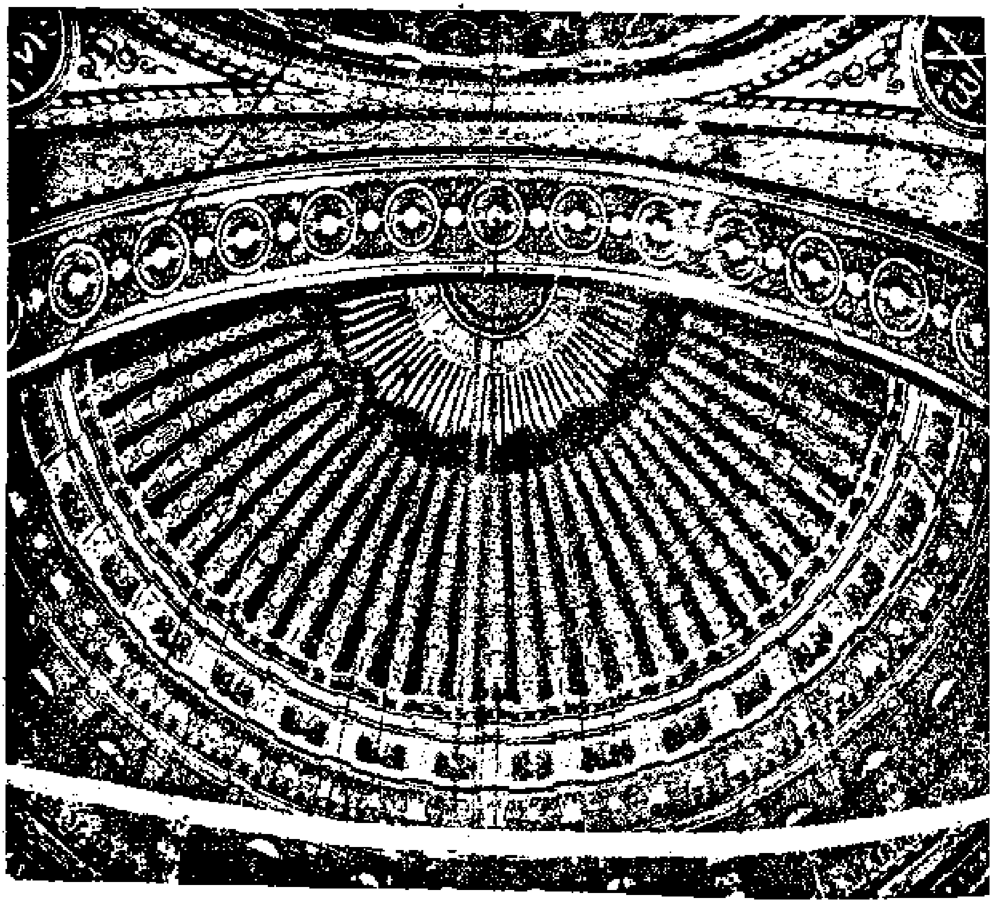
لوحة رقم (١٥٤) الرواق الغربي لمسجد محمد علي باشا الكبير.



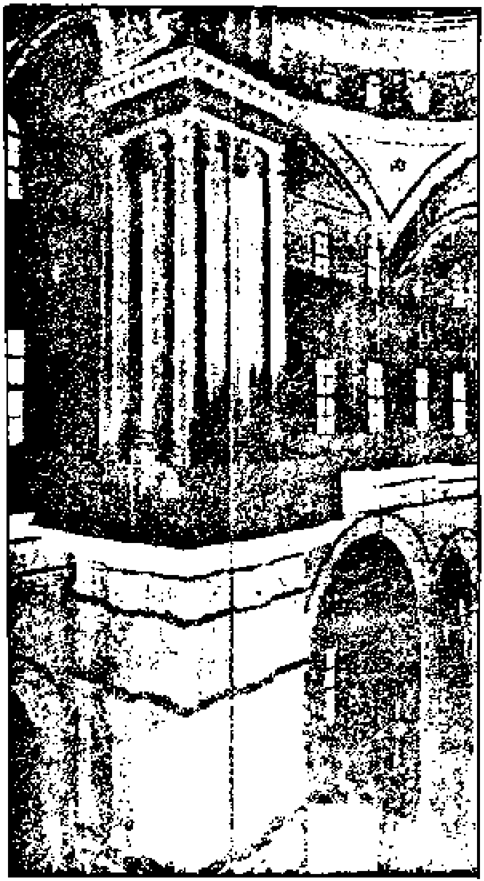
لوحة رقم (١٥٥) القبة الكبيرة وأنصاف القباب حولها لمسجد محمد
علي باشا الكبير



لوحة رقم (٦٥٦) تفاصيل من زخارف القبة الكبيرة لمسجد محمد
علي باشا الكبير

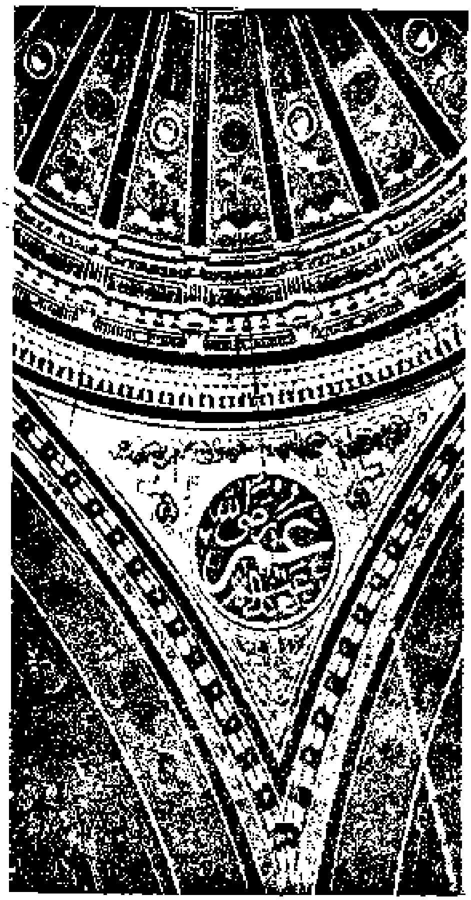


لوحة رقم (١٥٧) زخارف نصف القبة أعلى المحراب لمسجد محمد علي باشا الكبير

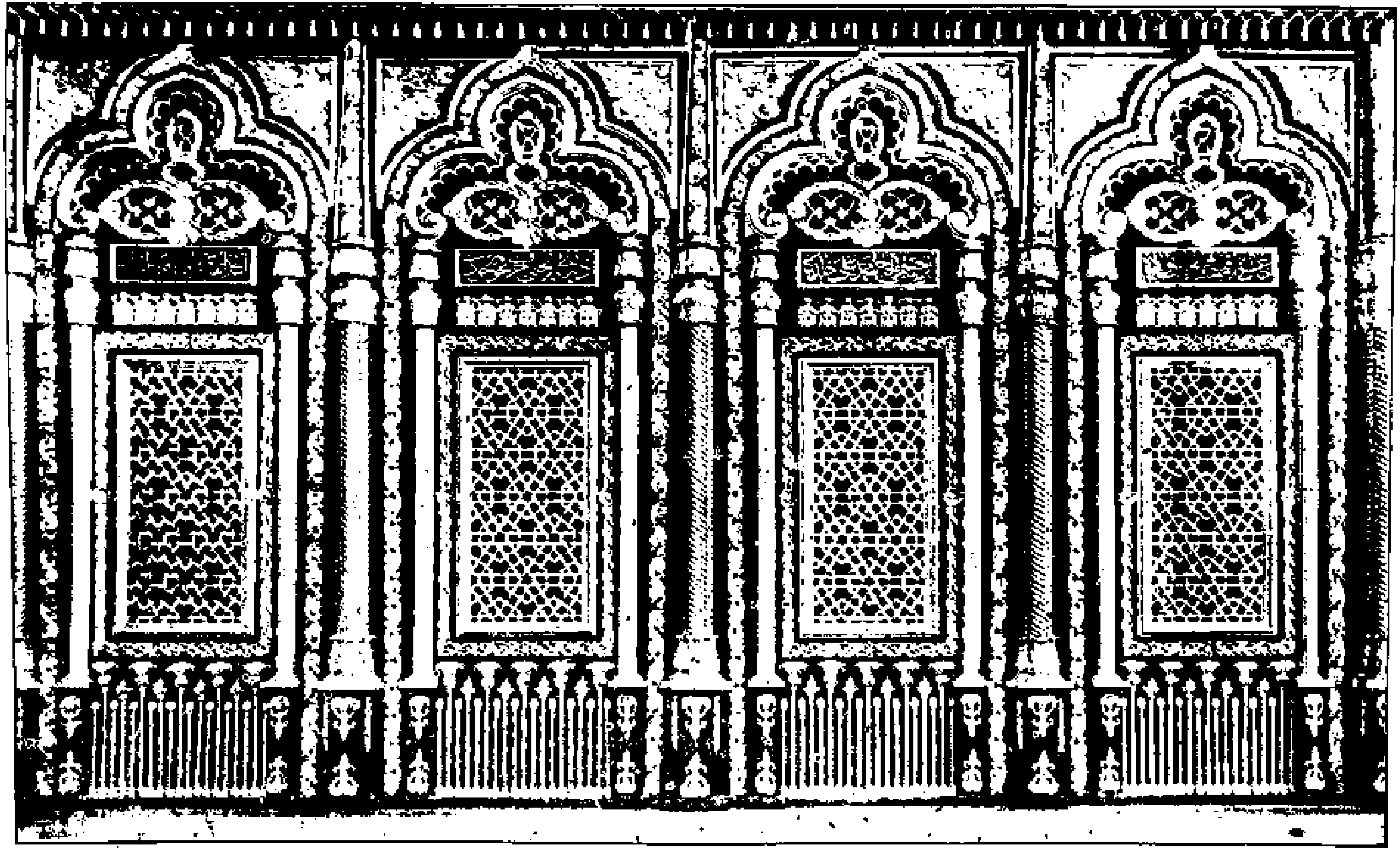


لوحة رقم (١٥٨)

أحد أركان القبة الكبيرة لمسجد محمد علي باشا



لوحة رقم (١٥٩) داخل مسجد محمد علي باشا الكبير



لوحة رقم (١٦٠) المقصورة النحاسية حول قبر المغفور له محمد علي باشا



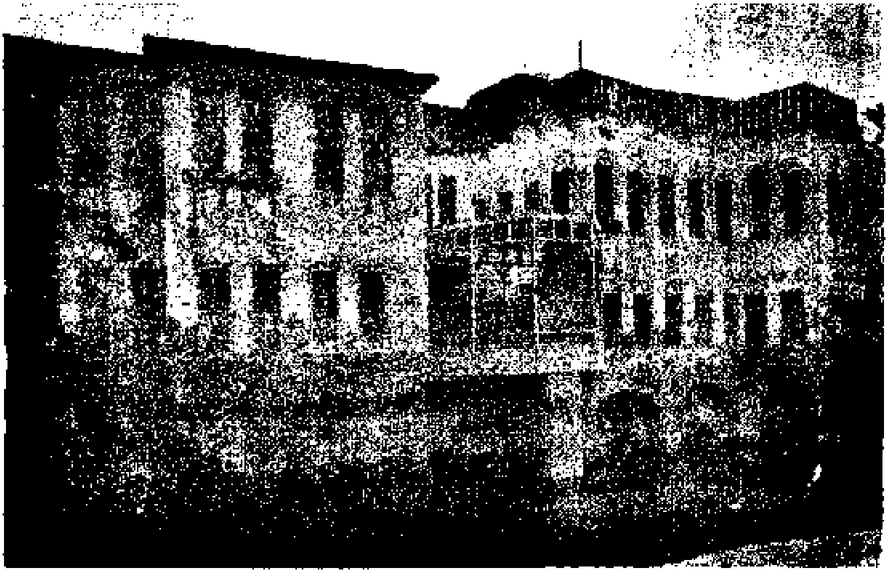
لوحة رقم (١٦١) تبين مئذنة مسجد الكاشف بمحافظة سوهاج



لوحة رقم (١٦٢) تبين المدخل الرئيسي للجــامع الكبير بمدينة
فارسكور



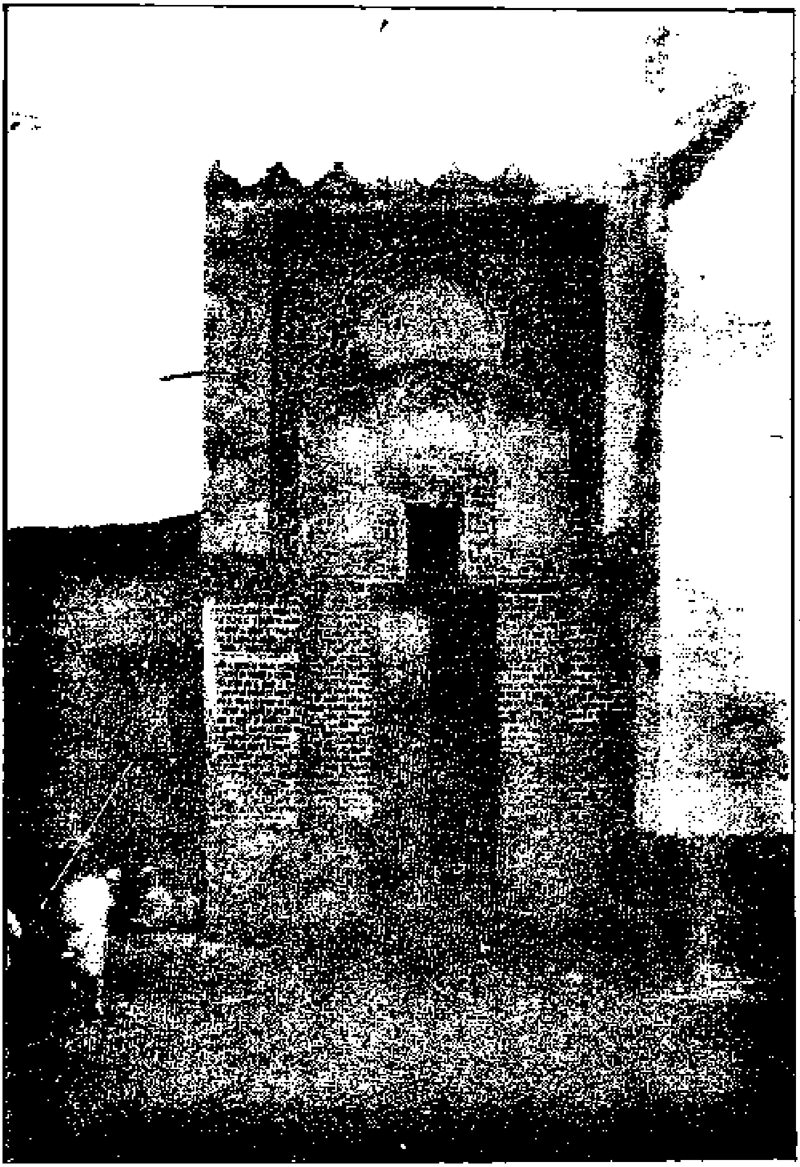
لوحة رقم (١٦٣) تبين فيه الضريح الحسيني بفارسكور



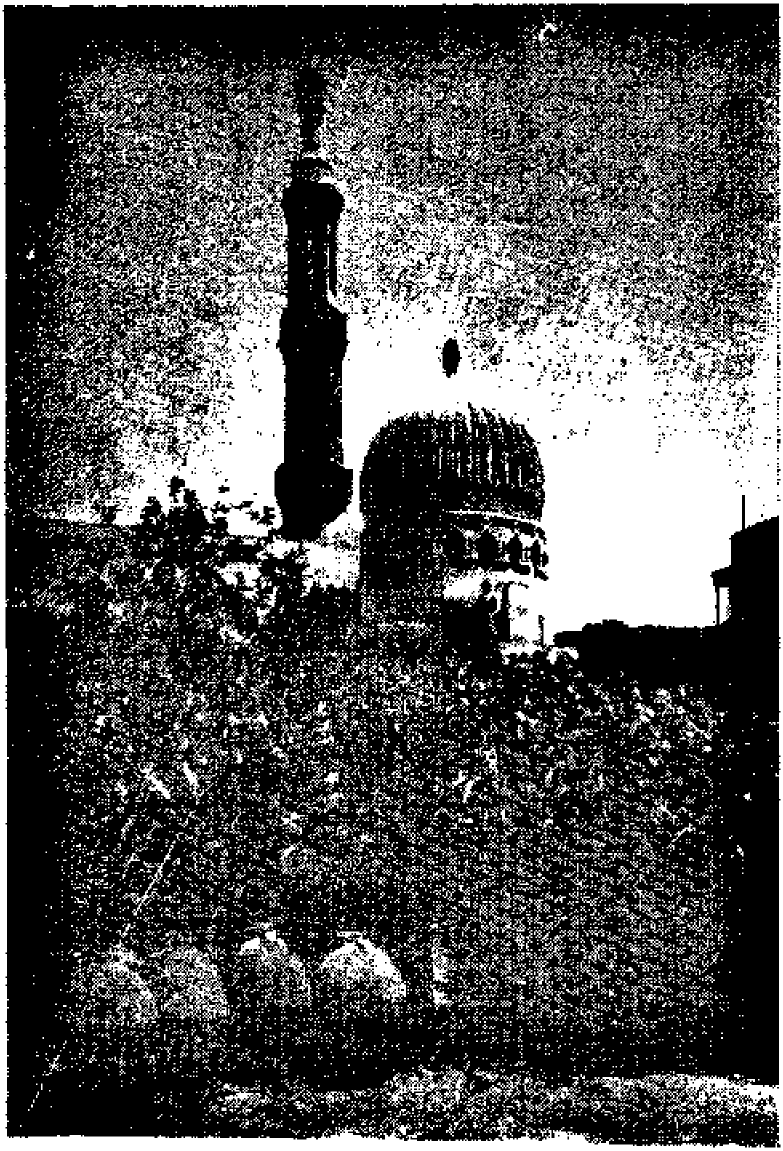
▲ لوحة رقم (١٦٤) تبين منزل الحاج جلى طوبار بمدينة المنزلة ويرجع
تاريخ إنشائه إلى القرن التاسع عشر



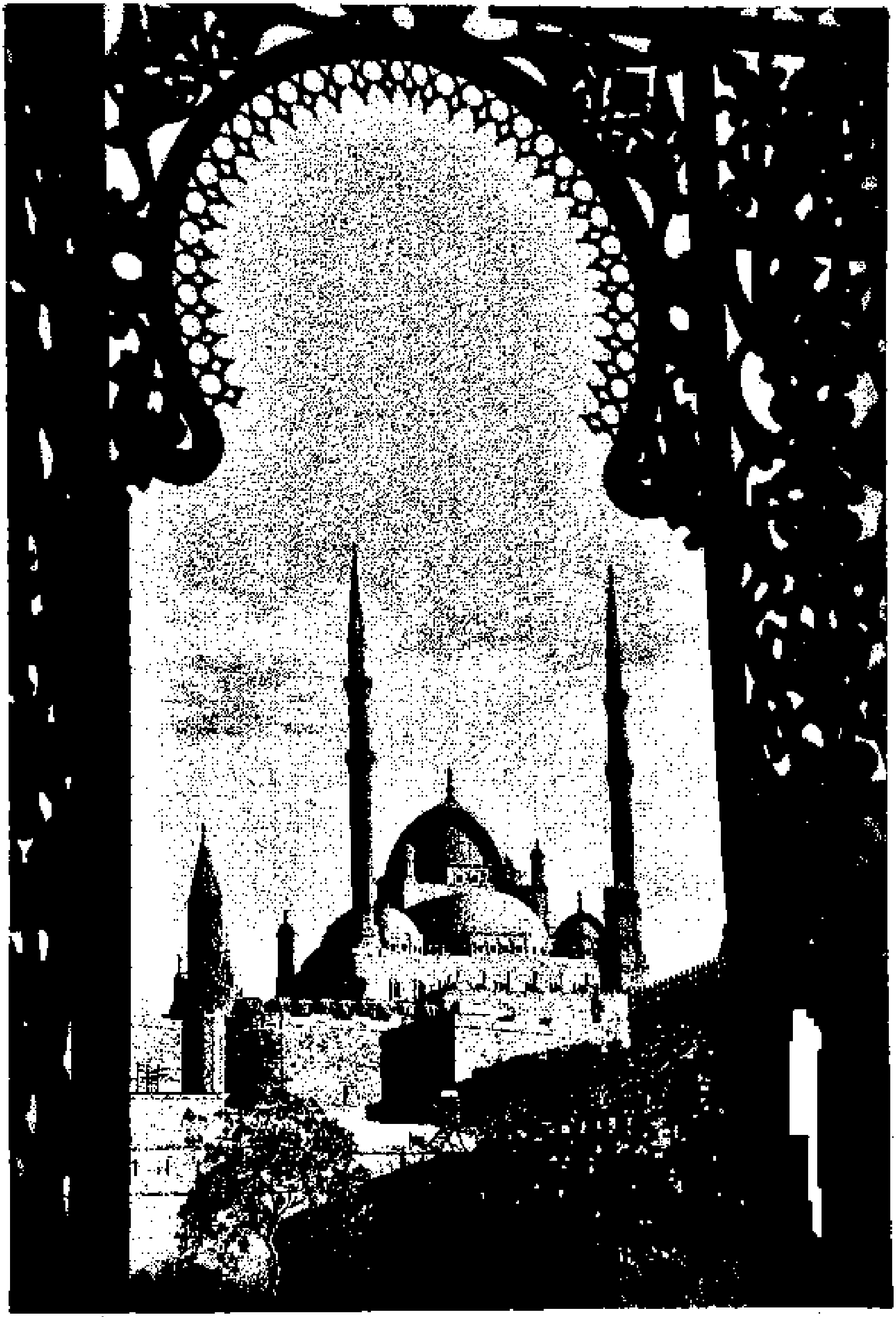
لوحة رقم (١٦٥)
تبين واجهة مسجد العمرى البرج (البرلس
سابقا) محافظة كفر الشيخ



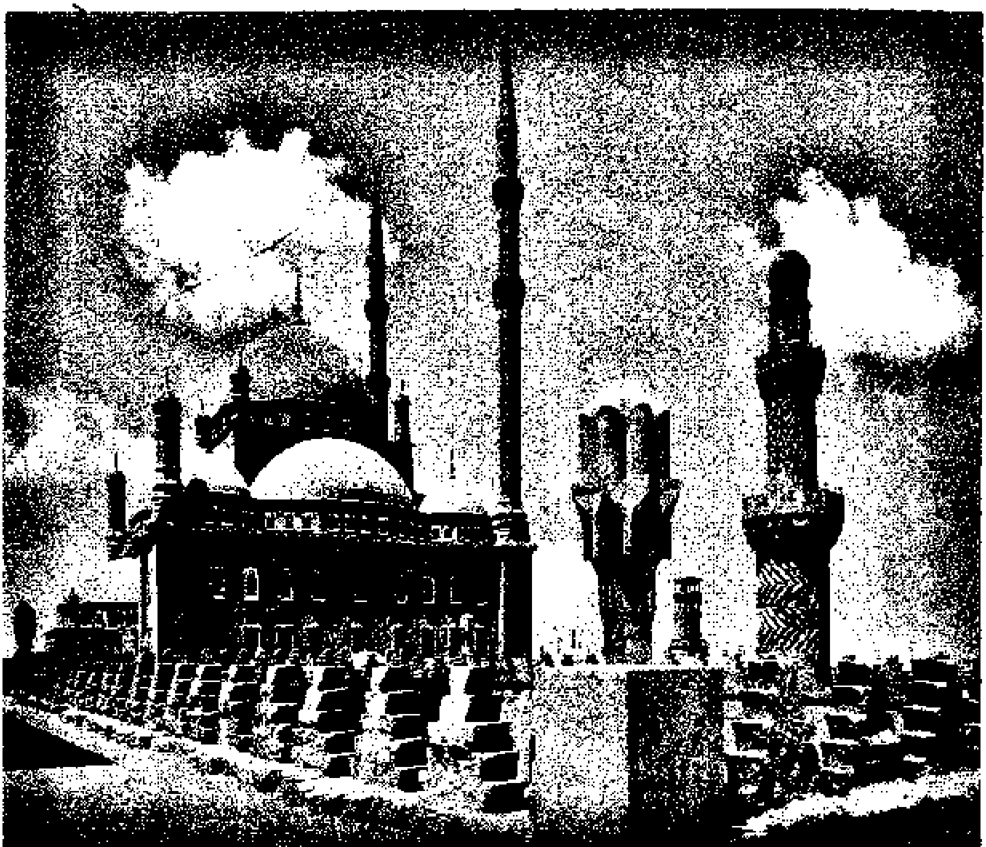
لوحة رقم (١٦٦) تبين المدخل الرئيسي لمسجد عامر بمدينة دبي



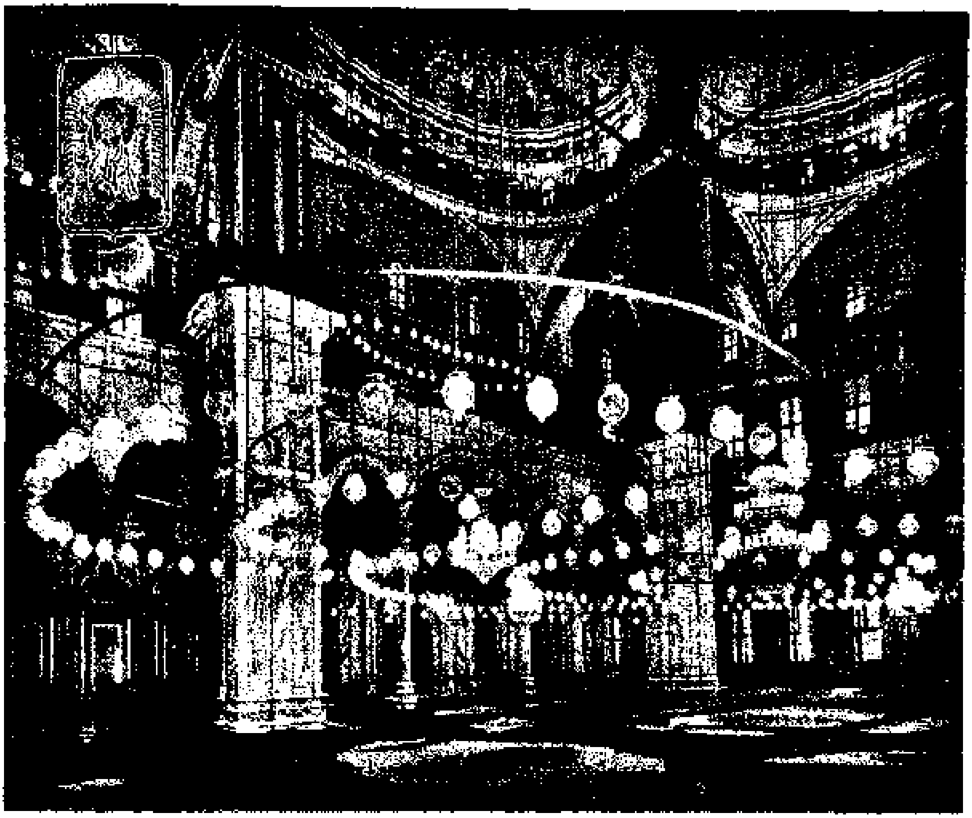
لوحة رقم (١٦٧) تبين قبة الشيخ عنبر



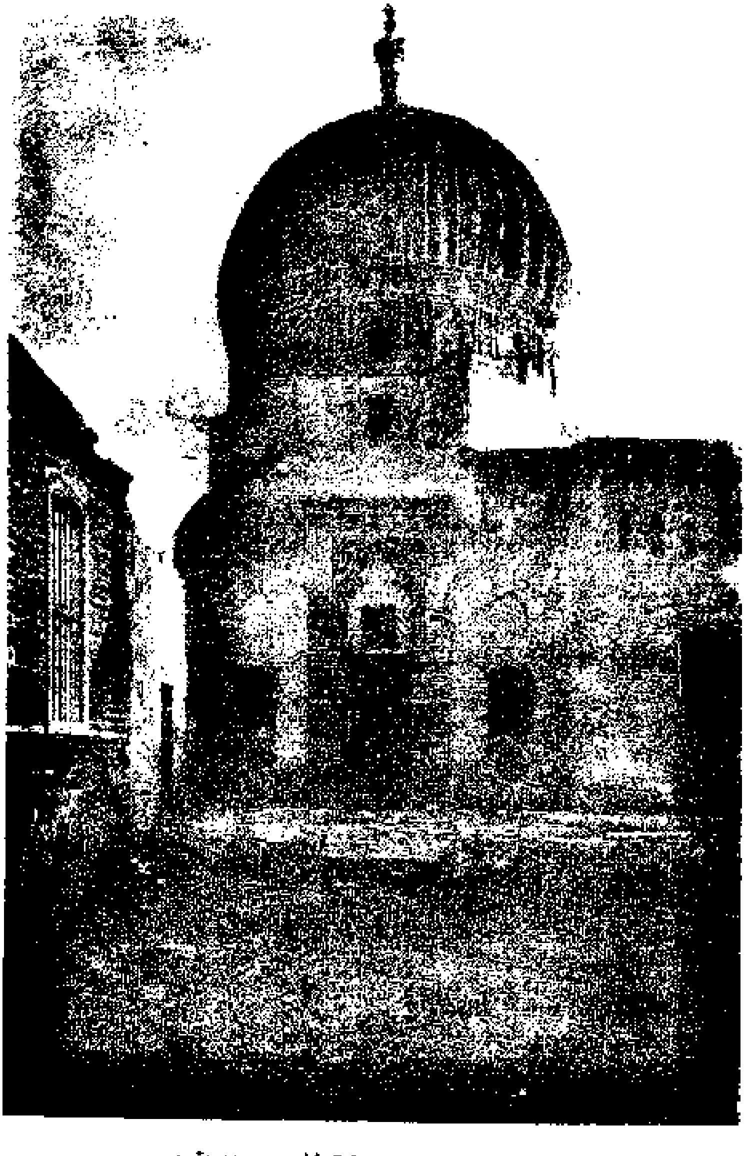
اللوحة رقم (١٦٨) منظر خارجي لجامع محمد علي



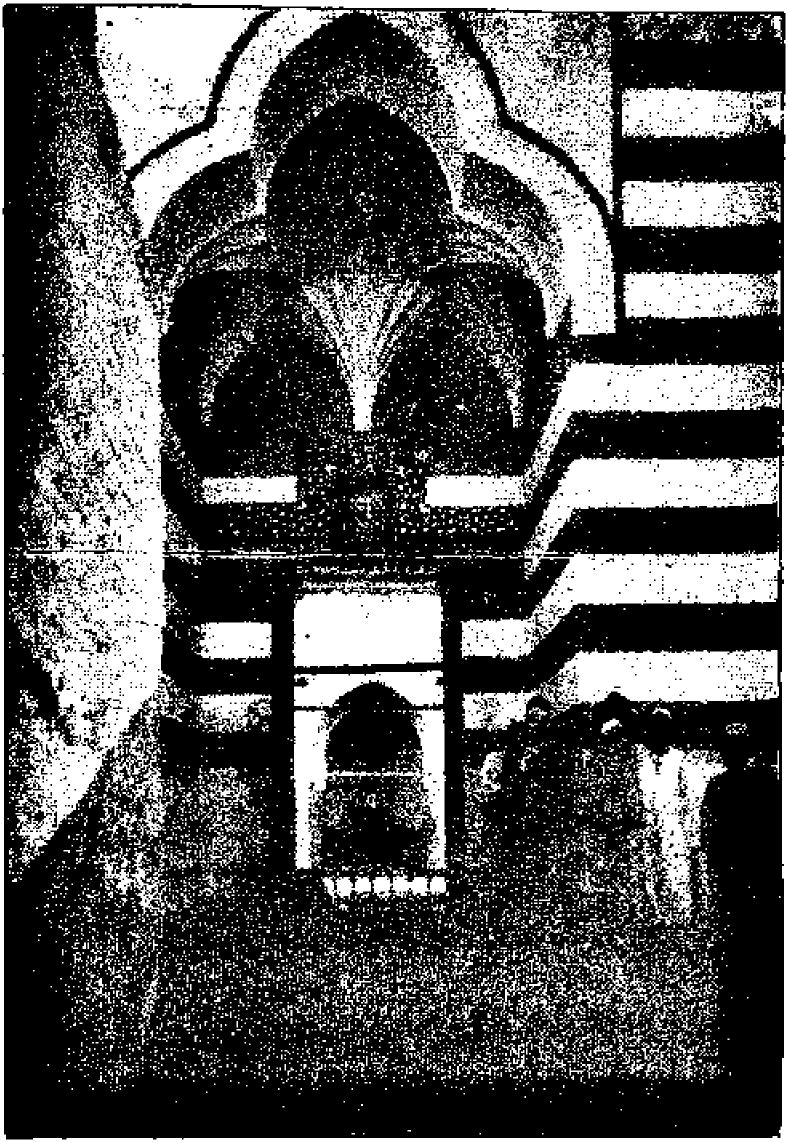
لوحة رقم (١٦٩) جامع القلعة



لوحة رقم (١٧٠) مكان الصلاة بجامع محمد علي



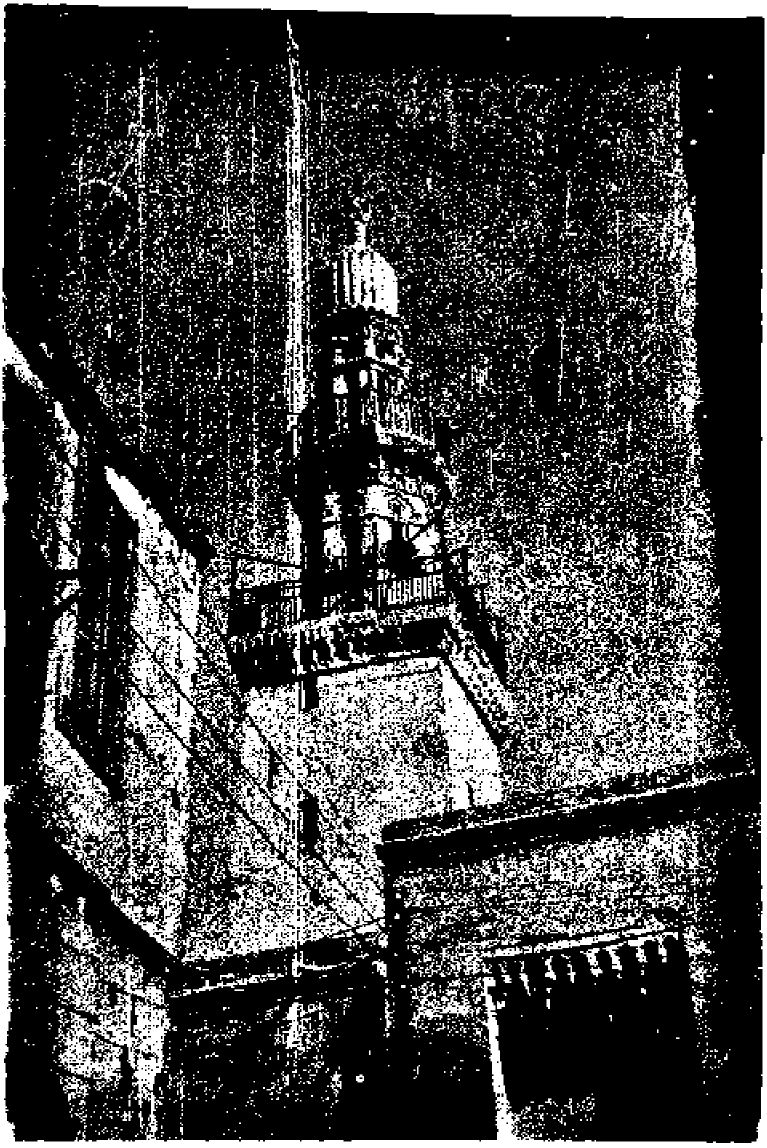
لوحة رقم (١٧١) تبين قبة المرزجى بمدينة دبى



لوحة رقم (١٧٢) تبين واجهة مسجد العمري بمحلة مرحوم بمركز طنطا ويرجع إلى القرن السابع عشر



لوحة رقم (١٧٣) المدخل الرئيسى للجامع العمرى بالمحلة الكبرى



لوحة رقم (١٧٤) مئذنة الجامع العمرى



لوحة رقم (١٧٥) مدخل جامع المتولي بالمحلة الكبرى



لوحة رقم (١٧٦) مئذنة جامع المتولى بالمحلة الكبرى

الفهارس

فهرس الأشكال

فهرس اللوحات

لوحة رقم (٢٤) المحراب والمنبر بايوان القبلة بمدرسة خاير بك من الداخل

لوحة رقم (٢٥) (الايوان الغربى المقابل لايوان القبلة تتصدره دكة المبلغ بمدرسة خاير بك

لوحة رقم (٢٦) قبو مروحى يغطى صحن مدرسة خاير بك

لوحة رقم (٢٧) مدرسة خاير بك من الداخل نقلا عن (سنة ١٩٠٣ Franz) توضح القبو المروحى الذى يغطى وسط المدرسة

لوحة رقم (٢٨) القبة الكبرى بمدفن مدرسة خاير بك وقد فتحت فى قبتها ستة عشرة نافذة وكتب فى قطبها نص قرآنى

لوحة رقم (٢٩) منطقة الانتقال بقبة خاير بك

لوحة رقم (٣٠) القبة الصغيرة من الداخل الملحقة بمدرسة خاير بك

لوحة رقم (٣١) شريط من الكتابة المحيط بدكة المبلغ وقد سجل فيه تاريخ إنشاء المدرسة سنة ٩٣٧ هـ بالايوان الغربى بمدرسة خاير بك

لوحة رقم (٣٢) النصب التذكارى بمصراع باب مدرسة خاير بك

لوحة رقم (٣٣) زخارف حول رقبة افقية وسط الشريط الكتابى بمسجد خاير بك

لوحة رقم (٣٤) شريط من الكتابة يعلو الوزرة الرخامية المحيطة بجدران مدرسة خاير بك

لوحة رقم (٣٥) شريط كتابى يحتوى على نص قرآنى يحيط بأعلى جدران المدفن الصغير بمدرسة خاير بك

لوحة رقم (٣٦) مشروع تكملة مئذنة مدرسة خاير بك نقلا عن مصلحة الآثار

لوحة رقم (٣٧) الواجهة الشمالية الغربية لزاوية حسن الرومى أو زاوية العمود الذى نراه يشغل الفتحة التى تعلو باب المدخل الرئيسى للزاوية

لوحة رقم (٣٨) مئذنة جامع سليمان باشا

لوحة رقم (٣٩) تبين البلاطات الخزفية بقبة الشيخ مسعود

لوحة رقم (٤٠) تبين البلاطات الخزفية التى تكسو (النقيس) أعلى نوافذ بكية الأمير سليمان

لوحة رقم (٦٦ ، ٦٧) تبين البلاطات الخزفية بمحراب مسجد الملكة صفية
لوحة رقم (٦٨) الكوابيل الساندة التى تحمل قبة الملكة صفية
لوحة رقم (٦٩) مئذنة الملكة صفية
لوحة رقم (٧٠) تبين صحن المسجد اليوسفى بمدينة ملوى ومئذنته ويرجع إلى العصر العثمانى
لوحة رقم (٧١) تبين مئذنة مسجد الأمير حماد بمدينة ميت غمر
لوحة رقم (٧٢) تبين ايوان القبلة بمسجد الأمير حماد بميت غمر ويرجع إلى القرن السابع عشر
لوحة رقم (٧٣) جامع آلتى يرمق
لوحة رقم (٧٤) تبين البلاطات الخزفية التى تكسو محراب وجدران مسجد آلتى يرمق
لوحة رقم (٧٥) تبين البلاطات الخزفية التى تكسو طاقية محراب آلتى يرمق وواجهة عقد ، وعقد الدخلة التى تتقدمه وأطار كوشاتة
لوحة رقم (٧٦) تبين تفصيل البلاطات الخزفية على يمين طاقية محراب مسجد آلتى يرمق
لوحة رقم (٧٧) تبين البلاطات الخزفية على يمين تجويف محراب آلتى يرمق
لوحة رقم (٧٨) تبين البلاطات الخزفية على يسار طاقية محراب مسجد آلتى يرمق
لوحة رقم (٧٩) إطار خشبى يحيط بجدار مكان الصلاة بجامع آلتى يرمق
لوحة رقم (٨٠) الوجهة الشمالية وبها السبيل الجديد بمسجد يوسف الحين
لوحة رقم (٨١) الوجهة البحرية وبها السبيل الجديد
لوحة رقم (٨٢) الوجهة الشرقية لمسجد يوسف الحين
لوحة رقم (٨٣) الوجهة البحرية قبل تعلية السور لمسجد الفتح الملكى (عابدين)
لوحة رقم (٨٤) المحراب والمنبر لمسجد الفتح الملكى
لوحة رقم (٨٥) الأيوان القبلى لمسجد الفتح الملكى
لوحة رقم (٨٦) الوجهة الشرقية لمسجد يوسف الحين
لوحة رقم (٨٧) المنارة مسجد الفتح

لوحة رقم (٨٨) داخل مسجد المدرسة القارقانية

لوحة رقم (٨٩) الوجهة الغربية لمسجد ذو الفقار

لوحة رقم (٩٠) تبين البلاطات الخزفية التي تزخرف مدخل مسجد ذو الفقار بك

لوحة رقم (٩١) تبين البلاطات الخزفية التي تعلو محراب مسجد ذو الفقار بك

لوحة رقم (٩٢) تبين منزل الحاج رمضان بمدينة رشيد ويرجع إلى العصر العثماني لمسجد مصطفى جربجى ميرزا

لوحة رقم (٩٣) تبين التصميم التقليدي للبلاطات التي تكسو جدران أيوان القبلة

لوحة رقم (٩٤) تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبي الغربي لأيوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا

لوحة رقم (٩٥) تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبي الغربي لايوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا

لوحة رقم (٩٦) تبين التصميمات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي تكسو الجدار الشمالي الشرقي بأيوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا

لوحة رقم (٩٧) توضح التصميمات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي تكسو الجدار الشمالي الشرقي بأيوان القبلة بمسجد مصطفى جوربجى ميرزا

لوحة رقم (٩٨) تبين مسجد المجاهدين بمدينة أسيوط ويرجع تأسيسه إلى العصر العثماني

لوحة رقم (٩٩) تبين المدخل الرئيسي لمنزل البحيرى بمدينة أخميم

لوحة رقم (١٠٠) تمثل داخل مسجد الخطباء بمحلة أبو على

لوحة رقم (١٠١) تبين البلاطات الزخرفية التي تكسو (فتحة النفيس) التي تعلو مدخل زاوية عبد الرحمن كتخدا

لوحة رقم (١٠٢) الوجهة البحرية بعد إصلاحها وزيادتها

لوحة رقم (١٠٣) تبين البلاطات الخزفية التي تزخرف مدخل مسجد عثمان كتخدا

لوحة رقم (١٠٤) داخل مسجد عثمان كتخدا

لوحة رقم (١٠٥) باب مسجد عثمان كتخدا

لوحة رقم (١٠٦) تبين محراب مسجد عثمان كتخدا

لوحة رقم (١٠٧) الواجهة الجنوبية لمسجد الشوربجى بالاسكندرية

لوحة رقم (١٠٨) الباب القبلى لمسجد عبد الباقى جوربجى

لوحة رقم (١٠٩) تبين رواق القبلة بمسجد الشوربجى بالاسكندرية

لوحة رقم (١١٠) الوجهة القبلية وبها باب مسجد عبد الباقى جوربجى

لوحة رقم (١١١) محراب مسجد عبد الباقى جوربجى

لوحة رقم (١١٢) تفاصيل من المنبر قاعة الطوبى

لوحة رقم (١١٣) داخل مسجد همام بمدينة فرشوط ومنارته

لوحة رقم (١١٤) الوجهة البحرية لمسجد محمد بك أبى الذهب

لوحة رقم (١١٥) جامع أبو الدهب القبة والدعائم الساندة

لوحة رقم (١١٦) تبين زخارف البلاطات التى تكسو فتحة (النفيس) التى تعلو المدخل الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى لمسجد محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١١٧) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١١٨) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١١٩) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١٢٠) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحة(النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١٢١) الباب البحرى للقبة لمسجد محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١٢٢) المحراب والمنبر لمسجد أبو الدهب

لوحة رقم (١٢٣) تفاصيل من المقصورة النحاسية

لوحة رقم (١٢٤) لوحة تبين زخارف البلاطات التى تكسو الجدار الجنوبى بمدفن محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١٢٥) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التى تكسو جدران مدفن محمد أبو الدهب

لوحة رقم (١٢٦) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي تكسو جدار مدفن أبو الذهب

لوحة رقم (١٢٧) تبين زخارف إحدى التجهات الخزفية بالجدار الجنوبي الشرقي لمدفن محمد أبو الذهب

لوحة رقم (١٢٨) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي تكسو جدران مدفن محمد أبو الذهب

لوحة رقم (١٢٩) مسجد الدشطوطي بباب الشعرية

لوحة رقم (١٣٠) منارة أبو الذهب

لوحة رقم (١٣١) تبين مسجد العسقلاني بمدينة ملوى ويرجع إلى القرن الثامن عشر

لوحة رقم (١٣٢) المسجد من الخارج (الطرطوشي)

لوحة رقم (١٣٣) صحن مسجد الدشطوطي بباب الشعرية

لوحة رقم (١٣٤) تبين صحن جامع مدينة هو ومئذنته تعلو الرواق الغربي

لوحة رقم (١٣٥) تبين رواق القبلة في مسجد مدينة قفط

لوحة رقم (١٣٦) أيوان القبلة لمسجد الدشطوطي بباب الشعرية

لوحة رقم (١٣٧) الايوان الغربي المقابل للقبلة صحن مسجد الدشطوطي بباب الشعرية

لوحة رقم (١٣٨) خان الجداوي بمدينة إسنا

لوحة رقم (١٣٩) تبين رواق القبلة ومحراب الجامع الصيني بمدينة جرجا وقد عرف بهذا الاسم لأن جدرانه مغشاة ببلاطات القاشاني

لوحة رقم (١٤٠) الايوان الشمالي لمسجد الدشطوطي بباب الشعرية

لوحة رقم (١٤١) تبين منارة مسجد المتولي بمدينة جرجا

لوحة رقم(١٤٢) قبة الدشطوطي

لوحة رقم (١٤٣) تبين صحن جامع الدشطوطي بمدينة سوهاج

لوحة رقم (١٤٤) تبين مدخل وكالة بيت شلبي بمدينة اسيوط وقد زخرفت وجهته بالطوب المنجور

لوحة رقم (١٤٥) تبين فيه مسجد حسن باشا طاهر

لوحة رقم (١٤٦) تبين المنارة لمسجد حسن باشا طاهر

لوحة رقم (١٤٧) داخل مسجد سليمان أغا السلحدار

لوحة رقم (١٤٨) تبين زخرفة نوافذ مسجد سليمان أغا السلحدار

لوحة رقم (١٤٩) الوجهتان الشرقية والقبلية لمسجد محمد على باشا

لوحة رقم (١٥٠) الوجهة الغربية للصحن وبها برج الساعة لمسجد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥١) تبين الرواق الشمالى الخارجى لمسجد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٢) داخل المسجد (الجناح الشرق القبلى) لمسجد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٣) منبر الفاروق لم جد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٤) الرواق الغربى لسجد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٥) القبة الكبيرة وأنصاف القباب حولها لمسجد محمد عل باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٦) تفاصيل من زخارف القبة الكبيرة لمسجد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٧) زخارف نصف القبة أعلى المحراب لمسجد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٨) أحد أركان القبة الكبيرة لمسجد محمد على باشا

لوحة رقم (١٥٩) داخل مسجد محمد على باشا الكبير

لوحة رقم (١٦٠) المقصورة النحاسية حول قبر المغفور له محمد على باشا

لوحة رقم (١٦١) تبين مئذنة مسجد الكاشف بمحافظة سوهاج

لوحة رقم (١٦٢) تبين المدخل الرئيسى للجامع الكبير بمدينة فارسكور

لوحة رقم (١٦٣) تبين فيه الضريح الحسينى بفارسكور

لوحة رقم (١٦٤) تبين منزل الحاج جلى طوبار بمدينة المنزلة ويرجع تاريخ إنشائه إلى القرن التاسع عشر

لوحة رقم (١٦٥) تبين واجهة مسجد العمرى البرج (البرلس سابقا) محافظة كفر الشيخ

لوحة رقم (١٦٦) تبين المدخل الرئيسى لمسجد عامر بمدينة دبى

لوحة رقم (١٦٧) تبين قبة الشيخ عنبر

لوحة رقم (١٦٨) منظر خارجى لجامع محمد على

لوحة رقم (١٦٩) جامع القلعة

لوحة رقم (١٧٠) مكان الصلاة بجامع محمد على

لوحة رقم (١٧١) تبين قبة الخرزجى بمدينة دبى

لوحة رقم (١٧٢) تبين واجهة مسجد العمرى بمحلة مرحوم بمركز طنطا ويرجع إلى القرن السابع عشر

لوحة رقم (١٧٣) المدخل الرئيسى للجامع العمرى بالمحلة الكبرى

لوحة رقم (١٧٤) مئذنة الجامع العمرى

لوحة رقم (١٧٥) معهد جامع المتولى بالمحلة الكبرى

لوحة رقم (١٧٦) مئذنة جامع المتولى بالمحلة الكبرى

المراجع العربيـة والافرنجيـة

(أ)

(١) آدم مز	الحضارة الإسلامية (مترجم)	(١٩٥٧ م)
(٢) ابن الأثير	أسد الغابة فى معرفة الصحابة	
(٣) » »	تاريخ الكامل	بولاق (سنة ١٢٩٠ هـ)
(٤) ابن أبى أصيبعة	عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء	(سنة ١٣٠٠ هـ)
(٥) ابن إياس	بدائع الزهور فى وقائع الدهور	(بولاق سنة ١٣١٣ هـ)
(٦) ابن تغرى بردى	النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة	(دار الكتب)
(٧) » » »	المنهل الصافى فى المستوفى بعد الوافى	(دار الكتب)
(٨) ابن جبير	رحلة ابن جبير	(طبع مصر)
(٩) ابن بطوطة	رحلة ابن بطوطة	(١٢٨٧ هـ)
(١٠) ابن جرير الطبرى	تاريخ الرسل والملوك	(سنة ١٣٢٦ هـ)
(١١) » » »	القرى لقاصد أم القرى	(سنة ١٩٤٨ م)
(١٢) ابن الجيعان	التحفة السنية	(سنة ١٨٨٩ م)
(١٣) ابن حزم	الفصل فى الملل الأهواء والنحل	(سنة ١٣١٧ هـ)
(١٤) ابن الحاج	المـدخـل	(سنة ١٩٢٩ م)
(١٥) ابن الجوزى	المنتظم فى أخبار الملوك والأمم	(سنة ١٣٥٩ هـ)
(١٦) ابن حوقل	الممالك والمسالك	(سنة ١٨٣٣ م)
(١٧) ابن حجر العسقلانى	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة	(سنة ١٣٤٩ هـ)
(١٨) » » »	الإصابة فى تمييز الصحابة	
(١٩) » » »	أنباء الغمر فى أنباء العمر	(المجلس الأعلى ١٣٩٠ م
(٢٠) ابن خرواذبة	الممالك والمسالك	(سنة ١٣٠٩ هـ)
(٢١) ابن الأخوة	معالم القربة فى أحكام الحسبة	(سنة ١٩٣٧ م)
(٢٢) ابن خلدون	العبر وديوان المبتدأ والخبر	(سنة ١٢٨٤ هـ)
(٢٣) ابن خلكان	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	(بولاق سنة ١٢٧٥ هـ)
(٢٤) ابن الزيات	الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة	(طبعة بغداد)
(٢٥) ابن زولاق	العيون الدعج فى أخبار دولة بنى طفج	(سنة ١٨٩٩ م)
(٢٦) » »	فضائل مصر وأخبارها	

(٢٧) ابن رسته	الأعلاق النفيسة	
(٢٨) ابن شاكر الكتبى	فوات الوفيات	(سنة ١٣٤٦ هـ)
(٢٩) ابن شاهنشاه	تقويم البلدان	(١٨٩٠ م)
(٣٠) ابن الشيخ	ألف باء	(سنة ١٢٨٧ هـ)
(٣١) ابن ظهيرة	الفضائل الباهرة	(دارالكتب سنة ١٩٦٩م)
(٣٢) ابن دقماق	الانتصار لواسطة عقد الأمصار	(بولاق سنة ١٣٠٩ هـ)
(٣٣) ابن العماد	شذرات الذهب فى أخبار من ذهب	(سنة ١٣٥١ هـ)
(٣٤) ابن عبد ربه	العقد الفريد	(بولاق سنة ١٢٩٣ هـ)
(٣٥) ابن العميد	تاريخ المسلمين	(سنة ١٩٢٥ م)
(٣٦) ابن قتيبة	عيون الأخبار	(سنة ١٣٤٨ هـ)
(٣٧) ابن كثير	البداية والنهاية	(طبع مصر)
(٣٨) ابن محمود السخاوى الحنفى	تحفة الأحباب وبغية الطلاب	(سنة ١٣٥٦ هـ)
(٣٩) ابن مماتى	قوانين الدواوين	
(٤٠) ابن ميسر	أخبار مصر	(سنة ١٩١٩ م)
(٤١) ابن النديم	الفهرست	(سنة ١٣٤٨ هـ)
(٤٢) ابن النجار	الدرة الثمينة فى أخبار المدينة	(سنة ١٩٥٦ م)
(٤٣) ابن فضل الله العمرى	مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار	(سنة ١٣٤٢ هـ)
(٤٤) ابن الوردى	تاريخ ابن الوردى	(سنة ١٢٨٥ هـ)
(٤٥) أبو أحمد سعيد العسكرى ت سنة ٣٨٢ هـ	التصحيف	
(٤٦) أبو حنيفة الدنيورى	الأخبار الطوال	(سنة ١٣٣٠ هـ)
(٤٧) أبو محمد المقدسى	الروضتين فى أخبار الدولتين	(سنة ١٢٨٨ هـ)
(٤٨) أبومحمد يوسف الكندى	الولاة والقضاة	(سنة ١٩٠٨ م)
(٤٩) أبومحمد عبد الله البلوى	سيرة أحمد بن طولون	(سنة ١٣٥٨ هـ)
(٥٠) أبو الفداء	المختصر فى أخبار البشر	(سنة ١٣٢٥ هـ)
(٥١) أبو الفرج الأصفهانى	الأغانى	(دار الكتب)
(٥٢) أبويحيى زكريا القزوينى	آثار البلاد وأخبار العباد	(سنة ١٨٤٨ م)
(٥٣) أحمد تيمور باشا	الآثار النبوية	(١٣٤٨ هـ)
(٥٤) أحمد رمزى	القاموس الجغرافى	(دار الكتب)
(٥٥) أحمد فكرى	المدخل للعمارة الإسلامية	(دار المعارف)
(٥٦) أحمد فكرى	العمارة الفاطمية	(دار المعارف)
(٥٧) إبراهيم رفعت	مرآة الحرمين	
(٥٨) ابن إياس	بدائع الزهور من وقائع الدهور	(بولاق ١٣١١ هـ)
(٥٩) الجبرتى	عجائب الآثار فى التراجم والأخبار	(مصر ١٣٢٢ هـ)
(٦٠) أحمد السعيد سليمان	تاريخ الدول الإسلامية (جزأين)	(دارالمعارف بمصر١٩٧٢م
(٦١) أحمد رمضان أحمد	المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى العصور الوسطى	(القاهرة)

(٦٢) أحمد فكرى — المدخل للعمارة الإسلامية — (دار المعارف)
(٦٣) — مساجد القاهرة ومدارسها (الجزء الأول) — (دارالمعارف سنة ١٩٦٥م
(٦٤) — مساجد القاهرة ومدارسها (الجزء الثانى) — (دارالمعارف سنة ١٩٦٩م
(٦٥) المقريزى — الخطط (مجلدين ـ الطبعة الجديدة بالأوفست طبعة بولاق) — (سنة ١٢٧٠ هـ)

(ب)

(٦٦) بدر الدين الحسينى — عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان — (سنة ١٨٦٦ م)
(٦٧) البلاذرى — فتوح البلدان — (سنة ١٣١٦ هـ)
(٦٨) البيهقى — المحاسن والمساوىء — (سنة ١٣١٦ هـ)
(٦٩) البيهقى — السنن الكبرى — (الهند سنة ١٣١٦هـ)
(٧٠) برنارد لويس — النقابات الإسلامية (ترجمة عبد العزيز الدورى عدد ٣٥٧)
(٧١) — تاريخ المساجد الأثرية (جزأين) — (القاهرة سنة ١٨٤٦ م)

(ت)

(٧٢) تقى الدين المقريزى — إغاثة الأمة بكشف الغمة — (نشر زيادة والشيال)
(٧٣) تقى الدين المقريزى — البيان والإعراب — (سنة ١٩١٦ م)
(٧٤) تقى الدين المقريزى — الخطط والآثار — (بولاق سنة ١٢٧٠ هـ)
(٧٥) تقى الدين المقريزى — اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفا — (سنة ١٩٠٩ م)
(٧٦) تقى الدين المقريزى — السلوك لمعرفة دول الملوك — (نشر زيادة)
(٧٧) تاج الدين عبدالوهاب السبكى — طبقات الشافعية — (سنة ١٣٢٤ هـ)

(ح)

(٧٨) حسن إبراهيم حسن — تاريخ الإسلام السياسى ٤ أجزاء
(٧٩) حسن إبراهيم حسن — تاريخ الدولة الفاطمية — (سنة ١٩٦٤ م)
(٨٠) حسن عبد الوهاب — تاريخ المساجد الأثرية — (دار الكتب سنة ٦٤)
(٨١) الحسن عبد الله — آثار الدول فى ترتيب الدول — (بولاق سنة ١٢٩٥ هـ)

(ز)

(٨٢) زكى محمد حسن — فنون الإسلام — (سنة ١٩٤٨ م)

(س)

(٨٣) سعاد ماهر	مخلفات الرسول فى المسجد الحسينى	(سنة ١٣٨٥ هـ)
(٨٤) سعاد ماهر	الحصير فى الفن الإسلامى	(سنة ١٩٦٠ م)
(٨٥) سعاد ماهر	محافظات الجمهورية العربية فى العصر الإسلامى	(سنة ١٣٨٦ هـ)
(٨٦) سعاد ماهر	شواهد القبوربجبانة اسوان(تحت الطبع)	(مع آخرين)
(٨٧) سبط الجوزى	مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان	(سنة ١٩٠٧ م)
(٨٨) السمنهودى	وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى	(سنة ١٣٢٦ هـ)
(٨٩) السيوطى	حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة	(دارالمعارف سنة ٧٠)
(٩٠) سعاد ماهر	القاهرة القديمة وأحياؤها	(القاهرة سنة ١٩٦٢ م)
(٩١)	القاهرة فى ألف عام	(القلعة سنة ١٩٦٩ م)
(٩٢)	الخزف التركى	(القاهرة سنة ١٩٦٠ م)
(٩٣)	مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (أربعة أجزاء)	
(٩٤)		(القاهرة سنة ١٩٧١ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨١)
(٩٥)	مشهد الإمام على فى النجف وما به من الهدايا والتحف	(دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م)
(٩٦)	محافظات جمهورية مصر العربية فى العصر الإسلامى وآثارها الباقية	

(ش)

(٩٧) الشبشتى	الديارات	(نشر كوركيس عواد)
(٩٨) شهاب الدين أحمد النويرى	نهاية الدرب فى فنون الأدب	(دار الكتب)
(٩٩) شمس الدين محمد السخاوى	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	(سنة ١٣٥٤ هـ)
(١٠٠) الشهرستانى	الملل والنحل	(طبعة الأنجلو)

(ط)

(١٠١) الطقطقى	الفخرى فى الآداب السلطانية	(سنة ١٣١٧ هـ)

(ع)

(١٠٢) عبد الوهاب الشعرانى	الطبقات الكبرى	(سنة ١٢٧٦ هـ)
(١٠٣) عبد الوهاب الشعرانى	« الصغرى	

(١٠٤) عبد الرحمن الجبرتى عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (بولاق سنة ١٢٩٧ هـ)
(١٠٥) عبد الرؤوف المناوى الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية (٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م)
(١٠٦) عبد الرحمن السخاوى التبر المسبوك فى ذيل السلوك (سنة ١٨٩٦ م)
(١٠٧) عبد الله أحمد الأسوانى النوبة
(١٠٨) عمر بن محمد الكندى فضائل مصر المحروسة
(١٠٩) على مبارك . الخطط التوفيقية (بولاق سنة ١٣٠٥ هـ)
(١١٠) عبد الغنى البابلسى الحقيقة والمجاز (مخطوطة)
(١١١) العقــاد عمرو بن العاص (مطبعة دار العروبة)
(١١٢) عبد العزيز مرزوق الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى (القاهرة ١٩٧٤ م)
(١١٣) على باشا مبارك الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة الطبعة الأولى (بولاق سنة ١٣٠٦ هـ) (عشرون جزءا فى أربعة مجلدات)

(غ)

(١١٤) غرس الدين خليل بن شاهين زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (سنة ١٨٩٤ م)

(ق)

(١١٥) القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد
(١١٦) القضاعى عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف
(١١٧) القلقشندى صبح الأعشى (بولاق سنة ١٩١٤ م)

(ك)

(١١٨) كمال الدين الأدفوى الطالع السعيد (سنة ١٩١٤ م)
(١١٩) كمال الدين سامح تطور القبة فى العمارة الإسلامية (القاهرة سنة ١٩٥٠ م) (مجلة كلية الآداب مجلد ١٢ الجزء الأول)
(١٢٠) محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار القديمة العربية (بولاق ١٨٨٤هـ ١٩٤٥م)

(م)

(١٢١) محى الدين الخطيب الأزهــر (سنة ١٣٤٥ هـ)
(١٢٢) محمد الصبان إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين (سنة ١٢٩٠ هـ)
(١٢٣) محمد توفيق البكرى بيت السادات الوفائية (سنة ١٣٣٦ هـ)
(١٢٤) محمد كامل حسين أدب مصر الفاطمية (ألف كتاب)

(١٢٥) محمد بن عبد الله الزركشى إعلام الساجد بأحكام المساجد (المجلس الأعلى سنة (١٣٨٥)
(١٢٦) محمد أحمد جامع عمرو بن العاص (بولاق سنة ١٩٣٨ م)
(١٢٧) محمد عبدالحى الكنوى الفوائد البهية فى تراجم الحنفية (سنة ١٣٢٤ هـ)
(١٢٨) محمد عكوش تاريخ الجامع الطولونى (سنة ١٩٢٧ م)
(١٢٩) محمود البيلاوى التاريخ الحسينى (سنة ١٣٢٤ هـ)
(١٣٠) محمد أنيس الدولة العثمانية والشرق العربى (مكتبة الأنجلو)
(١٣١) محمد رمزى القاموس الجغرافى خمسة أجزاء (القاهرة سنة ١٩٥٤ م)
قسمين (سنة ١٩٦٠ م)
(١٣٢) فهرس القاموس الجغرافى (القاهرة سنة ١٩٦٨ م)
(١٣٣) المقدسى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (سنة ١٩٠٩ م)
(١٣٤) المسعودى التنبيه والإشراف (سنة ١٨٩٣ م)
(١٣٥) المسعودى مروج الذهب (بولاق سنة ١٢٨٣ هـ)
(١٣٦) ناصر خسرو سفر نامه (تعريب يحيى الخشاب)
(١٣٧) نعوم شقير تاريخ سيناء (سنة ١٩١٦ م)

(ى)

(١٣٨) ياقوت الحموى مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع (سنة ١٨٧٩ م)
(١٣٩) اليعقوبى تاريخ اليعقوبى (سنة ١٣٥٨ هـ)
(١٤٠) اليعقوبى البلدان (سنة ١٨٩٢ م)
(١٤١) يعقوب بن إبراهيم كتاب الخراج (سنة ١٩٠٢ م)

المراجع الأجنبية

Arsevan Celal Esad : Les Arts Décoratifs Turques. Istambul 1939.

Aslanapa Oktay : Turkish Art and Architecture. London 1971.

Atasoy Nurhan : Ibrahim Pasa Saray. Istambul 1972.

Atasoy Nurhan, Filiz Cagman : Turkish Miniature Painting. Istambul 1974.

Atil Esin : Ceramics from the World of Islam. Freer Gallery of Art. Washington 1973.

Berchem, Max Van : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum. Première Partie. Egypte. Paris 1903.

Celebi Eviliya : Seyahatnamesi Volume X Misir, Sudan, Habes (1672 — 1680) Istambul 1938.

Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. Comptes rendus des Exercices 1915 — 1919. Le Caire 1922.

Creswell (K. A. C.) : Early Muslim Architecture. 1 — 2 Parts. Oxford 1969.

Idem : Muslim Architecture of Egypt. I and II. Oxford 1951 and 1960.

Idem : Short Account of Early Muslim Architecture. London 1958.

Deherain (H) : L'Egypte Turque. Histoire de la Nation Egyptienne Tome V. Paris 1934.

Description de l'Egypte. Planche Etat Moderne. Paris 1822.

Ettinghansen (R) : les siècles de l'Islam ; Les Trésors de la Turquie. Genève 1966.

Gabriel Albert : Les Mosquées de Constantinople. Paris 1926.

Goodwin (G.) : A History of Ottoman Architecture. London 1971.

Hammer- Purgstall (J. Von) : Histoire de l'Empire Ottoman 18 Vols. Paris 1835 - 46.

Hautecoeur (L) et Wiet (G) : Les Mosquées Du Caire. Paris 1932.

Jomard (M) : Description Abrégée de la Ville et de la Citadelle du Caire. Description de l'Egypte E. M. Tome 2 (IIème partie).

Kuhnel (E) : (E) : Islamic Art and Architecture. Translated by K. Watson. London 1966.

Kuran Aptullah : The Mosque in Early Ottoman Architecture. Chicago 1968.

Lane H. : A Guide to the Collection of Tiles. Bristol 1960.

Idem. : Later Islamic Pottery. 2nd Edition. London 1971.

Lannay (M) : L'Architecture Ottomane. Constantinople 1873.
Levey (M) : The World of Ottoman Art. London 1975.
Lewis (B) : The Islamic Guilds, in Economic History Review Vol. VIII. 1937.
Mayer (L. A.) : Islamic Architects and their Works. Geneve 1956.
Pauty Edmond : L'Architecture au Caire depuis la Conquête Ottomane. Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale. Tome XXXVI. J. F. A. F. 1936.
Shaw (S) : The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 - 1798). New Jersey 1962.
Stratton (A) : Sinan. U. S. A. 1972.
Unsal Behcet : Turkish Islamic Architecture. London 1970.
Taeschner (F) : Das Futuwwa- Rittertum des Islamishen Mittelalters Leipzig 1944.
Victoria and Albert Museum : Turkish Pottery. London 1966.
Witteck Paul : The Rise of the Ottoman Empire. Royal Asiatic Society Monographs. London 1938.

REFERENCES

Abu Saleh : Churches and Monasteries of Egypt. (Oxford 1895).

Ahmed Fakhry : The Oasis of Siwa (Cairo).

Ahmed Fakhry : The Necropolis of El-Bagawat in Kharga Oasis (Cairo).

Butker : Churches of Egypt.

Butler : Ancient Coptic churches. (1884).

Creswell : Early Muslim Architecture, Vol. I & II (Oxford).

Creswell : Muslim Architecture of Egypt (Oxford).

Cost Pascal : Architecture Arabe ou Monuments du Caire (Paris 1839).

David Weill : Bois à Epigraphes jusqu'à l'époque Mamelouk.

Devonshire : La Mosquée de d'Amru (B.I.F. Tome XXXII 1931).

Devonshire : L'Egypte Musulmane et les fondateurs de ses monuments (Paris 1926).

Dimand : A Handbook of Muhammedan Art (Second edit. 1946).

Dimand : Studies in Islamic ornaments (Ars Islamica Vol. IV).

Hautecaur et Wiet : Les Mosquées du Caire (Vol. I & II 1932).

G. Wiet : Deux inscriptions cofigues de Qous (Bulletin I.E. vol. XVII 1935 & 36).

G. Wiet : L'Egypte Arabe (Paris 1937).

Gnohman A. : Arabic Papri in the Egyptian Library (Cairo 1932).

Gouthier Henri : Les nomes d'Egypte depuis Hérodote jusqu'à la Conquête Arabe (Caire 1935).

Lane-Poole : Egypt in the Middle Ages.

Lounme : Fatimid wood work (B.I.E. XVIII 1935-36).

Mayer : Islamic wood carver and their work. (Albert, Geneva 1958).

Monneret de Villard : La Necropli Musulman di Aswan (Le Caire 1930).

Pauty : Le Minbar de Qous (1940).

Prisse D'Avennes : L'art. Arabe Atlas.

Van Bereham : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (M.M.A.F. du Caire).

Répertoire chronologique d'épigraphie Arabe.

Encyclopaedia of Islam.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله

رقم الايداع ٤٤١٠/١٩٨٢

الترقيم الدولى ٩٧٧—٠٢—٠٠١١—x ISBN

مطابع الأهــــرام التجارية